جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مجلة الرّاسخون
ARRASIKHUN JOURNAL

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508

Special Issue, February 2026

إصدار خاص - فبراير 2026

مجلة الراسخـــون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:2462-2508

أبحاث الإصدار الخاص، فبراير 2026

أولًا: الدراسات الإسلامية

البحث	صفحة
1. ابن خالويه ومنهجه الخاص في كتاب إعراب القراءات السبع وعللها	29_1
2. الانحرافات الفكرية في وسائل التواصل الاجتماعي وعلاجها في ضوء القرآن الكريم دراسة تطبيقية على طلاب الثانوية بجدة	67_30
3. مراحل المخصوص بالذّكر في القرآن الكريم وعناية المفسرين به من خلال تفسير زاد المسير لابن الجوزي، دراسة استقرائية	89_68
4. ترجمة الشيخ المفسر محمد علي طه الدرة (المتوفى 1428هـ) رحمه الله	115_90
5. دور المساجد والمراكز الثقافية التي أنشأها ملوك المملكة العربية السعودية في نشر تعليم القرآن الكريم: مشروع التفرغ العلمي عام 1446 هـ	137_116
6. التأثير والتأثر بين المستشرقين والقرآنيين دراسة تحليلية نقدية	158_138
7. الرد على المخالف في مسائل الأصول في عهد الخلفاء الراشدين	179_159

ثانياً: الدراسات اللغوية

البحث	صفحة
8. التوجيه النحوي والصرفي لقراءات الأسماء في سورة الرعد من خلال كتاب فتح البيان في مقاصد القرآن للإمام صدّيق حسن خان	204_180
9. مختارات من الأساليب الخبرية والإنشائية في سورة آل عمران وأثرُها البلاغي	233_205
10. الظواهر النحوية للجملة الفعلية في ديوان امرئ القيس	261_234

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب

نائب مدير هيئة التحرير أول: الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد الفتاح عبد القوي

نائب مدير هيئة التحرير ثانٍ: الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الكريم أحمد مغاوري

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين

محكمو أبحاث العدد (حسب الترتيب الأبجدي):

- الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم محمد أحمد البيومي
- الأستاذ المساعد الدكتورة/ أماني عطية السيد علي القطري
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد القوي
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سمير سعيد حسين الحصري
- الأستاذ المشارك الدكتور/ السيد سيد أحمد محمد نجم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ السيد محمد سالم سالم
- الأستاذ المساعد الدكتور/ عبد الغني قمر جمعة جاد الله
- الأستاذ المساعد الدكتورة/ عفاف عبده إبراهيم.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ المتولي علي الشحات بستان
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد إبراهيم محمد بخيت
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد أحمد عبد الحميد طايل.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد أحمد عبد المطلب عزب
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد أحمد محمد إسماعيل عيسى
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد السيد إبراهيم البساطي
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد رشاد النجار.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب

Arrasikhun Journal، Special Issue, February 2026

ISSN: 2462-2508

ابن خالويه ومنهجه الخاص في كتاب إعراب القراءات السبع وعللها

كريمة مجدي محمد طنطاوي
باحثة ماجستير بقسم القرآن الكريم وعلومه
جامعة المدينة العالمية ماليزيا
karemah1994@gmail.com

د. سمير سعيد الحصري
نائب رئيس قسم القرآن الكريم وعلومه
جامعة المدينة العالمية ماليزيا
samir.elhosry@mediu.my

الملخص

تناول هذا البحث المنهج الخاص لابن خالويه في توجيه القراءات من خلال كتاب إعراب القراءات السبع وعللها، حيث يهدف إلى إبراز معالم منهجه الخاص في توجيه اللفظ القرآني وبيان الحجة مع استقراء البعد التوجيهي الشرعي واللغوي. وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي بأداتيه الاستقراء والتحليل، ومنهما توصلت إلى نتائج البحث التي من أبرزها: تبين أن منهج ابن خالويه يتسم بالتنوع في التوجيه تحت عدة اعتبارات، ويميل أسلوبه في التوجيه إلى التعقيد والإسهاب خصوصا في الجانب اللغوي، كما أن منهجه يتسم بتقديم القراءات المتواترة على قواعد أهل اللغة والنحاة، وقد لا يعزو القراءة عزوا دقيقا وهذا يظهر غايته من هذا الكتاب هو بيان القراءات الواردة في اللفظ القرآني وبيان علتها.

الكلمات المفتاحية: المنهج الخاص – التوجيه باعتبار العلوم الشرعية– التوجيه باعتبار علوم اللغة العربية

ABSTRACT

This study examines Ibn Khalawayh's distinctive methodology in the grammatical justification of the Qurʾanic readings as presented in his book *"al-qirāʾatu al-sabʿu waʿil-al-uhā"*. It seeks to highlight the defining features of his approach to analyzing Qurʾanic expressions and demonstrating their evidentiary foundations, while exploring the juristic and linguistic dimensions of his justificatory framework. The researcher adopts a descriptive methodology based on induction and analysis. The study concludes that Ibn Khalawayh's method is characterized by diversity in justificatory approaches under multiple considerations. His style tends toward complexity and elaboration, particularly in linguistic discussions. Moreover, he prioritizes the mass-transmitted (mutawātir) readings over the established principles of grammarians and linguists. He does not always provide precise attribution for individual readings, which suggests that his primary aim in this work was to clarify the variant readings transmitted in the Qurʾanic text and to explain their underlying justifications.

Keywords: Distinctive methodology; Justifying based on Islamic Studies, Justifying based on Arabic grammatical sciences.

المقدمة

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ}، الحمد لله الذي أقام لحفظ كتابه خيرته من البشر على مر العصور وفي كل الأمصار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، الذين جمعوا القرآن في صدورهم السليمة وصحفهم الطاهرة.

فقد قال الله تعالى: { إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ}، الحجر: 9.

فإن للقرآن الكريم شأنا عظيما في أمر الإسلام وحياة المسلمين، يستمدون منه شريعتهم ويستضيئون بهديه بلاغة وبيانا، ويقيسون عليه أساليبهم فصاحة وتبيانا، فلا عجب أن يكون القرآن الكريم وعلومه موضع عناية المسلمين في كل زمان ومكان. ومن أشرف هذه العلوم وأجلها التي اعتنى بها علماء المسلمين: علم القراءات القرآنية وكل ما تعلق بها من فنون كعلم توجيه القراءات وعلم رسم المصحف وغيرهما.

وعلم توجيه القراءات هو العلم الذي يبيّن وجه القراءات القرآنية المختلفة ويُعَلِّل لها من خلال الأدلة اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية والتفسير مع الاستناد إلى صحة النقل ورسم المصحف، ومن العلماء الأجلاء في هذا العلم: الإمام ابن خالويه الذي كان له جهد واضح ومنهج خاص في توجيه القراءات برز في كتابه إعراب القراءات السبع وعللها، ولهذا رأيت أن يكون عنوان هذا البحث: (**ابن خالويه ومنهجه الخاص في كتاب إعراب القراءات السبع وعللها**) لبيان منهجه الخاص في توجيه القراءات تحت عدة اعتبارات، سائلة الله عز وجل التوفيق والسداد

مشكلة البحث وتساؤلاته:

من خلال استقراء كتاب إعراب القراءات السبع وعللها لاحظت الباحثة بأن لمؤلفه الإمام ابن خالويه –رحمه الله– منهجا مميزا يسير عليه في توجيه القراءات القرآنية تحت عدة اعتبارات، ولم يوف حقه في دراسة علمية دقيقة تبرز ملامح منهجه الخاص، وقد جاء هذا البحث لسد هذه الثغرة، حيث تتمحور إشكالية البحث حول التساؤل الرئيسي الآتي:

ما منهج ابن خالويه الخاص في كتاب إعراب القراءات السبع وعللها؟

وتتفرع عن هذا التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:

أ- ما الاعتبارات في التوجيه باعتبار العلوم الشرعية؟

ب- ما الاعتبارات في التوجيه باعتبار علوم اللغة العربية؟

أهمية البحث وأسباب اختياره:

وتكمن أهمية البحث بأنه يقدم دراسة مفصلة لمنهج التوجيه عند الإمام ابن خالويه –رحمه الله– في كتاب إعراب القراءات السبع وعللها، فيبرز منهجه الخاص في توجيه القراءات تحت عدة اعتبارات، ومن المتوقع أن يستفيد من هذا البحث بعون الله أصحاب تخصص القراءات، وكذلك المراكز العلمية والأكاديمية المتخصصة في مجال علوم القراءات.

أهداف البحث:

تسعى الباحثة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- بيان منهج الإمام ابن خالويه الخاص في توجيه اللفظ القرآني والاعتبارات التي يسلكها.

2- استنباط المنهج الذي يسلكه ابن خالويه في توجيه القراءة القرآنية.

3- تطبيق الأمثلة عمليا على كل منهج واعتبار يسلكه في التوجيه.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة في بحثها المنهج الوصفي بأداتيه الاستقراء والتحليل.

حدود البحث:

تقتصر الحدود الموضوعية لبحثي هذا على استقراء وتحليل المنهج الخاص للإمام ابن خالويه في توجيه القراءة القرآنية مع ضرب الأمثلة لكل اعتبار من خلال كتابه إعراب القراءات السبع وعللها.

الدراسات السابقة:

بعد بحث موسع لم تجد الباحثة بحثا أو دراسة تناولت منهج الإمام ابن خالويه في كتاب إعراب القراءات السبع وعللها بشكل مستفيض ومستقل، وجلها أبحاث علمية ذكرت ملامح من سيرته –رحمه الله–، أو ذكرت جزء من ملامح تأليفه لكتاب إعراب القراءات السبع وعللها على اختلاف عناوينها ومنهجها، وهذه أنسب الدراسات السابقة المقاربة إلى حد ما لموضوع دراستي:

الدراسة الأولى: بحث نظرات تصحيحية لطبعة كتاب (إعراب القراءات السبع وعللها) لابن خالويه، بتحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، للباحث: د. ممدوح تركي القحطاني، جامعة شقراء.تاريخ النشر: 2021 /5/28م، وتتفق هذه الدراسة مع بحث الباحثة في أن كلاهما يتناول كتاب إعراب القراءات السبع وعللها، أما أوجه الاختلاف تتمثل في أن بحث المذكور اهتم بنقد النسخة المطبوعة لهذا الكتاب الذي نشرته مكتبة الخفاجي، وبيان ما وقع في هذه النسخة من سقط وتحريف وأغلاط في الرسم والضبط، ثم صححها بمقابلتها على النسخة الخطية للكتاب.

الدراسة الثانية: أثر الأصل في توجيه ابن خالويه لقراءة التحقيق والتسهيل في كتابه (إعراب القراءات السبع وعللها)، للباحثان: خالد قاسم بني دومي، هيثم محمد العزام، الجامعة الأردنية. تاريخ النشر: 2020 /12/24م، وتتفق الدراستين في أن كلاهما يتناول كتاب إعراب القراءات السبع وعللها، وأما أوجه الاختلاف فتتمثل في أن البحث المذكور فيه دراسة المقصود بالهمز والتسهيل، وأشار إلى الهمزة من حيث المخرج والصفات قديما وحديثا، ثم ذكر نماذج تطبيقية من كتاب إعراب القراءات السبع وعللها، فيكاد يكون بحثا تطبيقيا في بيان أحد أحكام النطق باللفظ القرآني عند بعض القراء ولم يهدف في دراسته بيان منهج الإمام في توجيه القراءات القرآنية كما هو في دراسة الباحثة هنا.

الدراسة الثالثة: التوجيه النحوي للقراءات القرآنية عند ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها نموذجا، للباحث: أ. أحمد مرغم، جامعة سطيف. تاريخ النشر: 2011 /6/1م، وكلا الدراستين تتفق في أن كل منهما يتناول دراسة منهج الإمام في

التوجيه النحوي في كتاب إعراب القراءات السبع وعللها، وتختلف في أن الدراسة المذكورة ذكر فيها الباحث ملامح من منهج الإمام في كتابه وأصوله النحوية دون استفاضة، واهتم الباحث بإبراز منهج الإمام ابن خالويه في التوجيه النحوي للقراءة، فيبين كيف يستدل على صحة القراءة وحجتها من الجانب اللغوي والنحوي فقط، كما يتخذ إجماع اللغويين حجة قوية في توجيه ألفاظ القرآن، أما بحث الباحثة فهي دراسة وصفية نقدية لمنهج الإمام في التوجيه باعتبار عدة علوم وقفت عليها كالتوجيه باعتبار علم الحديث والفقه والعقيدة والنحو والبلاغة وغيرها.

الفرق بين دراستي والدراسات السابقة: وتتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بأنها تبين منهج الإمام ابن خالويه الخاص في كتاب إعراب القراءات السبع وعللها، فأوضح منهجه في توجيه القراءة والاحتجاج لها من علوم الحديث، و علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، ومن القرآن الكريم والفقه والعقيدة والتفسير، مع ضرب الأمثلة على كل وجه من صميم كتابه؛ لتقريب فهمه وتسهيله للقارئ بعون الله وتوفيقه، وهذا ما خلت منه كل الدراسات السابقة، فجلها تناولت كتاب إعراب القراءات السبع وعللها من نواح أخرى مختلفة كما وضح تحت كل دراسة.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث وفق الآتي:

التمهيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة المؤلف.

المطلب الثاني: نبذة عن علم التوجيه.

المنهج الخاص وتحته مبحثان:

المبحث الأول: التوجيه باعتبار العلوم الشرعية، وتحته مطالب:

المطلب الأول: منهجه في التوجيه باعتبار الآية.

المطلب الثاني: منهجه في التوجيه باعتبار الحديث.

المطلب الثالث: منهجه في التوجيه باعتبار العقيدة.

المطلب الرابع: منهجه في التوجيه باعتبار الفقه.

المطلب الخامس: منهجه في التوجيه باعتبار التفسير.

المبحث الثاني: التوجيه باعتبار علوم اللغة العربية، وتحت مطالب:

المطلب الأول: منهجه في التوجيه باعتبار علم البلاغة.

المطلب الثاني: منهجه في التوجيه باعتبار اللغة.

المطلب الثالث: منهجه في التوجيه باعتبار علم النحو والصرف.

الخاتمة: وفيه أهم النتائج

قائمة المصادر والمراجع

التمهيد

المطلب الأول: ترجمة المؤلف

أولا: اسمه، كنيته، لقبه، نسبته، مولده.

اسمه: هو "الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدون أبو عبد الله النحوي اللغوي" [1]، وفي طبقات

(1) الداوودي، شمس الدين الداوودي، **طبقات المفسرين**، (د.م: دار الكتب العلمية، د.ط)، ج1، ص 151.

المفسرين ذكر أنه: "الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان أبو عبد الله الهمذاني" [1].

كنيته: "أبو عبد الله" [2].

لقبه: لقب بذو النونين؛ لأنه كان يكتب اسمه هكذا الحسين بن خالويه [3]، بمد النون من "الحسين" و " ابن" آخر كتبه [4].

نسبته: نسب إلى "همذان" وهي مدينة ببلاد الجبال من فارس بإيران [5]، ولم أعلم سبب نسبته إلى هذه المدينة.

مولده: لم تذكر المصادر التي وفقت عليها زمان ومكان مولد ابن خالويه، سوى ما وجدته في مقدمة كتاب إعراب القراءات السبع وعللها، بأنه ولد ليلة النحر عام تسع وخمسمائة [6].

ثانيا: نشأته، حياته الاجتماعية.

نشأته: نشأ ابن خالويه نشأةً علمية، ونشأ في بغداد، وذكر ياقوت الحموي بأنه نشأ في همذان ثم وفد إلى بغداد، ويشاركه في هذا الرأي السيوطي في كتابه بغية الوعاة [7].

حياته الاجتماعية: أجمعت المصادر على أن ابن خالويه كانت معيشته قاسية فقير الحال، فقد كان يسعى وراء المال ليبعد عنه قسوة الفقر، ومما يدل على ذلك ما دار بينه وبين سيف الدولة، فقد سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة: "هل تعرفون اسمًا ممدودًا وجمعه مقصورًا؟ فقالوا: لا، فقال لابن خالويه: ما تقول أنت؟ قلت: أنا أعرف اسمين، قال: ما هما؟ قلت: لا أقول لك إلا بألف درهم؛ لئلا تؤخذ بلا شكر ..." [8].

ثالثا: عقيدته ومذهبه.

اختلف العلماء في عقيدة ابن خالويه، وتكلم كثير من العلماء في مذهبه، فمنهم من ينسبه إلى أهل السنة ويقول: هو شافعي، ومنهم من ينسبه إلى الإمامية ويقول: هو شيعي، فممن نسب ابن خالويه

(1)محمود جاسم محمد، **مقدمة كتاب ابن خالويه وجهوده في اللغة**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط:1، 1986م)، ص131؛
ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان**، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت)، ج2، ص 178.

(2)ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **نزهة الألباب في الألقاب**، (الرياض: دار الأرقم، ط: 1، 1989م)، ص 312.

(3)العثيمين، عبدالرحمن بن سليمان العثيمين (تحقيق وجمع)، **مقدمة كتاب إعراب القراءات السبع وعللها**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط: 1، 1992م)، ص 12.

(4) المرجع سابق، ص 12؛ محمود جاسم، **مقدمة كتاب ابن خالويه وجهوده في اللغة**، مرجع سابق، ص 13، ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مرجع سابق، ص178، الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط: 1، 2000م)، ج12، ص 200.

(5)الأسيوطي، أبو محمد الأسيوطي (تحقيق وجمع)، **مقدمة كتاب إعراب القراءات السبع وعللها**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط: 1، د.ت)، ص3.

(6)السيوطي، الحافظ جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، (حلب: مطبعة عيسى البابي، ط:1، 1964م)، ج1، ص 529، الحموي، ياقوت الحموي الرومي، **معجم الأدباء**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 1993م)، ج1، ص1030.

(7)السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، مرجع سابق، ص: 530.

(8)سالم مكرم (تحقيق وجمع)، **مقدمة كتاب الحجة في القراءات السبع**، (القاهرة: عالم الكتب، ط: 1، 2007م)، ص 8.

إلى الســـنة: الإمام الذهبي، فقال في تاريخه: "كان صـاحب سـنة"، وممن نسـبه إلى الإمامية: ابن أبي طي، فقال: "أنه كان إماميًا عالمًا بالمذهب"، وزاد ابن حجر: "كان يظهر ذلك تقربًا من سيف الدولة صاحب حلب"، وقرأ عليه أبو الحسين النصيبي كتابه في الإمامة وهو من الإمامية.

وقد ظهر لأغلب العلماء من خلال ثقافته ومنهجه العلمي أنه سني شافعي، **والدليل**: ترجمة الشافعية له في طبقاتهم، ومنهم: ذكره ابن الصلاح، والأسنوي، والسبكي" [1]،

وقد روى مختصر المزني عن أبي بكر النيسابوري"[2]، ومختصر المزني من قواعد المذهب الشافعي.

ومما يدل على اعتقاده بمذهب أهل السنة:

1-حكى في كتابه "إعراب ثلاثين سـورة" مذهب الشافعية في البسملة وكونها آية من أول كل سورة. قال: "والذي صـح عندي وإليه أذهب مذهب الشافعي" [3].

2-ذكر ابن خالويه في إعراب قوله تعالى: {**وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ**} الليل: 19، قال: "الهاء كناية عن أبي بكر" [4].

3-وفي توجيه ابن خالويه لقوله تعالى: {**وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ**} الأحقاف: 17.، قال: "وقد ذكرت علته في "سـبحان" وإنما ذكرته أيضًـا؛ لأن بعض المفسـرين قال: "والذي قال لوالديه أف لكما" هو عبد الرحمن بن أبي بكر الصـديق قبل أن يسلم، وذلك غلط، إنما نزل في الكافر العاق" [5].

4-اعتقاده بمذهب أهل السـنة بجواز الترضـي على غير الصحابة، والدليل قوله في كتابه: "... تستعمل الإمالة **كما** حكى سيبويه -رضي الله عنه -أكثر من التفخيم اختاره" [6].

رابعا: رحلاته العلمية وثناء العلماء عليه.

وفد ابن خالويه إلى بغداد ودخلها عام أربع عشـرة وثلاثمائة، فأخذ العلوم عن شـيوخها وتلقى عن أعلامها الكبار كالنحو واللغة والأدب وعلوم القرآن والحديث وغيره، ثم انتقل إلى الشـام، واسـتقر آخر أمره بحلب واختص بسيف الدولة بن حمدان وأولاده، فكانوا يكرمونه ويقتبسـون منه مختلف العلوم حتى انتشـر علمه وذاع صـيته، ولما انقضـى أجل سـيف الدولة عاش بصحبة ولده "شريف". وقيل بأنه دخل اليمن وأقام بذمار [7]، وهذا ما ذكر في كتاب

(1)**مقدمة كتاب إعراب ثلاثين سورة**، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، 1985م)، ص 3، العثيمين، **مقدمة كتاب إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص 43، سالم مكرم، **مقدمة كتاب الحجة في القراءات السبع**، مرجع سابق، ص 16

(2)السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، الطبقة الثالثة فيمن توفي بين الثلاثمائة والأربعمائة،(د.م: دار إحياء الكتب العربية، د.ط)، ص270.

(3)المرجع سابق، ص 270.

(4)العثيمين، **مقدمة كتاب إعراب القراءات السـبع وعللها**، مرجع سابق، ص48.

(5)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، ص414.

(6)النووي، يحي محي الدين النووي، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**،(بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج 3، ص342.

(7) الزركلي، خير الـدين الزركلي، **الأعلام**، (بيروت: دار العلم، ط:15، 2002م)، ج 2، ص 231.

الأترجة ومعجم الأعلام وذكره ابن الجزري أيضًا في كتابه، قال صاحب الإنباه تعليقًا على كتاب الأترجة: " ولم أعلم أن ابن خالويه دخل اليمن إلا من كتاب الأترجة"، وكتاب الأترجة كتاب غريب قليل الوجود اشتمل على ذكر شعر اليمن في الجاهلية والإسلام [1].

في خلال هذه الرحلات العلمية كان ابن خالويه حريصًا على تلقي العلم من العلماء الكبار الذين ذاع صيتهم، فأخذ القراءة عرضًا وسماعًا عن أبي بكر بن مجاهد وعليه اعتمد، وروى أيضًا عن أبي بكر بن الأنباري وأبي بكر بن أوس الهمذاني ونفطويه إبراهيم بن محمد فأخذ عنهما النحو والأدب واللغة، وأخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد، وسمع الحديث من محمد بن مخلد العطار، وروى مختصر المزني عن أبي بكر النيسابوري، حتى أصبح لغوي من كبار النحاة يشهد له في عصره [2].

خامسا: شيوخه وتلاميذه:

شيوخه:

تتلمذ ابن خالويه على أيدي كثير من شيوخ زمانه، وحرص على التنويع في العلوم، فكان له في كل علم شيخًا جليلًا، وممن درس وتعلم ابن خالويه على أيديهم:

1–ابن دريد:

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، عالم باللغة، ومن أعظم شعراء العرب، تلقى عليه ابن خالويه النحو والأدب. توفي عام 321هـ.

2–نفطويه:

هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة العَتَكيّ الأزديّ، كان أديبًا، وكان راويًا للأحاديث، عالمًا باللغة، وسار على نهج سيبويه في النحو، تلقي عليه ابن خالويه النحو والأدب. توفي عام 323هـ.

3–ابن مجاهد:

هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجتهد، شيخ القراء في بغداد، كان يلقب في عصر بشيخ الصنعة، وكان المرجع إليه في علم القراءات، تلقى عليه ابن خالويه علوم القرآن والقراءات. توفي ابن مجاهد عام 324هـ.

4–محمد العطار:

هو أبو عبد الله محمد بن مخلد بن حفص العطار الدوري البغدادي، أحد رواة الحديث النبوي، تلقى عليه ابن خالويه علوم الحديث. توفي عام 331هـ[3].

تلاميذه:

تقدم ابن خالويه في العلوم حتى صار أحد أفراد عصره، فتصدر مجالس التعليم في حلب، وكان آل

(1)سالم مكرم، **مقدمة كتاب الحجة في القراءات السبع**، مرجع سابق، ص 8.

(2)السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، مرجع سابق، ص 269، الحموي، **معجم الأدباء**، مرجع سابق، ص 1030-1031، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مرجع سابق، ص 178، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، مرجع سابق، ص 530، **الأعلام**، مرجع سابق، ص 231.

(3)محمد جاسم، **مقدمة كتاب ابن خالويه وجهوده في اللغة**، مرجع سابق، ص 14- 17،سالم مكرم، **مقدمة كتاب الحجة في القراءات السبع**، مرجع سابق، ص 6-7.

حمدان يجلونه ويكرمونه حتى انتشر علمه وذاع صيته، فقصـــده طلاب العلم من كل مكان، فممن تتلمذ على يديه:

1-الإمام المحدث الحافظ عبد الله بن عدي الجرجاني، المتوفي عام 365هـ [1].

2-عبد المنعم بن غلبون المقرئ المصـري، المتوفي عام 380هـ [2].

3- أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي، المتوفى عام 383هـ [3].

4-المعافى بن زكريا بن يحيي النهراوني، الإمام والمفسر الأديب، المتوفي عام 390هـ [4].

5- سـعيد بن سـعيد الفارقي النحوي، المتوفي عام 391هـ [5].

سادسا: مؤلفاته ووفاته.

برع ابن خـالويه في العـديد من العلوم وتبحر فيهـا، فألف العديد من الكتب القيمة، ومن مؤلفاته:

- كتاب "الأسد"، بلغ فيه إلى خمسمائة اسم.
- كتاب "الاشتقاق"، وهو كتاب في النحو.
- كتاب "إعراب القراءات السبع وعللها".
- كتاب "إعراب ثلاثين سورة".
- كتاب "البديع في القرآن"، صنفه أيضًا في اللغة.
- كتاب "الحجة في القراءات السبع".
- كتاب "ليس في كلام العرب"، وهو كتاب كبير في الأدب.

وفاته: أجمعت المصـادر على وفاة ابن خالويه -رحمه الله- بحلب عام 370هـ [4].

المطلب الثاني: نبذة عن علم التوجيه

التوجيه لغة: أصـــول الكلمة الواو والجيم والهاء، والوجه: مســـتقبل لكل شـــيء. يقال: وجه الرجل وغيره. وواجهت فلانًا: جعلت وجهي تلقاء وجهه. ووجهت الشيء: جعلته على جهة[6].

وقيـل: التوجيـه هو إيراد الكلام محتملًا لوجهين مختلفين، وإيراد الكلام على وجـه ينـدفع بـه كلام الخصم، وقيل: عبارة على وجه ينافي كلام الخصم[7].

التوجيه اصـــطلاحًا: هو فن جليل يعرف من خلاله جلالة المعاني وجزالتها[8]،وقيل: "هو علم يبحث فيه عن معـاني القراءات والكشـــف عن وجوههـا في العربية، أو الذهاب بالقراءة إلى الجهة التي يتبين فيها وجهها ومعناها.

التوجيه عند المقرئين: "يقصـد به تبيين وجه قراءة ما والإفصـاح عنه، باعتماد أحد الأدلة الإجمالية للعربية من نقل وإجماع وقياس واستصحاب حال وغيرها".

موضوعه: الكلمات القرآنية المختلف فيها.

(1) الحموي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج8، ص 432.

(2) السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، مرجع سابق، ص 269.

(3) السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، مرجع سابق، ص 270.

(4) **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج13، ص 37.

(5) المرجع سابق، ج16، ص 545.

(6) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مرجع سابق، ص 70.

(7) ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، (د.م: دار الكتاب العربي، د.ط، 1979م)، ج6، ص86.

(8)الحربي، عبد العزيز علي الحربي، **توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشـــية لغة وتفســـيرا وإعرابا**، (د.م: دار ابن حزم، ط: 1، 2012م)، ص 63-64.

(9)المســـئول، عبد العلي المســـئول، **الإيضـــاح في علم القراءات**، (الأردن: عالم الكتب الحديث، ط:1، 2008م)، ص89.

فضله: فضل علم التوجيه متعلق بفضل كتاب الله؛ لأنه من المعلوم أن شرف العلم من شرف المعلوم.

واضعه: علماء التفسير والقراءة حيث صنفوا كتبًا كثيرة على مر في العصور في توجيه القراءات، ولم يقتصر تأليفهم على توجيه القراءات السبع بل ألفوا أيضًا في القراءات الثلاث المتممة للعشر، ومن ثم تجاوزوه إلى القراءات الشاذة. والتوجيه كان موجودًا منذ العهد الذي نزل به القرآن الكريم، ولكنه لم يكن مدونًا. **وأول من دون في هذا العلم الجليل بشكل مستقل:** أبي عبد الله هارون بن موسى الأزدي العتكي ألف كتاب وجوه القراءات، وهو أيضًا أول من تتبع وجوه القراءات الشاذة.

مسائله: قواعد توجيه الكلمات القرآنية المختلف فيها[1].

مثال ذلك: قوله تعالى: {فَتَبَيَّنُوٓاْ } الحجرات: 6.، يقرأ بالثاء والتاء، فالحجة لمن قرأها بالثاء: أنه أراد فتأنوا وتوقفوا حتى تتيقنوا صحة الخبر. والحجة لمن قرأها بالتاء: أنه أراد فافحصوا واكشفوا. وحجتهم قول الرسول ﷺ: "ألا إن التبين من الله والعجلة من الشيطان، فتبينوا"[2][3].

حكمه: فرض كفاية تعلما وتعليمًا[6].

مرادفات مصطلح علم التوجيه:

لمصطلح التوجيه مرادفات ذكرها أئمة اللغة العربية ممن راموا تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها، وسأذكر بعض هذه المصلحات:

- **التعليل،** مثل: كتاب التعليل في القراءات السبع لأبي العباس الموصلي النحوي.
- **الاحتجاج** وهو: تقديم الحجة. والحجة: البرهان. قال الليث: "الحجة: الذي يكون به الظفر عند الخصومة". وقال الأزهري: "إنما سميت حجة؛ لأنها تقصد؛ لأن القصد لها وإليها" [4]. مثل: كتاب احتجاج القراء للمبرد.
- **الحجة،** مثل: الحجة للقراء السبعة لأبي عي الفارسي.
- **التخريج:** وهو مصطلح درج عليه ابن هشام والسيوطي في مؤلفاتهم، يرادفان به التوجيه.
- **الايضاح،** مثل: كتاب المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها.
- **التأويل،** مثل قول أبي حيان: ومن قرأ "ذات الحبك" بكسر الحاء وضم الباء (الحِبُك)، فمتأول قراءته[5] [3].

(1)ابن زنجلة، أبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، **حجة القراءات،** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: 5، 1997)، ص 208-209.

(2) الحربي، **توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرا وإعرابا،** مرجع سابق، ص 65، ص75-78.

(4) وهو ليس ثابتا بهذا اللفظ عن النبي ﷺ، وأخرجه الترمذي عن سهل بن سعد عن أبيه: "الأناه من الله والعجلة من الشيطان"، وقال حديث غريب؛ لأن في سنده عبد المهمين بن عباس وهو ضعيف الحفظ، ج4، ح2012.

(5)ابن أبي مريم، **مقدمة كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها،** (جدة: د.ن، ط: 1، 1993م)، ج1، ص 18-19.

(6) المسئول، **الإيضاح في علم القراءات،** مرجع سابق، ص 115-116.

(7)ابن حجر، محمد بن حجر العسقلاني، **غاية النهاية في طبقات القراء،**(الرياض: مكتبة الرشد، ط:1، 1989م)، ج 1، ص 215.

(8) قرأ أبو مالك الغفارى والحسن بكسر الحاء وضم الباء (الحِبُك)، قراءة شاذة. (ابن جني، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،** ط: العلمية، ج2، ص336)

دوافع التأليف في هذا العلم:

تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه، فسخر له علماءً فضلاء في كل عصر، يحفظون هذه القراءات ويعضون عليها بالنواجذ.

ثم جاء علماء اللغة فأوضحوا وجوه هذه القراءات وحججها وعللها، فكان علم الاحتجاج. ولقد كان وراء هذه المجهودات دوافع جعلتهم يتسابقون لمثل هذا العلم الجليل وحفزتهم إليه، ومن هذه الدوافع:

1- توضيح أركان القراءة الصحيحة، ولذلك احتج العلماء بالرواية والسند والقياس ورسم المصحف العثماني.

2- الدفاع عن كتاب الله عز وجل ضد من يتوهم وجود اللحن في القراءات القرآنية، ولذلك قرر الإمام الجزري أنه يجب على المشتغل بالقراءات أن يعلم من الأصول قدر ما يدفع به شبهة من يطعن في بعض القراءات.

3- الانتصار للقراءة والدفاع عن لغتها، وهذا أهم دافع حدا بالنحاة لتوجيه القراءات؛ لكونهم موقنين بأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين.

4- إعانة المقرئ على ما يحفظه من قراءات بتبيين حجتها، فالقارئ الحافظ لروايات القرآن يجدر به معرفة أوجه القراءات وعللها؛ حتى لا يلتبس عليه ما يحفظه. قال ابن مجاهد عن صنف الحفظة الجاهلين باللغة العربية: "ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه، ليس عنده إلا الأداء لما تعلم، لا يعرف الإعراب ولا غيره، فذلك الحافظ فلا يلبث مثله أن ينسى إذا طال عهده..."

5- إحسان الظن بالقراء، إذ كان النحويون المتقدمون وبعض المتأخرين قد دفعتهم غيرتهم على لغة القرآن للنيل من المقرئين ونسبتهم للوهم والخطأ واللحن، وهذا ما دعى النحاة الآخرين إلى الذود عن القراء، فكانوا ينتصرون لهم ويبعدون عنهم الشبه وألفاظ التجريح التي لا تليق بمكانتهم [1].

أهم المصنفات في علم التوجيه

انبرى العلماء المحتجون لتوضيح حججهم مبرهنين بذلك على صحة القراءات، فمنهم من ألف في هذا العلم بشكل مستقل، ومنهم من ضم هذا العلم في مؤلفاته. وسأتطرق إلى بعض منها:

المؤلفات التي ألفت في علم التوجيه بشكل مستقل:

- كتاب في وجوه القراءات لأبي عبد الله هارون بن موسى الأعور النحوي. قال عنه أبو الحاتم: "كان أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألفها وتتبع الشاذ منها..."

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي مكي بن أبي طالب.

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، لأحمد بن محمد الدمياطي الشافعي.

- حجة القراءات للإمام الجليل أبي زرعة بن محمد بن زنجلة.

- الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الفارسي.

(1) ابن أبي مريم، **مقدمة كتاب الموضح في وجوه القراءات والعلل**، مرجع سابق، ص 19-20..

– المحتسب في توجيه القراءات الشاذة، لابن جني[1].

المؤلفات التي ضمت علم التوجيه في ثناياها:

دأب النحويون في مصـــنفاتهم على توجيه القراءات، صحيحها وشاذها، ومن هذ المؤلفات:

– كتاب معاني القراءات للأزهري.

– كتاب معاني القرآن للفراء.

ألفت المصـــنفات الســـابقة لإيضـــاح المعاني اللغوية للقرآن الكريم، ولذلك كثر فيها التعرض لبيان الأوجه اللغوية للقراءات.

– كتـاب جـامع البيـان عن تأويـل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري [2]

المنهج الخاص

وأعني بالمنهج الخاص: الأســـلوب والطريقة التي سلكها المؤلف في توجيه القراءات تجمع بين عدد من الاعتبارات العلمية المتنوعة، استقى أصولها من صنيع الأئمة المتقدمين الذين عُنوا بتوجيه القراءات، كالإمام ابن مجاهد (ت 324هـــ) في كتابه السبعة، والإمام ابن زنجلة (ت 403هـــ) في كتابه حجة القراءات، وأبي حاتم السـجسـتاني (ت 255هـــ) في *كتابه* إعراب القرآن، ومن خلال تتبع منهجه ظهر للباحثة أن الإمـام ابن خـالويـه جمع بين المســـلـك النقلي (الاعتماد على النظائر القرآنية وأقوال الســـلف)، والمســـلـك العقلي التحليلي (القيـاس اللغوي والاسـتنباط الفقهي)، وهو بذلك يسـير على طريقة أئمة هذا الفن، واهتمامه بتنوع المســـالك بما يخدم ترجيح الوجه وتوضيح المعنى.

المبحث الأول: التوجيه باعتبار العلوم الشرعية:

التوجيه في القراءات عند اعتباره من العلوم الشـرعية: هو بيـان علـة كـل قراءة وتوجيههـا، مع ربطهـا بالأحكام الفقهية والاسـتنباطات الشـرعية.ويهدف هـذا العلم إلى إظهـار تنوع المعـاني الممكنـة، وبيـان كيف تساهم القراءات المتواترة في إثراء الفهم الشرعي دون ترجيح إحـداهـا على أخرى في الأحكـام القطعية[1].

المطلب الأول: منهجه في التوجيه باعتبار الآية.

ذكر ابن خالويه عدة اعتبارات في توجيه الآية، فمن هذه الاعتبارات:

1- **رســم المصـــحف:** وهو تصـــوير كلمة بحروف هجائها، بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها، فتتحول اللغة المنطوقة إلى آثار مرئية. والمراد بالرسـم العثماني: الوضـع الذي ارتضـاه الصـحابة في عهد عثمان – رضـــي الله عنـه– في كتـابـة كلمـات القرآن الكريم وحروفه [3].

الأمثلة على ذلك:

(1) المسئول، **الإيضاح في علم القراءات**، مرجع سابق، ص 117-119.

(2) المرجع ســـابق، ص 116، **مقدمة كتاب الموضـــح في وجوه القراءات والعلل**، مرجع سابق، ص 23-26.

(3)الرومي، **دراسات في علوم القرآن**، ص456-457.

وهي قراءة شاذة ذكرها العلامة ابن جني في كتابه المحتسب فقال: "وأما تبديل الواو تاءً فإنه من الشـذوذ في النطق، والمشـهور أن الجماعة تُدل بالواو، والتاء تدل على المفرد المؤنث، فإذا قرئ الفعل بتاء في موضـــع واو، كان ذلك من القراءات الشـــاذة، كما في قوله تعـالى: (لم يظهرت على عورات النســـاء)، وهـذا من اختلاف القراءة واللهجات" ابن جني، **المحتســـب في تبيين وجوه شـــواذ القراءات**، (مصـر: المجلس الأعلى للشـؤون الإسـلامية، ط:1، 1386هـ)، ص162.

- قوله تعالى: {أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ} النور: 31، فمن قرأ بالتاء[1] احتج بأنه كتب في المصحف بالتاء، فهذه التاء علامة الجمع والتأنيث[2].

- قوله تعالى: {وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً} و {بِنَاءً} البقرة: 22، ونحوهما، كان حمزة وحده يقف "بنا" "ما"؛ لأنها في المصحف مكتوبة بألف واحدة[4]. والباقون يقفون بتحقيق الهمز"بناءا" "ماءا"[5].

- قوله تعالى: {أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي} طه: 93، في هذه الياء (تتبعن) أربع قراءات: كان ابن كثير يصل ويقف على الياء، وكان أبو عمرو ونافع في كل الروايات يقفان بغير ياء ويصلان بياء، فتبعا المصحف في الوقف، وتبعا الأصل في الدرج، وقرأ الباقون بغير ياء في الوصل والوقف، اجتزاءً بالكسرة، واتباعًا للمصحف [3]

2- **سياق الآية:** والمراد بسياق: تتابع الكلام وأسلوبه الذي يجري عليه. [4]

الآية لغة: العلامة.

اصطلاحًا: طائفة من كلمات القرآن الكريم ذات مطلع ومقطع، يتصل بعضها ببعض[5]

- قوله تعالى: {وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ} النساء: 140.، فأما عاصم وحده فتح النون "نَزَّلَ"، والباقون ضموها "نُزِّل"، فمن اختار الضم جعله خبرًا مستأنفًا، ومن فتح نسقه على ذكر الله قبل الآية[6].

- قوله تعالى: {وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ}، قرأ عاصم وحمزة وابن عامر: "يأمرَكم" بالنصب نسقًا على قوله تعالى: {أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ} آل عمران: 80 – 79 [7].

- قوله تعالى: {فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ} غافر: 37.، روى حفص عن عاصم: "فأطلعَ" بالنصب؛ لأن من العرب من ينصب جواب لعل بالفاء، وقرأ الباقون بالرفع "فأطلعُ"، وهو الاختيار، نسقٌ على "أبلغُ الأسباب" بعدها[8].

- قوله تعالى: {أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ} الشورى: 51، قرأ نافع "أو يرسلُ" بالرفع "فيوحي"

(1) ابن خالويه، الحسين أحمد بن خالويه الهمذاني، **إعراب القراءات السبع وعللها**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 2006م)، ص176.

وقف حمزة بالتسهيل مع المد والقصر؛ لتوسط الهمز وسبقت بألف مدية. سيد لاشين، خالد محمد العلمي، **تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع**، (دار الزمان، ط4، 2004م)، ص160.

(2) ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص49.

(3) المرجع السابق، ص269.

(4)إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، (مكتبة الشروق الدولية، ط: 4، 2004م)، ص 495.

(5) الجرجاني، علي محمد الجرجاني، **التعريفات**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1983م)، ص21.

(6)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص72.

(7) المرجع سابق، ص87. عزو القراءة: قرأ الكسائي وابن كثير ونافع بالرفع "ولا يأمرُكم"، قرأ أبو عمرو بسكون الراء"يأمرْكم" وللدوري وجه ثاني باختلاس ضمة الراء، والباقون بالنصب. (سيد لاشين، العلمي، **تقريب المعاني**، مرجع سابق، ص355)

(8) المرجع السابق، ص387.

بإسكان الياء، نسقٌ على "فيرسلُ"، وذلك بأن العرب إذا طال النسق خرجوا من النصب إلى الرفع، وقرأ الباقون بالنصب "يرسلَ" و "يوحيَ" بفتح الياء[1].

3- **كثرة دوران الكلمة في القرآن:** والمقصود بذلك أن بعض الكلمات تميزت بكثرة ورودها وذكرها في القرآن.

مثال ذلك: قوله تعالى: {وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ} البقرة: 7، قرأ أبو عمرو بالإمالة ونحوه إذا كان في موضع جر، وقرأ الباقون بالفتح على الأصل، فإن سأل سائل: لم أمال أبو عمرو "النارِ" ولم يمل "الجارِ الجنب"؟ فالجواب في ذلك: أن النار كثر دورها في القرآن فأمالها تخفيفًا، والجار لما قل دوره في القرآن تركه على أصله، والدليل على ذلك أن أبا عمرو ودوري الكسائي يميل "الكافرين" في موضع الجر والنصب؛ لكثرة دوره في القرآن، ولا يميل "الجبارين"؛ لأنه ذكر في موضعين [2].

4- **أسباب النزول:** وهو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام

وقوعه [3]، أو هو كل قول أو فعل أو سؤال وقع ممن عاصروا التنزيل فنزل بشأنه قرآن [4]

مثال ذلك: قوله تعالى: {وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ}، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي "السَّلَام" بالألف، وقرأ الباقون بحذف الألف هكذا "السَّلَم" وفتح اللام، يعني المقادة، وهو أن يعطي بيده ويستسلم، والسلام: هو السلام المعروف، وهو الاختيار: لما روي عن ابن عباس، أن رجلا سلم عليهم فقتلوه، قدروا أنه فعل ذلك خوفًا، فأنزل الله تعالى: {وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا} النساء: 94 [5].

5- **الاحتجاج لآية بآية أخرى:** أي الاحتجاج لقراءة بقراءة أخرى في آية مشابهة لها، وهذه طريقة السلف الصالح.

الأمثلة على ذلك:-قوله تعالى: {فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ} الحج: 31، قرأ نافع "فتَخَطَّفُهُ " بالتشديد أراد فاختطفه فأدغم التاء في الطاء، وقرأ الباقون "فتَخْطَفُهُ" بالتخفيف، وهو الاختيار، لقوله تعالى: {إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ} الصافات: 10، ولم يقل اختطف [6].

(1) المرجع السابق، ص 398.

(2) المرجع السابق، ص 42-43. والصحيح في عزو القراءة: قرأ أبو عمرو ودوري الكسائي بالإمالة في الألف الواقعة قبل الراء لأنها متطرفة في موضع جر، وقرأ ورش بالتقليل، وقرأ الباقون بالفتح على الأصل (سيد لاشين، العلمي، **تقريب المعاني**، مرجع سابق، ص224).

(3) الزرقاني، محمد الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط:1، 1995م)، ج 1، ص 89.

(4) الطيار، مساعد سليمان الطيار، **المحرر في علوم القرآن**، (جدة: مركز الدراسات القرآنية، ط:6، 2016م)، ص 124.

(5) ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص86.

(6) المرجع السابق، ص401.

- قوله تعالى: { وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا } الأعراف: 206، قرأ نافع وابن عامر وابن كثير "عند الرحمن"، وحجتهم قوله تعالى: { إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ }النساء: 172، وقرأ الباقون "عباد" جمع عبد؛ لأن الله تعالى قال: { لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ } النساء: 172.، ولأن الله إنما كذبهم في أن الملائكة ليسوا بناته كما يزعمون، وإنما هم عباده [1].

المطلب الثاني: منهجه في التوجيه باعتبار علم الحديث.

الحديث لغة: الجديد. **اصطلاحًا:** هو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة [2].

علم الحديث من العلوم التي استعان بها ابن خالويه في توجيهه للقراءات القرآنية، ويرى أنه متى ما صحت القراءة ووافقت حديث النبي ﷺ لم يحل لنحوي ولا لغيره أن ينسبها للضعف أو الخطأ.

الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: {وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ } الأنعام: 68، قرأ ابن عامر وحده "يُنَسِّيَنَّكَ" بالتشديد من نسي يُنسِّي، جاء في الحديث عن النبي ﷺ : " لا يقولن أحدكم نسيت أنه كذا وكذا إنما هو يُنَسَّى "[3]، وقرأ الباقون بالتخفيف "يُنسِيَنَّكَ" [4].

- قوله تعالى: {فَنِعِمَّا هِيَ } البقرة: 271، قرأ أبو عمرو ونافع في سائر الروايات وعاصم في رواية أبي بكر بكسر النون وإسكان العين[5]. وزعم بعض النحويين أنه أردأ القراءات؛ لأنه قد جمع بين ساكنين الميم والعين وليس أحدهما حرف لين، والاختيار إسكان العين[4]؛ لأن هذه اللفظة رويت عن رسول الله ﷺ أنه قال: "نِعم المال الصالح"[6]، بسكون العين، وكذا تحفظ هذه اللفظة عن النبي ﷺ.

- قوله تعالى: {قَالُواْ نَعَمۡۚ } الأعراف: 44، قرأ الكسائي وحده بفتح النون وكسر العين "نَعِم"، وذهب إلى حديث روي عن رسول الله "أن رجلًا لقي النبي ﷺ بمنى، فقال: أنت الذي يزعم أنه نبي،

(1) المرجع السابق، ص283.

(2)الطحان، محمود الطحان، **تيسير مصطلح الحديث**، (مكتبة المعارف، ط: 10، 2004م)، ص 17.

(3)لم أجد لفظ الحديث، وأخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " ما لأحدهم يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل هو نسي"، كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن، (6/ 194)، ح 5039.

(4)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص100.

(5) عزو القراءة: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين"نِعِمَّا"، وقرأ شعبة وقالون وأبو عمرو بوجهين: بكسر النون واختلاس كسرة العين+ سكون العين، وقرأ الباقون بكسر النون والعين "نِعِمَّا". (سيد لاشين والعلمي، **تقريب المعاني**، مرجع سابق، ص338).

ملاحظة: في اختيار ابن خالويه لقراءة إسكان العين، ورده على النحويين الذين زعموا بأنها أردأ القراءات، دليل على أنه يقدم أحاديث النبي ﷺ على قواعد النحاة.

(6)أخرجه البخاري في صحيحه، **كتاب الأدب المفرد**، باب المال الصالح للمرء الصالح، ص 261، ح299.

(7)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص62.

فقال: نَعِم"[1]. وذهب إلى ما روي عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– "أنه سأل رجلًا شيئًا فقال: نَعَم، فقال: قل: نعِم، إنما النَّعَم الإبل"·

– قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ }النساء: 94، قرأ حمزة والكسائي "فتَثَبَّتُوا" بالثاء. وقرأ الباقون بالباء "فَتَبَيَّنُوا"، والأمر بينهما قريب، وذلك أن العرب تقول: تثبت في أمري وتبينت، وقال رسول الله ﷺ : "ألا إن التبين من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا" [2][3].

– قوله تعالى: {هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا} المزمل: 6، قرأ أبو عمرو وابن عامر: "وِطَاءً" بكسر الواو على فعال، ومعناه: يواطئ السمع والقلب، وقرأ الباقون: "وَطْئًا" على فعل بفتح الواو، من ذلك قول النبي ﷺ: "اللهم اشدد وطأتك على مضر"[4] [5].

المطلب الثالث: منهجه في التوجيه باعتبار العقيدة.

العقيدة لغة: مأخوذة من "عقد"، وتعني الربط والشد والعهد والملازمة والتأكيد.

العقيدة اصطلاحًا: التصديق الجازم الذي لا يخالطه شك ولا ريب فيما يجب لله عز وجل من الوحدانية، والربوبية، والإفراد بالعبادة، والإيمان بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا[6].

تطرق ابن خالويه إلى التوجيه العقدي بشكل يسير يكاد ينحصر في القليل من الكلمات القرآنية المختلف في قراءاتها.

الأمثلة على ذلك:

– قوله تعالى: {هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ } المائدة: 112، قرأ الكسائي وحده" هل تَسْتَطِيعُ" بالتاء، ونصب "رَبَّكَ"، وقرأ الباقون "هل يَسْتَطِيعُ" بالياء جعلوا الفعل له، و"رَبُّكَ" بالرفع، وإنما قالوا: هل يستطيع ربك وهم يعلمون أنه يستطيع، ولكن هذا كما تقول لصاحبك: هل تقدر أن تقوم معي، أي: قم [7].

– قوله تعالى: { سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ } الصافات: 130، قرأ نافع وابن عامر "ءَالِ ياسين" كأنه آل محمد، وآل محمد كل من آل إليه بقرابة أو بحسب. وقال آخرون: آل محمد: كل من كان على دينه، وقرأ الباقون: "إِلْ ياسين" بكسر الألف، وإلياس وإن كان جمعًا في اللفظ فإنه واحد، وهو إدريس –عليه

(1)لم أجد لفظ الحديث، واللفظ في **سنن أبي داود** عن سهل بن سعد: "أنت ختن الذي يزعم أنه رسول الله، قال: نعم"، كتاب اللقطة، باب التعريف باللقطة، (2/ 138)، ح 1716.

(2)أخرجه الألباني، **كتاب ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، فصل حرف التاء، ص 368، ح 2504، وهو حديث ضعيف مرسل عن الحسن.

(3)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، 85-86.

(4) المرجع السابق، ص469.

(5)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، (4/ 44)، ح 2392.

(6) عطا صوفي، عبد القادر محمد عطا صوفي، **المفيد في مهمات التوحيد**، (الرياض: دار أضواء السلف، ط: 1، 2007م)، ص10-11.

(7)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص94.

السلام- [1].

- قوله تعالى: {وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ } آل عمران: 48، قرأ نافع وعاصم بالياء "ويُعَلِّمُهُ"، وقرأ الباقون بالنون "ونُعَلِّمُهُ"، فالله عز وجل يخبر عن نفسه [2].

-قوله تعالى: { بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} الصافات: 12، قرأ حمزة والكسائي بضم التاء"عَجِبْتُ"، الفعل لله، وذلك لأن الله تعالى قد عجب من فتًى لا صبوة له، "وعجب ربكم من ألكم وقنوطكم"، غير أن العجب من الله تعالى على خلاف ما يكون من المخلوقين، فالعجب من المخلوقين: أن ينظر إلى شيء لم يكن في حسابه وعلمه فيبهر به وينكره، فيتعجب من ذلك. والله تعالى يعلم الأشياء قبل كونها، فلا تعجب على هذه الجهة، وقرأ الباقون "عَجِبْتَ"[3].

- قوله تعالى: {فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ }آل عمران: 57، قرأ حفص عن عاصم بالياء، أي: الله يوفيهم. وقرأ الباقون بالنون، وهو الاختيار؛ ليتصل إخبار الله تعالى عن نفسه بعضه ببعض [4].

- قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا }الأنعام: 22، قرأ حفص عن عاصم بالياء ها هنا، وفي سورة يونس قبل الثلاثين "ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول" ، وقرأ سائر القرآن بالنون. وقرأ الباقون كل المواضع بالنون، فمن قرأ بالنون فالله تعالى يخبر عن نفسه، وإنما أتى بلفظ الجمع؛ لأن الملك يخبر عن نفسه بلفظ الجماعة تعظيمًا وتخصيصًا، كما قال الله: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ } الحجر: 9، والله تعالى وحده لا شريك له [5].

- قوله تعالى: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي }الإسراء: 93، قرأ ابن كثير وابن عامر "قَالَ" على الخبر، وهي كذلك في مصحف أهل مكة والشام. والباقون على الأمر "قُل"، أي: قل يا محمد، تنزيهًا لله مما ادعاه هؤلاء الكفرة من أن لله ولدًا [6].

المطلب الرابع: منهجه في التوجيه باعتبار الفقه.

الفقه لغة: الفهم، وهو إدراك معنى الكلم.

شرعًا: معرفة الأحكام الشرعية الفرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية [7].

التوجيه الفقهي من الأهمية بمكان؛ وذلك لأنه متعلق بقراءاتٍ يترتب عليها توضيح الأحكام الشرعية. وقد تطرق ابن خالويه إلى بيان بعض هذه الأحكام المستنبطة من تلك القراءات القرآنية.

الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: {أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ }النساء: 43، قرأ حمزة والكسائي "لَمَسْتُمُ" بغير ألف، جعل الفعل للرجال دون النساء. وقرأ الباقون "لَامَسْتُم" بالألف؛

(1) المرجع السابق، ص377.

(2)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص183.

(3) المرجع السابق، ص357.

(4) المرجع السابق، ص71.

(5) المرجع السابق، ص96.

(6) المرجع السابق، ص222.

(7)الحنبلي، العلامة ابن نجار الحنبلي، **مختصر التحرير في أصول الفقه**، (الرياض: دار الأرقم، ط: 1، 2000م)، ص: 14.

لأن المرأة تلامس الرجل، والرجل يلامسها، والمفاعلة لا تكون إلا من اثنين[1].

- قوله تعالى: {وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ}، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعاصم بالكسر "وأرجُلِكُم"، وقرأ الباقون بالفتح "وأرجُلَكُم"، فمن نصب نسقة على {فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ} المائدة: 6، فالمحدود مع المحدود أولى أن يؤتيا، وذلك أن الله كل ما ذكره من المسح فإنه لم يحده، وكل ما حده فهو مغسول، ومن كسر فحجته أن الله تعالى أنزل القرآن بمسح الرجل، ثم عادت السنة إلى الغسل [2].

- قوله تعالى: {أَنَّ لَّعْنَةَ ٱللَّهِ} و {أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ} النور: 7،9، قرأ نافع وحده بتخفيف ورفع بالابتداء "أنْ لَّعنتُ"، و"أنْ غَضِبَ" غضب فعل ماض واسم الله تعالى رفعه بفعله. وقرأ الباقون بتشديد "أنَّ" ونصب "غَضَبَ ولَّعْنَتُ"، وذلك أن من قذف محصنة مسلمة فلم يأت بأربعة شهداء جلد ثمانين، ومن رمى امرأته بفاحشة تلاعنا. والملاعنة: أن يبدأ الرجل فيحلف بالله أنه صادق فيما رماها به، ويشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فبما رماها به، وتشهد المرأة أربع شهادات بالله إنه من الكاذبين فيما رماها به، وتشهد الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ثم يفرق بينهما فلا يجتمعان. فأما من قذف مسلمة فلا تقبل شهادته، ولكنه يتوب إلى الله [3].

المطلب الخامس: منهجه في التوجيه باعتبار التفسير.

التفسير لغة: الاستبانة والكشف، وهو بيان الشيء وايضاحه.

التفسير اصطلاحًا: هو علم يفهم به كتاب الله عز وجل، المنزل على نبيه ﷺ، وبيان معناه، واستخراج أحكامه وحِكمه [4].

تطرق ابن خالويه في كتابه إلى توجيه الآيات بالتفسير وايضاح المعنى المقصود من القراءة.

الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: { فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ} آل عمران: 188، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وضم الباء، وفيه جوابان: أحدهما: أن يكون الفعل لمحمد ﷺ، والهاء كناية عن الكفرة. والثاني: فلا يحسب الكفار أنفسهم. ومن قرأ بالتاء أي: فلا تحسبنهم يا محمد بمفازة من العذاب، أي: ببعد من النار[5].

(1)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص84.

(2) المرجع السابق، ص89-90

(3) المرجع السابق، ص296.

(4)الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، **التفسير والتأويل في القرآن**، (الأردن: دار النفائس، ط: 1، 1996م)، ص23-27. ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص78. عزو القراءة: قرأ ابن كثير وأبوعمرو"فلا يحسِبُنَّهم"، وقرأ نافع والكسائي "فلا تحسِبَنَّهم"، وقرأ الباقون "فلاتحسَبَنَّهم". (سيد لاشين والعلمي، **تقريب المعاني**، مرجع سابق، ص364-365)

(5)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص381.

- قوله تعالى: {فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ } ص: 33، قرأ ابن كثير وحده "بالسُّؤْقِ" بهمزة ساكنة، ... والمسح ها هنا: الغسل، وذلك أن سليمان –عليه السلام– كان مشغوفًا بالخيل فغسل نواصيها وسقها بالماء. وقال آخرون: "فطفق مسحًا" أي: عقرها وقطع أعناقها؛ لما فاتته صلاة العصر وشغلته عن ذكر الله، وقرأ الباقون "بالسُّوقِ"[3].

- قوله تعالى: {إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ} هود: 46، قرأ الكسائي وحده" إنه عَمِل غيرَ"، تقديره: إنه عمل عملا غير صالح. وجاء في التفسير أنه كان ابنه ولكن خالفه في النية والعمل. وقرأ الباقون "عَمَلٌ غيرُ"، أي: إن سؤالك إياي أن أنجي رجلا كافرا عمل غير صالح [1].

المبحث الثاني: التوجيه باعتبار علوم اللغة العربية

وأعني به: استنباط علة القراءة بالرجوع إلى أحد علوم اللغة كالبلاغة والنحو مما يعين أئمة هذا الفن على توجيه القراءة بالرجوع إلى أحد هذه العلوم.

المطلب الأول: منهجه في التوجيه باعتبار علم البلاغة.

البلاغة لغة: مأخوذة من قولهم: بلغت الغاية، إذا انتهيت إليها وبلغتها غيري. وهي التبليغ والبلاغ أيضًا، وسميت البلاغة؛ لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه.

علم البلاغة: هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال [2].

علم البلاغة من العلوم التي وجدت لخدمة القرآن الكريم، والبلاغة هي أحد علوم اللغة العربية. وقد ذكر ابن خالويه عدة اعتبارات بلاغية في توجيهه، فمن هذه الاعتبارات:

1- **الالتفات:** وهو العدول عن الغيبة إلى الخطاب، أو العكس [3].

مثال ذلك: قوله تعالى: {وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } الشورى: 25، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم "تفعلون" بالتاء، فاحتجوا بقراءة عبد الله بن مسعود بالتاء. وقرأ الباقون بالياء؛ لأن الله تعالى قال قبل هذه الآية: {وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } ، فشاهد الأولين: {وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ } يونس: 22؛ لأن العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب[4].

2- **الاستفهام التوبيخي:** ويستخدم هذا الاستفهام بغرض التوبيخ على فعل أمر غير مستحسن أو ترك أمر ما.

الأمثلة على ذلك:

-قوله تعالى: {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ }الأحقاف: 20، قرأ ابن عامر "أأذهبتم" بهمزتين، الأولى ألف التوبيخ بلفظ الاستفهام، ولا يكون في القرآن استفهام؛ لأن

(1) المرجع السابق، ص 167.

(2)العسكري،أبو هلال العسكري، **الصناعتين الكتابة والشعر**، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1419هـ)، ص 6.

(3)الجرجاني، **التعريفات**، مرجع سابق، ص 17.

(4)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص395.

الاســـتفهام اســـتعلام ما لا يعلم، والله تعالى يعلم الأشياء قبل كونها [1].

- قوله تعالى: {ءَالِهَتِنَا} الزخرف: 58، روى قالون عن نافع "أآلهتنا" بهمزة بعدها مدة. قال أبو عبد الله: فهي ثلاث ألفات، الأولى: ألف التوبيخ في لفظ الاســتفهام، والثانية: ألف الجمع، والثالثة: أصــلية الأصل[2].

- قوله تعالى: {مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ} يونس: 81، قرأ أبو عمرو وحده "ءَآلسِّـــحرُ" بالمد، جعل "ما" بمعنى: أي، والتقدير: أي شيء جئتم به آلسحر هو؟ وهذه ألف التوبيخ في لفظ الاستفهام فهم علموا أنه ســحر. وقرأ الباقون "السِّــحرُ" أي: "الذي جئتم به السحر" [3].

3- **صـــيغ المبالغة:** تدل على الكثرة والمبالغة في الحدث.

الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: {لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ} الحج: 40، قرأ ابن كثير ونافع بالتخفيف"لهُـدِمَـتْ". وقرأ البـاقون بالتشــديد"لهُدِّمَتْ"، وهما لغتان، وغير أن التشــديد للتكثير، هدمت شيئا بعد شيء [4].

- قولـه تعـالى: {ثُـمَّ قُتِـلُوٓاْ أَوۡ مَـاتُواْ} الحج: 58، قرأ ابن عامر وحده بالتشديد "قتِّلوا"، أي: مرة بعد مرة. والباقون بالتخفيف "قتِلوا" [5].

- قوله تعالى: {وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا} الفرقان: 75، قرأ ابن كثير ونافع وحفص وابن عامر بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف "ويَلْقَوْنَ". فمن شدد قال: يلقون في الجنة التحية والســـلام مرة بعد مرة، فالتشـــديد للتكثير [6].

- قولـه تعـالى: {قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا} الأنعـام: 64، قرأ عاصم وحمزة والكسائي وهشام بالتشديد "ينَجِّيكم". والباقون بالتخفيف "ينْجِيكم"، ويجوز أن يكون التشديد للتكرير شيئا بعد شيء.[7]

- **الإفراد والجمع:** والمفرد ما يدل على الواحد، والجمع ما يدل على اثنين فأكثر.

الأمثلة على ذلك:

-قولـه تعـالى: {أَن يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ} التوبـة: 17، قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتوحيد "مَسْـــجِدَ"، أراد بيت الله الحرام خاصـــة. وقرأ الباقون بالجمع "مَسَـــاجِدَ"، وحجتهم أن الخاص يدخل في العام،

(1)المرجع ســـابق، ص415. عزو القراءة: قرأها ابن عامر وابن كثير "أأذهبتم"، وقرأها الباقون "أذهبتم". (ســـيد لاشـــين والعلمي، **تقريب المعاني**، مرجع سابق، ص120"

(2) المرجع سابق، ص46. عزو القراءة: قرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية مع إدخال ألف مديه، وقرأ ابن كثير وورش بتســهيل الثانية، وقرأ هشـــام بالتســـهيل والتحقيق مع الإدخال، والباقون بتحقيق. (سـيد لاشـين والعلمي، **تقريب المعاني**، مرجع سـابق، ص119).

(3) المرجع سابق، ص161.

(4) ابن خالويه، **إعراب القراءات الســبع وعللها**، مرجع ســابق، ص283.

(5) المرجع السابق، ص 286.

(6) المرجع السـابق، ص31. تصـحيح عزو القراءة: ومعهم أبو عمرو بالتشـديد (سـيد لاشـين والعلمي، **تقريب المعاني**، مرجع سـابق، ص624)

(7) المرجع السابق، ص100

والعام لا يدخل في الخاص[1].

- قوله تعالى: { وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ }الشورى: 37، قرأ حمزة والكسائي "كَبِيرَ" على التوحيد، وفسره: الشرك فقط. وقرأ الباقون "كَبَائِر" على الجمع، واختلف الناس في الكبائر، فقال قوم: كلما وعد الله عليه النار فهي كبيرة. وقال آخرون: كلما نهى الله عنه فهي كبيرة. وقال آخرون: كبائر أشياء مخصوصة، الشرك، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وشرب الخمر، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، والزنا [2].

- قوله تعالى: {لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفًا } الزخرف: 33، قرأ ابن كثير وأبو عمرو "سَقْفًا" على التوحيد. والباقون على الجمع "سُقُفًا"، فسقف يكون جمع سقيفة وسقيف. وقال آخرون: هو جمع سقف [3].

- قوله تعالى: {غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ } يوسف: 15، قرأها نافع بالجمع "غَيَابَاتِ"، كأنه أراد ظلم البئر ونواحيها؛ لأن البئر لها غيابات. وقرأ الباقون "غَيَابَتِ" على التوحيد، وهو الاختيار؛ لأنهم ألقوه في مكان واحد، لا في أمكنة، وجسم واحد لا يشغل مكانيين [4].

المطلب الثاني: منهجه في التوجيه باعتبار اللغة.

وجه ابن خالويه بعض القراءات القرآنية توجيهًا لغويًا، ويكاد ينحصر توجيهه تحت الاعتبارات التالية:

1-**علم الأصوات**: وهو علم التجويد وهو: العلم الذي يبحث في كيفية النطق بالحروف[5].

الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: {فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ} البقرة: 2، قرأ أبو عمرو وحده بإدغام الهاء في الهاء، وكذلك يفعل بالحرفين إذا التقيا، متجانسين كانا أو متقاربين أو متماثلان، وإن كان الحرف الأول مشددًا لم يدغم. وقرأ الباقون بالإظهار. فحجة من أدغم قال: إظهار الكلمتين كإعادة الحديث مرتين أو كخطو المقيد، فأسكن الحرف الأول وأدغمه في الثاني؛ ليعمل اللسان مرة واحدة. ومن أظهر فإنه أتى بالكلام على أصله لتكثر حسناته، إذ كان له بكل حرف عشر حسنات، وإنما الإدغام تخفيف وتقليل الكثير[6].

- قوله تعالى: {مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ } التوبة: 117، فيه ثلاث قراءات: قرأ حمزة وحفص بالياء. وقرأ الباقون بالتاء، وقرأ أبو عمرو "كاد تزيغ" بإدغام الدال على التاء؛ لقرب المخرجين [7].

(1) المرجع السابق، ص143.

(2)المرجع السابق، ص396.

(3) **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص 402.

(4) المرجع السابق، ص177.

(5)عيتاني، عبدالرحمن بن سعد الله عيتاني، **المفيد في علم التجويد**، (دار الألوكة، ط: 1، 2016م)، ص 31.

(6)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص40. والصحيح أن السوسي عن أبو عمرو فقط له إدغام الهاء في الهاء، والباقون بالإظهار. (سيد لاشين والعلمي، **تقريب المعاني**، مرجع سابق، ص75)

(7)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص153. والصحيح في عزو القراءة: أن السوسي عن أبي عمرو

- قوله تعالى: {مَن يَقُولُ ءَامَنَّا }البقرة: 8، قرأ حمزة والكسائي بإدغام النون في الياء من غير غنة والباقون يدغمون بغنة. وذلك أن النون الخفيفة والتنوين تظهران عند ستة أحرف، ويدغمان عند ستة، ويخفيان عند باقي حروف المعجم [1].

2- **المجاورة**: مصدر جاور، ومنه جاورته خمس سينين، أي أقمت بقرب مسكنه [2].

الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: {وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ } النساء: 135، قرأ ابن عامر وحمزة بواو واحدة "تلُوا". وقرأ الباقون "تلْوُوا" بواوين جعلوه من لويت حقه، والأصل: تلويوا فاستثقلوا الضمة على الياء فخزلوها وحذفوها لالتقاء الساكنين، ثم ضمت الواو الأولى لمجاورتها الثانية [3].

- قوله تعالى: {مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ} يوسف: 8-9، قرأ ابن كثير ونافع والكسائي بضم التنوين، كأنهم كرهوا الخروج من كسر إلى ضم، فأتبعوا الضم بالضم، وقرأ الباقون بكسر التنوين؛ لالتقاء الساكنين[4] .

3- **اللهجات**: اختلاف اللهجات ناشئٌ منذ العصور الجاهلية، فكانت لكل قبيلة لهجة خاصة تتميز بها عن غيرها من القبائل العربية.

الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: {وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ}، المائدة: 62، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي "السُّحُت" بضمتين". وقرأ الباقون "السُّحْت" ساكنًا، وهما لغتان، نحو البُخل والبُخُل [5].

- قوله تعالى: {مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ }، الأنفال: 72 وقرأ حمزة بكسر الواو فيهما جميعًا "وِلَايَتِهِم"، وقرأ الكسائي بفتح الواو في الأنفال وكسر الواو في الكهف، وقرأ الباقون بفتحهما "وَلَايَتِهم". فقال قوم: هما لغتان، الوِلاية والوَلاية، مثل: الوِكالة والوَكالة والدِّلالة، فأما الكسائي ففرق بينهما؛ لأنه أتى باللغتين [6] .

- قوله تعالى: { وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ } التوبة: 58، قرأ الناس كلهم بكسر الميم إلا ما روى حماد بن سلمة عن ابن كثير "يُلَامِزُك". وروى عن

قرأ بإدغام الدال في التاء، وقرأ الباقون بالإظهار. (سيد لاشين والعلمي، **تقريب المعاني**، مرجع سابق، ص85).

(1)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص43. والصحيح في عزو القراءة: أن خلف عن حمزة فقط قرأ بترك الغنة عند الواو والياء، وقرأ الباقون بالغنة (سيد لاشين والعلمي، **تقريب المعاني**: ص201)

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ص 42.

(3)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص 87.

(4) المرجع السابق، ص177. عزو القراءة: قرأ ابن كثير ونافع والكسائي وهشام بضم نون التنوين، وقرأ الباقون بكسر نون التنوين. (سيد لاشين والعلمي، **تقريب المعاني**: مرجع سابق، ص322)

(5)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص91.

(6) المرجع السابق، ص141.

ابن كثير أيضًا والحسن ويعقوب بضم الميم "يَلمُزُك"، وهما لغتان يَلمِزُ ويَلمُزُ، مثل: عَكَفَ يعكِفُ ويعكُفُ، ومعنى اللمز في اللغة: العيب[1].

- قوله تعالى: {أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا} النساء: 19، قرأ حمزة والكسائي بالضم "كُرْها"، وكذلك في التوبة والأحقاف. وقرأ الباقون كل ذلك بالفتح "كَرْها"، فقال قوم: هما لغتان. وقال آخرون: الكَره: المصدر، والكُره: الاسم[2].

- قوله تعالى: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ} آل عمران: 140، قرأ أهل الكوفة غير حفص بضم القاف "قُرح"، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم بالفتح "قَرح"، فقال أكثر النحويين: هما لغتان: القَرح والقُرح، ثل: الجَهد والجُهد. وفرق الكسائي بينهما، فقال: القَرح: الجراحة، والقُرح: ألم الجراحة[3].

- قوله تعالى: { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ }آل عمران: 146، قرأ ابن كثير وحده "وكَائِن" على وزن كاعن. وقرأ الباقون "وكَأَيِّن" على وزن كحي. فمن قرأ كذلك وقف بالياء مشددا، وهما لغتان بمعنى "كم"، تقول العرب: كم مالك؟ وكائن مالك؟ وكأين مالك؟[4].

المطلب الثالث: منهجه في التوجيه باعتبار علم النحو والصرف.

أولا: التوجيه باعتبار علم النحو.

علم النحو: هو العلم الذي يبحث فيه عن أحوال الكلمة من حيث الإعراب والبناء [5].

تطرق ابن خالويه إلى توجيه بعض القراءات توجيهًا نحويًا بأسلوب سهل وعبارات واضحة، وذلك تحت عدة اعتبارات نحوية، فمنها:

1-**المبتدأ والخبر:** فالمبتدأ هو: الاسم أو المؤول به عن العوامل اللفظية مسندًا إليه أو الصفة الواقعة بعد حرف الاستفهام، أو حرف النفي رافعة لظاهر. والخبر هو: المجرد المسند به المغاير للصفة المذكورة، وخبر المبتدأ قد يكون غير الاسم [6].

الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: {فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} النور:6، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم "أربعُ" بالرفع، جعلوه خبر الابتداء، والمبتدأ "فشهادة". وقرأ الباقون بالنصب "أربعَ"، جعلوه مفعولا، أي تشهد أربعَ شهادات[7].

- قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} آل عمران: 154، قرأ أبو عمرو وحده "كلُّه" بالرفع. وقرأ الباقون بنصب اللام "كلَّه"، فمن نصب اللام جعله

(1) ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص149. ورواية حماد بن سلمة في كلمة "يلامزك" قراءة شاذة (**المحتسب لابن جني**، مرجع سابق، ج1، ص112)

(2) المرجع السابق، ص82.

(3) المرجع السابق، ص74

(4) المرجع السابق، ص 78.

(5)الجرجاني، **التعريفات**، مرجع سابق، ص131.

(6) الأيوبي، عناد الدين إسماعيل الأفضل الأيوبي، **الكناش في فني النحو والصرف**، (بيروت: المكتبة العصرية، ط: 1، 2004م)ج: 1، 140-142.

(7)ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص 296.

تأكيدًا للأمر، و"لله" خبر "إن"، ومن ضم اللام رفعه بالابتداء، و "لله" الخبر، والجملة خبر "إن" [1].

2- **الفعل الماضـــي**: وهو الفعل الذي يدل على زمان قبل الزمن الحالي [2].

الأمثلة على ذلك:

قوله تعالى: {وَاللَّـهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ} النور: 45، قرأ حمزة والكسائي "خَالِقُ كُلِّ" على فاعل، مضاف إلى ما بعده. والباقون "خَلَقَ كلَّ" فعل ماض، و "من" جر، فإن موضع "كل" منصوب في المعنى [3].

3- **المفعول الأول والمفعول الثاني:**

- قوله تعالى: {سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡ } الجاثية: 21، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم "سواءً" نصـــبًا، يجعلونه مفعولًا ثانيًا من "يجعلهم"، والهاء، والميم المفعول الأول، فإن جعلت "كالذين ءامنوا" المفعول الثاني نصـــبت "ســـواءً" على الحال، وقرأ الباقون "سواءٌ"[4].

قـولـه تـعـالى: {وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ } آل عمران: 180، قرأ حمزة وحده بالتاء "ولا تحسَـبن". والباقون بالياء"ولا يحسـبن"، فمن قرأ بالياء فموضـع "الذين" الرفع، و"يبخلون" صـــلة "الذين"، والمفعول الأول مصـدر دل عليه الفعل، والتقدير: ولا يحسـبن الـذين يبخلون بخلهم الله خيرًا لهم. ومن قرأ بالتـاء فجعل "الذين" في موضـــع نصـــب، وهو المفعول الأول، "خيرًا" المفعول الثاني [5] .

4- **بناء الفعل للمجهول**: هو كل مفعول لفعل حذف فاعله ورفه هو لإقامة مقام الفاعل، وشـــرط فعله إن كان ماضـيًا أن ينقل من فعل إلى فعل، وإن كان الفعل مستقبلًا فينقل من يفعل إلى ما يُفعل [6] .**الأمثلة على ذلك:**

- قولـه تعـالى: {وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ} هود: 123، قرأ نافع وعاصم في رواية حفص "يُرجَع" على مالم يســـم فاعله، بمعنى: يرد الأمر كله إليه. وقرأ الباقون "يَرجِع" أي: يصـير الأمر كله إلى الله، والأمر بينهما قريب [7]؛ لأن الأمر إذا رد لله رجع هو [8].

- قـولـه تـعـالى: {إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ }التوبة: 66، قرأ عـاصـــم وحده "نَعفُ" بالنون و "نُعَذِّب طائفةً" مثله، فالله تعالى يخبر عن نفسه. وقرأ الباقون "يُعْفَ" "تُعذَّب طائفةٌ" على ما لم يسم فاعله، الأولى بالياء، والثانية بالتاء [9] .

- قـولـه تـعـالى: {سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ

(1) المرجع السابق، ص 75.

(2)الأيوبي، **الكناش في فني النحو والصـرف**، مرجع سـابق، ج 2، ص 6.

(3)ابن خالويه، **إعراب القراءات الســبع وعللها**، مرجع ســابق، ص300.

(4) المرجع السابق، ص411.

(5) المرجع السابق، ص77.

(6)الأيوبي، **الكناش في فني النحو والصـرف**، مرجع ســابق، ص 138.

(7)قرب هنا ابن خالويه بين القراءتين ثم ذكر علة ذلك.

(8) ابن خالويه، **إعراب القراءات الســبع وعللها**، مرجع ســابق، ص150.

(9)المرجع السابق، ص174.

ٱلْأَنۢبِيَآءَ } آل عمران: 181، قرأ حمزة "سيُكْتَبُ" على ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون على ما سمى فاعله "وقتلَهم"، "ما" موضعها النصب على قراءة الباقون، وعلى قراءة حمزة موضعهما بالرفع؛ لأنه اسم مالم يسم فاعله[1].

- قوله تعالى: {وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ } محمد: 4، أربع قراءات: قرأ أبو عمرو "قُتِلوا" على ما لم يسم فاعله، وحفص عن عاصم مثله. وقرأ الباقون "قَاتَلوا" بالألف. وقرأ الحسن "قُتِّلوا" بالتشديد. وقرأ عاصم الجحدري "قُتِلوا" مخففا[2].

5- **فعل الأمر**: وهو طلب الفعل على وجه الخصوصية، وهو الذي يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب[3] .

مثال ذلك: قوله تعالى: {قَالَ كَمْ لَبِثْتَ} المؤمنون: 114، { قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ } المؤمنون: 112، قرأ حمزة والكسائي "قُل" على الأمر فيهما جميعًا، وقرأ ابن كثير الأول على الأمر، والثاني على الخبر. وقرأهما الباقون "قَالَ" على الخبر . - قوله تعالى: {قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ} الأنبياء: 112، فروى حفص عن عاصم "قَال" على الخبر. وقرأ الباقون "قُل" على الأمر، فإن الله قال قائل: الله تعالى لا يحكم إلا بالحق. فلم يقول: "رب احكم بالحق؟" فقل: التقدير: احكم بحكمك يا رب، ثم سمي الحكم حقًا[4].

6- **إضمار القول أو الفعل**: هو الإتيان بضمير بدل الاسم الظاهر[5].

الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: {سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا} النور: 1، يرفعه عند الكوفيين والبصريين بإضمار هذه السورة؛ لأن النكرة لا يبتدأ بها. وقرأ عيسى بن عمر "سورةً" بإضمار فعل تقديره: أنزلنا سورة[6].

- قوله تعالى: {أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم } آل عمران: 49، قرأ نافع وحده بكسر الهمزة "إني"، وقرأ الباقون بفتحهما "أَنيَ". وفتح ابن كثير وأبو عمرو ونافع ياء الإضافة، وأسكنها الباقون. فمن فتح الهمزة جعلها بدلا من قوله: {أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ}، {أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم }، فيكون موضعها جرا ورفعا، ومن كسر أضمر القول: قل إني أخلق، ويجوز أن يكون مستأنفًا [7].

ثانيًا: التوجيه باعتبار علم الصرف.

(1)المرجع السابق، ص77.

(2)المرجع السابق، ص294.

(3)الأيوبي، **الكناش في فني النحو والصرف**، مرجع سابق، ج2، ص 29. بن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص 278.

(4) المختار، أحمد مختار عبد الحميد عمر المختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (عالم الكتب، ط: 1، 2008م) ج 2، ص 1368.

(5) ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها**، مرجع سابق، ص 295. وقراءة عيسى بن عمر بالنصب "سورةً" قراءة شاذة، (**المحتسب لابن جني**، ج2، ص142)

(6) المرجع السابق، ص70

(7)الحملاوي، أحمد محمد أحمد الحملاوي، **شذا العرف في فن الصرف**، (دار الكيان، د.ط، د.ت)، ص49.

علم الصـرف: الصـرف لغة: التغيير، واصـطلاحًا: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها [1].

وعلم الصـرف علميًا: هو العلم بأصـول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة.

وجه ابن خالويه بعض القراءات القرآنية توجيهًا صرفيًا على عدة اعتبارات، فمنها:

1-**التقاء السـاكنين**: إذا التقى السـاكنين في كلمة واحدة او كلمتين وجب التخلص من أحدهما، ويكون ذلك إما بحذف أحدهما أو تحريكه[2].

الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: {فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ} النمل: 36، قرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصـم: "ءاتانيَ" بفتح الياء. وقرأ الباقون: "ءاتان" بغير ياء اتباعًا للمصـحف، والباقون أثبتوا وفتحوا؛ لئلا تسـقط لالتقاء السـاكنين، أعني: الياء واللام من اسـم الله تعالى[2].

- الحملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، (د.ت)، **شذا العرف في فن الصـرف**، (د.ط)، د.م: دار الكيان.

- قوله تعالى: {فَمَن تَبِعَ هُدَايَ} البقرة: 38، اتفق القراء السـبعة على فتح الياء من "هداي" لالتقاء السـاكنين، وهما الألف والياء، ففتحت الياء على أصل الكلمة [3].

2- **الرد إلى الأصل**.

أمثلة ذلك:

-قوله تعالى: {سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ} آل عمران: 151، قرأ ابن عامر والكسائي بضمتين على أصل الكلمة "الرُّعُب"، وقال آخرون: بل الإسكان الأصل على قراءة الباقون "الرُّعْب"، وهو أخف [4].

- قوله تعالى: {أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ} البقرة: 258، روى قالون عن نافع بإثبات الألف، وكذلك في كل ما استقبله ألف شديدة. وقرأ الباقون بحذف الألف في كل القرآن في الدرج، واتفقوا جميعًا على إثباتها في الوقف، فمن أثبتها في الدرج أتى بالكلمة على أصلها؛ لأن الألف في "أنا" بإزاء التاء في "أنت"[5].

- قوله تعالى: {ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ} سبأ: 16، قرأ ابن كثير ونافع بالتخفيف "أُكْل". والباقون بالتثقيل مع ضم الكاف على الأصل "أُكُل"، ومن أسكن الكاف مال إلى التخفيف [6].

(1) المرجع السابق، ص233.

(2)ابن خالويه، **إعراب القراءات السـبع وعللها**، مرجع سـابق، ص553.

(3)ابن خالويه، **إعراب القراءات السـبع وعللها**، مرجع سـابق، ص622.

(4)المرجع السابق، ص75.

(5)المرجع السـابق، ص58. والصـحيح في عزو القراءة: قرأ نافع كله بإثبات الألف وصـلا إذا وقع بعدها همزة قطع مضـمومه، وقرأ الباقون بحذفها وصلا، واتفق القراء على إثباتها وقفا. (سيد لاشين والعلمي، **تقريب المعاني**، مرجع سابق، ص332)

(6) المرجع السابق، ص358.

3- **الرد إلى المصدر.**

الأمثلة على ذلك:

-قوله تعالى: {بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا} الأحقاف: 15، قرأ أهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي "إِحْسَانا"، اتباعًا لمصاحفهم. وقرأ الباقون "حُسْنا"، جعلوه مصدر حَسن يحسن حُسنا. (1)

- قوله تعالى: {وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ} الجاثية: 23، قرأ حمزة والكسائي "غشوة"، جعلاه كالرجعة وكالخطفة. وقرأ الباقون "غشاوة"، جعلوه مصدرًا مجهولًا والفعلة من المرة الواحدة (2).

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى آله وسلم. فبعد جولة علمية ماتعة مع كتاب ابن خالويه إعراب القراءات السبع وعللها الغني عن التعريف، فقد تم بحمدالله وتوفيقه إتمام هذه الرسالة والتي تناولت البحث في منهج الإمام ابن خالويه النحوي (ت 370هـ)، وتظهر قيمة هذا البحث لكل قاصد لكتاب إعراب القراءات السبع وعللها، فيكون بعون الله خير معين له على فهم منهج الإمام في توجيه القراءات ودراية بمقصده وغايته من الاستدلال بأقوال العلماء في ثنايا توجيهه للقراءة، وإني لا أستطيع أنزه هذا العمل من العثرات، شأنه شأن أي جهد يبذله بشر، غير أني أحسب بعد هذا الجولة أن أذكر أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث:

اتسم منهجه الخاص في توجيه القراءات بالآتي:

- يتسم منهج ابن خالويه في التوجيه بالتنوع تحت عدة اعتبارات ويستشهد بمصادر عدة في التوجيه ويبرز تأثره بشيخه ابن مجاهد.
- لا يعزو القراءات دائما بشكل دقيق، فتارة يعزوها ناقصة، وتارة يعزوها خاطئة.
- يتسم منهجه بالإسهاب في التوجيه اللغوي والنحوي.
- ويستشهد بالآيات والأحاديث النبوية توجيها لقراءة وإثباتا لصحتها.
- كما أن منهجه يتسم بتقديم القراءات المتواترة على قواعد أهل اللغة والنحاة.

التوصيات:

وفي ختام هذا البحث توصي الباحثة بالتالي:

- إقامة الندوات العلمية التي تهدف إلى حث المسلمين على الاهتمام بكتاب الله وعلومه، ولا يكون ذلك إلا بحفظه وتعلمه وتعليمه.
- عمل أبحاث في كتب توجيه القراءات القديمة وبيان منهجها وتمحيصها وإبراز جهود الأئمة السابقين -رحمهم الله-.
- عمل أبحاث في دراسة القراءات الشاذة وتمييزها عن المتواترة في كتب توجيه القراءات.
- إنشاء مكتبة رقمية تجمع الكتب والأبحاث العلمية التي تخدم علم القراءات وتصنيفها تصنيفا دقيقا.

وفي ختام هذا البحث فإن هذه محاولة متواضعة

(1)المرجع السابق، 413.

(2)المرجع السابق، ص411.

للمشـــاركة في مجال البحث العلمي وخدمة علم القراءات وأهله وإبراز جهود الإمام ابن خالويه –رحمه الله–، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطئنا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم مصـــطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، (**2004م**)، **المعجم الوسيط**، (الطبعة الرابعة)، مكتبة الشروق الدولية.
2. الأســيوطي، أبو محمد الأســيوطي (تحقيق وجمع)، (د.ت)، **مقدمة كتاب إعراب القراءات السبع وعللها**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتب العلمية.
3. الألباني، محمد ناصـــر الدين الألباني، (1434هـ)، **ضـــعيف الجامع الصـــغير وزيادته**، (الطبعة المجددة والمنقحة)، المكتب الإسلامي.
4. الأيوبي، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن الأفضـــل بن علي الأيوبي، (2004م)، **الكناش في فني النحو والصـــرف**، (الطبعة الأولى)، بيروت: المكتبة العصرية.
5. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبـه البخـاري الجعفري، (1422هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار طوق النجاة.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبـه البخـاري الجعفري، تحقيق: محمـد فؤاد عبـد البـاقي، (1379هـ)، **الأدب المفرد**، (الطبعة الثانية)، القاهرة: المطبعة السلفية.
7. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني، (1983م)، **التعريفات**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتب العلمية.
8. ابن جني، أبو الفتح عثمـان بن جني الموصـــلي، (1386هـ)، **المحتســـب في تبيين وجوه شـواذ القراءات والإيضـاح عنها**، (الطبعة الأولى)، مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
9. ابن حجر، أبو الفضـــل أحمد بن علي بن حجر العســـقلاني، (1989م)، **نزهة الألباب في الألقاب**، (الطبعة الأولى)، الرياض: دار الأرقم.
10. ابن حجر، محمد بن حجر العســـقلاني، (1989م)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، (الطبعة الأولى)، الرياض: مكتبة الرشد.
11. الحربي، عبد العزيز علي الحربي، (2012م)، **توجيه مشـــكل القراءات العشـــرية الفرشـــية لغة وتفســـيرا وإعرابا**، (الطبعة الأولى)، د.م: دار ابن حزم.
12. الحنبلي، العلامـة ابن النجـار الحنبلي، (2000م)، **مختصـــر التحرير في أصـــول الفقه**، (الطبعة الأولى)، الرياض: دار الأرقم.
13. الحملاوي، أحمـد بن محمـد بن أحمـد الحملاوي، (د.ت)، **شـذا العرف في فن الصـرف**، (د.ط)، د.م: دار الكيان.
14. الحـموي، ياقـوت الحـموي الـرومـي،

(1993م)، **معجم الأدباء**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

15. الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، (1996م)، **التفسير والتأويل في القرآن**، (الطبعة الأولى)، الأردن: دار النفائس.

16. ابن خالويه: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني، تحقيق: أبو أحمد الأسيوطي، (2006م)، **إعراب القراءات السبع وعللها**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتب العلمية.

17. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، (د.ت)، **وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان**، (د.ط)، بيروت: المكتبة العصرية

18. أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، **سنن أبي داود**، ، (د.ط)، بيروت: المكتبة العصرية.

19. الداوودي، شمس الدين الداوودي، (د.ت)، **طبقات المفسرين**، (د.ط)، د.م: دار الكتب العلمية.

20. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، (1434هـ)، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، (الطبعة التاسعة عشر)، الرياض: د.ن.

21. الزرقاني، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، (1995م)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتاب العربي.

22. الزركلي، خير الدين الزركلي، (2002م)، **الأعلام**، (الطبعة الخامسة عشر)، بيروت: دار العلم.

23. ابن زنجلة، أبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، (1997م)، **حجة القراءات**، (الطبعة الخامسة)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

24. سالم مكرم (تحقيق وجمع)، (2007م)، **مقدمة كتاب الحجة في القراءات السبع**، (الطبعة الأولى)، القاهرة: عالم الكتب.

25. سيد لاشين أبو الفرج، خالد محمد العلمي، (2004م)، **تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع**، (الطبعة الرابعة)، المملكة العربية السعودية: دار الزمان.

26. السيوطي، الحافظ جلال الدين السيوطي، (1964م)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، (الطبعة الأولى)، حلب: مطبعة عيسى البابي.

27. الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، (2000م)، **الوافي بالوفيات**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

28. الطحان، محمود الطحان، (2004م)، **تيسير مصطلح الحديث**، (الطبعة العاشرة)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

29. الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، (2016م)، **المحرر في علوم القرآن**، (الطبعة السادسة)، جدة: مركز الدراسات القرآنية.

30. العثيمين، عبدالرحمن بن سليمان العثيمين (تحقيق وجمع)، (1992)، **مقدمة كتاب إعراب القراءات السبع وعللها**، (الطبعة الأولى)، القاهرة:

مكتبة الخانجي.

31. العسكري، أبو هلال العسكري، (1419هـ)، **الصناعتين الكتابة والشعر**، (د.ط)، بيروت: المكتبة العصرية.

32. عطا صوفي، عبد القادر بن محمد عطا صوفي، (2007م)، **المفيد في مهمات التوحيد**، (الطبعة الأولى)، الرياض: دار أضواء السلف.

33. عيتاني، عبد الرحمن بن سعد الله عيتاني، (2016م) **المفيد في علم التجويد**، (الطبعة الثانية)، د.م: دار الألوكة.

34. ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي، (1979م)، **معجم مقاييس اللغة**، (د.ط)، د.م: دار الكتاب العربي.

35. محمود جاسم محمد، (1986م)، **مقدمة كتاب ابن خالويه وجهوده في اللغة**، (الطبعة الأولى)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

36. المختار، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (2008م)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (الطبعة الأولى)، د.م: عالم الكتب.

37. المسئول، عبد العلي المسئول، (2008م)، **الإيضاح في علم القراءات**، (الطبعة الأولى)، الأردن: عالم الكتب الحديث.

38. ابن أبي مريم، نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي النحوي، (1993م)، **مقدمة كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها**، (الطبعة الأولى)، جدة: د.ن.

39. النووي، يحي محي الدين النووي،(د.ت)، **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

Arrasikhun Journal، Special Issue, February 2026

ISSN: 2462-2508

الانحرافات الفكرية في وسائل التواصل الاجتماعي وعلاجها في ضوء القرآن الكريم

دراسة تطبيقية على طلاب الثانوية بجدة

غادة محمود محمد الشرعبي

باحثة ماجستير بقسم القرآن الكريم وعلومه

جامعة المدينة العالمية ماليزيا

G_m_c2009@hotmail.com

د. سمير سعيد الحصري

نائب رئيس قسم القرآن الكريم وعلومه

جامعة المدينة العالمية ماليزيا

samir.elhosry@mediu.my

الملخص

يشهد الواقع المعاصر انتشارًا واسعًا لوسائل التواصل الاجتماعي مصحوبًا بمظاهر من الانحرافات الفكرية الناتجة عن الاستخدام غير الرشيد لها، وتتمثل مشكلة هذا البحث في ضعف التربية القرآنية وتراجع تعظيم الوحيين لدى النشء، مما جعل طلاب المرحلة الثانوية أكثر عرضة لتسلّل الأفكار المنحرفة عبر الفضاء الرقمي، ويهدف البحث إلى الكشف عن أبرز صور الانحراف الفكري المرتبطة بوسائل التواصل، وبيان المنهج القرآني في علاجها، وتحليل مدى تأثر طلاب الثانوية بهذه الممارسات، واستقصاء مستوى وعيهم بالأحكام القرآنية المتصلة بها، اعتمد البحث المنهج الوصفي بأداتيه الاستقراء والتحليل، وصممت الباحثة استبانة مكوّنة من (13) فقرة طبّقت على عينة من (229) طالبًا وطالبة من مدارس مدينة جدة، وبعد التحقق من صدق الأداة وثبات نتائجها تمت معالجة البيانات بالأساليب الإحصائية المناسبة، وأظهرت النتائج وجود بعض مظاهر الانحراف الفكري بين أفراد العينة، غير أن المؤشرات العامة جاءت إيجابية، إذ تبين أن ما بين (50%–90%) من الطلاب يمارسون استخدامًا واعيًا ومتزنًا لوسائل التواصل مع تجنب المحتوى المنحرف، كما أبدى أكثر من (70%) منهم وعيًا شرعيًا معتبرًا بقيم التعامل الرقمي المنضبط، مما يدل على تنامي الوعي الديني والفكري لدى الشباب، وضرورة تعزيزه ببرامج تربوية راسخة تسهم في الوقاية من الانحرافات الفكرية وتفعيل المنهج القرآني في ضبط السلوك الرقمي لدى طلاب المرحلة الثانوية.

الكلمات الدلالية :الانحرافات، الفكرية، التواصل الاجتماعي

ISSN: 2462-2508

ABSTRACT

Contemporary society has witnessed a significant expansion in the use of social media, accompanied by emerging manifestations of intellectual deviation resulting from its improper use. The problem addressed in this study stems from the weakening of Qur'anic education and the declining reverence for the two primary sources of Islamic guidance—the Qur'an and the Sunnah—among younger generations. This situation has made high school students increasingly vulnerable to the infiltration of deviant ideas through the digital environment. This study aims to identify the most prominent forms of intellectual deviation associated with social media, clarify the Qur'anic approach to addressing such deviations , analyze the extent to which high school students are influenced by these practices, and examine their level of awareness of the relevant Qur'anic principles. The study employed the descriptive method, utilizing the tools of induction and analysis. A questionnaire consisting of 13 items was developed and administered to a sample of 229 male and female students from schools in the city of Jeddah After establishing the validity and reliability of the instrument, the collected data were analyzed using appropriate statistical methods. The findings indicate the presence of certain manifestations of intellectual deviation among the study sample. Nevertheless, the overall indicators were positive. The results revealed that between 50% and 90% of the students demonstrate a conscious and balanced use of social media while avoiding deviant content. Furthermore, more than 70% of the participants exhibited a sound level of religious awareness regarding the principles of responsible digital interaction. These findings suggest a growing level of religious and intellectual awareness among youth and highlight the importance of reinforcing this awareness through well-structured educational programs. Such programs can play a vital role in preventing intellectual deviation and in activating the Qur'anic approach to regulating digital behavior among high school students.

ISSN: 2462-2508

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العلم نورًا يهدي القلوب، والقيم الأخلاقية أساسًا لنهضة الإنسان والمجتمع، وحذّر من الانحرافات المفسدة للفكر والسلوك، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جعله الله قدوة للبشرية ومنارة للهدى، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

شهد العالم المعاصر طفرة رقمية كبرى جعلت من وسائل التواصل الاجتماعي جزءًا مؤثرًا في حياة الشباب، تسهم في تشكيل توجهاتهم الفكرية والاجتماعية، مع ما تحمله من إيجابيات في الاتصال وتبادل المعرفة، غير أنها في الوقت ذاته أفرزت انحرافات فكرية وأخلاقية تهدد المعتقد الإسلامي وتنعكس على سلوكيات الناشئة، خصوصًا في مرحلة الشباب الأكثر تأثرًا بالفضاء الرقمي، من هنا، برزت الحاجة الملحة إلى استلهام المنهج القرآني في معالجة تلك الانحرافات، لما يتضمنه من هداية وأسس تربوية وأخلاقية راسخة، وتهدف هذه الدراسة إلى بيان المنهج القرآني في علاج الانحرافات الفكرية المرتبطة باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الاستعانة بالسنة النبوية وأقوال المفسرين، وتحليل وعي طلاب المرحلة الثانوية بمدينة جدة بهذه الانحرافات ومدى معرفتهم بالعلاجات القرآنية وتطبيقها في حياتهم، وختامًا، نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل نافعًا للباحثين والمربين، ومعينًا على بناء جيل واعٍ بأخلاقه، معتزٍّ بقيمه، محصّن من مظاهر الانحراف الفكري والسلوكي.

خلفية البحث:

خاض العالم في العقود الأخيرة تطورًا تقنيًا متسارعًا أحدث تحولات جوهرية في مختلف مجالات الحياة، من أبرز مظاهره انتشار وسائل التواصل التي أصبحت جزءًا أساسيًا من الحياة اليومية وأداة فعّالة للتواصل وتبادل المعرفة، وقد حظيت هذه الوسائل بإقبال واسع من مختلف الفئات العمرية، وأسهمت في تحسين جودة الحياة وتوفير الوقت والجهد وتسريع الوصول إلى المعلومات، غير أن الاستخدام المفرط وغير المنضبط لهذه الوسائل، لا سيما في غياب التوجيه والرقابة، أدى إلى ظهور آثار سلبية، أبرزها الانحرافات الفكرية بين الشباب، بما في ذلك انتشار الإلحاد، والتأثر بثقافات وافدة، وضعف القيم التربوية والدينية، وتفاقمت هذه الإشكالات بفعل وفرة التطبيقات وسهولة الوصول إليها، خصوصًا بين طلاب المرحلة الثانوية، لِما تتسم به هذه المرحلة من حساسية في بناء الشخصية وتشكيل الاتجاهات الفكرية.

من هذا المنطلق، تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على طبيعة الانحرافات الفكرية المرتبطة باستخدام وسائل التواصل لدى طلاب المرحلة الثانوية بجدة، مع التركيز على دور القرآن الكريم في تقويم هذه السلوكيات والوقاية من الانحرافات الفكرية، إذ يشكل القرآن الكريم مصدر الهداية والتشريع وأساسًا راسخًا لبناء القيم الأخلاقية والفكر السليم، بما يسهم في حماية الفرد والمجتمع وتوجيه الوسائل التقنية نحو ما يخدم مقاصد الشريعة في البناء والإصلاح.

مشكلة البحث:

انتشرت وسائل التواصل الاجتماعي انتشارًا واسعًا، مصحوبةً باستخدامات غير مسؤولة أدّت إلى انحرافات فكرية وأخلاقية أثّرت سلبًا في الفرد والمجتمع، ورغم كثرة المستخدمين وتوافر المعلومات، إلا أن الوعي بالآثار المترتبة على هذا الاستخدام وضعف الوازع الديني لا يزالان من أبرز التحديات، مما يبرز الحاجة إلى ترسيخ الفهم الصحيح للوحيين في نفوس النشء.

ويكمن جوهر المشكلة في ضعف تعظيم الله تعالى وقلّة التمسك بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، مما جعل الأفراد أكثر عرضةً لتسرّب المفاهيم المنحرفة والشعارات الباطلة تحت مظاهر خادعة، كما أن الانفتاح الإعلامي الواسع في ظل غياب الضوابط الشرعية يمثّل تحديًا حقيقيًا يستدعي تعاملًا واعيًا ورشيدًا مع هذه الوسائل، والتمييز بين النافع والضار وفق ميزان الشرع، ومن هنا، تهدف الدراسة إلى بيان المنهج القرآني في معالجة الانحرافات الفكرية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتوضيح أثره في ضبط السلوك وتعزيز القيم لدى طلاب المرحلة الثانوية، من خلال الجمع بين التأصيل النظري والتطبيق العملي.

أسئلة البحث:

1) ما الانحرافات الفكرية الناشئة عن سوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي؟

٢) وما دور القرآن الكريم في علاج الانحرافات الفكرية المرتبطة بسوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي؟

٣) ما الأثر الناتج عن الانحرافات الفكرية المرتبطة بسوء استخدام وسائل التواصل في طلاب المرحلة الثانوية؟

4) ما مدى إلمام طلاب الثانوية بالأحكام القرآنية المتعلقة بالانحرافات الفكرية الناتجة عن استخدام وسائل التواصل؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من أبرزها:

١) بيان الانحرافات الفكرية الناتجة عن سوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

٢) تسليط الضوء على دور القرآن الكريم في معالجة الانحرافات الفكرية المرتبطة باستخدام وسائل التواصل.

٣) تحليل مدى تأثر طلاب المرحلة الثانوية بالانحرافات الفكرية الناتجة عن الاستخدام غير المنضبط لوسائل التواصل.

4) استقصاء مستوى معرفة طلاب المرحلة الثانوية بالأحكام القرآنية المتعلقة بالانحرافات الفكرية في وسائل التواصل.

مصطلحات البحث: هنا إشارة لأبرز المصطلحات الواردة ومدلولاتها المرادة في البحث: –

1/تعريف الانحراف:

الانحراف لغة: الحرف في الأصل الطرف والجانب، [1] (انحرف) عنه (تحرف) و(احرورف) أي مال وعدل.[2]

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط 3، 1414هـ) مادة (حرف) ج19، ص 41

(2) الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي،

الانحراف اصطلاحًا: هو ارتكاب فعل نهت الشريعة الإسلامية عن ارتكابه، أو ترك فعل أوجبت الشريعة الإسلامية القيام به، دون أن يكون للفعل أو الترك عذر شرعي معتبر. (1)

الانحرافات إجرائيًا: أنماط من السلوك المخالف للمعايير والقيم الاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع، وتمثل خروجًا عن الضوابط التي تنظم تصرفات الأفراد داخل الجماعة.

2/تعريف الفكرية:

الفكر لغة: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، ويقال لي في الأمر فكر ورروية. (2)

الانحراف الفكري: هو الميل والخروج المفرط عن القيم والمعايير الاجتماعية والدينية السائدة، نحو أفكار متشددة أو متطرفة ترفض الحوار وتقيّد التفكير النقدي، ما يؤدي إلى هشاشة الوعي، وضعف القدرة على التمييز.

3/ تعريف وسائل التواصل الاجتماعي:

الوسائل لغة: جمع وسيلة، قال ابن فارس (وسل) الواو والسين واللام، الرغبة والطلب، يقال وسل، إذا رغب، و [الواسل: الراغب إلى الله عز وجل، وهو في] قول لبيد: بلى كل ذي دين إلى الله واسل، ومن ذلك القياس الوسيلة.(3)

التواصل لغة: (الواو والصاد واللام) أصل واحد يدل على ضم الشيء إلى الشيء حتى يعلقه والوصل ضد الهجران.(4)

المصطلح مركبًا (التواصل الاجتماعي): بأنه نقل الأفكار والتجارب وتبادل الخبرات والمعارف، بين الذوات والأفراد والجماعات، بتفاعل إيجابي، وبواسطة وسائل، تتم بين مرسل ومتلقٍ، وهو جوهر العلاقات الإنسانية. (5)

التواصل الاجتماعي إجرائيًا: وسيلة تفاعلية تُمكِّن الأفراد من تبادل المعلومات والرسائل والصور والوسائط المتعددة، من خلال قنوات مرئية أو صوتية أو كتابية، بما يسهم في تسهيل التفاعل وبناء علاقات اجتماعية فعّالة.

أهمية البحث:

1- تتجلى أهمية البحث في تناوله قضية الانحرافات الفكرية الناجمة عن سوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وبيان سبل معالجتها بهدي القرآن الكريم والسنة النبوية، بوصفهما المصدر الأسمى للتقويم الأخلاقي.

مختار الصحاح، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1420هـ) مادة (حرف) ص70.

(1) السدحان، عبد الله بن ناصر، **رعاية الأحداث المنحرفين في المملكة العربية السعودية**، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1996م) ص 15.

(2) مجموعة من مؤلفين، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مكتبة الشروق، ط2، 1425هـ) باب الفاء، ج2، ص 698.

(3) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، **مقاييس اللغة** (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1399هـ) مادة (وسل) ج6، ص 110.

(4) المرجع نفسه، ج6، ص 115.

(5) سكر، ماجد رجب العبد، **التواصل الاجتماعي أنواعه، ضوابطه، معوقاته دراسة قرآنية موضوعية**، (د.م: د.ن، د.ط، 1432هـ) ص 10.

2- يرتبط موضوع الفكر ارتباطًا وثيقًا بالدين الإسلامي، لكونه أساس حياة الفرد والأسرة والمجتمع، ومن ثم فإن إصلاحه يعد ضرورة دينية واجتماعية.

3- يكتسب البحث أهمية من خلال تركيزه على فئة الشباب، الذين يُعوَّل عليهم في نهضة الأمة وصناعة مستقبلها.

4- يبيّن البحث غفلة بعض الأفراد عن ربط الفكر بالهدي القرآني واستبداله بأفكار دخيلة تخالف المنهج الشرعي.

5- يمثل البحث مرجعًا عمليًا يمكن أن تستفيد منه المؤسسات التربوية وأولياء الأمور في توجيه الأبناء نحو القيم.

6- يضيف الجانب التطبيقي قيمة للبحث، كاشفًا الحاجة الملحّة لتعزيز القيم الفكرية عبر برامج تربوية وتوعوية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع وجدت الباحثة عدداً من الدراسات ذات الصلة المباشرة ببحثها، مع وجود نقاط اتفاق، ونقاط اختلاف، وسيتم إيرادها في مواضعها لاحقًا بإذن الله تعالى، فمن الرسائل العلمية التي لها علاقة بالبحث:

1- شبكات التواصل الاجتماعي وتأثيراتها على التوجهات الفكرية لدى الشباب السعودي، الباحث: سلطان موسى العنزي، مجلة بحوث كلية الآداب، (2024م) تتناول دراسة العنزي أثر استخدام وسائل التواصل في تشكيل الاتجاهات الفكرية لدى فئة الشباب في المملكة العربية السعودية، اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال استبانة ميدانية طبقت على عينة من طلاب الجامعات، بهدف الكشف عن العلاقة بين أنماط استخدام وسائل التواصل ونوعية الاتجاهات الفكرية الناتجة عنها، سواء كانت معتدلة أو منحرفة، وقد خلصت الدراسة إلى أن الاستخدام المكثف وغير المنضبط لتلك الوسائل يسهم في تغيير منظومة القيم والمعتقدات.

أوجه الاتفاق: *يتفق البحثان في محورية وسائل التواصل بوصفها أحد أهم المؤثرات في الفكر لدى فئة الشباب. *يشترك الباحثان في التأكيد على أن هذه الوسائل قد تكون أداة انحراف أو إصلاح بحسب مستوى الوعي الديني والقيمي. *كلا الدراستين تُبرز الفئة الشبابية بوصفها الفئة الأكثر تأثرًا بالتقنيات الحديثة، ما يجعلها محورًا للبحث والمعالجة. *يشتركان في المنهج الوصفي التحليلي القائم على تفسير الظاهرة الاجتماعية وربطها بالمتغيرات الفكرية.

أوجه الاختلاف: *يختلف البحث الحالي عن دراسة العنزي من حيث المنطلق والمنهجية؛ فدراسة العنزي ركّزت على تحليل التوجهات الفكرية والاجتماعية في ضوء الواقع الميداني دون إطار ديني محدد، بينما يقوم البحث الحالي على التأصيل القرآني للعلاج، مستندًا إلى نصوص الوحي وأقوال المفسرين. *تناولت دراسة العنزي العينة العامة من الشباب السعودي، في حين يقتصر البحث الحالي على طلاب المرحلة الثانوية بجدة، مما يمنحه خصوصية تربوية وتعليمية أكثر دقة. *ركزت الدراسة السابقة على توصيف التأثيرات الفكرية، أما البحث الحالي فينتقل خطوة أعمق من

ذلك نحو تقديم علاج قرآني تطبيقي للانحرافات الفكرية الناتجة عن تلك التأثيرات. *لم تتناول دراسة العنزي الجانب العلاجي أو الوقائي من منظور شرعي، بينما يشكل هذا الجانب جوهر البحث الحالي ومنطلقه الرئيس.

2- معاينة التأثر بالتطرّف الفكري في وسائل التواصل الاجتماعي تبعًا لبعض المتغيرات النفسية، الباحثة: فريال الحاج محمود، المجلة العربية للدراسات الأمنية، قسم علم النفس، جامعة جدة في السعودية (2022م) تناولت في الدراسة أثر استخدام وسائل التواصل في بروز مظاهر التطرّف والانحراف الفكري لدى الشباب، مع التركيز على العوامل النفسية المرافقة لذلك، اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي القائم على استبانة ميدانية، واستهدفت شريحة من الشباب الجامعي، بهدف تحديد العلاقة بين المتغيرات النفسية ومستوى التأثر بالأفكار المنحرفة عبر المنصات، خلصت الدراسة إلى وجود علاقة دالة بين ضعف الوازع الديني وارتفاع قابلية التأثر بالانحراف الفكري.

أوجه الاتفاق: *يتفق البحثان في تناول الانحراف الفكري بوصفه مظهرًا معاصرًا يتغذى على بيئة التواصل الاجتماعي. *يشتركان في التأكيد على أن الشباب هم الفئة الأكثر عرضة للتأثر، نظرًا لطبيعتهم النفسية والاجتماعية وارتباطهم الوثيق بوسائل التقنية. *كلا الدراستين تهدفان إلى تحديد أسباب الانحراف الفكري وسبل معالجته، مع التركيز على دور القيم الدينية في الوقاية من التأثر السلبي. *اعتمد البحثان المنهج الوصفي التحليلي وأسلوب الدراسة الميدانية.

أوجه الاختلاف: *ركّزت دراسة السابقة على العوامل النفسية وتأثيرها في الانحراف الفكري، بينما ينطلق البحث الحالي من المنهج القرآني في العلاج والتقويم الفكري. *الدراسة السابقة تناولت فئة طلاب الجامعات، أما البحث الحالي فيُطبّق على طلاب المرحلة الثانوية بجدة، وهي فئة عمرية أكثر حساسية في مرحلة التكوين الفكري. *انحصر التحليل في الدراسة السابقة على الارتباطات الإحصائية بين المتغيرات النفسية والانحراف الفكري، بينما يتوسع البحث الحالي في تحليل الأسباب الفكرية والقيمية والعلاج القرآني الميداني. *البحث الحالي يقدّم رؤية علاجية تربوية مستندة إلى نصوص الوحيين، بخلاف الدراسة السابقة التي اكتفت بالتحليل النفسي والتربوي دون تأصيل شرعي.

3- الانحراف الفكري ووسائل الوقاية والعلاج في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، الباحثة: داليا محمد شوقي داود، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الرابع، العدد 32، (2016م) تتناول الدراسة ظاهرة الانحراف الفكري من منظور شرعي تأصيلي، وبيان مظاهره وأسبابه، واستنباط وسائل الوقاية والعلاج من نصوص القرآن الكريم، من خلال تحليل موضوعي للآيات القرآنية.

أوجه الاتفاق: *يشترك البحثان في الانطلاق من المرجعية القرآنية في تحليل الانحراف الفكري وبيان سبل الوقاية والعلاج. *يتفقان في التأكيد على أهمية معالجة الانحرافات الفكرية من منطلق ديني قيمي،

واستثمار التوجيه القرآني في تقويم الفكر والسلوك. *كلا البحثين يعالجان مشكلة فكرية معاصرة ترتبط بانحراف المفاهيم، وتؤثر على فئة الشباب المسلم. *يستخدمان منهجًا تحليليًا استقرائيًا في التعامل مع النصوص القرآنية لاستخراج الضوابط العلاجية.

أوجه الاختلاف: *يختلف البحث الحالي في كونه بحثًا تطبيقيًا ميدانيًا، بينما اقتصر البحث السابق على الجانب النظري التأصيلي دون دراسة ميدانية أو فئة محددة. *يركّز البحث السابق على الانحراف الفكري بوجه عام، أما البحث الحالي فيتناول الانحرافات الفكرية المرتبطة بوسائل التواصل، وهي ظاهرة حديثة ذات بعد تقني وثقافي جديد. *الدراسة السابقة عالجت الظاهرة من منظور قرآني عام، في حين يسعى البحث الحالي إلى تفعيل العلاج القرآني في الواقع التربوي من خلال دراسة ميدانية تطبيقية على طلاب المرحلة الثانوية بجدة. *البحث الحالي يربط بين المنهج القرآني في الإصلاح الفكري والواقع الشبابي في الفضاء الرقمي، بينما لم تتناول الدراسة السابقة هذا الربط التطبيقي.

4- وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الأمن الفكري من وجهة نظر طلاب المرحلة الثانوية ومعلمي العلوم الشرعية في عسير، للباحث: مسفر أحمد الوادعي، كلية التربية جامعة الأزهر، العدد 171، ج3، (2016)

تناولت الدراسة السابقة أثر وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل الأمن الفكري لطلاب الثانوية من منظور تربوي واجتماعي عبر المنهج الوصفي التحليلي، مركزةً على الإيجابيات والسلبيات وسبل الوقاية الفكرية.

الاتفاق: كلا البحثين يعالجان الظواهر الفكرية السلبية المرتبطة بوسائل التواصل، الاختلاف: بحث الوادعي يسلّط الضوء على الأمن الفكري بوصفه ميدانًا تربويًا وقائيًا، أما البحث الحالي فيقدّم معالجة قرآنية تطبيقية تنطلق من النصوص الشرعية. *من حيث المنهج: استخدم الوادعي المنهج الوصفي التحليلي مع تطبيق ميداني عبر الاستبانات، أما البحث الحالي فيعتمد المنهج القرآني التحليلي التطبيقي الذي يربط بين النصوص القرآنية والواقع السلوكي لطلاب الثانوية، التميز في البحث الحالي: الجمع بين التحليل الشرعي التطبيقي والدراسة الميدانية، وهو ما يوسع نطاق المعالجة من الوصف إلى العلاج المستند إلى الوحي. *من حيث العينة والميدان: بحث الوادعي ركز على طلاب الثانوية ومعلمي العلوم الشرعية في منطقة عسير، أما البحث الحالي فيركّز على طلاب الثانوية بجدة. *الاختلاف الجغرافي والتربوي: بحث الوادعي شمل المعلمين، بينما بحثي ركّز على الطلاب بوصفهم الفئة الأكثر تأثرًا بالانحراف الفكري في الواقع الرقمي. *من حيث الأهداف والنتائج: هدف الوادعي إلى تعزيز الوعي الفكري الوقائي والحماية من الانحرافات، بينما يهدف البحث الحالي إلى تأصيل المعالجة القرآنية للانحرافات الفكرية وإبراز دور القرآن في تقويم الفكر والسلوك. فيتميّز هذا البحث بأنه يجمع بين الجانب القرآني التأصيلي والجانب التطبيقي الميداني، فيقدّم رؤية علاجية مستمدة من القرآن الكريم للانحرافات الفكرية الناشئة عن استخدام وسائل التواصل، ويطبّقها على الواقع التربوي لطلاب الثانوية بجدة، مما يضفي عليه أصالة شرعية ومنهجية تطبيقية أوسع

من الدراسات السابقة التي اكتفت بالجانب الوصفي أو الوقائي.

منهج البحث:

اعتمد البحث في الأساس على المنهج الوصفي بأداتيه الاستقراء والتحليل، وذلك من خلال تتبّع عدد من آيات الذكر الحكيم التي تناولت مظاهر الانحرافات الفكرية، بهدف الكشف عن طبيعتها وأسبابها، ومدى ارتباطها بوسائل التواصل الاجتماعي، كما تم الاستعانة بالمنهج التطبيقي الاستنباطي؛ لاستخلاص أبرز الفوائد والدروس المستفادة من الآيات الكريمة، بما يخدم أهداف الدراسة، إضافة إلى ذلك، تم توظيف المنهج الوصفي بأداتيه الاستقراء والتحليل في الجانب الميداني من البحث، لوصف النتائج وتحليل البيانات التي تم جمعها باستخدام الأسلوب المسحي الميداني.

أدوات البحث:

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي بأداتيه الاستقراء والتحليل لملاءمته للاستبانة، مستخدمةً النسب المئوية لتحليل البيانات الشخصية ومحاورها، بهدف قياس مدى ممارسة الطلاب للانحرافات الفكرية ومدى استفادتهم وفهمهم لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، تم التأكد من صدق المحتوى عبر أربعة محكّمين (اثنان في علوم القرآن، واثنان في التربية)، وبناءً على ملاحظاتهم طُورت الاستبانة وقُسّمت إلى ثلاثة أقسام: الأول: البيانات الشخصية للعينة، الثاني: ستة أسئلة لقياس الانحرافات الفكرية في وسائل التواصل الاجتماعي، الثالث: ثمانية أسئلة لقياس معرفة الطلاب بالأحكام الشرعية في القرآن الكريم، صُممت الأسئلة بنظام الاختيار من متعدد لضمان سهولة الإجابة ودقة النتائج.

حدود البحث: يلتزم هذا البحث بمجموعة من الحدود التي تحدد مجاله وإطاره العام، وتشمل ما يأتي:

*موضوعيًا :يركز على دراسة الآيات القرآنية لمعالجة الانحرافات الفكرية وبيان معانيها وفوائدها، وقياس تأثر طلاب المرحلة الثانوية بسوء استخدام وسائل التواصل ومدى معرفتهم بالأحكام القرآنية.

*بشريًا :عينة البحث شملت 229 طالبًا وطالبة (74 طالبًا و155 طالبة) في المرحلة الثانوية.

*مكانيًا :مدينة جدة، المملكة العربية السعودية.

*زمنيًا :أبريل 2025م.

إجراءات البحث:

راعت الباحثة في إعداد هذا البحث عددًا من الضوابط المنهجية والأسلوبية، وذلك على النحو الآتي: 1) تتبّع آيات القرآن المتعلقة بعلاج الانحرافات الفكرية بدراسة تفسيرية موضوعية. 2) الالتزام بضبط النصوص وعلامات الترقيم وفق قواعد العربية. 3) عزو الآيات إلى سورها وأرقامها داخل المتن، بالاعتماد على المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم؛ لتخفيف الحواشي. 4) تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية مع بيان حكم العلماء عليها، في غير ما ورد في الصحيحين. 5) توثيق المعلومات بذكر الكتاب والجزء والصفحة، مع التعريف بالكتاب ومؤلفه مختصراً عند أول ورود له، أما المعلومات الكاملة ففي قائمة المراجع. 6)

الاعتماد على المصـــادر العلمية المعتبرة في التفســـير والحديث وســـائر العلوم الشـــرعية. 7) الالتزام بعزو جميع الأقوال والاقتباســـات إلى أصـــحابها تحقيقًا للأمانة العلمية. 8) ترتيب المصـادر والمراجع هجائيًا في قائمة خاصة.

الفصل الأول: الانحرافات الفكرية في وسائل التواصل الاجتماعي، وفيه ثلاثة مباحث.

يتناول هذا الفصـــل بالدراســـة والتحليل مظاهر الانحرافات الفكرية التي تتجلّى بوضـوح في الفضـاء الرقمي، وهو "خروج الفكر عن مســـاره الســـليم، والابتعاد عن الأصول العلمية والعقدية والمنهجية التي يقوم عليها التصور الإسلامي للوجود، بسبب تأثير شبهات أو مؤثرات فكرية أو نفسية أو اجتماعية"[1] وتُعدّ من الإشكالات الفكرية الخطيرة

المبحث الأول: التشكيك في الدين وانتشار الإلحاد.

يشهد المجتمع المعاصر اضطرابات فكرية عميقة أبرزها ظاهرة الإلحاد والتشـــكيك في ثوابت الدين، التي تفاقمت بفعل العولمة والانفتاح الثقافي والثورة الرقمية، وقد أصـــبحت هذه الظاهرة عالمية التحديات، مؤثرة في العقيدة والفكر، مما يقتضي الوقوف على أسبابها ودوافعها وملابســـات ظهورها، والتوعية بجوانبها الخطرة وسبل الوقاية منها.

المطلب الأول: مفهوم التشكيك في الدين والإلحاد.

التشـــكيك في الدين :هو إثارة الشـــبهات حول العقيدة والثوابت الإسلامية لزعزعة الإيمان بالله تعالى والدين والقيم.

الإلحاد :مذهب فلســـفي يقوم على فكرة عدمية أســـاســـها إنكار وجود الله الخالق ســـبحانه وتعالى، فيدعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق.[2]

يتم التشـكيك من خلال محتوى جدلي عقيم، يتمثل في إرســـال مقاطع مرئية أو منشـــورات، تهاجم النصوص الدينية، وبث الشبه، والاستدلال بجزء من النصـوص، وضـرب النصـوص بعضـها ببعض، بجهل مركب من غير علم راســـخ، بالناســـخ والمنســـوخ، والمطلق والمقيـد، ممـا جعلهم في دوامـة من الجهـل والتخبط لا يخرجون منها إلا بالعلم الصحيح.

المطلب الثاني: أسباب التشكيك في الدين والإلحاد عبر وسائل التواصل الاجتماعي.[3]

يُعـدّ الانحراف الفكري ظـاهرة معقـدة متعـددة الأســباب، تتداخل فيها العوامل الدينية والاجتماعية والنفســـية والإعلامية، مما يجعل فهمها ومعالجتها يتطلب رؤية شمولية متوازنة.

أولًا: الأسباب الدينية والثقافية.

1. الجهل بالعقيدة وضعف الوعي الديني، يؤدي إلى التأثر بالشبهات والأفكار المنحرفة.

(1) الســـدحان، عبد الله بن ناصـــر، **رعاية الأحداث المنحرفين في الســـعودية دراســـة تاريخية وثائقية** (الرياض: العبيكان، الطبعة الأولى، 1996م) ص 41.

(2) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصـــرة**، (د.م: دار النـدوة، ط4، 1420هـ) ج2، ص 803.

(3) انظر: داود، داليا محمد شـوقي محمد الصـادق **الانحراف الفكري ووســـائـل الـوقـايـة والـعـلاج في ضـــوء الـقـرآن الكريم دراسة موضوعية**، (د.م: د.ن، د.ط، د.ت) ص 831-850

2. غياب القدوات الصالحة يسهم في ضعف التمسك بالقيم الدينية.

3. قلة الردود العلمية على الشبهات؛ بسبب تأخر المؤسسات الدينية في مواجهة الطرح الإلحادي الحديث.

4. التأثر بالفكر الغربي المادي، الذي ينكر البعد الروحي للإنسان، ويغلب النزعة المادية.

ثانيًا: الأسباب الاجتماعية والنفسية.

1. التجارب السلبية مع المتدينين، تدفع بعض الشباب لرفض الدين نفسه.

2. الفراغ الروحي والنفسي، يؤدي إلى البحث عن بدائل فكرية منحرفة.

3. الأزمات النفسية والاجتماعية، كالفقر أو الفقد، قد تضعف الإيمان بالقضاء والقدر.

ثالثًا: الأسباب الإعلامية والتقنية.

1. نشاط منصات الإلحاد الإلكتروني، تقدم محتوى جذابًا موجهًا للشباب.

2. الخطاب الإلحادي ذو التأثير العاطفي، يستخدم لغة عاطفية وعقلية لاستمالة العقول.

3. التعرض المكثف للمحتوى الإلحادي، يضعف الحصانة الفكرية لدى الشباب.

4. الإعلام المرئي، يصوّر المتدين متخلفًا، والملحد متحررًا.

5. الانفتاح الثقافي غير المنضبط، يروّج لقيم تتنافى مع العقيدة الإسلامية.

المطلب الثالث: التصدي للانحرافات الفكرية الإلحاد في وسائل التواصل الاجتماعي.

يُعدّ التصدي لظاهرة الإلحاد والتشكيك في الدين ضرورة شرعية وتربوية لحماية العقيدة وصيانة الهوية الإسلامية، خصوصًا في ظل انتشار الشبهات الفكرية عبر وسائل التواصل، وتعتمد المعالجة الناجحة على منهج يجمع بين الهدي الشرعي والوسائل التربوية الحديثة.

أولًا: تعزيز التعليم الديني المؤصل، التعليم الشرعي الصحيح أساس بناء اليقين، وقد دعا القرآن الكريم إلى طلب العلم: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ﴾ الرعد: ١٩، "يقول تعالى لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ هو الحق الذي لا شك فيه، ولا مرية، ولا لبس فيه، ولا اختلاف فيه، بل هو كله حق يصدق بعضه بعضا، لا يضاد شيء منه شيئا آخر، فأخباره كلها حق، وأوامره ونواهيه عدل." (1)

التطبيقات العملية: *إدراج مقررات متخصصة في ''الشبهات الفكرية المعاصرة'' للمرحلة الثانوية.

*تدريب الطلاب على قواعد الاستدلال والرد على الشبهات. (2)

ثانيًا: تمكين الأسرة في غرس الإيمان واليقين، الأسرة هي الحصن الأول للأبناء، والقرآن يأمر بتربيتهم على التقوى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ

(1) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ) ج4، ص 386.

(2) انظر: العجيري، عبد الله صالح، **شموع النهار**، (الخبر: دار مؤمن قريش، ط1، 1437هـ) ص 98–103

وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ التحريم: ٦، قال الطبري رحمه الله تعالى: "وعلِّموا أهليكم مِن العملِ بطاعةِ اللَّهِ ما يَقُون به أنفسَهم مِن النارِ" (1)

التطبيقات العملية: *تنظيم لقاءات أسرية منتظمة تُعزّز الحوار الإيماني وتعمّق الروابط التربوية داخل المنزل. *تأهيل الوالدين بمهارات عملية لاكتشاف بوادر الشك الفكري لدى الأبناء والتعامل معها مبكرًا. *تقديم كتيبات ميسّرة للآباء تتناول أبرز الشبهات المنتشرة في الإنترنت وطرق الرد عليها بأسلوب واضح ومناسب.

ثالثًا: تطوير خطاب دعوي رقمي مؤثّر، أدّى ضعف الخطاب الديني في منصات التواصل إلى اتساع مساحة الطرح الإلحادي، مما يفرض ضرورة تطوير خطاب دعوي مواكب، يجمع بين قوة الحجة الشرعية والأسلوب الإعلامي الجاذب، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ النحل: ١٢٥، قال السعدي رحمه الله: "بما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين" (2)

التطبيقات العملية: *إعداد محتوى مرئي قصير يرد على الشبهات بطريقة علمية مبسّطة. *تدريب دعاة شباب على مهارات الإعلام الجديد. *إنتاج منصات متخصصة لمواجهة الشبهات. (3)

رابعًا: إعداد ردود علمية رصينة، توفير ردود علمية موثقة من أهل الاختصاص: قال ابن تيمية رحمه الله: "ما من شبهة أُثيرت على الإسلام إلا وفي القرآن ما يدفعها" (4)

التطبيقات العملية: *إصدار أدلة تعليمية لطلاب الثانوي حول ''كيفية التعامل مع الشبهة''. *إنتاج موسوعات رد على الشبهات، مثل ميليشيا الإلحاد للعجيري.(5)

خامسًا: تعزيز مهارات التفكير النقدي، التفكير النقدي يحمي الشباب من الوقوع في المغالطات قال تعالى: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ البقرة: ٢٥٦، فسّرها الرازي رحمه الله: " أنه حصلت البينونة بين الرشد والغي بسبب قوة الدلائل وتأكيد البراهين" (6)

التطبيقات العملية: *تدريب الطلاب على تحليل النصوص والأفكار وتمييز المغالطات. *توظيف الحوار والمناظرة العلمية داخل المدرسة. *برامج ''التربية على السؤال الواعي'' كمنهج قرآني.(7)

سادسًا: نشر قصص العائدين من الإلحاد، القصص

(1) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان**، (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د.ط1، 1437د.ت) ج 32، ص 103

(2) ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (الرياض: الرسالة، د.ط، 1420ه) ص 452.

(3) انظر: السكران، إبراهيم عمر، **الماجريات** (الرياض: دار الحضارة، ط3، 1436ه) ص 45- 71.

(4) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي الدمشقي، **درء تعارض العقل والنقل** (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط2، 1411ه) ج1، ص 155.

(5) انظر: العجيري، عبد الله بن صالح، **ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد** (الخبر: تكوين، ط2، 1435هـ) ص 112–160.

(6) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **مفاتيح الغيب** (بيروت: إحياء التراث، ط3، 1420ه) ج7، ص 16.

(7) انظر: بكار، عبد الكريم، **الوعي الفكري**، (دمشق: دار القلم، ط1، 1421ه) ص 161–175.

تُظهر ضـــعف الطرح الإلحادي وقوة الحجة الإيمانية قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ ﴾ يوسف: ١١١

التطبيقات العملية: *إنتاج مقاطع قصـيرة لقصـص التـائبين. *إدراجهـا كنمـاذج في المنـاهج الإثرائيـة للمدارس.

سـابعًا: دمج البناء العقدي بالقيم الأخلاقية، الشـك الفكري غالبًا مرتبط بضـعف الضـمير الأخلاقي قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ التغابن: ١١، قال ابن كثير رحمه الله: "يهدِ قلبه لليقين" (1)

التطبيقات العملية: *ربط التوحيد بالقيم السـلوكية مثل: الأمانة، الصـدق، المسـؤولية. *برامج "الإيمان والسلوك" لطلاب المرحلة الثانوية.(2)

ثامنًا: التعاون بين المؤسـسـات الدينية والتعليمية، للتكامل بين المدارس والجهات الدعوية.

التطبيقات العملية: *شراكات بين وزارة التعليم وهيئة الإفتاء لعقد البرامج. *توفير مراكز استشارات فكرية للطلاب.

ينبغي مواجهة انتشـار الإلحاد عبر جهود متكاملة تشـمل التعليم، المحتوى الهادف، تأهيل الدعاة، ودعم الأسـرة، مع اسـتثمار التقنية في نشـر الوعي الديني والرد على الشـبهات، مسـتنيرين بكتاب الله تعالى وسنة رسوله.

المبحث الثاني: التطرف الفكري والديني.

مع تطور وسـائل الاتصـال برزت تحديات فكرية وثقافية وأمنية خطيرة، من أبرزها التطرّف الفكري والديني الذي استغل المنصات الرقمية لنشر الأفكار المنحرفة والتكفيرية، في ظل ضـعف الرقابة وسـهولة الوصـول للمسـتهدفين، مما جعله تهديدًا للعقيدة والأمن والاستقرار، وتبرز أهمية دراسة مفهوم التطرّف الفكري في وسائل التواصل وبيان أسبابه وآثاره وسبل الوقاية منه في ضوء الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

المطلب الأول: تعريف التطرّف الفكري والديني:

التطرف الفكري: الميـل والخروج المفرط عن القيم السـائدة في المجتمع والمعايير الثابتة، نحو أفكار متشددة أو منغلقة لا تقبل الحوار ولا الرأي الآخر.

التطرف الديني: نشـر أو تبني أفكار دينية متشـددة مبالغ فيها، والغلو في فهم النصـوص الشـرعية أو تطبيقها بما يخرج عن مقاصـد الشـريعة الإسـلامية السـمحة، ويُؤدى من خلال منصـات التواصـل الاجتماعي، تدعو إلى تكفير الآخرين، أو اسـتباحة دمائهم وأموالهم، أو الكراهية، أو رفض الآخر باسـم الدين.

من المعلوم أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال، جاء ليحفظ للإنسـان توازنه في العقيدة والعبادة والمعاملة، بعيدًا عن مسـالك الإفراط والتفريط، وقد حذّر النبي عليه الصلاة والسلام أمته من الغلو والتشدد، لما في ذلك من آثار خطيرة على الدين والدنيا معًا، إذ كان الغلو سببًا رئيسًا في انحراف الأمم السابقة وهلاكها، وفي هذا السياق، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (...إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين). (3)

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج8، ص 161.

(2) انظر: عامري، سـامي، **براهين وجود الله**، (الخبر: تكوين، ط1، 1440هـ) ص 320–344.

(3) النسـائي، أحمد بن شـعيب بن علي بن سـنان أبو عبد الرحمن، **سنن النسائي** (القاهرة: دار الرسالة العالمية، ط1، 1439هـ) كتاب مناسـك الحج، باب التقاط الحصـى، ج5، ص 268، برقم (3057) خلاصة حكم المحدث الألباني: صحيح.

المطلب الثاني: أسباب التطرّف الفكري والديني: [1]

1. الجهل بتعاليم الدين، وضعف التأصيل الشرعي، وضعف العلم بمقاصد الشريعة: لا شك أن الجهل يُعدّ من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف الفكري والتطرف، إذ يحجب عن صاحبه الفهم السليم لكتاب الله تعالى ولسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فيقع في التأويل الفاسد والغلو، ومن هنا جاء التنويه القرآني بمكانة العلم وفضله، حيث قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر: ٩ وهذه الآية الكريمة تُظهر التمايز الجلي بين من استنار بالعلم والهدى، فكان على بصيرة من أمره، وبين من عاش في ظلمات الجهل، فصار عرضة للانحراف والزلل، فكثير من الشباب يتلقون الدين من مقاطع مجتزأة أو دعاة غير مؤهلين، ومن هنا نرى تنبيه الرسول عليه الصلاة والسلام من هذا المنزلق الخطير، فقال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا) [2] فالتطرّف ينشأ حين تُفهم النصوص بمعزل عن مقاصد الشريعة العليا، مثل الرحمة، التيسير، ورفع الحرج، وعليه، فإن العلاج الأصيل للتطرف والغلو يكمن في إشاعة العلم الشرعي الصحيح، وربط الناس بمصادر المعرفة الموثوقة، وتحصين العقول من الانخداع بالتأويلات الباطلة، تحقيقًا لمقاصد الشريعة في الاعتدال والوسطية.

2. غياب الوسطية: تُعَدّ الوسطية من أبرز الخصائص المميّزة لهذه الأمة، وهي المنحة الربانية التي اصطفاها الله تعالى لها؛ لتكون شاهدة على غيرها من الأمم، كما قال عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة:١٤٣. والإسلام بطبيعته دين اعتدال وتوازن، يجمع بين متطلبات الروح والجسد، ويؤسس لعلاقات قائمة على العدل والرحمة، غير أن غياب الوسطية يُفضي إلى اختلال ميزان العدالة، ويُنتج مظاهر سلبية خطيرة، مثل التفرّق والتعصب والغلو، بل قد يقود إلى العدوان والإجحاف، ومجانبة الرفق في مختلف المواقف، ومن ثمّ، فإن فقدان الوسطية لا يعني مجرد ميلٍ فكري، بل هو انحراف عن جوهر الإسلام، وانسلاخ عن سِمته الجامعة التي أرادها الله لهذه الأمة.

3. غياب الرقابة العلمية والشرعية: إن غياب الرقابة العلمية والشرعية على المحتوى المنشور في منصات التواصل الاجتماعي من أبرز الإشكالات المعاصرة، إذ تُتداول الأفكار والآراء والعقائد بلا مراجعة أو تمحيص، فتُنشَر كل المواد من غير ضابط ولا معيار، وهذا الفراغ الرقابي يفتح المجال أمام الانحرافات الفكرية والتأويلات الفاسدة، ويتيح لأصحاب الأهواء والمغالطات نشر شبهاتهم على نطاق واسع،

(1) انظر: الطنطاوي، رمضان عبد الحميد، **أسباب ظاهرة التطرف لدى طلاب الجامعة وأساليب الحد منها** (مصر: كلية التربية، د.ط، 2016م) ص 8_ 12

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه الجعفي، **صحيح البخاري** (بيروت: دار طوق النجاة، د.ط، 1433هـ) كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ج1، ص 50، برقم (100)

مما يهدد وعي الأفراد ويشوّه التصورات الدينية الصحيحة، ومن هنا تبرز الحاجة الملحّة إلى وجود مؤسسات علمية رصينة، وجهات شرعية معتمدة، تضبط ما يُطرح وتقدّم البدائل الصحيحة، حفاظًا على سلامة العقيدة والفكر.

4. التأثر بالأفكار المنحرفة والجماعات والمنظمات المتطرفة: يُعدّ التأثر بالأفكار المنحرفة والجماعات المتطرفة من أخطر مظاهر الانحراف الفكري، وقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من فئة الخوارج بقوله :(يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) [1] فيه إشارة إلى سرعة انحرافهم عن جادة الحق، وبعدهم عن روح الشريعة، ومع التطور التقني، وجدت هذه الجماعات في منصات التواصل الاجتماعي مجالًا واسعًا لنشر أفكارها الهدّامة، واستغلال حاجة الشباب وتطلعاتهم، فتعمل على بث الشبهات، وتزييف المفاهيم، وتجنيد الأفراد عبر خطاب عاطفي وشعارات مضللة تُخفي وراءها مقاصد التخريب والعدوان.

5. المشاكل النفسية والاجتماعية: هي من أبرز العوامل التي تهيئ بيئة خصبة للتطرّف والانحراف الفكري؛ فالفقر، والشعور بالتهميش، والإحساس بالظلم، وغياب العدالة الاجتماعية، كلها ظروف تضغط على الأفراد، ولا سيما فئة الشباب، وفي ظل هذه الأزمات، قد ينشأ الميل إلى ردود أفعال متطرفة، حيث يبحث بعضهم عن بدائل تعويضية تمنحهم الإحساس بالقوة أو الانتماء، فيجدون في الجماعات المتشددة متنفسًا زائفًا لمعاناتهم، أو إطارًا يُوهمهم بتحقيق العدالة المفقودة، وهكذا تتحول الأزمات الاجتماعية إلى بوابة خطيرة يستغلها دعاة الغلو لاستقطاب الشباب واستمالتهم نحو مسارات منحرفة.

6. قيام منصات التواصل بترشيح مقاطع تحمل أفكارًا متطرفة: تسهم خوارزميات منصات التواصل الاجتماعي في ترشيح وتقديم محتوى متطرف للمستخدمين بناءً على تفضيلاتهم ومشاهداتهم السابقة، وهو ما يؤدي تدريجيًا إلى تطبيع الأفكار المتشددة وتعزيزها في السلوك والأقوال والاعتقادات، هذه الآلية الرقمية، التي تستهدف زيادة التفاعل فقط، قد تُحوّل الفضاء الرقمي إلى بيئة محفزة للانحراف الفكري، حيث يجد المستخدم نفسه محاطًا بمحتوى متشابه يدفعه نحو التبني النفسي لهذه الأفكار دون وعي كامل، مما يضاعف من تأثير الجماعات المتطرفة ويزيد من احتمالات الانخراط فيها.

المطلب الثالث: مظاهر التطرف الفكري.[2]

- التعصب للرأي بحيث يرى أنه وحده الذي

(1) متفق عليه: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم، ج9، ص 162، برقم (7562). / النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، (القاهرة: البابي، ط1، ١٣٧٤هـ) كتاب الزكاة، باب الخوارج شر الخلق والخليقة، ج2، ص750، برقم (1068).

(2) حسن، بادى محمود، **التطرف الفكري دراسة من منظور الكتاب والسنة**، (د.م: د.ن، د.ط، د.ت) ص13-17. باختصار

يملك الحق وغيره على باطل.

- عدم الرغبة في الحوار والنقاش الهادئ؛ للوصول إلى نقطة التقاء، يتمحص فيها الحق، ويزهق فيها الباطل.
- التشدد والغلو في الرأي، إذ يدفع التطرفُ الفكري صاحبه إلى اعتناق أشد الآراء
- الخشونة في الأسلوب، والغلظة في التعامل، دون الحسنى في الحوار واللين في المعاملة.
- سوء الظن بالآخرين، والنظر إليهم نظرة تشاؤمية.
- العجلة في إصدار الأحكام على الناس، على الرغم من أن ديننا يحتم علينا ألا نتعجل في الحكم.
- التزام التشدد، مع قيام واجبات التيسير، مع أن التيسير صفة بيّنة واضحة في جميع أحكام الشريعة الإسلامية.
- إنكار ما لم يُتّفق على إنكاره، ولا ريب أن المسائل الخلافية في الأحكام ليست محلا للإنكار والاعتراض، ما دام تدور حول الخلافات المعتبرة بين الأئمة المعتبرين.
- سوء المعالجة لأخطاء المجتمع والأفراد.

المطلب الرابع: الآثار السلبية للتطرّف الفكري والديني. [1]

1. زعزعة العقيدة لدى الشباب وتشويه صورة الإسلام والمسلمين، وترويج مفاهيم منحرفة عن الله سبحانه وتعالى، والجنة، والجهاد، والولاء والبراء، فالأعمال المتطرفة تسيء للإسلام وتُظهره كدين تشدد وعنف.
2. تمزيق وحدة الأمة والمجتمعات، فيؤدي التطرف إلى الفُرقة، وظهور جماعات متناحرة، فيتحول الخلاف إلى تكفير وقتال وفتنة، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض). [2]
3. اضطراب الأمن وزعزعة الاستقرار، فالعنف الناتج عن التطرّف يهدد الأمن القومي والاجتماعي.
4. زرع الكراهية بين أفراد المجتمعات، وذلك يتسبب في خلق بيئة خصبة للصراع بين الثقافات والأديان والأشخاص.
5. نشر العزلة والانطواء، ينعزل المتطرف عن أهله ومجتمعه، ويعيش في عالم فكري مغلق.

المطلب الخامس: طرق التصدي للتطرّف الفكري والديني.

1. تعزيز الوسطية والاعتدال في التربية والتعليم الديني ركيزة أساسية للحفاظ على التوازن الفكري والسلوكي لدى الأفراد، ولإكساب الشباب فهْمًا صحيحًا لدينهم بعيدًا عن الغلو أو التفريط، وقد جاء التأكيد القرآني على هذا التوجه في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ الأنبياء: ١٠٧

(1) انظر: السالم، فاطمة، **مواقع التواصل والتطرف الفكري**، (مصر: المجلة المصرية، د.ط 2022م) ص 628_634

(2) متفق عليه: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض"، ج9، ص 50، برقم (7075). / مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض"، ج1، ص 81، برقم (65).

حيث بيّن الله سبحانه أن رسالته رحمة للعالمين، مما يستلزم تقديم الدين بأسلوب يرسّخ اليسر والاعتدال والتسامح.

ويؤكّد الحديث النبوي الشريف قول النبي عليه الصلاة والسلام: (إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة) [1] هذا المعنى ذاته، حيث يدعو النبي عليه الصلاة والسلام إلى الاعتدال في الدين والممارسة العملية، وعدم التشدد بما يرهق النفس أو يؤدي إلى الانحراف، ومن هنا يتضح، أن تعليم الإسلام كدين رحمة وتسامح ووسطية هو السبيل الأمثل لبناء مجتمع متوازن فكريًا وسلوكيًا، قادر على مواجهة التطرف الفكري والانحرافات الفكرية التي قد تنتشر عبر وسائل التواصل الرقمي.

2. نشر العلم الشرعي التأصيلي الصحيح، يُشكّل نشر العلم الشرعي التأصيلي الصحيح حجر الزاوية في مواجهة الانحراف الفكري والتطرف، ويجب أن يتم ذلك عبر العلماء الربانيين الثقات والمؤسسات الشرعية الموثوقة، لضمان وصول المعرفة السليمة إلى جميع الفئات، وخاصة الشباب، كما يقتضي العصر الرقمي بناء منصات تعليمية رقمية متخصصة تهدف إلى تبسيط العلوم الشرعية ونشرها بشكل منضبط ومتوافق مع مقاصد الشريعة، لتكون بديلًا فعالًا لمصادر المعلومات المغلوطة، ويؤكد الله تعالى هذا المعنى في كتابه الكريم: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ النحل: ٤٣ حيث يوجه المؤمنين إلى التعلم من العلماء الثقات والعمل بعلمهم، إيمانا بأن المعرفة الصحيحة تُشكل الحصن الواقي للفرد والمجتمع، وتمنع الانجراف وراء الأفكار المنحرفة والشبهات التي تنتشر بسهولة في الفضاء الرقمي.

3. يُعدّ فتح باب الحوار والتفاهم مع الشباب استراتيجية أساسية للتعامل مع الشباب المتأثرين بالأفكار المنحرفة على منصات التواصل الاجتماعي، إذ يتيح لهم فرصة للتوجيه والإرشاد، والرد على الشبهات الفكرية بشكل علمي وهادف، ويمكن تطبيق هذه الاستراتيجية من خلال قنوات رقمية مهيكلة للحوار المباشر، بالإضافة إلى اللقاءات التربوية المباشرة في المدارس، والجوامع، والأندية، حيث يلتقي الشباب بالخبراء والمربين في بيئة آمنة تشجع على النقاش العقلاني وتحصينهم من الانجراف وراء المحتوى المتطرف.

4. معالجة أسباب التطرّف: من فقر، وبطالة، وظلم.

5. يشكّل تفنيد الشبهات والرد على الفكر المنحرف بالحجة الشرعية والعقلية ركيزة أساسية في حماية الشباب والمجتمع من الانحراف الفكري والتطرف الرقمي، فالتعامل مع هذه الأفكار لا يكون بالإنكار أو التجاهل، بل بالمعالجة العلمية والشرعية المنهجية التي توضح الحقائق وتفنّد المغالطات، مستندة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، مع استخدام العقل والحجة في إقناع المخطئين وإعادة توجيههم، ويؤكد الله تعالى هذا المبدأ في كتابه الكريم:

(1) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج 1، ص 16، رقم (39).

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ النحل: ١٢٥ حيث أمر بالجدال بالحسنى والرد على الشبهات بالحجة الواضحة، ليكون المؤمن متزنًا في فكره، مصونًا في عقله من الانحراف، ويصبح المجتمع محصنًا ضد التزييف الفكري والخداع الرقمي.

6. الرقابة التقنية الرقمية وضوابط المحتوى المتطرف، من الأدوات الأساسية لحماية الأفراد والمجتمعات من الانحراف الفكري والأفكار الضارة المنتشرة عبر الفضاء الرقمي، ويجب أن تُطبق هذه الرقابة مع الحفاظ على حرية التعبير السليم، بما يضمن عدم التضييق على الحق في الرأي والنقاش البناء، وفي الوقت ذاته يُحدّ من انتشار المحتوى المضلل والمتطرف الذي قد يستقطب الشباب ويؤثر في سلوكهم وعقائدهم.

7. بيان خطورة الغلو والتكفير، يعتبر الغلو في الدين والتكفير الباطل للآخرين من الممارسات الخطيرة التي تهدد تماسك المجتمع وسلامة الفكر الإسلامي، فقد حذر النبي عليه الصلاة والسلام من الدعاء على شخص بالكفر أو وصفه بكونه عدو الله دون دليل شرعي، فقال: (ومن دعا رجلا بالكفر، أو قال عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه.) [1] وقد فسّر المازري رحمه الله تعالى معنى قوله: "إلا حار عليه" فمعناه رجع عليه، والحور الرجوع، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۞ ﴾ الانشقاق: ١٤، وقوله عليه الصلاة والسلام: (أعوذ بك من الحور بعد الكور) [2] " [3] فيه إشارة إلى الانزلاق وراء الغلو الذي يؤدي إلى ارتكاب المحظورات ومواجهة العواقب الوخيمة، ومن هذا المنطلق، يظهر أن الاعتدال والوسطية في الحكم على الناس وحماية النفس من الغلو هما ضمان لاستقرار الفرد والمجتمع، وصيانة للمنهج الإسلامي الصحيح من الانحرافات الفكرية والعملية.

8. تُمثل مساندة ودعم البرامج الوقائية من الركائز الأساسية في تعزيز الوعي الديني والاجتماعي لدى الشباب، وتشمل هذه البرامج حملات التوعية في المدارس، والجامعات، والمساجد، التي تهدف إلى تثقيف الأفراد حول مخاطر الانحراف الفكري، وغرس قيم الوسطية والاعتدال، وترسيخ الفهم الصحيح للدين والمجتمع، ويكمن الهدف من هذه الجهود في تحصين المجتمع، وتهيئة بيئة إيجابية تمنع الانجراف وراء الفكر الضار، وتعزز مناخ الحوار والتربية البناءة.

أحيانًا يتم تحريف الالتزام الديني المشروع، وتصويره على أنه تطرف، مما يستدعي توخي الوعي النقدي والرصانة الفكرية لحماية الفهم الصحيح للدين، وصونه من التأثيرات الخارجية المغرضة، وقد

(1) النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، ج1، ص 79، برقم (61)

(2) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، (بيروت: دار الغرب، ط1، 1996م) أبواب الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم، باب ما يقول إذا خرج مسافرا، ج5، ص 438، برقم (3439) خلاصة حكم المحدث الألباني: صحيح

(3) المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المالكي، **المعلم بفوائد مسلم**، (الجزائر: الدار التونسية للنشر، ط2، 1409هـ) ج1، ص 296

"أصبحت كلمة (التطرف الديني) تشغل بال الغيورين على هذه الأمة، وما يدبر لها من مكائد الأعداء، خاصة من صنع أعداء الإسلام الذين يعمدون إلى بعض المظاهر الشاذة فيضعونها تحت المجاهر ويوجهون إليها الأنظار ويغرون بها الحكام والمنفذين، بهدف إيجاد حالة من الرعب والإرهاب الفكري، لشل حركة الدعوة إلى الله تعالى، والتشكيك بوسائلها، وأصبحت هي كلمة حق أريد بها باطل، ويعدون مجرد الالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه تطرفا دينيا، وكثير ممن غزته الأفكار والتقاليد الأجنبية يرى الذين يتمسكون بآداب الإسلام في المأكل والمشرب والملبس والزينة ونحوها غاية في التطرف والتعصب، وحتى هناك من يعد إطلاق اللحية من الفتى، أو التزام الحجاب من الفتاة تطرفا في الدين."[1]

إن تبنّي الأفكار والمعتقدات المتطرفة المتشددة غير المرنة، وانتشار الجماعات الإرهابية عبر المنصات الإلكترونية، تطرفًا متأرجحًا بين الغلو والجفاء، وله تأثيرات كبيرة على المجتمعات، وهم يهدفون لاستقطاب الشباب خاصة؛ لأنهم مِقود التغيير، وهم عماد الحاضر، وبناة وقادة المستقبل، وقوى لا يستهان بها؛ لإحداث نقلة نوعية لأوطانهم ومجتمعاتهم.

إن التطرّف الفكري والديني عبر مواقع التواصل الاجتماعي يمثل خطرًا كبيرًا من الناحية العقدية والأمنية، يهدد الأمة في عقيدتها واستقرارها، والإسلام بريء من كل فكر منحرف يدعو للغلو أو التكفير أو العنف، وقد نبّه الإسلام على خطورة الغلو والتكفير، ودعا إلى العلم والحكمة والموعظة الحسنة، ومع توسّع الفضاء الرقمي، ينبغي أن يكون للأمة الإسلامية خطاب رقمي راشد، قائم على الوسطية، يرد على الشبهات، ويحاصر منابع الانحراف، ويقود الشباب بالعلم نحو الوعي والبصيرة، فواجبنا جميعًا كأفراد ومؤسسات الوقوف صفًا واحدًا في وجه هذا الخطر، من خلال تعزيز التعليم الديني الصحيح، ومحاربة الجهل، ونشر ثقافة الحوار.

المبحث الثالث: الإباحية ونشر المحتوى غير الأخلاقي عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

إن نشر أو تبادل المحتوى غير الأخلاقي الذي يدعو إلى الانحلال من كل فضيلة، والحث على الوقوع في الفاحشة، ويكون ذلك بنشر المحتوى الجنسي الصريح أو المثير عبر الإنترنت، على شكل صور، أو فيديوهات، أو نصوص، أو حتى رسائل خاصة.

المطلب الأول: التعريف بالمفاهيم الأساسية:

1. الإباحية: هي كل ما يقدم من محتوى جنسيًا فاضحًا بغرض الإثارة، وهذه المحتويات المرئية أو المسموعة أو المكتوبة، تشمل الصور الفاضحة، والفيديوهات المخلة بالذوق العام، والنصوص المثيرة للغرائز، ويهدف غالبًا إلى إثارة الغرائز، أو تحقيق مكاسب تجارية، أو ترفيهية منحرفة، أو التأثير الفكري الثقافي على المجتمعات.

2. المحتوى غير الأخلاقي: تشمل كل ما يخالف المبادئ الدينية والقيم المجتمعية، من محتويات تشجع

(1) الصيني، صالح حبيب الله، **وسطية الإسلام** (السعودية: وزارة الأوقاف السعودية، د.ط، د.ت) ص 10.

على الشذوذ، أو الانحرافات السلوكية، أو الاستهزاء بالثوابت والقيم، أو السخرية من المقدسات.

المطلب الثاني: أسباب انتشار الإباحية والمواقع غير الأخلاقية:

أ. ضعف الوازع الديني والأخلاقي: الجهل بالضوابط الشرعية والأخلاقية يسهم في الانجراف خلف هذه المواد دون وعي بمخاطرها، مما يؤدي إلى التساهل في الولوج في مستنقعاتها.

ب. ضعف الضوابط التقنية والرقابية لدى الأسرة: يجهل كثير من الآباء كيفية التعامل مع الأبناء، وضبط استعمالهم للتقنية، وكذلك لا يعرفون أساليب حماية الأبناء في العالم الرقمي، مما يزيد من قابلية التعرض لهذه المحتويات الفاسدة.

ج. الفراغ والبطالة وضعف الهوية: يشكّل الفراغ أرضًا خصبة للتأثر بالمحتويات الضارة، خاصة في غياب البدائل الإيجابية، ومع كثرة أوقات الفراغ، تدفع الشباب لاستهلاك محتويات ضارة بحثًا عن المتعة الجنسية أو التسلية.

د. الرغبة في الشهرة وتحقيق الربح المادي السريع: يسعى بعض المستخدمين إلى جذب انتباه المتابعين والإعجاب بمحتواهم بأي وسيلة، حتى ولو كانت منحرفة أخلاقيًا على حساب القيم والأخلاق، والعادات والتقاليد والأعراف.

هـ. ضعف الرقابة على المنصات والمحتويات الرقمية: تتسم كثير من المنصات بالتساهل في ضبط المحتويات، وكثير من المواقع لا تضع قيودًا حازمة على نوعية المحتوى، أو قد تتعمد ترويج المقاطع الإباحية لأغراض تجارية بحتة.

و. الانفتاح غير المنضبط على ثقافات شرقية أو غربية: الانفتاح على ثقافات شرقية أو غربية تروج للحرية المطلقة دون ضوابط فإنه يفسح المجال لتقبل الانحرافات في الأفكار والتعبير والسلوك.

إن انتشار الإباحية في مواقع التواصل الاجتماعي يشكل تحديًا كبيرًا ينخر في منظومة القيم الأخلاقية، ولا يستهدف الشباب فحسب، بل يصل تأثيره إلى جميع فئات المجتمع، نساءً ورجالًا، صغارًا وكبارًا، ويترك آثارًا سلبية وخطيرة، ومن هذه الآثار:

المطلب الثالث: الآثار السلبية لانتشار ظاهرة الإباحية في وسائل التواصل الاجتماعي.

أصبحت وسائل التواصل، بوابة مفتوحة أمام موجات المحتوى غير الأخلاقي، وعلى رأسه المحتوى الإباحي، الذي يغزو الأجهزة والعقول دون استئذان، وإن تفشي هذه الظاهرة لا يمثل انحرافًا فرديًا، بل يعد تهديدًا للمنظومة القيمية والدينية في المجتمعات، بما يخلّفه من آثار مدمّرة على الفرد، والأسرة، والمجتمع، وفيما يلي بيان لأبرز هذه الآثار:

أولًا: الآثار السلبية على مستوى الفرد.

1)ضعف الإيمان وضمور الحياء :يُفضي التعرض للمحتوى الإباحي إلى تبلّد الإحساس الإيماني وفقدان الحياء الذي قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام: "الحياء لا يأتي إلا بخير" [1]. 2)الانحراف الأخلاقي والسلوكي :تزداد قابلية الفرد لتقبّل المحرمات والاستهانة بالذنوب، مما يُضعف الضمير الأخلاقي. 3)الإدمان والاضطرابات النفسية :قد يتحول الأمر إلى إدمان يؤثر في الإرادة والتركيز،

(1) متفق عليه، البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب: الحياء، ج5، ص 2267، برقم (5766). / النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، ج1، ص 64، برقم (37)

ويسبب القلق والاكتئاب ومشكلات نفسية وجسدية. 4)الضعف الجنسي والمشكلات الزوجية : تُضعف المشاهدة القدرة على التفاعل العاطفي والجنسي الطبيعي، مما يؤدي إلى توتر العلاقة الزوجية.

ثانيًا: الآثار السلبية على مستوى الأسرة

1)تفكك الروابط الأسرية: الانشغال بالمحتوى الفاسد يضعف التواصل العاطفي ويُحدث جفاء داخل الأسرة. 2)زعزعة الثقة وفتح باب الخيانة: تزداد فرص الخيانة العاطفية أو الفعلية، مما يهدد استقرار الأسرة. 3)ضعف التواصل بين الأجيال: الانغماس في الشاشات يبعد الآباء عن الأبناء، ويتركهم عرضة للمؤثرات الخارجية.

ثالثًا: الآثار السلبية على مستوى المجتمع

1)إضعاف الهوية الدينية وزعزعة الثوابت: يؤدي انتشار الإباحية إلى تراجع الالتزام الشرعي والاستهانة بالحدود. 2)تفكك النسيج القيمي والثقافي: تُعاد صياغة مفاهيم العفة والرجولة والأنوثة ضد الفطرة، مما يربك الهوية المجتمعية. 3)تشويه صورة المجتمع الإسلامي: تُستغل الظاهرة للطعن في أخلاق المجتمع المسلم وتشويه رسالته. 4)ارتفاع الجرائم الأخلاقية: يُسهِم التعود على المحرمات في زيادة التحرش والابتزاز والجرائم ذات الصلة.

إن التصدي لظاهرة الإباحية والمحتويات المنحرفة ليس حكرًا على جهة واحدة، بل هو واجب تكافلي يتطلب تنسيق الجهود بين: [1]

- الأسرة: عبر التربية الصالحة الواعية والقدوة الحسنة.
- المؤسسات الدينية: من خلال التوجيه والبيان والإرشاد.
- الجهات التعليمية: عبر إدراج مفاهيم القيم، ووضع خطط وقائية وبنائية وعلاجية للحفاظ عليها.
- السلطات التشريعية: بوضع أنظمة صارمة؛ تحاصر هذا المحتوى وتجريمه وتعاقب عليه.
- الجهات التقنية والإعلامية: بتفعيل أدوات الرقابة، وبناء بدائل إعلامية هادفة.

وإن كانت التقنية قد فتحت الأبواب على مصراعيها، فإنّ الوازع الإيماني والتقوى يظلّ الحصن الأوثق، والسياج الأقوى، في مقاومة هذا السيل الجارف من الفساد، إن التصدي لظاهرة نشر الإباحية والمحتويات غير الأخلاقية عبر مواقع التواصل واجب جماعي، يتطلب تضافر جهود الأسر، والمؤسسات الدينية، والتعليمية، والتشريعية، والتقنية، فالوقاية تبدأ من غرس الوعي الذاتي والتربية القيمية، وتنتهي بإنشاء منظومة حماية رقمية متكاملة.

وسنوضح في الفصل القادم طرق العلاج لهذه الانحرافات الفكرية، مستنيرين بأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ مع الرجوع لتفاسير السلف الصالح وأقوال العلماء الراسخين. نسأل الله تعالى الفتح والسداد.

الفصل الثاني: علاج الانحرافات الفكرية، المستنبطة من القرآن الكريم،[2] وتفسير العلماء لها، وفيه ثلاثة مباحث.

يُعدّ العلاج ضرورة ملحّة لاستعادة التوازن النفسي والجسدي للإنسان، وتحقيق الطمأنينة التي تمكّنه من عبادة الله تعالى بقوة ونشاط، والإسهام في عمارة الأرض، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: (المؤمن

(1) انظر: الشهراني، محمد سعد بقنة، الوسائل **الدعوية لمقاومة الإباحية**، (الحديدة: مجلة أبحاث، ط1، 2023م) ص 475_487

(2) انظر: حسن، **التطرف الفكري دراسة من منظور الكتاب والسنة**، ص 20-21/ وانظر داود، **الانحراف الفكري الوقاية والعلاج في ضوء القرآن دراسة موضوعية**، ص 883-896

القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير،..) [1] كما دعا الإسلام إلى التداوي من الأمراض، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (نعم، يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء)[2] ويقوم مبدأ التداوي في الإسلام على الأخذ بالأسباب الشرعية والطبيعية معًا، في تجلٍّ واضحٍ لتوازن هذا الدين بين الإيمان العميق والعمل بالأسباب.

المبحث الأول: العلاج الإيماني والفطري.

يركّز على تقوية الصلة بالله تعالى، وإحياء الفطرة السليمة التي تحصّن الإنسان من الانحراف.

المطلب الأول: الاهتمام بالفطرة السليمة.

خلق الله تعالى الإنسان مفطورًا على حبّ الحق والبحث عنه، وميل النفس إلى الخير، ونفور القلب من الباطل، والفطرة السليمة هي البذرة الأولى للصلاح والهدى، والنواة الطاهرة التي إذا رُويت بماء الوحي نبتت إيمانًا ويقينًا بالله تعالى، وإذا أُهملت ضلّت وانحرفت عن جادة الطريق، وقد أولت الشريعة الإسلامية الفطرة عناية عظيمة بالغة، فصانتها، وشرّعت من الأحكام ما يحميها من التحريف والتبديل.

فما من أمرٍ أمرَ به الإسلام إلا وهو موافق للفطرة وتحتاجه، وما من نهيٍ نهى عنه إلا وهو مما تنفر منه النفوس السوية وتأباه، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ، فأبَواهُ يُهَوِّدانِهِ، أوْ يُنَصِّرانِهِ، أوْ يُمَجِّسانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هلْ تَرى فِيها جَدْعاء) [3] وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الروم: ٣٠، قال البيضاوي رحمه الله في تفسيره: "﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ فَقَوِّمْهُ له غير مُلتفت أو ملتفت عنه، وهو تمثيل للإقبال والاستقامة عليه والاهتمام به، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ خلقته، ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه، أو ملة الإسلام فإنهم لو خُلُّوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها، وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته، لا يقدر أحد أن يُغَيِّرَهُ أو ما ينبغي أن يُغَيَّرَ".[4] ويظهر من ذلك أن الإسلام يركّز على إحياء الفطرة النقية التي تنسجم مع الإيمان بوجود الله تعالى، والاعتراف بربوبيته، وتستلزم توحيده وإفراده بالعبادة. ويظهر من ذلك أن الإسلام يركّز على إحياء الفطرة النقية التي تنسجم مع الإيمان بوجود الله تعالى، والاعتراف بربوبيته، وتستلزم توحيده وإفراده بالعبادة.

المطلب الثاني: الدعاء والالتجاء إلى الله عز وجل.

أودع الله في الإنسان فطرة صافية نقية، وهداه النجدين وبيّن له طريق الهداية والضلال، فجعل له

(1) النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، ج4، ص 2052، برقم (2664).

(2) الترمذي، **سنن الترمذي** أبواب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، ج4، ص 129، برقم (2159). خلاصة حكم المحدث الألباني: حسن صحيح

(3) متفق عليه، البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي هل يصلى عليه، ج2، ص 94، برقم (1358)./ النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ج4، ص 2047، برقم (2658).

(4) البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (د.م: دار الرسالة، ط1، 1430 هـ) ج4، ص 206.

طريقًا مستقيمًا، وطرائق شتّى تميل به عن الجادّة، ولما علم سبحانه وتعالى ضعف العبد وحاجته للهداية، فتح له بابًا لا يُغلق، وهو باب الدعاء، إنه سلاح المؤمن، والحبل المتين في زمن الفتن ومضلات الفطرة، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ غافر: ٦٠.

فالدعاء سلاح عظيم، له أثر كبير في إيجاد الاستقرار النفسي والأمن الفكري، والدعاء مع بذل السبب في العلاج، فهذان لا ينافيان التوكل على الله تعالى، والمسلم يكرر كل يوم في صلاته، دعاء عظيم وهو سؤال الله تعالى الهداية، قال الله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ الفاتحة: ٦. وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل، أن يستفتح صلاته بهذا الدعاء، كما روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرائِيلَ، وَمِيكائِيلَ، وإِسْرافِيلَ، فاطِرَ السَّمَواتِ والأَرْضِ، عالِمَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بيْنَ عِبادِكَ فِيما كانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِما اخْتُلِفَ فيه مِنَ الحَقِّ بإِذْنِكَ؛ إنَّكَ تَهْدِي مَن تَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) [1] وفي زمن تكدّرت فيه الفطر بحب الدنيا والانغماس في الغفلة، واختلط فيه الحق بالباطل، وغزت العقول الشبهات، وتلوثت النفوس بالشهوات، بات الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء هو السبيل إلى النجاة، ووسيلة الثبات على الحق، فما من عبد اعتصم بالله تعالى إلا هُدي، وما من قلب رفع أكفّ الضراعة إليه إلا أُجِيب، ولو بعد حين، ولذا كان من أعظم ما يُطلب في الدعاء: الهداية إلى الصراط المستقيم، والثبات على الحق المبين.

المطلب الثالث: إثارة الوجدان من خلال آيات الرحمة والعذاب.

يمتاز القرآن الكريم بقدرته على مخاطبة الإنسان بجميع مكوناته النفسية والعقلية والروحية، فيجمع بين التأثير العقلي بالدليل والبرهان، والتأثير الوجداني بالعاطفة، ومن أعظم الأساليب القرآنية في الرد على الشبهات وتقويم الانحرافات إثارة الوجدان الإنساني من خلال التصوير البليغ لآيات الرحمة والعذاب، وذلك بإيقاظ القلب من غفلته، وإحياء الفطرة الكامنة في أعماق الإنسان، وردّه إلى جادّة الرشد والصواب. قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ۝٣٠﴾ الملك: ٣٠ قال ابن سعدي رحمه الله تعالى: "ثم أخبر عن انفراده بالنعم، خصوصًا بالماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، فقال: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا﴾ غائرًا ﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ۝٣٠﴾ تشربون منه، وتسقون أنعامكم وأشجاركم وزروعكم؟ وهذا استفهام بمعنى النفي، لا يقدر أحد على ذلك غير الله تعالى"[2]

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ الزمر: ٥٣، هذه الآية من أرجى آيات القرآن الكريم،

(1) النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ج1، ص534، برقم (770).

(2) ابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص 878.

تخاطب النفس القانطة اليائسة من رحمة الله تعالى، وتستنهض الوجدان، وتفتح أبواب الرحمة والرجاء أمام من أسرفوا في اقتراف الذنوب والمعاصي والتقصير، الأسلوب العاطفي يحمل نبرة الرحمة، وفيه نداء خاص "يا عبادي"، مما يرقق القلب ويعيده من الانحراف إلى جادة الطريق.

إن توظيف آيات الرحمة والعذاب لإثارة الوجدان أسلوب قرآني ونبوي أصيل، لا ينفصل عن منهج الدعوة ولا عن أساليب الرد على الشبهات الفكرية، خاصة في زمن كثر فيه الخطاب الإلحادي الجاف الذي يعطّل مشاعر الإنسان الفطرية، ويغرقه في المادية، وهنا تبرز الحاجة الملحة إلى استحضار هذا الجانب القرآني العميق، في مخاطبة من تأثّروا بالشبهات، لعل قلوبهم ترقّ، ووجدانهم يتحرك، وعقولهم تعود إلى نور الوحي بعد ظلمة الضلال.

المبحث الثاني: العلاج الفكري والعقلي.[1]

يُعنى بتصحيح مسار التفكير، وتحصين العقل بالحجة والبرهان، ومواجهة الشبهات بالفهم الراسخ والعلم الصحيح.

المطلب الأول: تحفيز العقل على التفكير والتأمل في آيات الله تعالى.

القرآن الكريم لا يمنع التفكر، بل يدعو إليه، شريطة أن يكون ضمن إطار الحق والهدى، ويُبعِد عن التبعية العمياء والانقياد للأهواء، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ الأعراف: ١٨٥.

إن التأمل في آيات الله الكونية والتفكر في مخلوقاته العجيبة من سماء وأرض، وكواكب ونجوم، وشمس وقمر، وجبال وسهول وأشجار، وليل ونهار؛ لمن أعظم دواعي تقوية الإيمان بالله تعالى في قلب المسلم، وتثبيته على الحق، وحمايته عن الانحراف، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٩٠، قال ابن سعدي رحمه الله تعالى في تفسيره : "وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله آيات، ولم يقل : على المطلب الفلاني إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه، وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره، وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم." [2] وهنا يظهر جليًا أن الإسلام لا يكتفي بتعزيز التفكير النقدي، بل يضبطه بنور

(1) انظر: الشهراني، محمد سعد بقنة، الوسائل **الدعوية لمقاومة الإباحية**، (الحديدة: مجلة أبحاث، ط1، 2023م) ص 498_488

(2) ابن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ص 161.

الوحي وموازين الحق؛ ليبقى الإنسان مهتديًا لا متحيّرًا، فلا يُترك الإنسان نهبًا للعقول المضللة، ولا للمنصات التي تبث الشكوك، بل يدعو إلى إعمال عقله فيما يوصله إلى الحق واليقين، ويحذره من إتباع الظن والتقليد الأعمى.

المطلب الثاني: إقامة الحُجج والبراهين العقلية للرد على الشبهات.

إقامة الحجج والأدلة العقلية تُعدّ ركنًا أصيلًا في الدفاع عن الدين، وتصحيح المفاهيم، ومواجهة موجات التشكيك التي تتخفّى بثوب العلم أو الحرية، وهي سبيل إلى ترسيخ اليقين في النفوس، وتحصين الشباب من الانجراف وراء المضللين، لا سيما في وسائل التواصل التي تغزوه التيارات الهدامة بأساليب معقدة ومضللة، ومن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل الإسلام دين الفطرة والعقل، لا يصادم بديهة، ولا يعارض منطقًا صحيحًا، بل يقوم على استخدام الدليل العقلي جنبًا إلى جنب مع الدليل النقلي، وبيّن القرآن الكريم هذا المنهج الرباني في مواضع كثيرة، حيث استخدم الأسلوب العقلي في دعوة غير المسلمين من المشركين، وكذلك مجادلة أهل الكتاب، والرد على منكري البعث، وفي ضرب الأمثال، والاستدلال بآيات الكون والخلق، وهذا يدل على أن الإسلام دين يحترم العقل، ويخاطبه بالحجة، ويستنكر التقليد الأعمى واتباع الظن، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الطور: ٣٥، قال الجزائري رحمه الله تعالى: "بعد أن أمر تعالى رسوله بالتذكير وأنه أهل لذلك لما أفاض عليه من الكمالات وما وهبه من المؤهلات، أخذ تعالى يلقن رسوله الحجج فيذكر له باطلهم موبخاً إياهم به، ثم يدمغه بالحق في أسلوب قرآني عجيب لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، ومنه قوله :﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ أي أُخلقوا من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ والجواب لم يُخلقوا من غير خالق، ولا هم خلقوا أنفسهم إذ الأول باطل فما هناك شيء موجود وجد بغير مُوجِد؟! والثاني محال، إن المخلوق لا يوجد قبل أن يخلق فكيف يخلقون أنفسهم وهم لم يخلقوا بعد؟! ويدل على جهلهم وعمي قلوبهم"[1] فالقرآن الكريم استخدم أسلوب الإقناع العقلي لإثبات وجود الله وبطلان الإلحاد، وفي مواجهة الشبهات الفكرية والعقدية التي تروّج لها بعض التيارات المعاصرة، خاصة عبر وسائل الإعلام، وتبرز الحاجة الماسّة إلى إقامة الحجج العقلية والبراهين المنطقية التي تُثبت حقائق الدين، وتُفند دعاوى الإلحاد والزندقة والتشكيك، فالشبهات لا تُزال بمجرد النصح، وإنما تدحض بالحجة والدليل، وذلك من خلال الحوار القائم على الدليل والبرهان، والمجادلة بالتي هي أحسن.

المطلب الثالث: الرد على الشبهات بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويكون ذلك بتعزيز العلم الشرعي تعلّمًا وعملاً وتطبيقًا، والردّ العقلي المستند إلى الشرع، ودراسة العقيدة الإسلامية وتعلم الردود العلمية على

(1) الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير** (المدينة: العلوم والحكم، ط3، 1418هـ) ج5، ص 183.

الشـــبهات مع تعميق الإيمان من خلال الأعمال الصـــالحة، فالإيمان يتجلى في الســـلوك والعمل، مع الاســـتعانة بالله تعالى بالدعاء واللجوء إليه، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

قـال الله تـعـالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ النحل: ١٢٥، قال الشـــوكاني رحمه الله تعالى في فتح القدير: "ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يدعو أمته إلى الإســـلام فقال :﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ وحذف المفعول للتعميم؛ لكونه بعث إلى الناس كافة، وسبيل الله هو الإســـلام بالحكمة أي بالمقالة المحْكَمَةِ الصـــحيحة، قيل وهي الحجج القطعية المفيدة لليقين ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ وهي المقالة المشـــتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها، قيل وهي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصـــديق بمقدمات مقبولة، قيل وليس للدعوة إلا هاتان الطريقتان، ولكن الداعي قد يحتاج مع الخصم الألد إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل، ولهذا قال الله ســبحانه: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي بالطريق التي هي أحســـن طرق المجادلة، وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محقا وغرضه صحيحا، وكان خصمه مبطِلا وغرضه فاسدا." (1)

المبحث الثالث: العلاج التربوي والمجتمعي

يتناول الجوانب العملية والســـلوكية في محيط الفرد والمجتمع؛ لبناء وعي جماعي متماســـك يواجه الفكر المنحرف.

المطلب الأول: أسلوب الحوار البنّاء.

لقد تجلّت في القرآن الكريم نماذج رفيعة للحوار، يقوم بها على العقل والإقناع لا على الإكراه أو الفرض، بل يُخاطب العقل ويوقظ الإيمان، إذ إن الحوار في منهج القرآن الكريم وســـيلة للإقناع لا للإلزام، ينبثق من قناعة داخلية ورضًـا قلبي، وهو ما حضّـت عليه الشـريعة، باعتباره السـبيل الأمثل للوصـول إلى الحق وترســـيخ اليقين، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ النحل: ١٢٥ وهنا نورد هذا الحديث العظيم في حوار النبي عليه الصـــلاة والســـلام لذلك الفتى الذي طلب منه الإذن بكبيرة من كبائر الذنوب وهي (الزنا)، وكيف أقنعه النبي عليه الصـــلاة والســـلام مخاطبا لعقله، مؤثرًا تبعًا في وجدانه ومشـــاعره، "إنَّ فَتًى شـابًّا أتى النَّبيَّ عليه الصـلاة والسـلام فقال: يا رســـولَ اللهِ، ائْذَنْ لي بالزِّنا، فأقبَلَ القَومُ عليه فزَجَروه وقالوا: مَهْ، مَهْ! فقال : ادْنُهْ، فدَنا منه قَريبًا، قال: فجَلَسَ، قال: أتُحِبُّه لأُمِّكَ ؟ قال : لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال : ولا النّاسُ يُحِبُّونَه لأُمَّهاتِهم، قال: أفتُحِبُّه لابنتِكَ ؟ قال : لا واللهِ، يا رسولَ اللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال : ولا النّاسُ يُحِبُّونَه لبَناتِهم، قال: أفتُحِبُّه لأُختِكَ ؟ قال : لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال : ولا النّاسُ يُحِبُّونَه لأَخَواتِهم، قال : أفتُحِبُّه لعَمَّتِكَ؟ قال : لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال : ولا النّاسُ يُحِبُّونَه لعَمّاتِهم، قال : أفتُحِبُّه لخالتِكَ؟ قال

(1) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، **فتح القدير** (دمشـــق: دار ابن كثير، ط1، 1414هـ) ج3، ص242.

: لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال : ولا النّاسُ يُحِبُّونَه لخالاتِهم، قال : فوَضَعَ يدَه عليه وقال : اللَّهُمَّ اغفِرْ ذَنبَه، وطَهِّرْ قَلبَه، وحَصِّنْ فَرْجَه، قال : فلمْ يَكُنْ بعدَ ذلك الفَتى يَلتفِتُ إلى شيءٍ." [1] فالحوار مهم جدا في تعديل السلوك، وبناء القيم، وتنمية التفكير، وصقل شخصية الفرد، كما يساعد على تنمية التفكير السليم ونشاط الذهن، ويقود إلى إدراك الحقائق.

المطلب الثاني: الاستفادة من التجارب السابقة، واستثمارها في مقاومة الفكر المنحرف.

إن الاستفادة من تجارب الآخرين منهج يحث عليه في الإسلام، فالقرآن الكريم عندما يتحدث عن حوادث ووقائع في حياة الأمم السابقة إنما يذكرها لأهداف عظيمة وغايات محددة، لعل من أبرزها:

أ) أخذ العظة والعبرة والاستفادة من التجارب السابقة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف: ١١١. ب) إثارة تفكير الإنسان لمعرفة سنن الله تعالى في الأرض والكون، وفي الخلق، ولرفع المعنويات وشحذ الهمم، قال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ الأعراف: ١٧٦، ت) تعريف الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم بطريق الثبات، قال الله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود: ١٢٠

المطلب الثالث: تعزيز الأنظمة والقوانين التي تُجرّم الفكر المنحرف.

إن بعض المخالفات الشرعية لا يوجد لها في الشرع عقوبة محددة، لذلك وجب على ولاة الأمر والجهات المختصة تقدير العقوبة المناسبة لها، وهذا يسمى في علم الفقه بـ (التعزير) وهو عبارة عن عقوبة مشروعة ليست مقدرة بحدّ أو كفارة، يقرّرها الحاكم أو القاضي بحسب اجتهاده، بناء على نوع الجريمة وحال الجاني، وذلك لتحقيق المصلحة العامة، وردع الجريمة، وحماية المجتمع.[2] قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ التوبة: ١١٨. وجه الدلالة من هذه الآية أن الرسول عليه الصلاة والسلام هجر ثلاثة من الصحابة رضوان الله عنهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك بلا عذر، فكان هذا الهجر لهم بمثابة التعزير، إلى أن نزلت توبة الله تعالى عليهم، وهناك أنواع من التعزير فمن أنواع التعزير: الهجر أو الحبس أو الجلد أو القتل حسب الذنب والفساد المترتبة على الجرم.

إن تطبيق العقوبات التعزيرية يُعدّ من الركائز الأساسية في تحقيق أمن الأفراد واستقرار الجماعات، لما يترتب عليه من مقاصد شرعية عظيمة، وآثار إيجابية، تعود بالنفع على المجتمع بأسره، ومن أبرز تلك الثمرات:[3]

أ. تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ

(1) ابن حنبل، أحمد، **مسند أحمد**، (د.م: الرسالة، د.ط، 1421هـ) ج3، ص 1587، برقم (21722) حكم المحدث الألباني: حديث صحيح.

(2) انظر: البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، **كشاف القناع عن متن الإقناع**، (الرياض: النصر، د.ط، 1388هـ) ج6، ص 121.

(3) انظر: حسن، **التطرف الفكري دراسة من منظور الكتاب والسنة**، ص ـ20-21/ وانظر داود، **الانحراف الفكري الوقاية والعلاج في ضوء القرآن دراسة موضوعية**، ص 883-896

الضروريات الخمس: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعِرض، والمال. ب. الوقاية من الجريمة وسد ذرائعها: حيث تردع العقوبة الجاني وتمنعه من العود إلى ارتكاب الفعل المنكر مرة أخرى، فيُغلق بذلك باب الفساد قبل أن يتسع. ج. تحقيق الردع العام والعظة لغيره: إذ يأخذ الناس العبرة بما يقع من العقوبة على من تُسوّل له نفسه انتهاك النظام، فيرتدع غيره عن الإقدام على الجريمة. د. نشر الأمن المجتمعي وتثبيت الطمأنينة: فبتنفيذ العقوبات تنحسر مظاهر الفوضى، ويشعر الناس بالاستقرار والسكينة، ما يُسهم في بناء بيئة صالحة مطمئنة وآمنة. هـ. علاج للجرائم المهددة لأمن المجتمع: حيث تسهم العقوبات التعزيرية في حماية النظام، وضبط السلوك العام، ليحيا الناس في كنف السلام والأمان. ولذلك، كان من الضروري شرعًا وعقلاً أن تُسنّ الأنظمة والتشريعات الرادعة، لما تُحققه من مصالح دنيوية وأخروية، تعزز أمن الأفراد، واستقرار المجتمعات، وتحفظ كيان الأمة ودينها.

هذا ما يسر الله تعالى تبيينه، وأعان على ذكره في علاج الانحرافات الفكرية في مواقع التواصل، أسأل الله تعالى السداد، فإن أصبت فهو فضل من الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم.

الفصل الثالث: دراسة أثر الانحرافات الأخلاقية في وسائل التواصل الاجتماعي على طلاب المرحلة الثانوية، في السعودية بجدة، وفيه ثلاثة مباحث:

تُعد المملكة العربية السعودية من أبرز دول العالم تأثيرًا ومكانةً، بفضل سيادتها الدينية وقيادتها الروحية في العالم الإسلامي، كونها مهد الوحي ومركز رسالة الإسلام، وتحتضن مكة المكرمة والمدينة المنورة، مستقبلة ملايين الحجاج والمعتمرين سنويًا، كما تبرز اقتصاديًا وسياسيًا وجغرافيًا، فهي أكبر دول الشرق الأوسط مساحة، وتلعب دورًا مؤثرًا إقليميًا وعالميًا، وعاصمتها الرياض، وتُعد جدة مدينة ساحلية رئيسية، تعرف بـ "بوابة الحرمين الشريفين" و"عروس البحر الأحمر"، وقد اختيرت مدينة جدة ميدانًا لتطبيق هذه الدراسة نظرًا لموقعها وأهميتها.

المبحث الأول: المعلومات الشخصية

المطلب الأول: المقدمة.

لقد قدمت الباحثة في هذا الفصل بـ (دراسة أثر الانحرافات الفكرية، في وسائل التواصل، على طلاب وطالبات المرحلة الثانوية، في المملكة العربية السعودية، بمدينة جدة) وقامت الباحثة بالوقوف على نتائج الاستبانة التي وضعتها بين يدي طلاب المرحلة الثانوية بجدة؛ لمعرفة أثر الانحرافات الفكرية على الطلبة، ثم الوصول للعلاج المستنبط من كتاب الله تعالى، وقد توصلت الباحثة إلى مدى صحة هذا الارتباط ونسبته، وتحليل أبعاده، وقارنت بين الأسباب النظرية وبين الواقع العملي.

المطلب الثاني: عدد العينة.

لقد شارك بالإجابة على الاستبانة (229) طالبا وطالبة من طلاب المرحلة الثانوية بجدة، ويشكّل هؤلاء مجتمع البحث لهذه الدراسة، وشملت الاستبانة عددا من المدارس الحكومية والأهلية في مختلف أحياء مدينة جدة .

الوصف التحليلي حول البيانات الشخصية: **الجدول رقم (1)** يوضح توزيع العينة حسب المرحلة الدراسية.

البيانات الشخصية	أولى ثانوي	ثاني ثانوي	ثالث ثانوي
العدد	83	83	63
النسبة المئوية	%36,2	%36,2	%27,5

يبين الجدول رقم (1) أن نسبة المشاركين في الاستبانة كان (36.2%) لكل من مرحلة أولى وثاني ثانوي، فيما بلغت نسبة المشاركين من مرحلة ثالث ثانوي (27.5%). ويُعزى ارتفاع نسبة مشاركة طلاب المرحلتين الأولى والثانية إلى وعيهم المتميز وحسهم العالي بالمسؤولية، إضافةً إلى حب الاطلاع والرغبة في إبداء الرأي، بينما كانت نسبة مشاركة طلاب الصف الثالث أقل نظرًا لانشغالهم بالأعباء الدراسية واختبارات القدرات والتحصيلي استعدادًا للمرحلة الجامعية.

الجدول رقم (2) يوضح توزيع العينة حسب الجنس.

البيانات الشخصية.		العدد	النسبة المئوية
الجنس:	ذكر.	74	%32.3
	أنثى.	155	%67,7

يبين الجدول أن عدد الطلاب الذكور بلغ (74) طالبًا بنسبة (32.3%)، فيما بلغ عدد الطالبات (155) طالبة بنسبة (67.7%). ويُعزى ارتفاع مشاركة الطالبات إلى تفاعل المعلمات معهن وتشجيعهن على الإجابة، إضافة إلى تفرغ الطالبات ومكوثهن في المنزل، مما سهّل إقبالهن على الاستبانة والتفاعل عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

الجدول رقم (3) يوضح توزيع العينة حسب مهنة الأب.

البيانات الشخصية.		العدد	النسبة المئوية
مهنة الأب:	موظف.	168	%73,4
	لا يعمل.	61	%26,6

يبين الجدول أن غالبية الآباء في العينة كانوا موظفين، حيث بلغ عددهم (168) أبًا بنسبة (73.4%)، ما يعكس استقرار الأسرة وقدرة الأب على تلبية الاحتياجات الأساسية وتعزيز القيم لدى الأبناء، أما الآباء غير العاملين فبلغ عددهم (61) أبًا بنسبة (26.6%)، ويُعزى ذلك لأسباب طبيعية كالتقاعد أو الوفاة، مع دعم الدولة والجهات الخيرية لتلبية احتياجات أسرهم والحفاظ على استقرارها الاجتماعي والتربوي.

الجدول رقم (4) يوضح توزيع العينة حسب مهنة الأم.

البيانات الشخصية		العدد	النسبة المئوية
مهنة الأم	لا تعمل.	176	%76,9
	موظفة.	53	%23,1

يبين الجدول أن الغالبية العظمى من عينة البحث كانت لأمهات غير عاملات، حيث بلغ عددهن (176) أمًا بنسبة (76.9%)، وهو ما يسهم في استقرار الأسرة، وصلاح الأبناء، ونموهم النفسي والاجتماعي، ويتيح للأم إدارة مسؤولياتها بفاعلية، أما الأمهات العاملات فبلغ عددهن (53) أمًا بنسبة (23.1%)، وقد يؤدي خروج الأم للعمل دون حاجة ملحة إلى ضغوط نفسية، وصعوبة موازنة العمل والأسرة، وضعف الروابط العاطفية، وقلة الرعاية المباشرة للأبناء. لذا يُنصح بأن يقتصر عمل الأم خارج المنزل على الضروري مع مراعاة دورها الأساسي في التربية الأسرية، لتحقيق استقرار الأسرة ونمو الأبناء سلوكيًا وعاطفيًا وفكريًا.

الجدول رقم (5) يوضح توزيع العينة حسب الساعات التي يقضيها الطلاب في استخدام وسائل التواصل.

الساعة	العدد	النسبة	الساعة	العدد	النسبة	الساعة	العدد	النسبة	الساعة	العدد	النسبة
1	5	2,2 ٪	6	31	13, ٪5	11	3	1,3 ٪	16	1	0,4 ٪
2	13	5,7 ٪	7	18	7,9 ٪	12	6	2,6 ٪	17	1	0,4 ٪
3	29	12, ٪7	8	15	6,6 ٪	13	2	0.9 ٪	18	0	0
4	31	13, ٪5	9	8	3,5 ٪	14	0	0	19	0	0
5	38	16, ٪6	10	13	5,7 ٪	15	7	3,1 ٪	20	8	3,5 ٪

يبين الجدول رقم (5) أن أغلب الطلاب يقضون وقتًا طويلاً على وسائل التواصل الاجتماعي، حيث تصل نسبة من يستخدمونه أكثر من خمس ساعات يوميًا إلى (49.4%)، بينما تصل نسبة من يقضون

حوالي عشـرين سـاعة يوميًا إلى (3.5%)، ما يثير القلق حول النوم، والدراسة، والعلاقات الاجتماعية، فيؤدي الإفراط في الاستخدام إلى ضعف العلاقات الاجتماعية، وتأثيرات سلبية على التحصيل العلمي وعلى النفسية، مثل اضطرابات النوم والاكتئاب والقلق. ولتقليل هذه الآثار، يمكن اتباع الإجراءات التالية: *تحديد أهداف واضحة للاستفادة من وسائل التواصل بما يرقى بالفرد، *تخصيص وقت محدد، *وضوح الغرض من الاستخدام، *ممارسة أنشطة وهوايات بديلة كالقراءة والمشي، بهذه الإجراءات يُمكن تحقيق استخدام متوازن لوسائل التواصل، يحمي الصحة النفسية والجسدية، ويعزز القدرات التعليمية والاجتماعية، ويحد من الانحرافات الفكرية الناتجة عن الإفراط في الاستخدام.

الجدول رقم (6) يوضح توزيع العينة حسب الحسابات المفعّلة لدى الطلاب عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

الحساب	النسبة	الحساب	العدد	الحساب	النسبة	الحساب	العدد	الحساب	النسبة	الحساب	العدد	الحساب	النسبة	الحساب	العدد
1	٪0,9	2	٪0,9	9	٪8	18	٪8	7	٪21,3	48	٪21,3	5	٪18,2	41	٪18,2	3	٪12,9	29	٪12,9
2	٪3,6	8	٪3,6	10	٪3,6	8	٪3,6	8	٪12	27	٪12	6	٪12,4	28	٪12,4	4	٪7,1	16	٪7,1

يبين الجدول رقم (6) أن نسبة الطلاب الذين يمتلكون أكثر من ثلاثة حسابات على وسائل التواصل بلغت (61.8%)، ما يشير إلى انتشار كبير للحسابات بين الشباب ويستدعي التنبه لاستثمار الوقت بشكل فعّال وعدم الانغماس العشوائي بين الحسابات، فالإفراط في الحسابات المتعددة قد يؤدي إلى تشتت الانتباه، وانخفاض التركيز، ويؤثر سلبًا على التعلم وجودة العلاقات الأسرية والاجتماعية، ويعيق تطوير المهارات الشخصية، لذلك، من الضروري التوازن والاعتدال في استخدام الوسائل التقنية لضمان حياة متزنة مليئة بالإنجاز والسعادة والطمأنينة النفسية.

المبحث الثاني: تأثر الطلاب بالانحرافات الفكرية في وسائل التواصل وعلاجها القرآني.

الجدول رقم (7) يوضح توزيع العينة لمدى تأثر الطلاب والطالبات في المرحلة الثانوية بالانحرافات الفكرية في وسائل التواصل الاجتماعي.

الأسئلة		أوافق بشدة	أوافق	محايد	لا أوافق	لا أوافق بشدة
1) هل تحب التعرف على أي فكر أو مذهب أو طائفة لا تعرفها، من باب حب الاستطلاع؟	العدد	10	38	57	51	73
	النسبة المئوية	%4,4	16,6 %	24,9 %	22,3 %	%31,9
2) هل تشعر بخطورة الإلحاد، وتتجنب الدخول في نقاشاته في مواقع التواصل الاجتماعي؟	العدد	104	42	29	16	38
	النسبة المئوية	%45,4	18,3 %	12,7 %	%7	%16,6
3) هل تشعر أن أفكارك صحيحة ولا تحتمل الخطأ؟	العدد	16	35	97	59	22
	النسبة المئوية	%7	15,3 %	42,4 %	25,8 %	%9,6
4) هل تكلف نفسك فوق طاقتها، وتتشدد في الأحكام؟	العدد	6	27	86	78	32
	النسبة المئوية	%2,6	11,8 %	37,6 %	34,1 %	%14
5) هل تتابع المواقع التي تحتوي على أمور غير أخلاقية؟	العدد	4	13	25	48	139
	النسبة المئوية	%1,7	%5,7	10,9 %	%21	%60,7
6) هل تشعر بالإعجاب من بعض الأديان والفرق التي اطلعت عليها في وسائل التواصل؟	العدد	2	2	18	46	161
	النسبة المئوية	%0,9	%0,9	%7,9	20,1 %	%70,3

تحليل النتائج لأثر التأثر بالانحرافات الفكرية في وسائل التواصل الاجتماعي من طلاب وطالبات المرحلة الثانوية.

يتضح من النظر إلى الجدول رقم (7) أن نسبة الطلاب والطالبات الذين يحبون التعرف على أي فكر أو مذهب أو طائفة لا يعرفونها، بدافع حب

الاستطلاع، بلغت (21%) إن حب الاستطلاع في حد ذاته صفة طبيعية، لكنه قد يحمل في طياته مخاطر متعددة إذا لم يكن الشخص متمكّنًا من العلوم الشرعية والعقائدية، وأبرز هذه المخاطر: الانحراف الفكري والعقائدي، الشك والاضطراب النفسي، والابتعاد عن المنهج الصحيح، والانجراف وراء الفتن الفكرية التي تزعزع الإيمان والقيم، أما الفئة المحايدة، فقد بلغت نسبتها (24,9%)، وهي فئة قد تتأثر بسهولة إذا لم يتوفر لديها التوجيه والإرشاد، ما يجعلها بحاجة إلى تنمية الوعي والمعرفة الشرعية لتجنّب الانحرافات الفكرية، وفي المقابل، شكّلت الفئة الكبرى وعيًا والتي ابتعدت عن الولوج في مثل هذه الأمور نسبة (54,2%) من الطلاب، وهي النسبة التي تعكس بصيرة ونضجًا فكريًا نتيجة التربية الصالحة والوعي الديني، وهي مؤشر إيجابي على قدرة الشباب على التحصّن ضد الانحراف الفكري والمغريات الفكرية الضارة، نسأل الله تعالى أن يثبتهم على الحق ويزيدهم رشدًا وثباتًا، ويوفقهم لاختيار ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

يتضح من الجدول أن نسبة (63,7%) من الطلاب أكّدوا شعورهم بخطورة الإلحاد، ويتجنبون الانخراط في نقاشاته على وسائل التواصل الاجتماعي، وهذه النسبة العالية تعكس وعيًا دينيًا ونضجًا فكريًا لدى الغالبية في التعاطي مع المخاطر الفكرية الحديثة، وقدرة على التحصن بالمعرفة الشرعية واليقظة الفكرية، أما الفئة المحايدة، فقد بلغت نسبتها (12,7%)، وهم بحاجة إلى التوجيه والإرشاد لتعزيز فهمهم للمخاطر الفكرية، وتوضيح وسائل الدفاع علميًا وفكريًا ودينيًا ضد مغريات الإلحاد، في المقابل، نسبة (23,7%) من الطلاب لم يشعروا بخطورة الإلحاد، وهو مؤشر على ضعف الوعي أو الجهل بمخاطره على الفرد والمجتمع، خصوصًا في ظل العولمة والانفتاح الثقافي والإعلامي الذي تتوافر من خلاله وسائل التواصل الاجتماعي، التي قربت المسافات وجعلت العالم قرية صغيرة تتبادل المعلومات والأفكار، بما فيها ما يضِلّ ويغوي، ومن لا يميز بين الحق والباطل قد يقع في الفتنة بلا شك، لذا وجب التنبيه المستمر والتثقيف الديني والوعي الفكري لتجنب الوقوع في الانحراف، نسأل الله تعالى السلامة والعافية والثبات.

عند النظر إلى الجدول، نجد أن نسبة (22,3%) من الطلاب يشعرون بأن أفكارهم صحيحة ولا تحتمل الخطأ، وهو مؤشر على ميل بعض النشء للتعصب الفكري والاعتماد المفرط على الذات في الحكم على الأمور، أما الفئة المحايدة، فتمثل (42,4%) من الطلاب والطالبات، وهم بحاجة إلى مزيد من التوجيه لتعزيز القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ بطريقة علمية ومنهجية، في المقابل، بلغت نسبة الطلاب والطالبات الذين يدركون أن رأيهم صواب يحتمل الخطأ ورأي الآخرين خطأ قد يحتمل الصواب، (35,4%)، وهم الفئة الواعية التي لا تتعصب لآرائها، بل توازن الأمور بميزان العدل والصواب، مسترشدين بمبدأ الخضوع للحق أينما كان، وممن كان، وهو من القيم الإسلامية الجوهرية التي تحث على التواضع وقبول الرأي الآخر ونشر مبدأ الشورى.

ويُعد التعلم على الاستماع للآخرين وتقدير آرائهم جزءًا أساسيًا من تنمية الوعي الفكري والتربوي، إذ يُمكّن الفرد من إدراك أن ليس كل آرائه صحيحة، وأنه من الممكن أن يخطئ، وأن التعلم المستمر وتوسيع المعرفة يزيد الإنسان فهمًا لحدوده ومعرفته بجهله، بما يعزز لديه التواضع، والانفتاح الفكري،

والنضج في الحكم على الأمور.

بالنظر إلى الجدول، تبيّن أن نسبة (14,4%) من الطلاب يؤكدون أنهم يكلفون أنفسهم فوق طاقتها ويتشددون في الأحكام، في حين بلغت نسبة المحايدين (37,6%)، بينما رأى (48,1%) أنهم لا يوافقون على التشدد في الأحكام ولا يكلفون أنفسهم فوق طاقتهم، والتشدد: هو التمسك بالآراء الدينية أو الاجتهادات الشخصية بصورة متطرفة، مع رفض أي نوع من التفاهم أو قبول الرأي الآخر، وهو سلوك يقود إلى التعصب وربما العنف. والشريعة الإسلامية جاءت باليسر ورفع الحرج عن المكلفين، وقد وردت نصوص كثيرة تذم الغلو والتشدد وتدعو إلى الوسطية والاعتدال، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥ وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة: ٢٨٦ وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨ فهذه الآيات العظيمة تدل على أن الله تعالى يريد التيسير لعباده، ولا يكلّفهم إلا بما في وسعهم وطاقتهم، ولم يُشرّع في الدين ما يوقع في الضيق والمشقة، بل دعا إلى الاعتدال، وحثّ على التوسط بين الإفراط والتفريط، فله الحمد والمنة.

إذا نظرنا إلى الجدول تبيّن أن (7,4%) من الطلاب يؤكدون متابعتهم للمواقع التي تحتوي على أمور غير أخلاقية، وإقبالهم على مشاهدة المقاطع والقنوات عبر وسائل التواصل دون ضوابط أو قيود، وهذه نسبة تُعدّ مؤشرًا خطيرًا ينذر بخلل قيمي وأخلاقي، إذ لا تعكس مجرد تضييع للوقت فحسب، بل تنذر بانهيار في البناء الأخلاقي وضياع للمبادئ التي يقوم عليها المجتمع.

وهنا يطرح السؤال نفسه: ما الفائدة المرجوة من الانغماس وراء هذا الغثاء الإعلامي؟ وهل ما يُتابَع من محتوى يضيف إلى الفرد إيمانا راسخا، أو خُلقًا رفيعًا، أو فكرًا ناضجًا؟ إن المتأمل لواقع الاستخدام المفرط لهذه الوسائل، يجد مظاهر الأسى والحزن لما آلت إليه حال كثير من الشباب والفتيات من التعلق الشديد بها، مما أفقدنا الشعور بالأمان على أنفسنا وأبنائنا، ومن ثَمّ، فإن الواجب يحتم علينا القيام بواجب النصح والإرشاد والحوار والإقناع، لتكوين جيل واعٍ يمتلك رؤية واضحة وهدفًا محددًا يسعى لتحقيقه، ذلك أن إدمان النظر إلى المحرمات يورث في النفس نوعًا من التساهل، ويُغيّر المفاهيم شيئًا فشيئًا، حتى تتحول هذه المحرمات في نظر المدمنين لها من كونها ممنوعة شرعًا إلى سلوكيات معتادة مألوفة، وربما إلى ما يراه بعضهم من المباحات، والعياذ بالله تعالى.

وقد أجاب نسبة (10,9%) من الطلاب بمحايد، في حين أكد (81,7%) منهم أنهم لا يتابعون المواقع التي تحتوي على أمور غير أخلاقية، وهذه النسبة العالية تمثل بشارة خير على وعي الشباب وحرصهم على المحافظة على القيم، فهي لا تعني انقطاعهم عن المجتمع أو عن متابعة التقدم العلمي والثقافي، بل تدل على توازن واضح في استخدامهم لوسائل التواصل، وفهمهم أن هذه الوسائل سلاح ذو حدين.

إن الاستخدام الواعي والمقنن لهذه الوسائل وفق حدود ما أمر الله تعالى، واختيار ما هو مفيد ونافع، يحقق الفائدة المرجوة دون الانجراف وراء المحتوى الضار أو التسلية المهدرة للوقت، ويعزز النمو الفكري والأخلاقي والاجتماعي للفرد.

ونختم المحور الفكري بالنتائج المتعلقة بموقف الطلاب من الإعجاب ببعض الأديان والفرق التي يطّلعون عليها في وسائل التواصل الاجتماعي، فقد بلغت

نسبة من أعربوا عن الإعجاب (1,8%)، بينما كانت نسبة المحايدين (7,9%)، في حين جاءت النسبة الأعلى ولله الحمد (90,4%) من الطلاب ممن لا يعجبون بهذه الفرق والأديان.

ويُعد الإعجاب بالفرق والأديان المخالفة من الممارسات المقلقة التي تؤثر سلبًا على العقيدة والفكر، إذ أن منصات التواصل تتيح الوصول السريع إلى أفكار ومعتقدات منحرفة، قد تؤدي إلى تشويش فكر الشباب والابتعاد عن الطريق المستقيم.

ومن هنا، يتضح أهمية اليقظة والحذر في التعامل مع المحتوى الديني على هذه الوسائل، مع تعزيز وعي الطلاب بمخاطر الانحراف الفكري، والحرص على سلامة العقيدة والدين، والتمسك بالمنهج الصحيح المستقيم، لضمان بناء جيل قوي الفكر، سليم العقيدة، قادر على التمييز بين الحق والباطل.

7. هل يوجد انحرافات فكرية أخرى منتشرة بسبب قنوات التواصل الاجتماعي؟ دَوِّنها فضلا.

من أبرز الانحرافات الفكرية التي أشار إليها الطلاب، والتي تزايدت بفعل وسائل التواصل، هو التساهل في الأحكام الدينية وخلخلة الثوابت العقائدية، لا سيما لدى فئة ضعاف الإيمان، حيث أصبح الوصول إليهم مباشرًا وسهلًا عبر محتوى مرئي ومكتوب يُزيّن الانحرافات بأساليب جذابة وملفتة، ومن أخطر مظاهر هذا الانحراف انتشار الأفكار الإلحادية والتشكيك في العقيدة الإسلامية، سواء بصورة صريحة، أو من خلال التأثر بمعتقدات وأديان أخرى عبر الإعلام والمسلسلات الأجنبية، أو المحتوى الصادر عن الفرق المنحرفة، حيث يساهم التكرار والمشاهدة المتكررة في التطبيع التدريجي لهذه الأفكار.

ومن أبرز صور هذا الانحراف أيضًا: تحريف المصطلحات الشرعية لتبرير الحرام، والترويج لأفكار تتنافى مع الفطرة السليمة، مثل التشكيك في الهوية، والترويج لانتماءات غريبة تحت شعارات مختلفة، والعدوانية ضد الإسلام، وظهور مظاهر الشذوذ الجنسي، وفكر وحدة الأديان، مما يؤدي إلى إضعاف التميّز والتمسك بالعقيدة، كما ظهرت ممارسات غريبة عند المجتمع الإسلامي، مثل الاحتفال بأعياد لا تمت للدين بصلة، كالكريسماس والهالوين، والترويج لفكرة فشل الزواج التقليدي، والتشبه بالجنس الآخر، وانتشار فكر التطرف والخوارج، والانغماس في المظاهر المادية والثقافات الأجنبية دون وعي.

ولا يقتصر التأثر على ذلك، بل يشمل تبني مفاهيم مريبة كالإسقاط النجمي، والانبهار بالمشاهير المخالفين للعقيدة، والإعجاب بأفكارهم ومعتقداتهم، حتى وصل الأمر ببعض الشباب إلى تصور الإسلام كدين مشقة وتشدد، في حين تُرى الديانات الأخرى أكثر يسرًا وسهولة، وهو تصور خاطئ ناجم عن الجهل بحقيقة الشريعة التي هي في أصلها دين رحمة وعدل وتيسير.

ومن هنا تتضح أهمية التوعية الدينية والتربية السليمة، وربط الناشئة بمصادر الدين الصحيحة، وتحذيرهم من مصادر التأثير المنحرفة، لضمان حماية الهوية الإسلامية، وصيانة الفكر والقيم، وتمكين الشباب من التمييز بين الحق والباطل، ليكونوا قادرين على مقاومة الانحراف الفكري بثبات ورؤية واعية.

المبحث الثالث: مدى وعي طلاب الثانوية للعلاج القرآني المتعلق بالانحرافات الفكرية الناشئة عن سوء استخدام وسائل التواصل:

الجدول رقم (8) يوضح توزيع العينة لمدى وعي طلاب وطالبات المرحلة الثانوية للعلاج القرآني المتعلق بالانحرافات الفكرية الناشئة عن سوء

استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

الأسئلة		أوافق بشدة	أوافق	محايد	لا أوافق	لا أوافق بشدة
1) التنشئة الصالحة، من أهم أسباب الوقاية من الانحرافات في مواقع التواصل الاجتماعي.	العدد	152	54	14	6	3
	النسبة المئوية	66,4 %	23,6%	6,1 %	%2,6	%1,3
2) انتشار الحدود الشرعية والعقوبات، من أهم أسباب ردع ذوي الانحرافات في مواقع التواصل الاجتماعي.	العدد	134	51	33	9	2
	النسبة المئوية	58,5 %	22,3%	14,4%	%3,9	%0,9
3) الصحبة الصالحة، لها دور كبير في الوقاية من الانحرافات في مواقع التواصل الاجتماعي.	العدد	161	51	9	5	3
	النسبة المئوية	70,3 %	22,3%	3,9 %	%2,2	%1,3
4) التحصين بالعلم الشرعي، سبب للوقاية من الوقوع في الانحرافات عبر وسائل التواصل الاجتماعي.	العدد	151	49	20	6	3
	النسبة المئوية	65,9 %	21,4%	8,7 %	%2,6	%1,3
5) الانشغال بعيوب النفس، يشغل الانسان عن عيوب غيره وتتبعها في مواقع التواصل الاجتماعي.	العدد	92	73	38	15	11
	النسبة المئوية	40,2 %	31,9%	16,6%	%6,6	%4,8
6) التقليل من ساعات تصفح مواقع التواصل الاجتماعي، يخفف من الوقوع في الانحرافات.	العدد	97	64	45	15	8
	النسبة المئوية	42,4 %	27,9%	19,7%	%6,6	%3,5
7) نشر الوعي والمقاطع الهادفة في مواقع التواصل الاجتماعي؛ يخفف من الانحرافات.	العدد	123	78	18	9	1
	النسبة المئوية	53,7 %	34,1%	7,9 %	%3,9	%0,4
8) التفكر في عواقب الانحرافات السلبية؛ يقي من الوقوع فيها.	العدد	118	77	25	5	4
	النسبة المئوية	51,5 %	33,6%	10,9%	%2,2	%1,7

تحليل النتائج لمدى وعي طلاب وطالبات المرحلة الثانوية للعلاج القرآني المتعلق بالانحرافات الفكرية الناشئة عن سوء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

يبين الجدول رقم (8) أن نسبة (90%) من الطلاب يرون أن التنشئة الصالحة تُعد من أهم عوامل الوقاية من الانحرافات في مواقع التواصل، مما يعكس نشأة المجتمع السعودي على أسس دينية راسخة، ويؤكد امتلاك الأجيال الناشئة لسمات الصلاح والاستقامة التي تنعكس إيجابًا على سلوكياتهم في العالم الرقمي، أما الفئة المحايدة، فبلغت نسبتهم (6.1%)، وقد يعكس ذلك ترددًا أو غموضًا في موقفهم، فيما بلغت نسبة الذين أبدوا عدم الموافقة (3.9%)، وربما يرجع ذلك إلى ملاحظتهم بعض السلوكيات الخاطئة بين أقرانهم رغم حرص الأسرة على الصلاح.

أظهر الجدول أن نسبة (80.8%) من الطلاب يرون أن تطبيق الحدود الشرعية والعقوبات من أهم الوسائل لردع الانحرافات في مواقع التواصل الاجتماعي، مما يعكس وعيهم بأهمية الأحكام الشرعية في تهذيب النفوس وحفظ المجتمع، أما نسبة المحايدين فبلغت (14.4%)، فيما بلغت نسبة الذين يرون أن دور العقوبات محدودًا (4.8%)، مما يبرز الحاجة إلى توعية مستمرة وتطبيق العدل بحكمة لضمان حماية الفكر وتعزيز القيم.

أظهرت النتائج أن (92.6%) من الطلاب يدركون أهمية الصحبة الصالحة في الوقاية من الانحرافات على وسائل التواصل الاجتماعي، مما يعكس وعيهم بالقيم القرآنية والسنة النبوية في تهذيب النفس وغرس الفضائل، أما نسبة المحايدين فبلغت (3.9%)، ومن لم يوافقوا على أهمية الصحبة الصالحة بلغت نسبتهم (3.5%)، ويعود ذلك لملاحظة بعض السلوكيات غير الصائبة لدى الأقران، إلا أن هذه النسبة ضئيلة، مما يدل على قدرة غالبية الطلاب على التمييز والاقتداء بالصحبة الصالحة.

وتشير النتائج إلى أن (87,3%) من الطلاب يرون أن التحصن بالعلم الشرعي يشكل خط الدفاع الأول ضد الانحرافات الفكرية على وسائل التواصل، مما يعكس وعيهم بأهمية العلم في ترسيخ القيم وحماية النفس والمجتمع، أما نسبة المحايدين فبلغت (8,7%)، فيما بلغت نسبة المخالفين (3,9%)، ويرتبط ذلك بعوامل شخصية أو بيئية، وتوضح هذه النتائج أهمية البرامج التعليمية والتربوية التي تركز على

تزويد الشباب بالمعرفة الصحيحة والقيم الأخلاقية والدينية، ليتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والتمسك بثوابت دينهم وسط الانفتاح الرقمي المعاصر.

تشير النتائج إلى أن (72,1%) من الطلاب يرون أن الانشغال بإصلاح النفس يحمي من التجريح أو السخرية أو التشهير بالآخرين على وسائل التواصل، فيما بلغت نسبة المحايدين (16,6%)، ونسبة المخالفين (11,4%)، مما يبرز الحاجة إلى توجيه مستمر لترسيخ قيم ضبط النفس والاحترام في البيئة الرقمية.

يتبين من النتائج أن نسبة (70,3%) من الطلاب يرون أن التقليل من ساعات تصفح مواقع التواصل يسهم في الوقاية من الانحرافات، بينما كانت نسبة المحايدين (19,7%)، وأوضح (10,1%) من المشاركين أن تقليل أو إطالة التصفح لا يحدث فرقًا في الوقوع في الانحرافات، وتجدر الإشارة إلى أن آراء التربويين والمتخصصين، إلى جانب ملاحظات الواقع، تؤكد أن ضبط الوقت وتقليص التصفح يعد وسيلة فعالة للوقاية من الانحرافات.

تشير الاستبانة إلى أن (87,8%) من الطلاب يرون أن نشر الوعي والمقاطع الهادفة على وسائل التواصل يحدّ بشكل فعّال من الانحرافات، مقابل (7,9%) محايدين و(4,3%) مخالفين. ويعود ذلك إلى تقديم محتوى هادف يعزز الوعي الديني والاجتماعي ويوجه أوقات الشباب نحو الإيجابية، مما يحد من الانحرافات.

أظهرت نتائج الاستبانة أن (85,1%) من الطلاب يرون أن التفكر في عواقب الانحرافات السلبية وسيلة فعّالة للوقاية منها، مقابل (10,9%) محايدين و(3,9%) رفضوا الرأي، فالتفكر في نتائج الانحرافات، مثل ضياع الوقت، وإهمال العبادة، والنظر إلى عاقبة المحرمات، يسهم في ضبط النفس والالتزام بالقيم الدينية والأخلاقية، ويعمل كحصن نفسي وسلوكي يقي الشباب من الانغماس في المحرمات ويحافظ على أوقاتهم وأرواحهم.

9. هل لديك علاجات إضافية للانحرافات الفكرية؟ دَوِّنها فضلا.

يرى الطلاب والطالبات أن أهم وسائل علاج الانحرافات الفكرية تتمثل في:

1. **التوعية الدينية** :بتنشئة الجيل على مراقبة الله، والخوف منه، والمحافظة على الصلاة، والذكر، والاستغفار، وقراءة القرآن، والتأمل في عواقب الأعمال، والتمسك بالصحبة الصالحة، واتباع كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم.
2. **التربية الأسرية السليمة** :من خلال متابعة الأهل لمحتوى وسائل التواصل الاجتماعي، وتقديم النصائح والتوجيه المستمر، وتوعية الأبناء بخطورة الانحرافات وآثارها السلبية على الفرد والمجتمع.
3. **الأنشطة التربوية والوقائية** :عبر حملات توعوية لضبط استخدام وسائل التواصل، وتشجيع شغل الوقت بالأنشطة المفيدة مثل الدراسة، والمشاركة في الدورات العلمية، ووضع أهداف واضحة للتركيز على الجوانب الإيجابية.
4. **الضوابط التقنية والقانونية** :من خلال حجب المواقع الضارة، والإبلاغ عن الحسابات المنحرفة وحظرها، واستخدام برامج الحماية، ومعاقبة المخالفين قانونيًا للحد من استمرار الانحرافات.

بهذا المزيج يمكن تكوين جيل واعٍ، قادر على مواجهة الانحرافات الفكرية في البيئة الرقمية بفعالية.

الخاتمة:

في ختام بحثنا هذا يطيب للباحثة أن تشير لنقطتين مهمتين هما:

1- **أهم النتائج**: الوصول إلى عدة نتائج منها:

أولا: تكشف نتائج الدراسة عن تباين واضح في وعي الطلاب تجاه الانحرافات الفكرية عبر وسائل التواصل؛ إذ أظهرت أن (54.2%) منهم لا يرغبون في التعرف على أفكار مخالفة للإسلام، وهو مؤشر على تحفظ صحي، يقابله (45.8%) منفتحون على مثل هذه الأفكار، مما يزيد احتمالية التأثر بها. كما تبين أن (63.7%) يدركون خطورة الإلحاد، وهي نسبة جيدة، لكنها تشير في الوقت ذاته إلى أن أكثر من الثلث لم يعِ بعد حجم الخطر، أما من حيث المرونة الفكرية، فقد أقرّ (35.4%) بعدم تمسكهم بآرائهم، في حين أظهر (64.6%) تمسكًا برؤاهم أو عدم إقرارهم بإمكانية الخطأ فيها، وهو ما يعكس ضعفًا في مهارات الحوار أو ثقة زائدة تصل أحيانًا إلى العناد الفكري، وفي الجانب المقابل، عبّر (48.1%) عن رفضهم للتشدد، مما يعكس اتزانًا نسبيًا لدى شريحة من الطلاب، بينما قد يبقى النصف الآخر متأرجحًا في موقفه من الغلو، كما أظهرت النتائج أن (81.7%) لا يتابعون المواقع غير الأخلاقية، و(90.4%) لا يعجبون بالفرق المنحرفة، وهي مؤشرات إيجابية تدل على صلابة فكرية لدى الغالبية، وبصورة عامة، تُبرز النتائج أن الانحرافات الفكرية ما زالت تمثل تحديًا خطيرًا، إذ تكشف عن وجود وعي متنامٍ يقابله هشاشة نسبية في مقاومة الإلحاد والأفكار المنحرفة، مما يستدعي تعزيز المناعة الفكرية والتربوية لدى الشباب.

ثانياً: تشير نتائج الدراسة إلى أن المعالجة التربوية تُعدّ الأكثر فاعلية في الوقاية من الانحرافات الفكرية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، إذ أبدى الطلاب قبولًا مرتفعًا تجاهها، حيث جاءت التنشئة الصالحة بنسبة (90%)، والصحبة الصالحة بنسبة (92.6%)، والتحصن بالعلم الشرعي بنسبة (87.3%)، مما يعكس وعيًا بأهمية الأسس التربوية في بناء السلوك القويم. كما أظهر (80.8%) من الطلاب إدراكًا لدور الحدود الشرعية والعقوبات في ضبط السلوك، بما يعزز جانب الردع والتقويم الأخلاقي، أما الأساليب العملية، مثل التقليل من الوقت في استخدام المواقع (70.3%)، والانشغال بمحاسبة النفس (72.1%)، فقد نالت قبولًا أقل، وهو ما يدل على صعوبة الالتزام بها عمليًا لدى فئة الشباب، في المقابل، حظيت الأساليب الوقائية التأملية بقبول مرتفع، مثل التفكر في العواقب بنسبة (85.1%)، ونشر الوعي بالمحتوى الهادف بنسبة (87.8%)، مما يشير إلى عمق أثرها في التوجيه الذاتي والإصلاح الفكري، وعليه، يتضح أن العلاج الأكثر قبولًا وواقعية يتمثل في المعالجة التربوية القائمة على الوعي والإقناع، بينما تحتاج الأساليب التطبيقية إلى برامج تدريبية عملية تُسهم في تحويلها إلى ممارسات واقعية فاعلة.

2- المقترحات:

انطلاقًا من نتائج الدراسة ومؤشراتها المتعلقة بالانحرافات الفكرية في وسائل التواصل، يمكن تقديم التوصيات الآتية:

1. إجراء دراسات قرآنية تأصيلية تُبرز كنوزَه المعرفية والتربوية وتوظفها عمليًا في معالجة المشكلات الفكرية.
2. تحويل التحليلات النظرية للأسباب إلى خطط تنفيذية واضحة تُترجم إلى برامج واقعية داخل الأسرة والمجتمع.
3. تعزيز ارتباط الناشئة بالقرآن عبر مقررات نوعية وطرائق تعليمية تطبيقية تُترجم القيم القرآنية إلى سلوك واقعي.

4. تطوير البرامج التربوية والتعليمية بما يراعي الفروق الفردية، لتحقيق أعلى مستويات الفاعلية في الخطاب التربوي.

5. تأسيس لجان علمية متخصصة؛ لصياغة هدايات القرآن الكريم في أدوات تربوية عملية جذابة.

6. عقد ندوات وورش عمل تربوية وفكرية لمواجهة الانحراف وربط الحلول بالقرآن الكريم والسنة المطهرة.

7. دعم البحوث التطبيقية في مجال الدراسات القرآنية، وتفعيل نتائجها في الواقع العملي.

وخِتامًا، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُبارك هذه الجهود، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع والمصادر:

1. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي الدمشقي (1411هـ) **درء تعارض العقل والنقل** (الطبعة الثانية) الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود.

2. ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله (1421هـ) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (الطبعة الأولى). د.م: مؤسسة الرسالة.

3. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي (1984م). **التحرير والتنوير** (د.ط). تونس: الدار التونسية.

4. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (1399هـ) **مقاييس اللغة** (د.ط) بيروت: دار الفكر.

5. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي (1414هـ) **لسان العرب** (الطبعة الثالثة) بيروت: صادر.

6. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه الجعفي (1433هـ) **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور الرسول وسننه وأيامه**، تحقيق جماعة من العلماء (د.ط) بيروت: دار طوق النجاة.

7. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (1418هـ) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (الطبعة الأولى) بيروت: إحياء التراث العربي.

8. البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، (1388هـ) **كشاف القناع عن متن الإقناع**، (د.ط) الرياض: النصر.

9. الترمذي، أبو عيسى محمد بن سَورة (1996م) **الجامع الكبير لسنن الترمذي** (الطبعة الأولى) بيروت: دار الغرب.

10. الجزائري، جابر موسى عبد القادر جابر (1418هـ) **أيسر التفاسير** (الطبعة الثالثة) المدينة المنورة: مكتبة العلوم.

11. الرازي، محمد أبي بكر عبد القادر الحنفي (1420هـ) **مختار الصحاح**، (الطبعة الأولى) بيروت: المكتبة العصرية.

12. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (1420هـ) مفاتيح **الغيب** (الطبعة الثالثة) بيروت: إحياء التراث.

13. السالم، فاطمة، (2022م) **مواقع التواصل والتطرف الفكري** (د.ط) مصر: المجلة المصرية.

14. السدحان، عبد الله بن ناصر (1996م) **رعاية الأحداث المنحرفين في المملكة العربية السعودية** (الطبعة الأولى) الرياض: العبيكان.

15. السعدي، عبد الرحمن ناصر (1420هـ) **تيسير الكريم الرحمن** (الطبعة الأولى) الرياض: الرسالة.

16. السكران، إبراهيم عمر (1436هـ) **الماجريات**

(الطبعة الثالثة) الرياض: دار الحضارة.

17. الشـــهراني، محمد ســـعد بقنة، (2023م) **الوسـائل الدعوية لمقاومة الإباحية**، (الطبعة الأولى) الحديدة: مجلة أبحاث.

18. الشـــوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني (1414هـــ) **فتح القدير** (الطبعة الأولى) دمشق: دار ابن كثير.

19. الصـيني، صـالح حبيب الله (د.ت) **وسـطية الإسـلام**. (د.ط). السـعودية: موقع وزارة الأوقاف السعودية.

20. الطبري، محمد بن جرير (د.ت) **جامع البيان عن تأويـل آي القرآن** (د.ط). مكة المكرمة: دار التربية والتراث.

21. الطنطاوي، رمضـان عبد الحميد، (2016م) **أسـباب ظاهرة التطرف لدى طلاب الجامعة وأساليب الحد منها** (د.ط) مصر: كلية التربية.

22. العجيري، عبد الله بن صـالح (1435هـــ) **ميليشـيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد** (الطبعة الثانية) الخبر: تكوين.

23. المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي (1409هـ) **المعلِم بفوائد مسـلم**، (الطبعة الثانية) الجزائر: الدار التونسـية للنشر.

24. النيسـابوري، أبو الحسـين مسـلم بن الحجاج القشـيري (1374هـــ) **صـحيح مسـلم** (الطبعة الأولى) القاهرة: البابي.

25. النسـائي، أحمد بن شـعيب بن علي بن سـنان (1439هـ) **سنن النسائي** (الطبعة الأولى) القاهرة: دار الرسالة.

26. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (1420هـ) **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، (الطبعة الرابعة) د.م: دار الندوة.

27. بكـار، عبـد الكريم (1421هـــ) الوعي **الفكري**، (الطبعة الأولى) دمشق: دار القلم.

28. حســـن، بادى محمود، (د.ت) **التطرف الفكري دراسة من منظور الكتاب والسنة**. (د.ط) د.م: د.ن.

29. داود، داليا محمد شوقي محمد الصادق (د.ت) **الانحراف الفكري ووسائل الوقاية والعلاج في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية** (د.ط). د.م: د.ن.

30. ســكر، ماجد رجب العبد (1432هـــ) **التواصـــل الاجتماعي دراســة قرآنية موضــوعية** (د.ط). د.م: د.ن.

31. عامري، سامي، (1440هـــ) **براهين وجود الله**، (الطبعة الأولى) الخبر: تكوين.

32. مجموعة من مؤلفين، (1425هـــ) **المعجم الوسيط** (الطبعة الثانية) القاهرة: مكتبة الشروق.

Arrasikhun Journal، Special Issue, February 2026

ISSN: 2462-2508

مراحل المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وعناية المفسرين به من خلال تفسير زاد المسير لابن الجوزي، دراسة استقرائية

عبد الله بن محمد بن عبد الله المرحوم
باحث دكتوراه بقسم القرآن الكريم وعلومه
جامعة المدينة العالمية ماليزيا
rayan.22199@gmail.com

د. خالد نبوي سليمان حجاج
الأستاذ المشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه
جامعة المدينة العالمية ماليزيا
khaled.nabawy@mediu.my

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مراحل المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وعناية المفسرين به من خلال تفسير: زاد المسير لابن الجوزي، عبر الوقوف على مفهومه، وأهميته، وتتبع مراحله التاريخية، وتبرز أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على المراحل التاريخية للمخصوص بالذِّكر التي مرَّ بها هذا العلم، نظرًا لغياب دراسة استقرائية متخصصة تستقرئ مراحل المخصوص بالذِّكر، وإبراز أحكام وحِكَم دقيقة وفريدة لألفاظ مخصوصة بالذِّكر في آيات القرآن الكريم، وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي. وقد خلص الباحث فيه إلى بيان معنى المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم بكونه مصطلحًا مركبًا قائمًا بذاته، بأنَّه: قَيْد مَقْصورٌ في الآية لبيانِ علةٍ أو حُكْمٍ أو مَقْصَدٍ من مَقَاصِد الشريعة. وخلص الباحث كذلك إلى أنَّ المخصوص بالذكر في آيات القرآن الكريم أعمّ وأشمل من المخصوص بالذِّكر عند الحنفية، واجتهد الباحث كذلك في استقراء تاريخي تقريبي لمراحل المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم مع التمثيل لكل مرحلة ورجالها الذين برزوا فيها، وبيَّن أنَّ لكل مرحلة طبيعتها التي تتوافق مع أحوالها الزمانية والمكانية ومناهجها العلمية.

الكلمات المفتاحية: المراحل، المخصوص، الذِّكر.

ISSN: 2462-2508

Abstract

This study aims to examine the developmental stages of al-makhṣūṣ bi'l-dhikr (specification by explicit mention) in the Qurʾān and the scholarly attention devoted to it through an analytical study of Ibn al-Jawzī's exegetical work Zād al-Masīr. The research seeks to clarify the conceptual framework of al-makhṣūṣ bi'l-dhikr, demonstrate its significance, and trace its historical development. The importance of this study lies in shedding light on the historical phases through which the discipline of al-makhṣūṣ bi'l-dhikr evolved, particularly in view of the scarcity of specialized, comprehensive studies devoted to its distinct stages. It also highlights the subtle juridical wisdoms and distinctive legal implications associated with expressions singled out for mention in Qurʾānic verses.The study adopts an inductive and analytical methodology. The research concludes that al-makhṣūṣ bi'l-dhikr in the Qurʾān constitutes an independent and compound technical term, defined as a restrictive qualification within a verse intended to clarify a legal cause (ʿilla), ruling (ḥukm), or objective (maqṣad) among the higher objectives of Islamic law (maqāṣid al-sharīʿa). The study further establishes that the concept of al-makhṣūṣ bi'l-dhikr in Qurʾānic usage is broader and more comprehensive than its formulation within the Ḥanafī legal school. In addition, the researcher undertook a historical survey of the major stages in the development of al-makhṣūṣ bi'l-dhikr in the Qurʾān, identifying the scholars who distinguished themselves in each phase. The study demonstrates that each stage possessed its own defining characteristics, shaped by its particular temporal and spatial contexts as well as by its prevailing scholarly methodologies.

Keywords: Stages, Specific, Mention.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبيانًا لكل شيء، وفتح لأهل العلم أبواب التدبر في أسراره، والصلاة والسلام على من بيَّن القرآن قولًا وعملاً، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ القرآن الكريم قد تفرَّد بأساليب بيانية راقية، تعكس إعجازه اللفظي والدلالي، ونظرًا لما يحمله أسلوب المخصوص بالذِّكر من دلالات دقيقة، تؤثّر في فهم النص القرآني واستنباط الحكم والمعنى، جاء هذا البحث لبيان معنى التخصيص بالذِّكر للفظة القرآنية، وأسباب عناية المفسرين بالمخصوص بالذِّكر، وتتبّع المراحل التاريخية التي مرَّ بها هذا الأسلوب في كتب التفسير إلى عصرنا الحاضر، **وعنون له الباحث بـ:** مراحل المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وعناية المفسرين به من خلال تفسير زاد المسير لابن الجوزي، دراسة استقرائية.

مشكلة البحث:

رغم تكرار أسلوب المخصوص بالذِّكر في النصوص القرآنية وتناولها في كتب التفسير، إلَّا أنَّ الجانب التاريخي والتطوري لهذا المصطلح لم يُدرس دراسة استقرائية تحليلية شاملة، تجمع بين الجذور الأولى للمفهوم، وتطوّره عبر العصور، ورصد مراحل عناية المفسرين به.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى أهداف، **من أهمها:**

1- بيان معنى المخصوص بالذِّكر في اللغة والاصطلاح، وباعتباره مركَّبًا إضافيًّا.

2- إبراز القيمة العلمية للمخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وعناية المفسرين به.

3- تتبّع المراحل التاريخية التي مرَّ بها هذا الأسلوب في كتب التفسير.

4- إبراز نماذج تطبيقية لعناية المفسرين به في كل مرحلة.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

1- أنَّه يُسهم في إبراز شيء من عظمة القرآن في مفرداته، وحسن بيانه، ودقة تعبيره.

2- بيان مفهوم المخصوص بالذِّكر وقيمته العلمية.

3- عناية المفسرين بالمخصوص بالذِّكر وأهميته ومراحله.

4- يُبرز تنوع مناهج المفسرين وأسلوبهم في التعامل مع المخصوص بالذِّكر بحسب أزمنتهم واتجاهاتهم.

مصطلحات البحث: يبحث حول المصطلحات التالية: المراحل، المخصوص، الذِّكر.

الدراسات السابقة:

اطّلع الباحث على عدد من الدراسات المتخصصة التي تناولت هذا الموضوع جزئيًا أو من زوايا أخرى، **ومن أهمها:**

1-تعليل ابن عطية للمخصوص بالذِّكر في القرآن في تفسيره دراسة نظرية تطبيقية، للباحث: محمد التميمي، وهي رسالة ماجستير بقسم القرآن كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود نوقشت عام (1440هـ).

2-تعليلات ابن عاشور للمخصوص بالذِّكر في تفسيره جمعا ودراسة، للباحثة: شموخ بنت الحسن

علي النعمي، وهي رسالة ماجستير بقسم القرآن كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود نوقشت عام (1442هـ).

3-المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وتوجيهه عند الزمخشري دراسة نظرية تطبيقية، للباحث: إبراهيم بن عبدالله الحسين، إشراف أ.د. محمد بن عبدالله العيدي، وهي رسالة ماجستير من جامعة القصيم بالسعودية، نوقشت عام (1443هـ).

4-المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وتوجيهاته عند الإمام الرازي في تفسيره دراسة تأصيلية تطبيقية، بحث مقدم من الباحث: أبي الغيث علي عبدالله شرف، لنيل درجة الدكتوراة من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، نوقشت عام (1443هـ).

5-توجيه المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم عند أبي السعود دراسة نظرية تطبيقية، للباحث: عبد الله بن محمد الشاوي، إشراف د. عبد الرحمن بن صالح المحيميد، وهي رسالة دكتوراة من جامعة القصيم بالسعودية نوقشت عام (1443هـ).

6-المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وتوجيهه عند أبي حيان في تفسيره دراسة نظرية تطبيقية، للباحث: محمد بن صادق عطران، إشراف أ.د. حسين بن علي الزومي، وهي رسالة دكتورة من جامعة القصيم بالسعودية، نوقشت عام (1444هـ).

ولم يقف –بحسب اطّلاع الباحث– على دراسة استقرائية شاملة تتناول المراحل التاريخية لظهور هذا المصطلح في التفسير، مما يُبرز الحاجة إلى هذا البحث.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال استخراج الألفاظ القرآنية للمخصوص بالذِّكر الواردة في كتاب تفسير: زاد المسير للإمام ابن الجوزي، وجمع بعض المواضع التي تعرّض فيها المفسرون عبر العصور لهذا الأسلوب، ثم تحليلها وتصنيفها وفق مراحل زمنية، ودراسة خصائص كل مرحلة ومناهج علمائها.

حدود البحث:

الاقتصار على تفسير زاد المسير بوصفه محور الدراسة في دراسة المخصوص بالذِّكر، مع التركيز على البعد التاريخي لمراحل المخصوص.

المطلب الأول: معنى المخصوص في اللغة والاصطلاح.

قبل البدء ببيان مفهوم (المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم) بكونه مصطلحًا مركبًا قائمًا بذاته، يجدر بالباحث تعريف المصطلحات قبل الإضافة، ثم بعد ذلك يتضح ويتجلى مفهوم المصطلح كاملًا بعد التركيب والإضافة.

المخصوص في اللغة: اسم مفعول مِن الفعل الثلاثي (خَصَّ)، وجاء في لسان العرب: "(خَصَّصَ)، أي: خَصَّهُ بالشَّيْء يَخُصُّه خَصًّا وخُصوصًا، وخَصُوصِيَّةً وخُصُوصِيَّةً، والفتح أَفصح، وخَصَّصَه واخْتصَّه

معناه: أَفْرَدَهُ به دون غيره"[1]. وجاء في القاموس المحيط: "والتَّخصيص: ضِدُّ التَّعميم "..." واخْتَصَّه بالشيء: خَصَّهُ به فاخْتَصَّ وتَخَصَّص"[2]. وجاء في المعجم الوسيط: "(اخْتَصَّ) الشيء: انفرد به، واصطفاه واختاره "..." و(تَخَصَّصَ): انْفَرد وصار خاصًّا، "..." وَيُقَال: تَخَصَّصَ في عِلْم كذا قَصُرَ عَلَيْه بَحْثه وجهده"[3].

والحاصل من هذه المعاني في المعاجم اللغوية: أنَّ المخصوص والتخصيص في اللغة يأتي بعدة معانٍ مترادفة ومتوافقة في المعنى كالانفراد والاصطفاء والخصوصية بالشيء دون غيره، وهو كذلك ضد التعميم.

أمَّا تعريفه اصطلاحًا: فأكثر من أفرد التخصيص بالعناية والتعريف هم الأصوليون، فقد خصُّوه بمباحث في مصنفاتهم تحت عنوان: الخاص والخصوص والتخصيص، **ومن أقرب هذه التعريفات لموضوع البحث:**

أولًا: ما عرَّفه ابن النجار بأنَّه: "قَصْر اللَّفظ على بعض مُسَمَّاه"[4].

ثانيًا: ما عرَّفه الزَّركشي نقلًا عن ابن السَّمعاني، بأنَّه: "تمييز بعض الجُمْلة بالحُكم"[5].

ثالثًا: ما عرَّفه أبو الحسين البصري بأنَّه: "إخراج بعض ما تناوله الخطاب عنه"، وبمثله قال البيضاوي بأنَّه: "إخراج بعض ما يتناوله اللفظ"[6].

وعند التأمل في هذه التعريفات الاصطلاحية للتخصيص عند الأصوليين وجد الباحث أنها لا تخرج في دلالتها عن المعاني اللغوية، الدَّالة على القَصْر أو التميز أو الانفراد بشيء عن غيره في الحكم.

المطلب الثاني: معنى الذِّكر في اللغة والاصطلاح.

والذِّكر إذا أُطلق في المعاجم اللغوية يُراد به معانٍ كثيرة، وسَأَقْصر النقل على المعاني الأقرب لموضوع بحثنا:

جاء في كتاب مقايس اللغة: "الذَّال والكاف والرَّاء أَصْلان، عنهما يَتَفَرَّع كَلِمُ الباب"، "..." "**والذِّكر:** العلاء والشَّرف، وهو قياس الأصل[7]. وجاء في الصِّحاح، ولسان العرب: أنَّ الذِّكر يطلق على عدة معان: الصِّيت والثَّناء والشَّرف، واستدلوا له بقوله تعالى: {صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ} [ص:1]، أي ذي الشَّرف، وبقوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ} [الزخرف:44]، أَي القرآن: شرفٌ لك ولهم، وبقوله تعالى: {وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ} [الشرح:4]، أَي: شرفك، ويطلق الذِّكر: على الكتاب الذي فيه تَفْصِيل الدِّين

(1) انظر: ابن سيده، **المحكم والمحيط الأعظم**، ط1، حرف "الخاء والصاد" (٤/498)، ابن منظور، **لسان العرب**، ط3، مادة "خصص" (24/7).

(2) الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، ط8، مادة "التخصيص" (ص617).

(3) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط1، مادة "خص" (ص238).

(4) ابن النجار الحنبلي، **شرح الكوكب المنير**، ط2 (269/3).

(5) انظر: الزركشي، **البحر المحيط في أصول الفقه**، ط1 (325/4)، السمعاني، **قواطع الأدلة في الأصول**، ط1 (174/1).

(6) انظر: الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، ط2 (28/2)، الرازي، **المحصول**، ط3 (7/3).

(7) ابن فارس، **مقايس اللغة**، د.ط، مادة "ذَكَرَ" (358/2).

ووضـــع المِلَـل، وكـلّ كتـاب من الأنبيـاء –عليهم السَّلام– ذِكْرٌ[1].

ونقل الإمام ابن الجوزي في تفســيره المراد بالذِّكر في قولـه تعـالى: {صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ} [ص:1]، ثلاثـة أقوال وهي لا تخرج في مرادهـا عن المعـاني اللغوية:

أحدها: أنَّه الشَّرف، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والســـدي. والثاني: البيان، قـاله قتادة. والثالـث: التذكير، قاله الضحاك[2].

ويجمع بين هـذه الأقوال لمعنى المراد بالـذِّكر في الآيـة: أنَّ الشـــيء الـذي لـه قيمـة يُخَصّ بالتَّـذكير والصِّيت والبيان والشَّرف والثَّناء.

المطلب الثالث: تعريف المخصـــوص بالذِّكر في القرآن الكريم باعتباره مركَّبًا إضافيًّا.

وبعد أن وقف الباحث على المعاني الدَّالة على معنى (المخصـــوص) و (الذِّكر) كألفاظ مســـتقلة، يجدر بالبـاحـث أن يُعرِّف معنى المخصـــوص بالـذِّكر في القرآن الكريم باعتبار كونه مركَّبًا إضافيًّا.

وقبل التعرف على معنى المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم بكونه لقبًا، لا بُدَّ من تمهيد ضـروري لضـبط المصـــطلحات المتشـــابهة والمتقاربة، حتى لا يحصـــل تداخل بينها، **ومن أهمها:**

أولًا: اعتنى الأصـــوليون عناية كبيرة بدلالة الألفاظ، لكونها العُمدة في عملهم، وتســـاعد على دقة النظر في الاســتنباط والوصــول إلى الأحكام الصَّــحيحة، **والألفاظ عند الجمهور تنقسم** باعتبار طريق دلالتها على المعنى إلى قسـمين: **دلالة المنطوق:** وهو ما دلَّ على الحُكم بلفظه وصـيغته ومنظومه، أي: بوضـعه اللغوي، **ودلالة المفهوم:** وهو ما دلَّ على الحُكم لا بلفظـه؛ وإنمـا بفحواه ومفهومـه، وللتفريق بينهمـا نضــرب مثالًا، كقوله تعالى: {فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ} [الإسراء:23]، فإنَّه يدلُّ بمنطوقه على تحريم التأفيف، ويدلُّ بمفهومه على تحريم جميع أنواع الأذى المفهومة من هذا اللفظ، من الضرب وغيره[3].

ثانيا: قسَّم الأصوليون دلالة المفهوم إلى نوعين:

النوع الأول: مفهوم الموافقة: ويســمَّى عند الحنفية بدلالة النص[4]، وهو لا يخرُجُ عن نوعين:

الأول: فحوى الخطاب: وهو أنَّ المســكوت عنه أَوْلى بالحُكم من المنطوق به؛ لشـدَّة وضـوح العلَّة في المســكوت عنـه من المنطوق بـه. **والثـاني: لحن الخطـاب:** وهو أنَّ المســكوت عنه فيه مســاويًا للمنطوق به في الحُكم؛ لتساويهما في العلة[5].

النوع الثاني: مفهوم المخالفة: ويسمَّى عند المتقدمين بـدليـل الخطـاب، وعنـد الحنفيـة يســمَّى دلالـة

(1) انظر: الجوهري، **الصـحاح تاج اللغة وصـحاح العربية**، ط4، فصـل الذال، مادة "ذَكَرَ" (٢/665)، ابن منظور، **لســان العرب**، ط3، مادة "ذكر" (4/310).

(2) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط1 (3/558).

(3) *الأصـبهاني، بيان المختصـر شـرح مختصـر ابن الحاجب*، ط1 (2/430).

(4) السـرخسـي، **أصـول السـرخسـي، د.ط** (1/241)، بقوله: "فأمَّا الثابتُ بدلالة النص، فهو ما ثبت بمعنى النَّظم لغة لا استنباطًا بالرأي؛ لأنَّ للنظم صورةً معلومة ومعنًى هو المقصود".

(5) انظر: الآمـدي، **الإحكـام في أصـــول الأحكـام**، ط2 (3/66)، التلمساني، **مفتاح الوصول إلى علم الأصول**، ط1 (صـ112).

المخصوص بالذِّكر أو تخصيص الشيء بالذِّكر، ويُعبِّر عنه بعض فقهاء المالكية بمفهوم الخطاب[1]، **ويعرَّف بأنَّه:** إثبات نَقِيض حكم المنطوق للمسكوت عنه المخالف له، وقيل: تعليق الحكم على أحد وصفي الشَّيء فيدلُّ على الأخذ بِخِلافه[2]، **والغرض منه:** بيان حكم ما لم يُذكَر في النص، فالمسكوت عنه مخالف للمخصَّص بالذِّكر، وهو حجة عند جمهور الأصوليين، ويصحُّ الاستدلال به على الأحكام الشرعية في تخصيص العام به، إذا توفرت فيه شروطه[3]، **ومن أمثلته:** كقوله تعالى: {وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق:6]، فدلَّت الآية بالمفهوم المخالف: أنَّ البائن غير الحامل لا نفقة لها، ومثال آخر: في قوله تعالى: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ} [النساء:92]، فدلَّت الآية بالمفهوم المخالف: أنَّ الكافرة لا تُجزئ، خلافًا للسَّادة الحنفية، ومن وافقهم كابن حزم الظاهري[4]، والغزالي[5]، والرَّازي[6]، الذين ذهبوا إلى عدم الاحتجاج بمفهوم المخالفة، وعدم تخصيص العام به، بل جعلوه من الاستدلالات الفاسدة، **ومن أمثلة الاستدلالات الفاسدة عندهم،** كقوله تعالى: {لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً} [آل عمران:130]، قال الجصَّاص: "وفي هذا دلالة على أنَّ المخصوص بالذِّكر لا يدل على أنَّ ما عداه بخلافه؛ لأنَّه لو كان كذلك لوجب أن يكون ذكر تحريم الرِّبا أضعافًا مضاعفة دلالة على إباحته إذا لم يكن أضعافًا مضاعفة، فلمَّا كان الرِّبا محظورًا بهذه الصِّفة وبعدمها، دلَّ ذلك على فساد قولهم"[7]، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «مطل الغني ظلم»[8]، فإنَّه يدل بمفهوم المخالفة على أنَّ مطل غير الغني عمومًا لا يكون ظلمًا[9].

والفرق بين الحنفية وابن حزم في حُجية دلالة المفهوم بنوعيه، أنَّ الحنفية يرون حُجية دلالة مفهوم الموافقة اتفاقًا مع جمهور الأصوليين؛ قياسًا على حجية القياس وإشارة النص، أمَّا دلالة مفهوم المخالفة فهم ينكرون حجيتها، لأنها تستند عندهم

(1) **من أنواع مفهوم المخالفة عند الجمهور**: مفهوم الصفة، والشرط، والغاية، والعدد، واللقب. انظر: ابن النجار الحنبلي، **شرح الكوكب المنير**، ط2 (497/3).

(2) انظر: ابن مفلح، **الأصول**، ط1 (1065/3). الجويني، **البرهان**، ط1 (166/1). ابن العربي، **المحصول**، ط1 (ص105).

(3) اشترط القائلون بحجية مفهوم المخالفة شروطًا للعمل به على خلاف بينهم، فمنهم من اكتفى بشرط واحد، وهو ألا يظهر لتخصيص المنطوق بالذكر فائدة غير نفي الحكم عن المسكوت عنه كالبيضاوي في المنهاج، ومنهم من أوصلها إلى أحد عشر شرطًا كالزركشي. انظر: الزركشي، **البحر المحيط في أصول الفقه**، ط1 (133/5)، ابن النجار الحنبلي، **شرح الكوكب المنير**، ط2 (496/3).

(4) ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، ط2 (2/7).

(5) الغزالي، **المستصفى**، ط1 (ص265).

(6) الرازي، **المحصول**، ط3 (136/2).

(7) الجصاص، **أحكام القرآن**، ط1 (47/2).

(8) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب الحوالات، باب في الحوالة وهل يرجع في الحوالة، (799/2) رقم (2166)، (2167)، (2270)، وأخرجه مسلم في **الصحيح**، كتاب المساقاة، باب تحريم مطل الغني وصحة الحوالة واستحباب قبولها إذا أحيل على ملى، (1197/3) رقم (1564).

(9) ابن النجار، **شرح الكوكب المنير**، ط2 (157/3).

على مجرد التخصيص بالذِّكر الذي لا يمكن الركون عليه في جميع الصُّور، أمَّا ابن حزم فهو ينكر حجية الاثنين معًا الموافقة والمخالفة؛ لخروجهما عن دائرة ظاهر النص لديه، وهو أمر لا يعتبره الحنفية أصلاً معتمدًا عليه[1].

وبعد هذا التمهيد في دلالة الألفاظ، يتبادر لدى القارئ تساؤل: هل دلالة المخصوص بالذّكر عند الحنفية، هو نفسه المخصوص بالذِّكر في ألفاظ القرآن الكريم لدى المفسرين؟

الذي يراه الباحث –والله أعلم وأحكم– أنَّ المخصوص بالذِّكر في آيات القرآن الكريم أعم وأشمل من المخصوص بالذِّكر عند الحنفية، فيدخل فيه جميع أقسام دلالة الألفاظ من المنطوق والمفهوم، ويدخل فيه كذلك دلالة المفهوم بنوعيه الموافقة والمخالفة، ويدخل فيه أنواع أخرى من العلوم التي اهتمت بأسرار الكَلِم، كالبلاغة بأنواعها، والإعجاز وغيره، التي تؤدي بمجموع هذه العلوم لفهم شيء من أسرار القرآن الكريم ولطائفه وأحكامه.

وقد اطلع الباحث على مجموعة من الرسائل العلمية التخصصية التي تعرضت لتعريف المخصوص بالذِّكر، ومنها:

تعريف الباحث: إبراهيم بن عبد الله الحسين، بقوله: "تمييز ما خصه الله في القرآن الكريم"[2].

وعرَّفه باحث الدكتوراه: أبو الغيث بن علي عبد الله شرف، بقوله: "إفراد بعض العام بذكره دون بقية أفراد العام معطوفا عليه، أو منفردًا"[3].

وعرَّفه باحث الدكتوراه: محمد عطران، بقوله: "إفراد الآية لبعض الكل بالذِّكر لعلة تختص بذلك البعض دون غيره، سواء كانت العلة ظاهرة أم خفية"[4].

ويجمع بين هذه التعريفات السابقة لمعنى المخصوص بالذِّكر أنَّ فيه: تفردًا أو تمييزًا للجزء أو البعض في الآية عن بقية الكل أو العام، لعلة تختص به.

وقد خلص الباحث في تعريفه للمخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم **بأنَّه: قَيْدٌ مَقْصُورٌ في الآية لِبَيَانِ عِلَّةٍ أو حُكْمٍ أو مَقْصَدٍ من مَقَاصِد الشريعة.** فما كان من العلماء بعد ذلك إلَّا أنهم أعملوا فكرهم، واجتهدوا رأيهم، لبيان سبب ذلك التخصيص والإفراد بالذِّكر لإدراك معنى الآية وأحكامها وأسرارها.

شرح مفردات التعريف المستخلص من الباحث:

قولنا (قَيْد): الْقَيْدُ: جَمْعُهُ قُيُودٌ وَأَقْيَادٌ، وَقَيَّدْتُهُ تَقْيِيدًا

(1) العريني، محمد بن سليمان، بحث: **مفهوم المخالفة بين الحنفية وابن حزم دراسة تحليلية مقارنة**، مجلة العلوم الشرعية، ع 33، شوال عام 1435هـ.

(2) الحسين، **المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وتوجيهه عند الزمخشري دراسة نظرية تطبيقية**، كلية الشريعة قسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم (ص25)، نوقشت في عام 1443هـ.

(3) أبو الغيث، **المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وتوجيهاته عند الإمام الرازي في تفسيره دراسة تأصيلية تطبيقية**، كلية القرآن والدراسات الإسلامية قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ص30)، نوقشت عام 1443هـ

(4) عطران، **المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وتوجيهه عند أبي حيان في تفسيره دراسة تطبيقية**، نوقشت عام 1444هـ بكلية الشريعة قسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم (ص31).

جَعَلْتُ الْقَيْدَ فِي رِجْلِهِ، وَمِنْهُ تَقْيِيدُ الألفاظ بما يمنع الاختلاط ويزيلُ الالتباس[1]، أو إخراج اللفظ المطلق عن الشيوع بوجه ما، كالوصف، والشرط، والظرف[2]. والحكم كلما زاد قيده زاد خصوصية، وكلما زاد خصوصية زادت فائدته[3].

قولنا (مَقْصُورٌ في الآية): القَصْر لغة: الحبس، كما قال الله تعالى: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ} [الرحمن:72]. واصطلاحًا: هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص[4]، فمجال البحث هنا مخصَّص ومحصور في آيات القرآن الكريم.

قولنا (لِبَيَان): البيان: اسم مصدر من الفعل (بَيَّنَ) تدور معانيه حول: "الإبانة، والفصاحة، والإيضاح، والكشف عن المشكل"[5]، واصطلاحًا: هو "إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستورًا قبله"[6]، أو: "هو الذي دلّ على المراد بخطاب لا يستقل بنفسه في الدلالة على المراد"[7]، ولعل التعريف الثاني هو الأقرب للمراد في المباحث القرآنية.

قولنا (عِلَّة): العِلَّة في اللغة: المرض، واصطلاحًا: تطلق على الوصف الظاهر المنضبط الذي يحصل من ترتيب الحكم عليه مصلحة[8]، ومن أفضل من عرَّف العِلَّة بما يتناسب مع موضوع البحث هو الشاطبي بقوله: "وأمَّا العِلَّة فالمراد بها: الحِكَم والمصالح التي تعلَّقت بها الأوامر أو الإباحة، والمفاسدُ التي تعلقت بها النَّواهي[9]. فهي عند الأصوليين: سبب تشريع الحكم.

قولنا (حُكْمٍ): هو الحُكم الشرعي، والحكم في اللغة: الفَصْل، يُقال: حكمتُ بين الخَصمين إذا فصَلتُ بينهما، وفي اصطلاح الأصوليين: "خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلَّفين، من حيث الاقتضاء، أو التخيير، أو الوضع"[10].

قولنا (مَقْصَد من مقاصد الشريعة): عُرِّفت المقاصد الشرعية بعدة تعريفات منها، ما ذكره الشاطبي، بقوله: "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدًا لله اختيارًا، كما هو عبدٌ لله اضطرارًا"[11]، وعرفَّها ابن عاشور بأنها: "المباني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو مُعظمها"[12].

وقد حظيت مقاصد الشريعة في العصر الحديث بعناية خاصة من قبل العلماء والباحثين؛ وذلك

(1) الفيومي، **المصباح المنير**، ط1، مادة "القاف مع الياء" (ص199).

(2) محمود عبد الرحمن، **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، ط1 (484/1).

(3) الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ط1 (ص319).

(4) الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ط1 (ص165).

(5) انظر: الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ط4، مادة: "بين" (٥/ ٢٠٨٣)، ابن منظور، **لسان العرب**، ط3، مادة: "بين" (١٣/ 67).

(6) الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ط1 (ص47).

(7) الرازي، **المحصول**، ط3 (١٥٠/٣).

(8) الخادمي، **علم المقاصد الشرعية**، ط1 (ص19).

(9) الشاطبي، **الموافقات**، ط1 (411/1).

(10) السلمي، **أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله**، ط1 (ص24).

(11) الشاطبي، **الموافقات**، ط1 (289/2).

(12) ابن عاشور، **مقاصد الشريعة**، ط1 (ص51).

لأهميتها ودورها في عملية الاجتهاد الفقهي، وفي معالجة قضايا الحياة المعاصرة في ضوء الأدلة والنصوص والقواعد الشرعية[1].

المطلب الرابع: أهمية دراسة المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم.

لقد كان وما زال علماء الإسلام من المفسرين عبر العصور يُقَدِّمون بين الفينة والأخرى جهودًا عظيمة في التصنيف والاستنباط والاستقراء للآيات والألفاظ القرآنية، حيث اجتهدوا إلى استقراء واستنباط دقيق لأساليب القرآن وألفاظه، وكان من بينها أسلوب المخصوص بالذِّكر، الذي يُعدُّ أحد الأبواب التفسيرية ذات الطابع البلاغي والدلالي العميق، وذلك لحِكَم ومقاصد شرعية وبلاغية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة العلمية أنها تُسلِّط الضوء على إبراز جوانب دقيقة وفريدة في آيات القرآن الكريم، فهو بحر زاخر، عطاؤه يتجدد، وأسراره لا تنفد، وعجائبه لا تنقضي، **ومن أبرز وأعظم فوائد هذه الدراسة:**

أولًا: الكشف عن أسرار بلاغية دقيقة في التركيب القرآني: فتتبّع ألفاظ المخصوص بالذِّكر يُسهم في إبراز ما أودعه الله عز وجل في كتابه العظيم من دِقَّة توظيف اللَّفظة في موضعها، فمن إعجازه أنك لا تستطيع أن تبدل كلمة مكان أخرى، أو تقدم كلمة على أخرى، "فكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أُدِير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"[2].

ثانيًا: الإعانة في فهم مراد الله تعالى وحِكَمِه التشريعية: فالوقوف عند لفظة المخصوص بالذكر، يُعين على إدراك العلل والحِكم المرتبطة بفهم المراد من كلام الله وَحِكَمِه على الوجه الذي أراده الشارع، ويُسهم في جذب وتعليق الأرواح لليقين بموعد الله، وللمسارعة لاغتنام خيراته.

ثالثًا: إبراز الجمال الدلالي واللغوي للفظة القرآنية: فعناية المفسرين بألفاظ مخصوصة بالذِّكر تكشف عن جمال السياق القرآني، وعمق معناه، وروعة تعبيره، وحسن بيانه، قال أبو هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ) في مقدمة كتابه: الصناعتين الكتابة والشعر، في فضل علم البلاغة: "أنّ أحقَّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ- بعد المعرفة بالله جلَّ ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله تعالى"[3].

رابعًا: الاطلاع على توجيهات أُخرى للَّفْظة القرآنية من قبل المفسرين: فمن فوائد هذه الدراسة أنها تُظهر كيف تعامل المفسرون مع هذا الأسلوب، وما أوردوه من توجيهات تفسيرية متعددة، يُعدّ كثير منها من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد، ما يُبرز ثراء المسلك التفسيري ودقّته.

خامسًا: ربط القُرَّاء والمتخصصين بعظمة القرآن: حيث أنَّ إدراك شيء من مظاهر المخصوص بالذِّكر

(1) الخادمي، **علم المقاصد الشرعية**، ط1 (صـ16). يُعَدُّ الطاهر بن عاشور رائد مقاصد الشريعة الإسلامية في العصر الحديث، وهو الذي ذاع وانتشر خبره وصيته، خاصة في كتابه: (مقاصد الشريعة الإسلامية).

(2) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ط1 (52/1).

(3) أبو هلال العسكري، **الصناعتين: الكتابة والشعر**، د.ط (صـ1).

يُعمّق لدى القارئ الشعور بجلال القرآن وروعته، حيث إنَّ الله أودع في ألفاظه وتراكيبه من الخصائص واللَّطائف ما أعجز البشر عن الإحاطة بها، وما وقف عليه العلماء من أسرار بلاغته، وما سيقفون عليه ما هو إلَّا قطرة من بحر عطائه.

سادسًا: الوقوق على شيء من جمال وَحِكم من نزل القرآن عليهم، فإنَّ "فَهْم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصَّ اللهُ به لغتها دون جميع اللغات، فإنَّه ليس في جميع الأمم أُمَّة أُوتيت من العارضة، والبيان، واتساع المجال، ما أوتيته العرب خصّيصى من الله"[1].

سابعًا: تحقيق الانسجام مع مقاصد الشريعة: إنّ من أبرز وجوه أهمية دراسة المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم أنه يعزّز البعد المقاصدي في التفسير؛ إذ كثيرٌ من الألفاظ التي خُصّت بالذِّكر في سياق عام، تحمل إشارات دلالية دقيقة إلى مقاصد الشريعة الكبرى، كالعدل، والرحمة، والحكمة، والتذكير بالنعم، والزجر، والتنبيه، وغيرها من المعاني المؤثرة في فهم النص الشرعي فهما مقاصديًّا متكاملًا، لذا جعل العلماء أن اعتبار مقاصد الشريعة من المرجحات التي ينبغي مراعاتها في اختلاف الفقهاء.

المطلب الخامس: مراحل عناية المفسرين بالمخصوص بالذِّكر.

من المهم قبل الشروع في تتبّع مراحل العناية بالمخصوص بالذِّكر، أن نقف أولًا على دلالة مصطلح (المرْحَلَة) لغة واصطلاحًا، وأهمية تحديد المرحلة في الدراسات التفسيرية؛ لما في ذلك من أثر مهم في تحديد الأُطُر الزمنية والعلمية التي تشكّل كل مرحلة، وتُميزها عن غيرها.

أولًا: المرْحَلَة لغةً: مأخوذة من الفعل الثلاثي (رَحَلَ)، وهو أصلٌ يدلّ على التنقُّل من مكان إلى آخر، قال ابن فارس: "الراء والحاء واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مُضيٍّ في سَفَر"[2]، فيُقال: (قَوْمٍ رُحَّلٌ) (ورَحَلَ عَن الْمَكَان) (وارْتَحَلَ البعيرُ)، أي: انْتَقَلَ وسَارَ وَمضَى، وتُطلق المرْحَلَة كذلك: على الْمسَافَة يقطعهَا السائر فِي نَحْو يَوْم أَو مَا بَين المنزلين[3]، **فيكون من معانيها:** الانتقال، والقطع، والتقدير.

ثانيًا: المرحلة اصطلاحًا: عرفها الفقهاء بأنها: سير يوم أو ليلة بسير الأثقال[4]. ويُستفاد منها في تقسيم العلوم إلى أطوار زمنية أو معرفية أو تحليلية، كما هو الحال في تقسيم مراحل علم التفسير أو تطور المصطلحات القرآنية وغيرها.

ثانيًا: أهمية تحديد المرحلة في الدراسات التفسيرية: تكمن أهمية تحديد (المرحلة) عند تناول موضوعات التفسير –ومنها المخصوص بالذِّكر– في القدرة على استيعاب تطور المناهج التفسيرية، وتحليل التغيّرات في آليات التعامل مع النص القرآني، وفهم السياقات

(1) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، د.ط (ص17).

(2) ابن فارس، **مقايس اللغة**، د.ط، مادة "رحل" (497/2).

(3) الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، ط8، فصل الراء، مادة "رحل" (ص1005)، ابن منظور، **لسان العرب**، ط3، فصل الراء، مادة "ارتحل" (278/11)، مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط1، باب الراء، مادة "رحل" (334/1).

(4) مجموعة من المؤلفين، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ط2 (346/36).

الفكرية والعلمية التي أثرت على عناية المفسرين بكل نوع من أنواع التفسير.

وقد برز هذا جليًا في تتبع مراحل العناية بالمخصوص بالذِّكر، حيث وُجد تفاوت واضح في درجات العناية وطرق التناول لهذا المصطلح، تبعًا لطبيعة المرحلة، فقد مرَّ علم التفسير بعدة مراحل، كان لكل مرحلة منها طبيعتها التي تتوافق مع أحوالها الزمانية والمكانية ومناهجها العلمية، وأثناء دراسة الباحث لمسائل المخصوص بالذِّكر دراسة تحليلية في القسم التطبيقي في تفسير الإمام ابن الجوزي وتوجيهات المفسرين لها وَجَد تفاوُتَ عناية المفسرين بهذا اللون من التفسير في فترة زمنية دون الأخرى، وقد اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي في تتبّع أبرز سمات كل مرحلة، واستنباط خصائصها، وإبراز النماذج التفسيرية الممثّلة لها، **وقد تم تقسيمها اجتهادًا من الباحث إلى خمس مراحل رئيسية**[1]:

المرحلة الأولى: مرحلة بداية التدوين للعلوم[2].

بدأ الاهتمام بالمخصوص بالذِّكر بالظهور مع ندرته جدًا، في أواخر القرن الأول الهجري، وبرزت ملامحه بشكل أوضح في القرن الثاني الهجري –أثناء مرحلة التفسير بالمأثور– من خلال أقوال صغار الصحابة –رضي الله عنه– وتلاميذهم من التابعين –رحمهم الله جميعًا– حيث وجد الباحث الإشارة إليه من المفسرين ونسبته لبعض أئمة التفسير كابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن –رضي الله عنه– (ت:68هـ)، وسعيد بن جبير(ت:95هـ)، ومجاهد بن جبر (ت:104هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت:105هـ)، والحسن البصري (ت:110هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت:114)، وقتادة بن دعامة (ت:117هـ)، ومقاتل بن سليمان (ت:150هـ)، وغيرهم رحمهم الله جميعًا، **ومن أمثلة ذلك**:

ما نقله الإمام ابن الجوزي عن ابن عباس –رضي الله عنه– في علة تخصيص الذئب بالذِّكر، أحدها: أنَّه رأى في منامة أنَّ الذئب شدَّ على يوسف، ثم نسبه بقوله: قاله أبو صالح عن ابن عباس[3].

وكذلك ما نقله الإمام ابن الجوزي في علة تخصيص الأصلاب بالذِّكر، بقوله: قال عطاء بن أبي رباح: إنما ذكر الأصلاب؛ لأجل الأدعياء[4].

وكذلك ما جاء عن مقاتل بن سليمان في سبب تخصيص قبيلتي عاد وثمود في قوله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ **عَادٍ وَثَمُودَ**} [فصلت:13]، بقوله: "وإنما خصَّ عادًا وثمود من بين الأمم؛ لأنَّ كفار مكة قد عاينوا

(1) **تنبيه**: هذا التقسيم لهذه المراحل لا يعني انفصالها التام عن بعضها البعض، بل قد تجد إحدى المراحل لها تعلق في المرحلة التي بعدها، والعكس صحيح.

(2) بدأ التدوين للعلوم في أواخر عهد بني أمية –(بدايته: 41هـ/نهايته: 132هـ)، وأوائل عهد العباسيين (بدايته: 132هـ/نهايته: 656هـ)– وحظي الحديث بالنصيب الأول في ذلك، وشمل تدوين الحديث أبوابًا متنوعة، وكان التفسير بابًا من هذه الأبواب، فلم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة، وآية آية، من مبدئه إلى منتهاه. انظر: مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ط29 (صـ340)، مؤسسة الرسالة.

(3) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط1 (403/7).

(4) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط1 (79/4).

هلاكهم باليمن والحِجر"[1].

من وجهة نظر الباحث أنَّ سبب هذه النُّدرة للمخصوص بالذِّكر في الآيات القرآنية في هذه المرحلة؛ أنهم كانوا في الأغلب يتعرضون لعلة المخصوص بالذِّكر أثناء تفسيرهم لمعنى الآية، دون الإشارة إليه بألفاظ التخصيص، **ومن أمثلة ذلك:** ما أشار إليه الإمام ابن الجوزي، ونسبه لعلماء هذه المرحلة، بقوله: فإن قيل: كيف عمَّ الآيات ها هنا بالإحكام، في قوله تعالى: {الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ} [هود:1]، وخصَّ بعضها في قوله: {مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ} [آل عمران:7]؟ "**فعنه جوابان: الجواب الأول:** أنَّ الإحكام الذي عمَّ به ها هنا، غير الذي خَصَّ به هناك، **وفي معنى الإحكام العام خمسة أقوال:** أحدها: أُحكمت فلم تُنسخ بكتاب كما نُسخت الكتب والشَّرائع، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أُحكمت بالأمر والنهي، قاله الحسن، وأبو العالية. والثالث: أُحكمت عن الباطل، أي: مُنعت، قاله قتادة، ومقاتل. والرابع: أُحكمت بمعنى جُمعت، قاله ابن زيد. والخامس: أنَّه إعجاز النظم والبلاغة وتضمين الحِكَم المعجزة"[2].

المرحلة الثانية: مرحلة التفسير القائم على اللغة العربية.

ظهر هذا اللون من التفسير تقريبًا في أواخر القرن الثاني الهجري، وقوي في القرن الثالث، أثناء مرحلة التفسير الْمُعْتَمِد على اللغة العربية في فهم كتاب الله، حيث إنَّ من صنَّف في هذه المرحلة هم في الأصل من كبار النُّحاة في زمانهم، فكان تركيزهم مُنْصَبًّا في الجانب اللُّغوي وحده، مع الاستشهاد له بالشعر وكلام العرب[3]، وكان الدافع الأكبر للتصنيف هو انتشار العُجمة وضعف العربية، وإبراز مذهبهم النحوي الذي ينتمون إليه، فكان يندر عندهم بيان أسباب النزول أو قصص القرآن أو ذكر لأقوال المفسرين، بل كانوا لا يلتزمون فيه بتفسير جميع الآيات.

وَمِن العلماء الذين صنَّفوا واعتنوا بهذا اللون في تفاسيرهم وأبرزوا المخصوص بالذِّكر في آيات القرآن الكريم: الفرَّاء (ت:207هـ)، في كتابه: معاني القرآن، وابن قُتَيْبة (ت:276هـ) في كتابيه: تأويل مشكل القرآن، وغريب القرآن، والزَّجاج (ت:311هـ)، في كتابه: معاني القرآن وإعرابه، ومصنفات أبو بكر ابن الأنباري (ت:٣٢٧هـ)، في معاني القرآن[4]، وغيرهم،

(1) مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، د.ط (737/3).

(2) ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط1 (191/7).

(3) **الفرق بين اللغويين والمفسرين في التصنيف:** أنَّ اللغويين: أصل بحثهم في اللغة، أما المفسرون فأصل بحثهم في القرآن، ولذا فالنظر اللغوي أسبق عند اللغويين، أمَّا السلف فكان نظرهم إلى المعنى أسبق. انظر: مساعد الطيار، **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، ط6 (ص268).

(4) تُعَدّ أقوال ابن الأنباري في معاني القرآن واللغة والنحو والقضايا التفسيرية وخصوصًا فيما يتعلق بمشكل القرآن، من المصادر الرئيسة التي استفاد منها الواحدي كثيرًا في تفسيره: البسيط، وهي لم تصل إلينا، ولعل السبب في عدم وصول مثل هذه الكتب ما ذكره الخطيب البغدادي: من أنَّه كان يملي، ولم يكن يكتب. انظر: الخطيب، **تاريخ بغداد**، ط1 (١٨٤/٣).

ومن أمثلة ما يدلّ على ذلك:

ما نقله الفرَّاء في علة تخصيص سليمان بالذِّكر من إرث أبيه داود -عليهما السلام- في قوله تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ...} [النمل:16]، مع أنَّ له تسعة عشر ذكرًا، بقوله: "لأنها وراثة الْمُلك"[1].

وما نقله ابن قُتَيْبة في سبب تخصيص الأفئدة في قوله تعالى: {ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ} [الهمزة:7]، بقوله: "وخصّ الأفئدة؛ لأنّ الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه"[2].

واتضح ذلك جليًا في نقل الإمام بن الجوزي عنهم أثناء تعرضه لمسائل المخصوص بالذِّكر للآيات القرآنية.

المرحلة الثالثة: مرحلة التفسير الشامل لآيات القرآن.

اتضحت هذه المرحلة وضوحًا جليًّا مع البداية الحقيقة في التصنيف في علم التفسير الشامل لجميع آيات القرآن الكريم، حيث اعتنى المفسرون بالمخصوص بالذِّكر في الآيات القرآنية عناية كبيرة،

وَمِن أشهرهم في هذه المرحلة:

ابن جرير الطبري الملقب بشيخ المفسرين (ت:310هـ)، في تفسيره: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وأبو منصور الماتريدي (ت:333هـ)، في تفسيره: تأويلات أهل السنة، وأبو الليث السمرقندي (ت:373هـ)، في تفسيره: بحر العلوم، وأبو إسحاق الثعلبي (ت:427هـ)، في تفسيره: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، والماوردي (ت:450هـ)، في تفسيره: النكت والعيون، والواحدي (ت:468هـ)، في أوسع تفاسيره: البسيط، وابن عطية (ت:542هـ)، في تفسيره: المحرر الوجيز، وابن الجوزي (ت:597هـ)، في تفسيره: زاد المسير في علم التفسير، وغيرهم، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا، **وقد تجلى في هذه المرحلة** نضوج أكبر في استحضار دلالة التخصيص، وتوظيفها ضمن بنية تفسيرية شاملة، كما برز التنوع في الأسباب البلاغية والتشريعية التي يوردها المفسرون في هذا الباب.

المرحلة الرابعة: المرحلة التخصصية والفكرية.

من خصائص هذه المرحلة أنَّ المفسرين اتجهوا فيها إلى اختصار الأسانيد أو حذفها أثناء تفسيرهم للقرآن الكريم، وأخذ البعض ينقلون الآثار المروية عن السلف دون أن ينسبوها لقائليها، وازداد في هذه المرحلة القول في التفسير بالرأي واتسع مجاله المذموم منه والمحمود، فبرزت المذاهب الفقهية، والاتجاهات الفكرية، وانعكس أثر ذلك على التصنيف في تفسير القرآن الكريم، فخرجت تفاسير تأثرت بثقافة المفسِّر وتوجهاته الفكرية، وتعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل التفسير وأخطرها[3]، **ومن أبرز رجال هذه المرحلة:** عبد القاهر الجرجاني، الملقب بإمام البلاغيين (ت:471) في تفسيره: (دَرْج الدُّرر في تفسير الآي والسُّور)، عندما أكثر في تفسيره من علوم اللغة العربية وخصوصًا بلاغة وإعجاز القرآن، وضمن

(1) الفراء، **معاني القرآن**، ط1 (288/2).

(2) ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن**، د.ط (ص237).

(3) الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، ط1 (33/1).

تفسيره بعض الآراء الكلامية على مذهب الأشاعرة، وكذلك الزمخشري (ت:538هـ) في تفسيره: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، عندما أكثر في تفسيره عن وجوه الإعجاز القرآني البلاغية، والأسلوبية، واللغوية، واستثمره في نشر عقائد المعتزلة من خلال التعسف في فهم الآيات القرآنية، وكذلك الفخر الرازي (ت:606هـ) في تفسيره: (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، عندما أكثر في تفسيره بنقل أقوال الفلاسفة ونظرياتهم والرد عليهم، وكذلك القرطبي (ت:671هـ) في تفسيره: (الجامع لأحكام القرآن) عندما أكثر في تفسيره من إيراد المسائل الفقهية وأدلة المذاهب ويناقشها، ولكنه يمشي مع الدليل، ولا يتعصب إلى مذهبه (المالكي)، وفيه رد على الفلاسفة والمعتزلة وغلاة المتصوفة وبقية الفرق، وكذلك أبو حيان (ت:745هـ) في تفسيره: (البحر المحيط)، عندما أكثر في تفسيره من اللغة العربية وعلومها، وغيرهم.

ثم تتابعت بعدهم التفاسير التي سارت بنفس المسار واعتنت باللغة العربية وعلومها، ولكنها في الغالب اختصارًا أو جمعًا لما سبقها من التفاسير، ومن أبرز المفسرين في العصر الحديث الذي اعتنى عناية فائقة بمعاني القرآن وإعجازه: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:1393هـ) في تفسيره: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد أو التحرير والتنوير)، يقول في مقدمة تفسيره: "وقد اهتممتُ في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونُكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتممتُ أيضًا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض "..." فإني بذلتُ الجُهْد في الكشف عن نُكَتٍ من معاني القرآن وإعجازه خَلَت عنها التفاسير"[1].

وقد وجد الباحث أنَّ المخصوص بالذِّكر في هذه المرحلة قوي واتسع؛ وذلك لقوة ارتباطه المباشر بتطور اللغة العربية وعلومها التي ساهمت بشكل كبير في إبراز بلاغة القرآن الكريم وإظهار شيء من إعجاز القرآن الكريم ونظمه، حتى أصبح المفسِّر يتعرض لبيان أكثر من وجه لسبب المخصوص بالذِّكر في الآية، **ومن أمثلة ذلك:**

ما نقله الجرجاني في سبب تخصيص يوم الدِّين بالذِّكر في قوله تعالى: {مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ} [الفاتحة:4]، بقوله: "لتعظيم شأنه، كما يقال: ربُّ الكعبة، وإله إبراهيم"[2].

وما نقله الزمخشري في سبب تخصيص الخير بالذِّكر في قوله تعالى: {...وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ...} [آل عمران:26]، بقوله: "فإن قلت: كيف قال: (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) فذكر الخير دون الشر؟ قلتُ: لأنّ الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة، فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك؛ ولأنَّ كل أفعال الله تعالى من نافع وضارّ صادر عن

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، د.ط (8/1).

(2) الجرجاني، **دَرْجُ الدُّرر في تفسير الآي والسُّوَر**، ط1 (87/1).

الحكمة والمصـــلحة، فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه"[1].

وما نقله الرَّازي في سـبب تخصـيص الرُّكوع بالذِّكر، بقوله: "أمَّا قوله تعالى: {وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ} [البقرة:43]، **ففيه وجوه، أحدها**: أنَّ اليهود لا ركوع في صلاتهم فخصَّ الله الركوع بالذِّكر تحريضًا لهم على الإتيان بصلاة المسلمين، **وثانيها**: أنَّ المراد صلوا مع المصلين، وعلى هذا يزول التكرار؛ لأن في الأول أمر تعالى بإقامتها وأمر في الثاني بفعلها في الجماعة، **وثالثها**: أنَّ يكون المراد من الأمر بالركوع هو الأمر بالخضوع؛ لأنَّ الركوع والخضوع في اللغة سواء فيكون نهيًا عن الاستكبار المذموم وأمرًا بالتذلل"[2].

وما نقله أبو حيان في سبب تخصيص القلب بالذِّكر في قوله تعالى: {قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ} [البقرة:97]، بقوله: "وخصَّ القلب ولم يأتِ عليك؛ لأنَّ القلب هو محلُّ العقل والعلم وتلقي الواردات، أو لأنَّه صحيفته التي يُرقم فيها، وخزانته التي يحفظ فيها، أو لأنَّه سلطان الجسد، "..." أو لأنَّ القلب خيار الشيء وأشرفه، أو لأنَّه بيت الله، أو لأنَّه كنَّى به عن العقل إطلاقًا للمحلِّ على الحال به، أو عن الجملة الإنسانية "..." أو يكون إطلاقًا لبعض الشيء على كله، أقوال سبعة"[3].

وبهذا يتبين: أنَّ العلاقة بين التفسير وعلوم اللغة العربية أو ما يسمَّى بالتفسير اللغوي أو البياني لما يُشكل من الألفاظ والأساليب القرآنية هي علاقة تلازم وتكامل؛ فاللغة العربية وعلومها هي الطريق إلى فهم النص القرآني، وإظهار أَوْجُه إعجازه، ومعرفة أسراره، وهذا ما أكَّده الشاطبي (ت:970هـ) في كتابه: الموافقات، بقوله: "إن الشريعة عربيةٌ، وإذا كانت عربيةً فلا يَفْهَمُها حقَّ الفهم إلَّا مَن فَهم اللغة العربية حقَّ الفهم؛ لأنهما سِيَّان في النَّمَط..."[4]، أي: أنَّ ما ورد في الشريعة من الكتاب والسُّنة وما ورد من كلام العرب من نمط واحد وطريق واحد.

وهذا الحقيقة أخذ بها كثير من علماء التفسير، ومنهم الطاهر ابن عاشور (ت:1393هـ)، في مقدمة تفسيره: التحرير والتنوير، بقوله: "إنَّ القرآن كلام عربي، فكانت قواعد العربية طريقًا لفهم معانيه "..." ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان"[5].

ومما يجب التنبه عليه: أنَّه مع أهمية اللغة العربية في فَهْم آي القرآن الكريم، إلَّا أنَّه يجب الحرص على عدم الاعتماد عليها مجردًا في فهم كلام الله تعالى، قال القرطبي (ت:671هـ)، منبهًا على ذلك، بقوله: "فمن لم يُحْكِم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كَثُر غَلَطُه، ودخل في زُمرة من فسَّر القرآن بالرأي، والنقل والسماع لا بُدَّله منه

(1) الزمخشري، **الكشاف**، ط3 (350/1).

(2) الرازي، **مفاتح الغيب أو التفسير الكبير**، ط3 (487/3).

(3) أبو حيان، **البحر المحيط**، ط1 (513/1).

(4) الشاطبي، **الموافقات**، ط1 (53/5).

(5) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، د.ط (18/1).

في ظاهر التفسير أولًا؛ لِيَتَّقِي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتَّسِع الفهم والاستنباط"[1].

وهذه النتيجة هي ما أجمع عليه المفسرون والأصوليون وعلماء الدراسات القرآنية، وقد نقل السيوطي (ت:911هـ) في شرح ألفيته الإجماع عليه، بقوله: "وقد اتفق العلماء على أنَّ النحو يحتاج إليه في كل فن من فنون العلم، ولا سِيَّما التفسير والحديث"[2].

المرحلة الخامسة: مرحلة البحوث العلمية التخصصية من خلال المؤسسات التعليمية.

شهدت القرون المتأخرة تطورًا نوعيًا في منهجية الدراسات التفسيرية، حيث ظهرت الجامعات والمراكز البحثية، وانتشر البحث العلمي في الدراسات الشرعية والقرآنية، وأُنجزت العديد من الرسائل العلمية المتخصصة في موضوعات جزئية، منها دراسة المخصوص بالذِّكر.

وفي القرن الرابع عشر الهجري وما بعده، زاد التركيز على البحث والتحقيق والاستنباط للموضوعات العلمية الجزئية لكتب التراث الإسلامي ومنها كتب التفسير، وبرز ما يسمَّى بالدراسات الموضوعية في التفسير وعلومه، حيث يتناول الباحث مقصدًا واحدًا من مقاصد القرآن الكريم بالبحث والدراسة، كالتفسير الموضوعي لأحد المصطلحات القرآنية، أو من خلال اختيار أحد الموضوعات القرآنية، أو البحث في إحدى السور القرآنية[3].

وفي القرن الخامس عشر الهجري الذي نحن فيه، ومع التطورات المتسارعة للإنتاج العلمي، وما صاحبه من توفر وسائل وأدوات حديثة تُعين على الاطلاع والبحث العلمي، ومرورًا بما يسمَّى بالانفجار المعرفي في السنوات الأخيرة، ظهر نوع من البحث العلمي يركز على استخراج ودراسة مسائل المخصوص بالذِّكر ودراستها دراسة تحليلية أو تطبيقية في كتاب محدد من كتب التفاسير، وقد أشار الباحث أثناء الحديث عن الدراسات السابقة، إلى مجموعة من أسماء البحوث والدراسات العلمية التي سبقته في اعتنائها بدراسة المخصوص بالذِّكر في كتب التفاسير الأخرى.

ولعل هذا البحوث التخصصية تُستكمل وتأخذ مكانها من الدِّراسة والتأمل؛ حتى نكون قد أدَّينا جزءًا من واجبنا تجاه هذا الكتاب العظيم، الذي اختصنا الله تعالى به دون سائر الأمم.

ومن أبرز سمات هذه المرحلة: اعتماد المنهج التحليلي المقارن، والربط بين علوم البلاغة والفقه والتفسير، وتحليل خطاب المفسرين في ضوء المنهج العلمي الحديث.

وقد كشفت هذه المرحلة عن التكامل بين المخصوص بالذِّكر وعلوم اللغة والبلاغة، وأثبتت أن العناية بهذا اللون من التفسير تسهم في إبراز الإعجاز القرآني، وتفسير التراكيب القرآنية تفسيرًا مقاصديًّا متكاملًا.

وبعد هذا العرض للمراحل، أظهرت الدراسة أنَّ المخصوص بالذِّكر لم يكن محصورًا في فترة دون أخرى، بل تطوّر مع تطوّر علوم القرآن وعلوم اللغة،

(1) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2 (143/1).

(2) السيوطي، **المطالع السعيدة في شرح الفريدة**، ب.ط (74/1).

(3) للاستزادة انظر: محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ط8 (335-27/1).

فمع تطور علوم اللغة العربية خصوصًا علم البلاغة من بيان ومعان تَطَوَّر المخصوص بالذِّكر، فساهما بمجموعهما في فهم وإدراك وإبراز شيء من إعجاز القرآن الكريم ونظمه، وهذا ما أكده أبو حيان في مقدمة تفسيره، بقوله: "فاعلم أنَّه لا يرتقي من علم التفسير ذِرْوتَه، ولا يمتطي منه صهوته، إلَّا من كان مُتَبَحِّرًا في علم اللِّسان، مُتَرَقِّيًا منه إلى رتبة الإحسان..."[1].

الخاتمة والنتائج والتوصيات:

الحمد لله أولًا وآخرًا ظاهرًا وباطنًا، فبعد استقراء مادة البحث وتحليلها، توصّل الباحث إلى عدد من النتائج المهمة، أبرزها:

أولًا: اتّساع مفهوم "المخصوص بالذِّكر" في القرآن الكريم: فتبيَّن للباحث أنَّ المخصوص بالذكر في آيات القرآن الكريم أعمّ وأشمل من المخصوص بالذِّكر عند الحنفية، فيدخل فيه جميع أقسام دلالة الألفاظ من المنطوق والمفهوم، ويدخل فيه كذلك دلالة المفهوم بنوعيه الموافقة والمخالفة، ويفضي إلى معانٍ متعدّدة تتعلّق بالمقاصد والعلل والأحكام واللطائف البلاغية، مما يجعله أحد مفاتيح فهم الخطاب القرآني لفهم شيء من أسرار القرآن الكريم ولطائفه وأحكامه.

ثانيًا: تعريف جامع للمخصوص بالذِّكر: خلص الباحث إلى أنَّ المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم هو: قَيْد مَقْصورٌ في الآية لبيانِ علةٍ أو حُكْمٍ أو مَقْصَدٍ من مَقَاصِد الشريعة. فما كان من العلماء بعد ذلك إلَّا أنهم أعملوا فكرهم، واجتهدوا رأيهم، لبيان سبب ذلك التخصيص والإفراد بالذِّكر لإدراك معنى الآية وأحكامها وأسرارها، من خلال تفعيل أدوات الاستنباط، والوقوف على السياق، والربط بالمقاصد، مما يُعزّز حضور البعد التفسيري والدلالي الدقيق للنصوص.

ثالثًا: تكامل التفسير واللغة: أكّدت نتائج البحث أنَّ العلاقة بين التفسير وعلوم اللغة – ولا سيما البلاغة والنحو – علاقة وثيقة وتكاملية، حيث تمكّن هذه العلوم من إدراك الفروق الدقيقة بين الألفاظ، وتكشف عن بلاغة التخصيص في التعبير القرآني، وهو ما يتجلى في عناية العلماء، كابن الجوزي في تفسيره زاد المسير بإبراز معاني المخصوص بالذِّكر في سياق الآية وإظهار أَوْجُه إعجازه، ومعرفة أسراره.

رابعًا: إبراز القيمة العلمية لتفسير زاد المسير: أوضحت الدراسة التطبيقية في تفسير ابن الجوزي أنّه من المصادر التفسيرية الثريّة التي عنيت بتوجيه المخصوص بالذِّكر، مستفيدًا من أقوال السلف، ومعتمدًا على السياق، وموظفًا أدوات اللغة، مما يجعله نموذجًا جديرًا بالدراسة والتحليل في هذا الباب.

في ضوء ما سبق، يوصي الباحث بما يلي:

أولًا: الاستمرار في دراسة المخصوص بالذِّكر في كُتب التفسير التي لم تُدرس؛ وذلك لتتبع المنهجيات المختلفة للمفسرين؛ ولاكتشاف شيء من هذه

(1) أبو حيان، **البحر المحيط**، ط1 (17/1).

الأسرار القرآنية، حيث أنَّ الله أودع في ألفاظه وتراكيبه من الخصائص واللطائف ما أعجز البشر عن الإحاطة بها.

ثانيًا: العناية بجمع وتبويب أمثلة المخصوص بالذِّكر تصنيفيًّا: لأجل خدمة الباحثين والدارسين، وذلك من خلال القيام بجهد علمي لحصر صور وأمثلة المخصوص بالذِّكر في كتب التفسير، وتصنيفها وفق دلالتها (علّة، مقصد، حكم...)، وربطها بمقاصد الشريعة ومباحث علوم القرآن.

ثالثًا: تعزيز تدريس هذا المفهوم في مناهج التفسير وعلوم القرآن: نظرًا لأهمية المخصوص بالذِّكر في بناء الفهم العميق للنصوص، فيُوصي الباحث بدمجه بشكل أكثر وضوحًا في مناهج الدراسات القرآنية العليا، وربطه بتطبيقات واقعية من النصوص التفسيرية.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصًا له من غير شريك وأن يتجاوز عن خطئي وزللي وتقصيري فيه، وأن يغفر لي ولوالديَّ ولمشايخي وأساتذتي وللمسلمين عامة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع

1. الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
2. الآمدي، علي بن محمد، **الإحكام في أصول الأحكام**، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، ط2 (بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٢هـ).
3. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، حققه: د. مصطفى ديب البغا، ط5، (دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، ١٤١٤هـ).
4. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط1، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي النشر بالشاملة 1431هـ).
5. التلمساني، أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**، حققه: محمد علي فركوس، ط1، (مكة المكرمة: المكتبة المكية. بيروت: مؤسسة الريان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
6. أبو الثناء الأَصْبَهاني، محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، **بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب**، حققه: محمد مظهر بقا، ط1، (السعودية: دار المدني، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
7. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، **دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر**، أطروحة الماجستير، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، ط1، (بريطانيا: مجلة الحكمة، ١٤٢٩هـ).
8. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، **كتاب التعريفات**، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).

9. الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، **أحكام القرآن**، حققه: عبد السلام محمد علي شاهين، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

10. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: مجموعة باحثين، ط1، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1443هـ).

11. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

12. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، **الإحكام في أصول الأحكام**، قوبلت على الطبعة التي حققها: أحمد محمد شاكر، قدم له: إحسان عباس، ط2، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 208م).

13. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط1، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

14. الخادمي، نور الدين بن مختار، **علم المقاصد الشرعية**، ط1، (مكتبة العبيكان: الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

15. خطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، **تاريخ بغداد**، حققه: د بشار عواد، ط1، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002م).

16. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين، **المحصول**، تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، ط3، (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

17. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ط3، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

18. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، ط1، (الرياض: مؤسسة الرسالة عام 1418هـ)، أصله رسالة علمية للدكتوراة عام 1405هـ.

19. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، **البحر المحيط في أصول الفقه**، ط1، (دار الكتبي، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

20. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، (حلب: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م).

21. السلمي، عياض بن نامي، **أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله**، ط1، (دار التدمرية، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

22. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، **بحر العلوم**، د.ط، د.م، (نشر المكتبة الشاملة، ١٤٣١هـ).

23. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ/2000م).

24. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

25. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، **الموافقات**، حققه: مشهور بن حسن آل سلمان، وتقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط1، (مصر: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ).

26. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن "تفسير الطبري"**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، د.ط، د.م، (مصر: دار هجر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

27. الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، ط6، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1445هـ).

28. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، **التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"**، د.ط، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ).

29. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، **المستصفى**، حققه: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

30. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، (سوريا: دار الفكر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

31. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، **معاني القرآن**، حققه: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، نشر الشاملة، 1431هـ).

32. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

33. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الحموي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ط1، (بيروت: مكتبة لبنان، د. ت).

34. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، **تأويل مشكل القرآن**، حققه: إبراهيم شمس الدين، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية عن الشاملة، 1431هـ).

35. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ).

36. القطان، مناع بن خليل أبو محمد، **مباحث في علوم القرآن**، ط29، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1416هـ/1996م).

37. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، **المعجم الوسيط**، د.ط، د.م، (د. ت: نشر المكتبة

الشاملة، ١٤٣١هـ).

38. مجموعة من المؤلفين، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ط2 (الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الطبعة من ١٤٠٤- ١٤٢٧هـ).

39. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ت).

40. أبو مظفر السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزى التميمي، **قواطع الأدلة في الأصول**، المحقق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٩م).

41. ابن النجار الحنبلي، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي، **شرح الكوكب المنير = المختبر المبتكر شرح المختصر**، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، ط2، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ).

42. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، د. ط، (بيروت: المكتبة العصرية، نشر الشاملة 1431هـ).

43. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، **الصناعتين**، حققه: علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، (بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩هـ).

44. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي، **التَّفْسِير البَسِيْط**، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط1، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ).

الرسائل العلمية والبحوث:

45. الحسين، **المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وتوجيهه عند الزمخشري دراسة نظرية تطبيقية**، كلية الشريعة قسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم، نوقشت في عام 1443هـ.

46. العريني، محمد بن سليمان، **مفهوم المخالفة بين الحنفية وابن حزم دراسة تحليلية مقارنة**، قسم أصول الفقه، كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (مجلة العلوم الشرعية، العدد الثالث والثلاثون، شوال 1435هـ).

47. عطران، **المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وتوجيهه عند أبي حيان في تفسيره دراسة تطبيقية**، كلية الشريعة قسم القرآن وعلومه بجامعة القصيم نوقشت عام 1444هـ.

48. أبو الغيث، **المخصوص بالذِّكر في القرآن الكريم وتوجيهاته عند الإمام الرازي في تفسيره دراسة تأصيلية تطبيقية**، كلية القرآن والدراسات الإسلامية قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، نوقشت عام 1443هـ

Arrasikhun Journal، Special Issue, February 2026

ISSN: 2462-2508

ترجمة الشيخ المفسر محمد علي طه الدرة (المتوفى 1428هـ) رحمه الله

محمد زهري بن ماجد النشيواتي
باحث دكتوراه بقسم القرآن الكريم وعلومه
جامعة المدينة العالمية ماليزيا
Mzuhrin11@gmail.com

د. خالد نبوي سليمان حجاج
الأستاذ المشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه
جامعة المدينة العالمية ماليزيا
khaled.nabawy@mediu.my

الملخص

الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله ولد عام 1923م، وتوفي عام 2007م، اشتغل بالزراعة، ثم بدأ بطلب العلم في المعهد العلمي الشرعي بحمص معهد خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمره اثنان وعشرون عاما، ثم أصبح إماما وخطيبا، ثم مدرسا في وزارة التربية، ثم مدرسا لمادة النحو في المعهد العلمي الشرعي بحمص، له عدة مؤلفات في النحو والإعراب والتفسير، تميز عهده بالاحتلال الفرنسي، ثم استقلال سورية، ومن البديهي أن تتأثر الحياة الاجتماعية بالحياة السياسية التي تُحيط بها، جنت سوريا من مجهودها الحربي ضد إسرائيل مُساعدات اقتصادية جمة من العرب وشهدت نهضة اقتصادية، وكانت هناك جمعيات تبشيرية، ومع ذلك ألف كتابه تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، في طبعته الأخيرة بلغ عشرة مجلدات من الحجم الكبير، تميز بمميزات عديدة.

Abstract

Sheikh Muhammad Ali Taha al-Durra (1923–2007) initially worked in agriculture before commencing his formal religious studies at the Sharia Scientific Institute in Homs (Khalid ibn al-Walid Institute) at the age of twenty-two. He later served as an imam and preacher, subsequently joining the Ministry of Education as a teacher, and eventually became a grammar instructor at the Sharia Scientific Institute in Homs. He authored several works in grammar, grammatical parsing (iʿrāb), and Qurʾanic exegesis. He lived through the period of the French Mandate and the subsequent independence of Syria. Social life during his lifetime was inevitably influenced by the surrounding political conditions. Syria received substantial economic assistance from Arab states as a result of its war efforts against Israel and experienced a period of economic growth. Missionary organizations were also active during this time. Despite these circumstances, he authored his major work, The Exegesis of the Qurʾan, Its Grammatical Parsing, and Its Elucidation, which in its final edition comprised ten substantial volumes and was distinguished by numerous scholarly features.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلقد علم المسلمون أن هذا الكتاب العزيز هو مكمن قوتهم، ومصدر عزتهم، وسبب نجاتهم، وانبرى العلماء الأكفاء منهم لتفسير كتاب الله، وبيان ما يشتمل عليه من أنواع العلوم والهدى.

وكان الأسوة في ذلك البيان هو رسول الله ﷺ حيث كان خلقه ﷺ القرآن تحليلا لما أحل، وتحريما لما حرم، وهديا ومنهجا، فكان ذلك من قبيل بيانه للناس الذي أمره الله به بقوله: {بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤} [النَّحل : ٤٤].

ثم تأسى به أصحابه الكرام رضي الله عنهم، أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وغرر الزمان الذين لم تكتحل عين الزمان بمثلهم أصحابا رضي الله عنهم.

ثم تبع الصحابة الكرام رضي الله عنهم علماء أجلاء، فساروا في طريقهم يستخرجون معاني القرآن الكريم، ويغوصون في بحار علومه، ويستخرجون مكنوناته التي لن تنضب، ومع ذلك لم يُخرجوا من هذه الكنوز إلا القليل قال ﷻ: {وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥} [الإِسۡرَاء : 85].

ومن بحار علوم القرآن الكريم علم مناهج المفسرين، فكان ممن اهتم بتفسير القرآن الكريم الشيخ محمد علي بن طه الدرة رحمه الله.

الذي ألهمه الله رشده، ونور بصيرته، وعرّفه بكتابه ففسره، وأعربه، وبيّن معانيه وأحكامه، واستنبط منه الفوائد.

ولذا رأيت أن يكون موضوع بحثي: "ترجمة الشيخ المفسر محمد علي بن طه الدرة (1428هـ) رحمه الله".

- خدمة لكتاب الله عز وجل في ترجمة علم من أعلام التفسير في العصر الحديث.
- رغبة في إلقاء الضوء على جانب من جوانب حياة الشيخ محمد علي الدرة رحمه الله العلمية، وهو هذا الكتاب الذي سنبين منهج مؤلفه.
- قيمة تفسير الشيخ العلمية، لما تميز تفسيره من جمعه بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، وإعرابه لكامل القرآن الكريم، واستنباطه المعاني من الآيات.

مشكلة البحث:

إنه مما لا شك فيه أن علماء التفسير قد بذلوا جهدًا مشكورًا في خدمة كتاب الله عز وجل، فبينوه للأنام، وقربوه للأفهام.. ومع هذه العناية العظيمة، فلكل مفسر منهم منهاج يسير عليه في بيانه لكتاب الله عز وجل.

والمكتبات مليئة بكتب التفسير، وحاجة القراء بعامة وطلبة العلم بخاصة ماسّة وملحة في الوقوف على هذه المناهج، والتعرف من خلالها على أصحابها.

وإن الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله من العلماء المعاصرين الذين أمضوا وقتهم في التأليف المتعلق بتفسير القرآن الكريم وبيان الجوانب اللغوية والبيانية لهذا الكتاب العظيم.

وما سأقوم به في هذا البحث هو: ترجمة الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله مؤلف كتاب: (تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه).

أسئلة البحث:

- من هو المفسر الشيخ محمد علي الدرة؟
- ما حياته العلمية؟
- ما حياته الاجتماعية؟
- ما حياته السياسية والاقتصادية؟
- ما هو تفسير الشيخ الدرة؟ وما أغلب ميزاته؟

أهداف البحث:

- التعريف بالمفسر الشيخ محمد علي الدرة.
- الكشف عن طبيعة حياته العلمية.
- تحليل أثر حياته الاجتماعية.
- بيان مزايا طبيعة حياته السياسية والاقتصادية.
- التعريف بتفسير الشيخ الدرة وأغلب ميزاته.

أهمية البحث:

يمكن إجمال أهمية هذا البحث بالآتي:

- أنه في خدمة القرآن الكريم.
- أنه يتعلق بمؤلف اشتهر كتابه، وبدأ تداوله بين طلاب العلم.
- تعلقه بعلم التفسير، وهو من أجل العلوم الضرورية للمسلم.
- حاجة المكتبة الإسلامية عامة، والدراسات الحديثية خاصة إلى مثل هذه الترجمة.

مصطلحات البحث:

الترجمة:

أولا: الترجمة لغة:

التفسير والبيان[1].

ثانيا: الترجمة اصطلاحا:

نوع من الأنواع الأدبية الذي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر، تعريفًا يطول أو يقصر، وتختلف طبيعة الترجمة باختلاف العصر والرجل الذي تدور حوله الترجمة[2].

الشيخ:

أولا: الشيخ لغة:

هو مبالغة في الشيخ، من استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب، وهو من خمسين، أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره، أو إلى الثمانين، وجمعه شُيوخ، وشِيوخ بضم الشين وفتحها، والمشايخ جمع مشيخة[3].

ثانيا: الشيخ اصطلاحا:

قد يعبر به عمن يكثر علمه لما كان من شأن الشيخ أن يكثر تجاربه ومعارفه[4].

التفسير:

أولا: التفسير لغة:

من فسر الشيء، والفسر الإبانة وكشف المغطى،

(1) الشنطي، محمد صالح الشنطي، **فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه**، دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية، حائل، ط5، 1422هـ، ص215.

(2) المرجع السابق.

(3) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة: (شيخ)، ط2، ج7، ص286.

(4) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ط3، ج1، ص356.

فسر الشيء يَفْسِرُه ويَفْسُرُه وفَسَّرَه: أبانه[1]، أو إظهار المعنى المعقول[2]،وهو الكشف والإظهار[3].

ثانيا: التفسير اصطلاحا:

علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[4].

ثالثا: المفسر:

من وُجدت لديه الأهلية لبيان معاني القرآن الكريم، وكانت له مشاركة فيه بتأليف أو تعليم[5].

الدراسات السابقة:

توجد دراستان لهذا الكتاب، وهما:

الأولى: رسالة ماجستير في جامعة أم القرى في كلية اللغة العربية قسم اللغة والنحو والصرف بعنوان: **اختيارات الشيخ محمد علي طه الدرة المتوفى 1428هـ النحوية في كتابه تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه**، للباحثة: ناجية فهم دحيم البقمي، وقد نوقشت يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر شعبان عام أربعة وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة، وكانت خطة بحثها كالتالي:

التعريف بالشيخ الدرة من خلال سيرته الذاتية، والتعريف بمؤلفاته ومنهجه فيها من خلال جهوده التأليفية، ومنهج الشيخ في كتابه تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، واشتمل على:

مصادره، ومنهجه وأسلوبه، وشواهده، وقيمته العلمية، وترجيحات وتضعيفات الشيخ النحوية، وأسس الاختيار عند الشيخ، وأخيرا الخاتمة والتوصيات.

الثانية: رسالة دكتوراه في جامعة المنصورة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، بعنوان: **الجهود النحوية لمحمد علي طه الدرة من خلال تفسيره للقرآن الكريم**، للباحث: أشرف محمد حمزة سلامة، وقد نوقشت يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شهر محرم عام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة، وكانت خطة بحثه كالتالي:

نبذة عن الشيخ الدرة، والقرآن الكريم والدراسات اللغوية، وجهود الشيخ الدرة النحوية في تفسيره، واشتمل على: اختياراته النحوية وتدرس تحته مسائل ترتب على نوعي الجملة ومكملاتها، واعتراضاته النحوية وتدرس تحته مسائل ترتب على نوعي الجملة ومكملاتها، واستدراكاته النحوية وتدرس تحته مسائل ترتب على نوعي الجملة ومكملاتها، والأصول النحوية عند الدرة، وموقفه من النحويين، واشتمل على: الأصول النحوية عند الدرة، والدراسة المنهجية عند الشيخ الدرة وموقفه من النحويين البصريين

(1) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة: (ف س ر)، ط1، ج13، ص323.

(2) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ط3، ج2، ص491. والمناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (الفسر)، ط2، ص260.

(3) الجرجاني، **معجم التعريفات**، باب: (التاء، التاء مع الفاء)، ط3، ص57.

(4) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ط1، 1376، ج1، ص13.

(5) مصطفى مسلم، **مناهج المفسرين**، ط1، ص15.

والكوفيين وغيرهما، وأخيرا الخاتمة والتوصيات.

وهناك دراسات عامة عن حياة الشيخ الشخصية والعلمية، منها:

- **وفاة العالم النحوي محمد علي طه الدرة،** لكاتبها: صهيب محمد خير يوسف، نشرها موقع الألوكة، تناول في دراسته ذكرياته مع الشيخ، ومؤلفاته، ونموذجا من إعرابه[1].
- **محمد علي طه الدرة،** نشرها مركز تفسير للدراسات القرآنية، تناول المركز ولادة ونشأة الشيخ، ودراسته، وعمله بالزراعة، والإمامة، والخطابة، والتدريس، ومشايخه، والكتب التي درسها، وكتبه، ووفاته[2].

والشيخ رحمه الله تعالى له عدة كتب ألفها تتعلق كلها بالإعراب، وهي:

- **فتحُ ربِّ البَرِيّة إعراب شواهد جامع الدروس العربية للغلاييني،** جزءان في مجلد واحد.
- **فتحُ القريبِ المُجيب إعراب شواهد مُغْني اللبيب،** طبع في أربعة أجزاء، بمطبعة الأندلس بدمشق.
- **فتحُ الكبير المتَعالِ إعراب المعلقات العشر الطوال،** طُبع في مجلدين، ثم مجلد ضخم من طبع دار الرازي بدمشق.
- **قواعد اللغة العربية،** من تأليف حفني بك ناصف, محمد بك دياب, الشيخ مصطفى طموم, محمود أفندي عمر, سلطان محمد. فقد شرَحه وعلّق عليه وأعرب أمثلته وشواهده، طبع بمكتبة الغزالي بدمشق.

منهج البحث:

المناهج المستخدمة في الدراسة، هي:

- **المنهج الاستقرائي:** وهو انتقال الذهن من الأمور أو القضايا الجزئية إلى القضايا أو المفاهيم أو التصورات أو المعاني الكلية[3]، وتطبيقه على البحث من خلال استقراء وتتبع حياة الشيخ محمد علي الدرة.
- **المنهج التحليلي:** وهو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية، المختلفة، تفكيكا، أو تركيبا، أو تقويما[4]، وتطبيقه على البحث من خلال تحليل ونقد الحياة التي عاصرها الشيخ محمد علي الدرة في حدود الدراسة.

حدود البحث:

سيتم العمل على بيان منهج الشيخ محمد علي طه الدرة في كتابه تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، مع مقارنتها مع بعض التفاسير والكتب الأخرى حسب الموضوعات التي في الدراسة.

(1) موقع الألوكة، في الرابط التالي:
https://tafsir
https://www.alukah.net/culture/0/1691/%D9%88%D9%81%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AD%D9%88%D9%8A-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%B7%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A9/

(2) موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية: https://tafsir.net/author/3084/mhmd-aly-th-ad-drt-t-1428

(3) العيسوي، **مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث**، ط1، ص17.

(4) الأنصاري، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، ط1، ص96.

إجراءات البحث:

سيعمل الباحث على ترجمة الشيخ المفسر محمد علي الدرة حسب حدود البحث مع الاستفادة من الدراسات السابقة.

وسيقوم الباحث باتباع المنهج العلمي الآتي:

- عزو الآيات إلى سورها وذكر رقم الآية.
- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث، وذكر حكم العلماء عليها قدر المستطاع إلا ما كان في الصحيحين فيكتفى بعزوه والإشارة إليه.
- توثيق ما ينقل من النصوص والآثار بذكر اسم المؤلف، واسم الكتاب، والطبعة، ورقم الجزء والصفحة.
- الترجمة للأعلام غير المشهورين.
- تذييل البحث بالفهارس للمراجع والمصادر، والموضوعات.
- ذكر الآيات القرآنية على رسم العثماني، مع عزوها إلى سورها، وذكر اسم السورة ورقم الآية في متن الرسالة، وحسب رواية الإمام حفص عن عاصم الكوفي.
- الرجوع إلى المصادر الأصيلة: قديمها، وحديثها، والقيام بعزو المنقول إليها.
- الاستشهاد بالأحاديث النبويّة، والآثار التي تخدم البحث، مع عزوها إلى مظانّها، وتخريجها.
- شرح الغريب من المفردات، والغامض من العبارات التي تردّ في البحث، وذلك بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية.

خطة البحث

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالمفسر الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله تعالى وعصره.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حياة الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله تعالى الشخصية.

المبحث الثاني: نشأة الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله العلمية.

الفصل الثاني: عصر الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله تعالى.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحياة العلمية.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

المبحث الثالث: الحياة السياسية.

الفصل الثالث: التعريف بتفسير الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله تعالى.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالكتاب.

المبحث الثاني: مصادر الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله في تفسيره.

المبحث الثالث: تفسير الشيخ محمد علي طه الدرة في الميزان.

الفصـــل الأول :التعريف بالشـــيخ محمد الدرة وعصره

اسمه ومولده ووفاته

المبحـث الأول: حيـاة الشـــيخ محمـد الـدرة الشخصية.

المطلب الأول: اسمه:

محمد علي بن طه بن محمد بن علي[1] الدرة، ينسب إلى قبيلة الصـــبيحات[2] في قرية تل ذهب[3]، ودرة هي جدة والده[4].

ولتسميته بهذا الاسم (علي)[5] سبب وهو: أن والدة الشيخ –رحمها الله– كانت تقول:"

عندما كنت حاملا بولدي الأول رأيت في المنام شخصا بزي حسن ورائحة طيبة وعرّفني بنفسه بأنه الإمام علي رضـــي الله عنه وقال: أنت حامل بغلام فســـمه عليا، وعند الولادة أسموه عليا، وتبركا باســـم النبي صـــلى الله عليه وســـلم أضـــافوا اســـم (محمدا)، فصار (محمد علي)" [6].

المطلب الثاني: مولده:

ولد عام 1923م[7]، وقيل: عام 1926م[8]، وقد يكون التـاريخ الأخير خطـأ كتـابي؛ لأنـه ناقـل من الكتاب الوحيد لترجمة الشيخ.

ووالد الشـــيخ اسمه (طه) –رحمه الله تعالى– ولد في أوائل القرن العشـرين الميلادي، وكان أمياً؛ لأنه نشـأ يتيماً فضـــلاً عن الأحوال الاجتماعية البائســـة التي كانت تعيشـها البلاد إبان الحرب الأولى حيث الفقر المدقع، والجهل المطبق، وانتشـــار الأمية بين الســـواد الأعظم من الناس، فلم يكن مدارس ولا جامعات[9].

وزوجة الشيخ: من آل غزال، أم بشير[10] –حفظها الله–، وعـائلتها القـائمون على مســـجد ســـيدنا

---

(1) حصلت على اسم جده وجد والده هاتفيا من ابنه الشيخ محمد بشير حفظه الله تعالى.

(2) قبيلة الصبيحات هي فخذ من قبيلة آل خالد، وقيل هم من نسل خالد بن الوليد المخزومي رضـي الله عنه، وقيل هم من نسـل بني ربيعة بن عامر بن صـــعصـــعة من هوازن، موقع هنا البيضـــاء https://www.hunaalbayda.com/post/6248/%D9%82%D8%A8%D8%A7%D8%A6%D9%84-%D8%A8%D9%86%D9%8A-%D8%AE%D8%A7%D9%84%D8%AF-%D9%88%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE%D9%87%D8%A7-%D9%88%D9%85%D8%B3%D8%A7%D9%83%D9%86-%D8%A7%D9%81%D8%B1%D8%A7%D8%AF%D9%87%D8%A7

(3) تل ذهب أو موصولة (تلذهب) بلدة سورية تابعة لناحية تل دو (تلدو) في محافظة حمص الســـورية، تقع إلى الشـــمال الغربي من مدينة حمص، وهي إحدى القرى التابعة لمنطقة الحولة، ينظر: خـرائـط جـوجـل: https://goo.gl/maps/nfhiPsrApXxvKbdv6 بإمكانك تكبير وتصغير الخريطة لمعرفة موقع القرية من مدينة حمص.

(4) ينظر: المنصور، **العالم المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد علي طه الدرة**، ط1، ص11.

(5) قال لي ولده الشـيخ محمد بشـير: أن تسـميته محمد علي مركبا لاسمين من أسماء جديه، ف(محمد) نسـبة لاسـم جده والد أبيه، و(علي) نسبة لاسم جد أبيه.

(6) ينظر: المنصور، **العالم المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد علي طه الدرة**، ط1، ص12.

(7) ينظر: المنصور، **العالم المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد علي طه الدرة**، ط1، ص11.

(8) ينظر: موقع تفسـير: https://tafsir.net/author/3084/mhmd-aly-th-ad-drt-t-1428

(9) ينظر: المصدر السابق، ط1، ص13.

(10) اسم ولدها الوحيد الشيخ (محمد بشير) –حفظه الله–.

خالد بن الوليد[1] رضي الله عنه في حمص[2].

أولاد الشيخ: وله ابن وحيد واسمه (محمد بشير)[3] وابنتان اثنتان، وهما (ميمونة) و(خزيمة)[4].

المطلب الثالث: وفاته:

مرض الشيخ رحمه الله قبل وفاته بحوالي خمس سنوات، وصار مقعدا، وخدمته زوجته حتى وفاته، وفي ظهر يوم الأربعاء 25 ذي القعدة 1428هـ، وهو ممتع بعقله، إذ قدم له حفيده[5] الفطور، وقال: أجلسوني، ثم تشهد ثلاث مرات، وأسلم روحه لبارئها، وقد صُلي عليه يوم الخميس، 1428/11/26هـ، الموافق 2007/12/25م في جامع خالد بن الوليد رضي الله عنه بحمص، ودفن بمقبرة حمص: تل النصر، رحمه الله تعالى، وأثابه رضاه، وجزاه عن العلم وخدمته خير الجزاء.

المبحث الثاني: نشأة الشيخ محمد الدرة العلمية:

المطلب الأول: طلبه للعلم:

كان والده يتحرَّق على أميَّته ويتمنى لو رأى ابنه قارئاً كاتباً، وعندما بلغ الشيخ السادسة من عمره، دفع والده به إلى المكتب الموجود في مسجد القرية، حيث الشيخ مرعي الضاهر[6] رحمه الله تعالى وبأقل من سنة حفظ القرآن الكريم، على طريقة الكتاتيب المعروفة، ثم بدأ بتعلُّم الكتابة من الخط والتجويد ومبادئ الحساب؛ ليتخرج بعدها من المكتب، وذلك عام سبعة وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادي، وينخرط بالزراعة مع أهله ، حتى بلغ الثانية والعشرين من عمره.

سلَّم إليه والده رحمه الله تعالى شؤون البيت والزراعة لما تحتاجه من تدوين حسابات وغير ذلك، فكان يكلفه بالذهاب إلى المدينة لإحضار طلبات العائلة واحتياجات مصلحة الزراعة، وكانت هذه الرحلة تحدث مرة واحدة كل سنة نظراً لبعد المدينة وعدم وجود وسائل نقل، بل كان الذهاب ركوباً على دابة والعودة مشياً على الأقدام، وهذه المشقة تجبره على المبيت في المدينة، فبات ليلة من الليالي من عام سبعة وأربعين وتسعمائة وألف ميلادي في المدينة عند

(1) جامع خالد بن الوليد رحمه الله يقع إلى الجنوب من مدينة حمص القديمة، على طريق مدينة حماة.

خرائط جوجل جامع خالد بن الوليد رضي الله عنه:

https://goo.gl/maps/cnCyKAk2Wk11FLxPA

بإمكانك تكبير وتصغير الخريطة لمعرفة موقع جامع خالد بن الوليد رضي الله عنه من مدينة حمص.

(2) حمص هي مدينة سوريّة، تعتبر ثالث أكبر مدن البلاد من حيث عدد السكان، بعد دمشق وحلب، تقع على الضفة الشرقية لنهر العاصي، متوسطة البلاد وواصلة المحافظات والمدن الجنوبية بالمحافظات والمدن الساحليّة والشماليّة والشرقية، على بعد حوالي 162 كم من شمال العاصمة دمشق وهي العقدة الأكبر للمواصلات في سوريا بحكم موقعها.

خرائط جوجل مدينة حمص:

https://goo.gl/maps/PTdqeHujJno9eBnS6

بإمكانك تكبير وتصغير الخريطة لمعرفة موقع مدينة حمص من سوريا.

(3) ولد عام 1953م، ودرس العربية والعلوم التجريبية والشرعية، وعمل خطيبا في جامع العدوي بحمص، وإماما في مسجد الرضوان بحمص، ودرّس الحديث والتلاوة والتفسير في الثانوية الشرعية للبنين بحمص، ينظر: المنصور، محمد عيد وفا، **العالم المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد علي طه الدرة**، ط1، ص13.

(4) ينظر: المصدر السابق، ط1، ص13.

(5) ينظر: المنصور، **العالم المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد علي طه الدرة**، ط1، ص13.

(6) الشيخ مرعي الضاهر رحمه الله من قرية الطيبة التابعة لمنطقة الحولة من محافظة حمص، ينظر: المنصور، محمد عيد وفا، **العالم المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد علي طه الدرة**، ط1، ص14.

صـــديق لهم (تاجر يُســوِّق إنتاجهم الزراعي) وكان يذهب في صـــلاة الفجر يومياً إلى المســـجد المجاور لمنزل مضيفهم، وبعد صلاة الفجر يجلس في المسجد يتلو القرآن الكريم، وفي أحـد الأيام وبعـد أن خرج المصـلون أطفئت أنوار المسـجد، وظن أنه بمفرده في المســـجد، وبدأ برفع صـــوته بالتلاوة يتغنى ويترنم بالقرآن، حسـب ما تعلمه بالكُتَّاب ظناً منه أنه مُجيد بـذلـك، ولكن إمـام المســـجـد كـان خلف إحـدى ســواري المســـجد يســمعه دون علم منه، فأتى إليه بهدوء ورفق وقال : يا بني قراءتك بحاجة إلى تركيز أكثر، وبإمكانك أن تذهب إلى مدرسة للمشايخ في مسـجد خالد بن الوليد لتتعلم وتتفقه، ويبدو عليك أنك فيك خير، وأهل لهذا.

هذه هي الحادثة التي وجهته إلى طلب العلم، فأثَّر ذلك في نفســه وعاد إلى أهله واســتأذنهم بالالتحاق بالمعهد العلمي الشـــرعي في جامع خالد بن الوليد رضـــي الله عنه التابع لجمعية العلماء بحمص، وعلم فيما بعد أنَّ ذلك الشيخ الفاضل الذي نصحه هو الشيخ محمد الياسين[1] والد الشيخ أبو السعود[2] كبير فقهـاء الشـــافعيـة في حمص رحم الله الجميع وأجزل لهم الأجر والمثوبة.

التحق الشـيخ بالمعهد الشـرعي بحمص عام سـبعة وأربعين وتســـعمـائـة وألف ميلادي، وعمره اثنـان وعشـرون عاماً، ووضـع في الصـف الأول، وبعد فترة وجيزة من الزمن لاحظ الشـــيخ محمد جنيد رحمه الله تعالى انقباضـاً منه، وعدم انسـجام مع روح الصـف والدراسـة، فسـأله عن ذلك، فذكر أنه يحسُّ بالخجل من نفسه مع طلاب الصف، فهو شاب وهم صغار، فالتمس الشـيخ محمد جنيد رحمه الله تعالى من مدير المعهد آنذاك الشـيخ طاهر الرئيس رحمه الله تعالى أن ينقله للصـــف الثاني، فقال المدير: لكنه لا يعرف النحو والإعراب، فقال الشيخ محمد جنيد: ضعه في الصـف الثاني، وأنا خارج وقت الحصـص أدربه على الكتاب الأول يقصـــد الجزء الأول من الســـلســـلة المعروفة لحفني ناصف بك وزملائه.

المطلب الثاني: مكانته العلمية:

مكث في المعهد العلمي بحمص ثلاث سنوات فقط، اجتاز خلالها خمس سنوات دراسية، ونجح فيه بتفوق أيضـاً، وعمل بالإمامة والخطابة بعد تخرُّجه في المعهد عام 1950م في قرية تلعمري[3].

(1) الشيخ محمد الياسين عبد السلام بسمار ولد في حمص عام أربعة وثمانين ومائتين وألف هجرية في بيت علم وتقوى وتتلمذ على يد الشـــيخ عبد الله الســعدي المغربي نزيل حمص وغيره من العلماء، وأجيز بالقراءات من الشـــيخ محمود الكيزاوي، ودرّس في جامع النوري الكبير ومســجد الصــحابيين وحشــي وثوبان رضــي الله عنهما، توفي عام خمســة وأربعين وتســعمائة وألف ميلادي رحمه الله.

ينظر:: المنصور، محمد عيد وفا، **العالم المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد علي طه الدرة**، ط1، ص19.

(2) الشيخ أبو السعود بن محمد الياسين بن عبد السلام بسمار، ولد عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف هجري، له الباع الطويل في علوم القرآن وقراءاته، والحديث والأصـــول والفقه والفرائض كان قوّالا للحق شـديد المهابة أمّ في الجامع النوري الكبير في حمص، وجلس لإفتاء أتباع المذهب الشـافعي فيه، توفي رحمه عام سبعة وتسعين وتسعمائة وألف هجري، رحمه الله.

ينظر:: المنصور، محمد عيد وفا، **العالم المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد علي طه الدرة**، ط1، ص19.

(3) تلعمري قرية تتبع ناحية النســـر وتقع في شـــرق مدينة حمص، وأغلب سـكانها من الشـراكس الذين أصـولهم من شمال القفقاس

ثم إماما وخطيبا في قرية السـنكري[1] بتكليف من جمعية العلماء في حمص لظروف خاصَّة كانت تحيط بتلك القرية، لكن لم يجد من حوله من ينشـد العلم أو يستطيع أن يفيد أحداً فضلاً عما اطلع عليه من فساد عقيدة أهلها، مما جعله يبحث عن مكان آخر.

ثم انتقل إلى قرية زمرين[2] عام 1960م، واستفاد صحياً وعلمياً في هذه القرية، حيث أنها تقع في قمة جبل هوائها عليل، ومناخها طيب، فزالت عنه بعض الأمراض التي كانت تُصاحبه، واستفاد علمياً بالوعظ والإرشاد، فأهلها طيبون يقبلون الموعظة كما أن شبابها ومعلِّمي المدارس فيها (عندما رأوا استقامة لسانه في الخطب المنبرية) أدركوا بحسهم أنه ممن يستفاد منه في النحو، وحرَّضوه على تعليم أبنائهم، فأخذ يعقد دورات في الصيف في تلاوة القرآن الكريم والنحو في مسجد القرية للطلاب، فاستفاد منه جمعٌ غفير.

وألزم نفسه بالدراسة العصرية (دراسة خاصَّة في المنزل والامتحان آخر العام لدى مديرية المعارف)؛ لأنه كان يحسُّ بوقت فراغ كبير، فحصل على الشهادة الابتدائية عام 1952م، ثم الشهادة المتوسطة 1954م.

وأقبل على القراءة الذاتية والانكباب على مطالعة أمهات الكتب (في النحو بالذات) قراءةً وحفظَ متون ومنظومات، والاطلاع على الشروح والحواشي، إضافة لفنون العلم الشرعي الأخرى التي لم يهملها، ومكث على ذلك مدة خمسة عشر عاماً تقريباً قبل أن يجلس على مائدة التأليف.

وتم تعيينه مدرساً في وظيفة حكومية في المرحلة الابتدائية ثم الإعدادية والمتوسطة في آخر سني عمره، وذلك فبعد أن ظهر كتابه: (فتح القريب المجيب، إعراب شواهد مغني اللبيب) تم تعيينه في المرحلة الابتدائية؛ لأنه يحمل الشهادة المتوسطة فقط، ثم انتُدِبَ للمرحلة الإعدادية.

وبعد بلوغه السن القانوني انتهت علاقته بوزارة التربية، وبدأ بوظيفة جديدة (مدرس ديني تابع للإفتاء)، وعمل في هذه الوظيفة النبيلة (الوعظ والإرشاد) إلى أن أقعده العجز والهرم عن القيام بواجبه، فتقدم باستقالته.

ودرّس في قرية دير بعلبة[3] عام 1963م، وأخذ في التعليم والإرشاد، فوجد تدخُّلاً في شؤون الوعظ من بعض أهلها، فغادرها.

وفي عام 1966م أعلنت مديرية أوقاف حمص عن

وهي جزء من روسيا حاليا، خرائط جوجل قرية تلعمري: https://goo.gl/maps/bW1rfavZEPa8E9St7

بإمكانك تكبير وتصغير الخريطة لمعرفة موقع القرية من مدينة حمص.

(1) السنكري قرية تتبع ناحية المخرم في شرق مدينة حمص، خرائط جوجل قرية السنكري: https://goo.gl/maps/PQBGscR2LZsVUhoKA

بإمكانك تكبير وتصغير الخريطة لمعرفة موقع القرية من مدينة حمص.

(2) زمرين قرية تتبع مدينة طرطوس، خرائط جوجل قرية زمرين: https://goo.gl/maps/kaBUnNLKw2PguAoU8

بإمكانك تكبير وتصغير الخريطة لمعرفة موقع القرية من مدينة طرطوس.

(3) دير بعلبة كانت قرية في شمال شرقي مدينة حمص، وهي الآن من الأحياء الكبيرة في مدينة حمص.

خرائط جوجل قرية دير بعلبة: https://goo.gl/maps/3mCNP1sByPB3JZq66

بإمكانك تكبير وتصغير الخريطة لمعرفة موقعها من مدينة حمص.

مسابقة لطلبة العلم لملء شواغر إمامة وخطابة بمدينة حمص، وكان لديه رغبة شـــديدة بالعودة إلى المدينة منذ زمن، حيث أن المدينة أوســـع صـــدراً لطالب العلم، وفيها يفيد ويســـتفيد، من خلال لقائه بالعلماء، فاشترك في المسابقة، وكان الأول على جميع المتقدِّمين، وعُيِّن إماماً بجامع العنابة[1] بحمص براتب تسعين-90- ليرة سورية فقط عام 1966م، وهو راتب زهيد حتى في ذلك الوقت.

وبقيت عائلته في قرية دير بعلبة[2] بعيدا عن جامع العنابة، فأقام في غرفة صـغيرة تابعة للجامع، وانقطع عن الناس حتى عن أســـرته، فكان لا يذهب إلى البيت إلا مرة أو مرتين في الأسـبوع، وكان ابنه محمد بشير، بسنّ المراهقة يأتيه بالطعام يومياً من البيت في دير بعلبة، فكـانـت فرصـــة مكملة للتفرغ للعلم والمطالعة.

وفي عام 1984م طلب مدير المعهد العلمي بحمص تـدريس مـادة النحو والبلاغـة والإعراب لطلاب المعهد.

وفي هذه الفترة اســـتلم أمانة المكتبة الإســـلامية في الجامع النوري الكبير[3] حمص.

ومن صـــفاته ما ذكره عنه ابنه الشـــيخ محمد بشـــير حفظه الله في محاضـــرة له عن والده رحمه الله: عشـــر دُرَر من سيرته[4]:

- ســـرعة الاســـتيعاب وتجاوز المراحل والحرص على العلم، فكانت دراسته فعلياً ثلاث سنوات في المعهد العلمي الشرعي.
- عكف على القراءة المنظّمة والمتعمّقة والمتخصصة.
- الجرأة في إنكار المنكر.
- قيل عنه: الشيخ الدرة اختمر في النحو.
- حرص على ذكر كلمـة (فتح) في عنـاوين كتبـه لشكر الله تعالى على ما فتحه الله عليه من العلم.

من كتبه :فتح القريب المجيب، فتح الكريم الوهاب، فتح رب البريّـة، فتح الكبير المتعـال، فتح الرحيم الرحمن.

- كان يُحب العزلة لكن دون تقصير بالحق الشرعي كعيادة مريض والعزاء ....الخ.
- الوقت عنده أغلى من المال.
- لا يسهر أبداً، يستقيظ قبل الفجر بساعة ويصلي قيام الليل.
- لا يحب الظهور وخُلقه التواضع.
- شديد الوفاء لكل من صنع معه معروفاً وخصوصاً مشايخه.

(1) جامع العنابة في وسط مدينة حمص القديمة، خرائط جوجل جامع العنابة حمص: https://goo.gl/maps/JwLGYBPjbKkhfLYc8 بإمكانك تكبير وتصغير الخريطة لمعرفة موقع الجامع من مدينة حمص.

(2) لعدم قدرته المادية على اســـتئجار بيت في حمص بجانب جامع العنابة.

(3) جامع النوري الكبير يقع في وسـط مدينة حمص بجانب الأسـواق القديمة، وسمي بالنوري الكبير؛ لأن الذي أمر بإعادة تشـــييده السـلطان نور الدين زنكي ت577هـ، ينظر:: الموصـلي، **الموجز في تاريخ مدينة حمص وآثارها**، ط1، ص41.

وخـرائـط جـوجـل جـامـع الـنـوري الـكـبـير: https://goo.gl/maps/n3VJvKLPH4T7hjKK6

(4) فـيـس بـوك (الـراح والـروح): https://www.facebook.com/536374559747089/posts/3236083186442866/?locale=ar_AR

المطلب الثالث: شيوخه:

من مشايخه الشيخ مرعي الضاهر[1]، والشيخ محمد طاهر الرئيس[2]، والشيخ وصفي المسدي[3].

المطلب الرابع: تلاميذته:

من تلامذته: ابنه محمد بشير، وصهيب محمد خير يوسف[4]، وزكريا رحال رحمه الله[5]، وعبد العظيم عرنوس[6]، وعبد المعطي الترك[7].

لمطلب الخامس: مؤلفاته:

- تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، وهو موضوع بحثي، والطبعة الأخيرة في ستة عشر مجلدا[8].

- فتح رب البرية إعراب شواهد جامع الدروس العربية[9]، ويقع في مجلدين.

(1) الشيخ مرعي الضاهر رحمه الله من قرية الطيبة التابعة لمنطقة الحولة، وكان له أطيب الأثر فيما بعد في قرية شين، توفي في قرية الطيبة الغربية عام 1979م، ينظر:المنصور، محمد عيد وفا، **العالم المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد علي طه الدرة**، ط1، ص14.

(2) ولد الشيخ محمد طاهر الأتاسي سنة 1276هـ في حمص في بيت علم ودين وشرف، فهو من أسرة تولت مناصب الفتوى والقضاء في حمص وغيرها منذ القرن السادس عشر الميلادي الموافق القرن العاشر الهجري، وصار بعد رشفه للعلم عن أفضل الأفاضل مرجع العالِمين، ينشده من كانوا بأبهة تفوُّقِه حالمين، وعرفت الدولة العثمانية مقدار فطنته، فنصبته قاضياً في مدن عديدة، فتولى المنصب في حوران عام 1306هـ ثم في نابلس، فالكرك، ثم دنزلي وأدنة (أضنة) من الأناضول، ثم في القدس= =الشريف، إلى أن نال منصب القضاء في البصرة. ومنصب القضاء الشرعي في مدينة القدس يعتبر من أعلى رتب القضاء في السلطنة العثمانية إذ يأتي في الدرجة الخامسة بعد قضاء العسكر الروملي والأناضولي وقضاء الحرمين الشريفين.

انتقل إلى رحمة الله في يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الأول من عام 1359هـ، ودفن في حمص، وقد كان بحق من أكبر علماء حمص ومن أعظم فضلائها على مر التاريخ، ينظر:: موسوعة المعرفة محمد طاهر الأتاسي: https://www.marefa.org/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B7%D8%A7%D9%87%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AA%D8%A7%D8%B3%D9%8A

(3) هو الشيخ وصفي بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عبدالجليل المسدي الحمصي، الشيخ الإمام العالم الصالح. كان غالب طلبه للعلم على أيد علماء الأسرة الأتاسية، ولد بحمص في شوال عام 1335هـ، ينظر:: أرشيف ملتقى أهل الحديث من الشاملة، ج156 ص435.

(4) موقع الألوكة وفاة العالم النحوي محمد علي طه الدرة: https://www.alukah.net/culture/0/1691/%D9%88%D9%81%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AD%D9%88%D9%8A-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%B7%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A9/

(5) داعية وشاعر، توفي وهو قادم إلى الحج عام 1428هـ في مدينة تبوك، وتم نقله بالطائرة إلى المدينة وهناك دفن في البقيع.

(6) عبد العظيم بدر الدين عرنوس، من مواليد 1959م، وهو حي يرزق، ويعمل في الدوحة بقطر.

(7) عبد المعطي الترك توفي رحمه الله في استانبول 2023م.

(8) وله اسم آخر وهو: فتح الرحمن الرحيم في تفسير وإعراب القرآن الكريم، ينظر:: المنصور، **العالم المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد علي طه الدرة**، ط1، ص75، والمكتبة الشاملة الحديثة، أرشيف ملتقى أهل الحديث، https://al- https://al-maktaba.org/book/31616/60126

(9)كتاب جامع الدروس العربية هو من تأليف الشيخ: مصطفى بن محمد بن سليم بن محي الدين بن مصطفى الغلاييني ت1944م في بيروت، ويعتبر هذا الكتاب من أهم مراجع النحو العربي، فقد نال شهرة علمية لغوية واسعة بفضل ما امتاز به من السهولة وحسن العرض والتناول، فضلا عن تمكن مؤلفه في علوم اللغة العربية وتقدمه فيها ما أكسبه مقدرة على العطاء الجزيل، فتجد بين دفات هذا الكتاب مادة غزيرة مستلهمة من بطون المؤلفات التراثية تعفي القارئ من مهمة الاطلاع على المطولات في النحو، ينظر:: موقع مكتبة التقوى ناشرون على الفيس بوك: https://www.facebook.com/photo/?fbid=1589379784591990&set=a.348033485393299

– فتح القريب المجيب إعراب شواهد مغني اللبيب[1]، في أربعة مجلدات، وكانت خطته في الكتابة أن يقدِّم بحثاً موجزاً عن كل أداة من الأدوات التي بحث فيها ابن هشام[2] وفصَّل الكلام فيها، ثم يبدأ بشواهد كل أداة، وفق ترتيب المصنف بأن يعزو الشاهد لقائله بعد البحث والتمحيص في الدواوين وكتب الأدب، ثم يشرح معاني الكلمات الغريبة من كتب اللغة، وإذا كان من قصة أدبية مرافقة للبيت ذكرها ترويحاً عن نفس القارئ وتشويقاً له، ثم يبدأ بالإعراب التفصيلي للبيت مع تقليب وجوه الألفاظ، إن وجدت، ثم يعود لتثبيت موضع الاستشهاد في البيت، وهذه كانت خطته في جميع الشواهد التي أعربها[3].

– فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال، ويقع في خمسة أجزاء.

– فتح الكريم الواسع إعراب شواهد جمع الجوامع[4]، وهو مفقود بحكم مخطوط، ولم يعثر عليه بعد.

– فتح الوهاب في القواعد والإعراب، وهو عبارة عن شرح وإعراب شواهد وأمثلة كتاب قواعد اللغة العربية[5]، وطبع عدة مرات، يقع في أربعمائة صفحة.

الفصل الثاني :عصر الشيخ محمد الدرة

المبحث الأول: الحياة العلمية:

حافظت سوريا على طابعها العربي الإسلامي منذ العهد الأموي حتى اليوم[6]، كانت الحياة العلمية والثقافية في عصر الشيخ محمد علي الدرة ضعيفة المستوى؛ نظرا إلى الغزو الثقافي الذي واكب الغزو الاستعماري لسوريا، والسعي إلى إضعاف المسلمين، وتأويل ما في الإسلام من مبادئ ونظم، وتحريفه بما يوافق مدنيتهم الحديثة، وكان من نتيجة ذلك قلة المدارس والمعاهد والجامعات، ولم يبق لطلاب العلوم مجال يتعلمون فيه سوى ما يسمى بالكتاتيب، التي كانت تُعنى بطالب العلم منذ طفولته، وتحفظه القرآن

(1) مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، للإمام محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري ت761هـ، وهو مصنف فريد من نوعه ثري في مادته لا نظير له، وهذا الكتاب هو بمثابة واسطة العقد ما بين كل مصنفاته وقد سلك فيه نهجا مميزا حيث جمع الادوات والحروف مصنفة علي حروف المعجم وجمع شاردها وفصل قواعدها.

ويكيديا الموسوعة الحرة مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%BA%D9%86%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A8_%D8%B9%D9%86_%D9%83%D8%AA%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A8

(2) عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام جمال الدين أبو محمد النحوى الفاضل المشهور ولد فى ذي القعدة سنة ٧٠٨ وأتقن العربية وحدث جماعة بالشاطبية وله تعليق على ألفية ابن مالك ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب اشتهر في حياته وأقبل الناس عليه وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البالغ مات في ليلة الجمعة خامس ذي القعدة سنة ٧٦١هـ، العسقلاني، ابن حجر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ط2، ج3، ص93-95.

(3) الشاملة، كتب المؤلف محمد علي طه الدرة: https://shamela. https://shamela.ws/author/3039

(4) كتاب جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير، للإمام جلال الدين السيوطي ت911هـ رحمه الله، وهو كتاب يجمع كل ما اتصل إلى الإمام السيوطي رحمه الله من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والسنة في عصره، مرتبا على حروف المعجم.

(5) كتاب قواعد اللغة العربية هو كتاب في النحو والصرف والبلاغة، من تأليف محمد الحفني بن محمد إسماعيل خليل ناصف من القليوبية بمصر، توفي 1919م، وشارك في تأليفه أيضا: محمد دياب، ومصطفى طموم، ومحمود عمر، وسلطان بك محمد.

(6) ينظر: بشور، **دراسة في تاريخ سوريا المعاصر**، ط1، ص31.

الكريم وعلومه، ثم ينتقل بعد ذلك إلى حلقات المساجد والجوامع، أو الالتحاق بالعلماء في بيوتهم والتتلمذ عليهم.

وبعد أن استقر الاستعمار الفرنسي في سوريا[1]، رأى أنه لا اطمئنان له فيها ما لم يُتبع استعماره بانقلاب فكري وغزو علمي؛ لأن سيوف الغزو العلمي أمضى بكثير من سيوف الغزو العسكري؛ ولتحقيق هذه الغاية أحدث انقلابا جذريا في برامج التعليم ومناهج دور العلم بداية، ثم وضع مخططا جديدا يكفل له إيجاد أجيال من المسلمين تُدين بالإسلام، وتقول بقوله، وتفعل بفعله، ولكن لا تمت إليه إلا بصلة الانتماء الأسمي، في الوقت الذي تتنكر فيه للإسلام في العقيدة والسلوك.

كما اتبع الاحتلال الفرنسي سياسية تذويب عروبة سوريا، ففرض اللغة الفرنسية، وأهمل اللغة العربية، وحاول القضاء على اللغة العربية في المدارس وغيرها بكل الوسائل الممكنة؛ لأنها أساس الوحدة العربية والأخوة الإسلامية، فهي عامل الترابط بين الدين والتراث الروحي والتاريخي، وكل أسباب القوة الفكرية في العالم العربي.

إن محاربة اللغة العربية الفصحى واللغات الإسلامية الأخرى، إنما هي محاولة لطمس علومها وآدابها بمختلف الوسائل، بُغية صرف المسلمين عن مصادر التشريع الإسلامي وسائر التراث الإسلامي؛ وبغية تجزئة المسلمين، وقد اتخذت هذه المحاربة صورا ماكرة متعددة، استُخدم فيها أسلوب النصيحة حينا، والتسلل بما يُسمى علم اللغات العامة حينا آخر، وهذا التسلل دخل إلى الدراسات الجامعية[2].

وكان بعض المسلمين المنتسبين إلى المدارس التي أنشأها الاستعمار يُحسن التكلم باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أكثر مما يُحسن التكلم بالعامية الشائعة في مجتمعه العربي، فضلا عن اللغة العربية الفصيحة، لغة قومه ولغة دينه ولغة القرآن المجيد، وحينما طُلب من أحدهم قراءة سورة الفاتحة لم يُحسن قراءتها؛ لأنه لم يتعلمها ولم يُكلف حفظها فيما سلف من عمره.

والأشد من ذلك ما يتعلمه هؤلاء التلاميذ في هذه المدارس من أكاذيب وأضاليل وتشويهات مُتعمدة للحقائق عن الرسول محمد ﷺ، والقرآن الكريم، والحديث الشريف، والتاريخ الإسلامي، وعن مقاصد الشريعة، وأحكامها، وعن كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين عربا أو غير عرب[3].

إن هذه الفكرة الخبيثة إنما هي بمثابة خنجر مسموم حاول المبشرون والمستعمرون أن يغرسوه في قلب الإسلام، ولكن الله تعالى حمى الشعوب العربية من شرها، فقامت النهضات المباركة التي تبنت نشر العربية الفصحى، وكان الشيخ محمد علي طه الدرة بثقافته الإسلامية، وجهوده في نشرها، وهو أحد هؤلاء الأفذاذ الذين قاوموا الثقافة الأجنبية، والمفاهيم الخاطئة التي سرت في جسم الأمة سريان النار في الهشيم، ووقف حاجزا منيعا وسدا حصينا دون

(1) الاحتلال الفرنسي لسوريا بدأ عام 1920م، وتم إجلاء آخر جندي في 1964/4/15م، ينظر: بشور، **دراسة في تاريخ سوريا المعاصر**، ط1، ص1.

(2) ينظر:: الميداني، عبد الرحمن حسن: **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، ط1، ج1 ص48.

(3) المصدر السابق، ط1، ج1 ص81.

انتشـــارها، حيث كرَّس حياته للدعوة إلى الله تعالى، والحفاظ على مبادئ الإســـلام ومقاصـــده الكبرى حيث كتب في تفســـير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، وكتب في اللغة وأعرب المعلقات العشـــر، وكثيرا من الشواهد النحوية.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

المطلب الأول: الحياة الاجتماعية:

لا شك أن وضع الناس في المجتمع وما يسودهم من عادات وتقاليد، وما يحكم معاملاتهم وعلاقاتهم، كل هذا يخضع بصورة مباشرة لما يعيشه هذا المجتمع من ظروف سياسية، داخلية كانت أم خارجية.

ومن البديهي أن تتأثر الحياة الاجتماعية بالحياة الســـياســـية التي تُحيط بها، فاســـتقرار الأحوال الاجتماعية مرهون باســـتقرار الأحوال الســـياســـية، واختلاط المسلمين بغيرهم من الكفار سيكون له أثره في سلوك الفريقين، وقد اختلط بالمسلمين الفرنسيون الذين لا يعرفون أخلاقا ولا فضيلة، فظهرت عادات غريبة، فنشـأت الفوضـى السـياسـية وقد عمت بلاد سوريا، وسُلب منها أمنها، وابتعد الناس عن دينهم، وتغيرت قيم العقيدة والأخلاق والثقافة بدعوى المدنية والتطور أو التقـدم، وفي ظـل هـذا الواقع المرير غير المستقر، لا يمكن أن تكون الحياة اجتماعية كانت أم اقتصادية مستقرة ووادعة.

ولقد اتجهت السلطة الاستعمارية الفرنسية إلى تغيير أحكام الأحوال الشـخصـية الإسـلامية في سـوريا، وإحلال قوانين مدنية غير إســـلامية محلها، واتخذت لذلك وسـائل مختلفة شـتى، إذ أصـدرت قرارا بقانون يتعلق بالأحوال الشـــخصـــية، ليُطبّق على الرعايا السوريين جميعا مسلمين وغير مسلمين، واشتُهر هذا القانون في حينه باسم قانون الطوائف.

"وقد تضـــمن هذا القانون أحكاما تُناقض أحكام الشريعة الإسلامية، فيما يتعلق بالأحوال الشخصية، إذ يُسمح بموجب أحكام هذا القانون لأي رجل من أي طائفة أن يتزوج بأية امرأة، دون أن يســـتطيع أوليـاء المرأة الاعتراض على هـذا الزواج بمخـالفتـه أحكام الشـــريعة الإســـلامية، إلى غير ذلك من مواد تقنينية مُسايرة للقوانين المطبقة في فرنسا"[1].

ولا يخفى على الجميع أن زواج المســـلمـة من غير المســـلم دون اســـتثناء كتابي كان أم غير كتابي حرام شرعا، ويُعد من الفواحش العظيمة التي نهى الله تعالى عنها، وهو زواج باطل شـــرعا، قال الله تعالى: {وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١} [البَقَرَة : 221].

"وضـــج علماء المســـلمين بهذا القانون، وتحركت الجماهير المسلمة بقيادة علمائها ثائرة عليه، مستنكرة له، تُطالب بإلغائه فورا، وتُنذر بقيام ثورة، واضـطرت السلطات المستعمرة إلى إلغائه قبل أن يُوضع موضع

(1) ينظر: الميداني، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، ط2، ج1 ص294.

التنفيذ"[1].

وقد وجّه المبشرون أعمالهم التبشيرية إلى المرأة المسلمة الملتزمة بآداب الإسلام البعيدة عن الاختلاط في مجتمعات الرجال، وذلك لِمَا للمرأة المسلمة من تأثير على الأسرة، وعلى المجتمع كله بوجه عام.

"فأسس –المستعمر– جمعيات نسائية، كجمعية الشابات المسيحيات، وأسسوا مدارس للبنات على نسق المدارس التي أسسوها للذكور، ووجّهوا عنايتهم لفتح المدارس الداخلية؛ لأن فرص التأثير فيها أكثر، وشجّعوا التعليم المختلط، وفتحوا دورا خاصة بالطالبات تُشرف عليها طائفة من المبَشِّرات، وأقاموا الأندية النسائية والمخيمات الكشفية النسائية، ثم ما زالوا يتدرجون في كسر الحواجز بين الذكور والإناث، حتى شاعت المجتمعات المختلطة بين المسلمين والمسلمات"[2].

وعليه فالحياة الاجتماعية سادتها اضطرابات كثيرة، وسببه المستعمر والفوضى السياسية في سوريا.

المطلب الثاني: الحياة الاقتصادية:

جنت سوريا من مجهودها الحربي ضد إسرائيل مُساعدات اقتصادية جمة من العرب وشهدت نهضة اقتصادية خلال الأعوام من 1974م إلى 1976م.

"ولكن تلك كانت سببا في تعميق الهوّة الطبقية وولادة مظاهر سلبية؛ حيث استطاعت نسبة محدودة من الناس لها نفوذ في الدولة أن تحصُد ثروات وتقتني عقارات، وتتمتع بكماليات بشكل لم يره السوريون في السابق، ما أثار حسد أغلبية المواطنين وحقدهم، وفتْح أعين الشعب على تلك الفئة النافذة من الحزبِيّين والنّفْعِيّين والوصُولِيّين، الذين أفسدوا الدولة وأهدروا الأموال"[3].

وأدى الوضع الداخلي في سوريا في النصف الثاني من السبعينيات[4] إلى مضاعفات اقتصادية خطيرة، تَمَثَّلت في إفقارٍ أصاب أكثر من سكان سوريا، وبطالة، وهجرة رجال الأعمال، وتراجع الصناعات والزِّراعات، مع ابتعاد الناس عن دينهم، وتغييب الأخلاق بدعوى المدنية والتطور، وعليه فالحياة الاقتصادية سادتها اضطرابات كثيرة، وسببه كما ذكر الباحث سالفا المستعمر والفوضى السياسية في سوريا.

المبحث الثالث: الحياة السياسية:

تدهورت الدولة العثمانية[5]، والتي تُعدّ من أكبر الدول الإسلامية التي شهدها التاريخ، ومن أشدها بأسا، وأعزها جندا، وكانت مرتبطة بالإسلام والجهاد في سبيل الله تعالى وقائمة عليهما، وقامت بفتوحات[6] كبيرة وعظيمة[7].

(1) ينظر:: الميداني، عبد الرحمن حسن: **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، ط1، ج1 ص294.

(2) المصدر السابق، ط1، ج1 ص294.

(3) ينظر: ديب، كمال: **تاريخ سورية المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف 2011م**، ط2، ص550-551.

(4) النصف الثاني من السبعينيات من عام 1975م إلى عام 1980م.

(5) سُمّيت بالعثمانية نسبة إلى عثمان بن أرطغرل، الذي تولى الحكم بعد وفاة والده عام 1299م.

(6) أعظمها فتح القسطنطينية (استانبول) وفتحها السلطان محمد الفاتح عام 1453م.

(7) ينظر:الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ط2، ج1، ص34-35، وص43-44، وص63.

وقد كان للدولة العثمانية دور مهم للغاية في نشر الإسلام في أوروبا، كما قدّمت خدمات جليلة للعرب والمسلمين، يأتي في مقدمتها حماية الشرق العربي والإسلامي من الغزو الاستعماري لمدة ثلاثة قرون؛ حيث تصدت للمخططات الصليبية البرتغالية منذ القرن السادس عشر الميلادي، ومنعت تغلغله إلى الحجاز؛ لتنفيذ مخطط صليبي بالغ القسوة والوحشية، وكان يهدف إلى الاستيلاء على المساجد الثلاثة الكبرى في الإسلام(1)، وموقف الدولة العثمانية من محاولات اليهود المتكررة استيطان فلسطين، مما يدل على فطنة ويقظة الدولة العثمانية وتنبُّهَها المبكر للطموح اليهودي في الاستيلاء على هذه المنطقة(2).

ومن هنا صارت الدولة العثمانية هدفا لأعداء الإسلام من اليهود والصليبيين، الذين أخذوا يتآمرون عليها، ويكيلون لها الضربات، حتى تدهورت وسقطت(3).

وبعد تدهور الدولة العثمانية تعاظم نفوذ كثير من الدول الغربية، واشتهرت في العالم وسيطرت على الشرق سيطرة لا مثيل لها في التاريخ، وآتت ثمارها في كل القطاعات الحياة العلمية والتطبيقية والاقتصادية، وتطلّعت إلى بسط نفوذها على الشرق الأوسط عن طريق الغزو الحربيّ والتّوسّع الاستعماري، بحجة انتشال الأمم والشعوب من الجهل والتخلف.

وقد وصل هذا النفوذ الاستعماري ذروته، وصار يخطط للسيطرة على العالم الإسلامي؛ لإضعافه، ونهب ثرواته، وكسر شوكته، فاجتمعت كلمتهم، وتوحّد صفهم على غزوه.

"وتفاهم المستعمرون فيما بينهم على تقسيم الأقطار الشرقية وتبادل الحصص المتفق عليها فيما بينهم"(4).

"وبناء على ذلك فقد احتلت فرنسا سوريا سنة 1920م وفق مؤتمر سان ريمو، الذي كان من مقرراته وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ووضع فلسطين والأردن والعراق تحت الانتداب البريطاني، فأحكمت فرنسا قبضتها على سوريا، واستقرّت فيها، وتوطّد أمرها بعد أن أفشلت كلّ نضال شعبي فيها، واستولى المستعمرون الفرنسيون على أجهزة الحكم والإدارة كافة، وفرضوا الحكم العسكري عليها، واشتد ساعد الجالية الفرنسية، وتضخم عددها، ونفذ أمرها، وعلت كلمتها، واعتبرت البلاد السورية وطنا لها، ووضعت أبناءها الأصليين ومصالحهم بدرجة الإهمال، وصارت النظم كلها مبنية على التقاليد الغربية مستخفة بالديانة الإسلامية، والتقاليد السورية، وصار ابن البلد مهينا ساقط الاعتبار،

(1) المساجد الثلاثة الكبرى هي: المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، والمسجد الأقصى في القدس.

(2) ينظر: ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط2، ص235-237، وص246-249.

(3) انتهت الدولة العثمانية بصفتها السياسية بتاريخ 1 نوفمبر سنة 1922م، وأزيلت بوصفها دولة قائمة بحكم القانون في 24 يوليو سنة 1923م، بعد توقيعها على معاهدة لوزان، وزالت نهائيًا في 29 أكتوبر من نفس السنة 1923م عند قيام الجمهورية التركية.

(4) ينظر: العقاد، **عبقري الإصلاح والتعليم الأستاذ الإمام محمد عبده**، ط2، ص9-10.

وأصبحت لغته مهجورة، حيث حارب الفرنسيون اللغة العربية بضراوة، وجعلوا حظها في التعليم بمدارس الحكومة دون حظّ اللغة الفرنسية، وجُعلت اللغة الفرنسية رسمية مكان اللغة العربية، ففرضوا اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية، وأهملوا شأن اللغة العربية"[1].

وبعد أن تحقق للمستعمر ما أراد، وبسط نفوذه في سوريا، بدأ يُفكر في طريقة تُمكّنه من العيش بسلام، وتضمن له تحقيق أهدافه وغاياته، وليس له طريق لتحقيق ذلك سوى اللجوء إلى معتقدات المسلمين، وتغيير مفاهيمهم، وتصوّراتهم، وفصلهم عن دينهم، وتشويه التراث الإسلامي، والتشكيك في الإسلام؛ حتى يُبعد المسلمين عن دينهم وعقيدتهم؛ فأخذ يفكر بكل حيلة ووسيلة شرعية أو غير شرعية؛ لتوهين عقيدة المسلمين، وتفكيك الروابط الإسلامية، وتجزئة المجتمع المسلم، وطمس هويته الإسلامية بطمس تعاليمه وشعائره، وإظهار البدع والخرافات، والتشجيع على ارتكاب الكبائر والمحرمات.

كما انتشرت الجمعيات التبشيرية، وانضمت حركة الاستشراق مع حركة التبشير؛ لتكوّنا معول هدم للإسلام وتنصير المسلمين، وكان اليهود وراء ذلك كله.

"ولو عرف كثير من الملاحدة أن اليهود المقنّعين يحرثون على أكتافهم وظهورهم مزارع سياستهم، ولا يدفعون لهم مقابل ذلك إلا الغرور بالنفس والأجر اليسير"[2].

"وقد حقق اليهود من مخططاتهم الشيء الكثير، حتى وصلوا إلى عتبة تحقيق حلمهم"[3].

وبعد نجاح المستعمر في تحقيق الشيء الكثير من مخططاته، انسلخ كثير من المسلمين عن دينهم، وشُوِّهَت صورة الإسلام أمام بعض المسلمين، وأمام هذا الواقع المؤلم ظهر من ينادي باتباع الغرب، والأخذ عنه، من غثِّه وسمينه.

وفي المقابل ظهر مَنْ أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن الإسلام، والوقوف في وجه الأفكار والمبادئ الهدّامة، وتوعية المسلمين، وتفهيمهم حقيقة الإسلام والدعوة إلى التمسك به، ونبذ حضارة الغرب وثقافته، ودفع حملات التشويه والتضليل، ومواجهة المستعمِر وتحدّيه، وكان من هؤلاء العلماء صاحب سيرتنا هذه الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله الذي وفّقه الله تعالى؛ ليصول ويجول في مضمار العلم والفكر.

هذا الجو العام للحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية، والتي أدركها الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله؛ حيث لم يكن في معزل عن تلك الأحوال؛ بل كان يُمارس نشاطه العلمي والتعليمي في خضم تلك الأحوال العصيبة، كما تبيّن ذلك من خلال تدريسه في قرى حمص وتأليفه الكتب.

(1) ينظر:: مجموعة من العلماء والباحثين: **الموسوعة العربية العالمية**، ط1، ص236، وينظر:: ديب، كمال: **تاريخ سورية المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف 2011م**، ط1، ص41.

(2) ينظر:: الميداني، عبد الرحمن حسن: **صراع مع الملاحدة حتى العظم**، ط1، ص12.

(3) ينظر:: الميداني، عبد الرحمن حسن: **الكيد الأحمر**، ط1، ص5.

الفصل الثالث :التعريف بتفسير الشيخ محمد الدرة

المبحث الأول: التعريف بالكتاب:

اسم الكتاب:

جعل الشيخ محمد علي الدرة رحمه الله مشروع حياته إعراب القرآن الكريم، فوجد أنه لا يمكن استيفاء أوجه الإعراب إلا بمعرفة وجوه القراءات، فأدخل القراءات وتوجيهها وما يتفرع عنها من المعاني، ولما وجد أنه لا يمكن معرفة القراءات إلا بتفسير القرآن الكريم وبيان معناه أدخل التفسير، فأصبح اسمه: (تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه)[1]، فتفسيره التفسير المعروف، وإعرابه الإعراب المعروف، وبيانه هو بيان وجوه القراءات وبيان توجيه القراءات وإيضاح معانيها، والبلاغة والمعاني، وهو من نفائس الكتب في العصر الحديث المتعلقة بتفسير القرآن الكريم.

قيمة الكتاب العلمية:

يُعد كتاب: (تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه) من أشهر وأكبر كتب التفسير في العصر الحديث، ولقد امتاز هذا الكتاب بسهولة الأسلوب، واستيعاب المادة، بالإضافة إلى شموليته الكبيرة في دراسة مختلف التخصصات، فهو منهج متكامل وموسوعة كبرى في تفسير القرآن الكريم وبيان معانيه وإعرابه، وشرح مواطن إعجازه، ليستفيد منه مختلف القراء باختلاف تخصصاتهم، فيجدوا فيه ضالتهم المنشودة، ومبتغاهم المطلوب، حيث يقوم بإيراد الآية وبعدها يعمد إلى شرحها وبيان غامضها ثم يقوم بإعرابها، وفي بعض الأحيان يقوم بإيراد فائدة أو ينبه على ما يتعلق بها من أمور أو أحكام شرعية وغير ذلك.

وإعراب الشيخ محمد علي الدرة للقرآن بدأت بعد أن أصدر الأجزاء الأولى من إعراب شواهد كتاب مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب[2] عرضه على الشيخ محيي الدين عبد الحميد[3]، فسُرَّ بالعمل كثيرا، وقال: "إن من يعرب الشواهد النحوية، عليه أن يُعرب الشواهد القرآنية في الكتاب".

هذه الكلمة فعلت فعلها في نفس الشيخ محمد علي الدرة، ووضعته أمام إعراب القرآن الكريم كاملا، وبالفعل، ففي نهاية عقد الستينات وبداية السبعينات من القرن العشرين الميلادي ابتدأ عمل الشيخ الحثيث لتنفيذ أكبر مشروع في حياته، وهو تفسير القرآن مع

(1) والظاهر أن أول الأمر سماه: فتح الرحمن الرحيم في تفسير وإعراب القرآن الكريم، ثم عدل إلى الاسم المذكور في المتن.

ينظر: المنصور، محمد عيد وفا، **العالم المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد علي طه الدرة**، ط1، ص75، والمكتبة الشاملة الحديثة، أرشيف ملتقى أهل الحديث: https://al-maktaba.org/book/31616/60126 https://al-

(2) سبق التعريف بالكتاب ص25 .

(3) محمد محيي الدين بن عبد الحميد، من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة، ورئيس لجنة الفتوى والأزهر، ولد بقرية كفر الحمام بالشرقية 1318هـ، وتعلم بدمياط وحصل على شهادة الأزهر العالمية النظامية بالقاهرة 1344هـ، وعمل في التدريس بمصر والسودان، ثم عميدا لكلية اللغة العربية، وضمه مجمع اللغة العربية في القاهرة إلى أعضائه سنة 1384هـ، واشتهر بتصحيح المطبوعات، أو تحقيقها، فأشرف على طبع عشرات منها، توفي عام 1392هـ، رحمه الله، ينظر: الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، ط3، ج7، ص92، وينظر: منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية:

https://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=24378

الإعراب والبيان، وتوسع في التفسير ليُساعد على فهم المعنى، وقدّم فيه وجوه الإعراب الممكنة لكل كلمة، وخاصة عند تعدد وجوه القراءات التي تنتج وجوها إعرابية متنوعة.

طبعات الكتاب:

الطبعة الأولى: دار الحكمة، دمشق، بيروت، 1992م، في ستة عشر مجلدا.

الطبعة الثانية: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2006م، في عشرة مجلدات.

الطبعة الثالثة: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2016م، في عشرة مجلدات.

وقد أحسنت دار ابن كثير في إخراج هذا الكتاب، وتميزت هذه الطبعة بالتالي:

- تصحيح النص مِمَّا عُرِض له من سهو قلم، أو خطأ أثناء الطباعة، وذلك بدفعه أهل الاختصاص فعنوا به أيما عناية.
- ضبط النص، ووضع علامات الترقيم التي تُسهّل الفهم.
- توثيق النقول بالرجوع إلى مصادرها.
- إثبات الآيات من المصحف الشريف.
- ضبط الأحاديث بالشكل وتمييزها بوضعها بين هلالين.
- ضبط الشعر، وتسمية بحره.
- وضع الآيات التي في موضع الشرح في مستطيل ملون حسب رقمها برسم المصحف، ثم يكون الشرح، وذكر ما أراد المؤلف.
- مع جودة الطباعة والتجليد.

نبذة مختصرة عن التفسير.

وخير من يتكلم عن هذ الكتاب مؤلفه رحمه الله، فقال:

"ومن يوم منَّ الله عليّ بالجلوس على مائدة التأليف فكرت بإعراب كافٍ وافٍ لكتاب الله تعالى، يجد فيه المبتدئ بغيته، والمنتهى أمنيته، ولا سيما بعد أن طلب ذلك مني الكثير ممن قرءوا كتبي في الإعراب، أخص بالذكر منهم المرحوم :محمد محيي الدين عبد الحميد المصري[1]، جعل الله الجنة مأواه، فإنه التمس مني بواسطة من كان يوصل إليه كتبي، ويزوره في بيته أن أعرب الآيات التي استشهد بها ابن هشام[2]–رحمه الله– في مغنيه بالإضافة لما قمت به من إعراب شواهده، فأيقنت في نفسي :أن إعراب تلك الآيات المستشهد بها معناه إعراب القرآن الكريم بكامله، فقمت بإعراب شواهد جامع الدروس العربية، وشرحها بعد إعراب شواهد المغني، وتيسر طبعه، ونشره، وهو متداول بأيدي الناس، وقمت بشرح كتاب قواعد اللغة العربية، وإعراب أمثلته، وشواهده[3]، وتهيأ طبعه، ونشره، ثم قمت بإعراب المعلقات العشر، وشرحها، وأيضا قمت بإعراب شواهد همع الهوامع، وشرحها، وهما لا يزالان مخطوطين عندي، لم يتيسر طبعهما، وبعد الانتهاء منهما طبعت رسالة صغيرة، سميتها :" (الحج

(1) سبقت ترجمته ص36، وينظر: منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية:

https://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=24378

(2) سبقت ترجمته ص 25 من هذا البحث.

(3) ينظر: الدرة، **تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه**، ط1، ج1، ص6-8.

والحجاج في هذا الزمن) " بينت فيها مفاسد بعض الحجاج، وكذبهم، وخداعهم، وما انطووا عليه من شر أكثر مما اتصفوا به من خير.

وفي كل هذه المدة الطويلة لم يغب عن خاطري إخراج مؤلف يضم بين دفتيه إعرابا وافيا كافيا لكتاب الله تعالى، وفي المدة الأخيرة قوي هذا الدافع، وصرت كالمتردد، أقدم رجلا، وأؤخر أخرى؛ حتى استخرت الله تعالى-كعادتي في جميع أموري وشئوني-فشرح الله صدري لهذا العمل، وأخذت أخط مبيضة بدون تسويد حتى خرج هذا الذي بين يديك أيها القارئ الكريم، وينبغي أن تتنبه للأمور التالية:

١ - إن المعلم المبتدئ يستفيد من شرح وتفسير كلام الله تعالى :إفرادا، وجملا.

٢ - بالنسبة للإعراب لا يستفيد من هذا الكتاب إلا الملم بقواعد النحو، أعني به :معرفة الأفعال الخمسة، وأحوال إعرابها، وأحوال إعراب المثنى، والجمعين السالمين، وأسماء الإشارة، والموصولة، وإعراب المقصور، والمنقوص، ونحو ذلك.

٣ - سلكت في هذا الإعراب طريق الاختصار، والإيجاز خوفا من الإطالة، وما يتسبب عنها من ضخامة حجم الكتاب، بينما تجدني أحيانا توسعت في الشرح، والتفسير، والغاية من ذلك نفع العامة، والخاصة.

٤ - من الإيجاز الذي سلكته في الإعراب والإعلال :الإحالة على آية سلفت في سورة سبقت، وقد يقع مثل ذلك في التفسير أيضا، وقد تكون الإحالة على آية في سورة تأتي بعد[1]، كما في قصة أصحاب السبت المذكورة في سورة الأعراف بالتفصيل، والمومأ إليها في سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة المائدة إيماء.

٥ - شرحت وأعربت الاستعاذة، والبسملة مرة واحدة في أول هذا الكتاب.

٦ - لم أضع لسورة الفاتحة رقما خاصا بها، وإنما أحيل عليها باسمها، وذلك لقصرها.

٧ - وضعت لسورة البقرة (2) ولسورة آل عمران رقم (3) وهكذا، فعند ما أحيل على رقم مؤلف من رقمين؛ فالرقم الأول يشير للآية، والثاني يشير للسورة، فمثلا الرقم (5/20) يعني: أنه من سورة المائدة، والرقم (7/17) يعني: أنه من سورة الأعراف، وهكذا. أما الرقم الواحد، فإنه يعني نفس السورة.

٨ - اعتبرت في إعرابي لكتاب الله تعالى الضمير (إياك إياكم...) إلخ ونحو ذلك مبنيا على ما ينتهي به آخر اللفظ، وقد شرحت هذا، وبينت أسبابه في صفحات ملحقة بكتاب القواعد الطبعة الثالثة، انظره فإنه جيد.

٩ - بعد هذا ينبغي أن تعلم :أني ذكرت أوجه القراءات، وما ينتج عنها من وجوه الإعراب، وهذا لا يتنافى مع الإيجاز الذي ذكرته، فإن غايتي أن يكون القارئ على علم بجميع وجوه الإعراب، وهو مما يساعد على فهم كتاب الله تعالى، والاطلاع على أسراره.

وعملي هذا ليس بالهين كما هو ظاهر، ولم يأت

(1) ينظر: الدرة، **تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه**، ط1، ج1، ص6-8.

عفوا، وإنما هو عمل شاق، وصعب، ركبت كل ذلول في سبيله، وتجشمت متاعب، ومشاق؛ كل بصري، وجف عرقي في تحصيله، وعملي هذا مغامرة قمت بها؛ لأني لست من أهل ذلك، كما هو تطفل على مائدة التأليف، إن كان هذا من اختصاص حملة الشهادات العالية، لذا فإني أتمثل بقول القائل"[1]:

إذا قصرت رفقا بالملام

أروم وذاك من قوم كرام

لقد صوبت في التأليف سهما

وتلك رمية من غير رام

المبحث الثاني: مصادر الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله في تفسيره:

اعتمد المؤلف رحمه الله في تصنيف هذا الكتاب على مراجع لعلماء أجلاء، ومؤلفاتهم في عدة مصنفات، أذكرها مرتبة ألف بائيا وهي:

- التبيان في إعراب القرآن الكريم[2].
- تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل[3].
- تفسير الجلالين[4].
- تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل[5].
- تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل[6].
- الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية[7].
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل[8].
- مشكل إعراب القرآن[9].

واعتمد أيضا على مؤلفاته التي وردت في المطلب الخامس من المبحث الثاني.

المبحث الثالث: تفسير الشيخ محمد علي طه الدرة في الميزان:

يعتبر تفسير الشيخ محمد علي طه الدرة رحمه الله من أفضل التفاسير في العصر الحديث حيث امتاز باتساعه وجمعه لشتى العلوم المختلفة علاوة على ما أورد صاحبه فيه من روايات للسلف وآراء مقبولة للخلف.

بل إن هذا التفسير يعتبر جامعة قرآنية جمع بين سائر مدارس التفسير التي سبقته مثل المأثور، الرأي المحمود، الفقهي، النحوي، البلاغي، الوعظي، العلمي، حيث نجد أن الشيخ رحمه الله قد جمع بين ذلك كله، وكل من قرأ تفسير الشيخ رحمه الله يقر بهذه الحقيقة، ولا ينسى فضله وجهده الطيب المبارك، ومما يؤكد هذا القول أنه يعتبر مرجعا هاما

(1) ينظر: الدرة، **تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه**، ط1، ج1، ص6-8.

(2) لمؤلفه: أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ).

(3) لمؤلفه: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ).

(4) لمؤلفيه: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ).

(5) لمؤلفه: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ).

(6) لمؤلفه: أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ).

(7) المعروف باسم: (حاشية الجمل على الجلالين)، لمؤلفه: سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل (ت ١٢٠٤هـ).

(8) لمؤلفه: أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ).

(9) لمؤلفه: أبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ).

من مراجع المفسرين في العصر الحديث.

الخاتمة

أهم النتائج:

1/ يعتبر الشيخ محمد علي طه الدرة من علماء أهل السنة والجماعة في العصر الحديث، ولا ينصب العداء لأحد من أهل السنة.

2/ تفسير الشيخ الدرة مدرسة من مدارس التفسير وهي الجمع بين ما سبقه من مدارس التفسير.

3/ تميزت حياة الشيخ رحمه بأنها مضطربة سياسيا واقتصاديا ومع ذلك استطاع أن ينتج هذا المؤلف العظيم.

4/ جمع الشيخ رحمه الله في كتابه بين التفسير واللغة والبيان والإعراب.

التوصيات:

من خلال ما عشته مع الشيخ الدرة رحمه الله من أوقات نفيسة تبين لي مدى الحاجة لدراسة هذا التفسير والوقوف على الكثير من أودعه فيه ومن ذلك:

1/ عمل دراسة مستقلة للجانب العلمي في عصر الشيخ الدرة.

2/ عمل دراسة مستقلة للجانب الاجتماعي في عصر الشيخ الدرة.

3/ عمل دراسة مستقلة للجانب السياسي والاقتصادي في عصر الشيخ الدرة.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا وحبيبنا النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا.

قائمة المراجع

1- الأنصاري، فريد (ت 1430هـ)، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، ط1، الدار البيضاء: منشورات الفرقان، 1417هـ، 1447م.

2- بشور، د. أمل ميخائيل: **دراسة في تاريخ سوريا المعاصر**، ط1، لبنان: جروس برس، 2003م.

3- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ)، **كتاب التعريفات**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

4- الدرة، محمد علي طه الدرة (ت 1428هـ)، **تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه**، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2016م.

5- ديب، كمال: **تاريخ سورية المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف 2011م**، ط2، بيروت: دار النهار، 2011م.

6- الراغب الأصبهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ

7- الزبيدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، اشتهر بالسيد المرتضى الحسيني اليماني الواسطي العراقي الحنفي، (ت 1205 هـ). **تاج العروس من جواهر القاموس**، د.ط، الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د.ت.

8- الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، محمد

بن بهادر بن عبد الله المصري (ت 794 هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، ط1، القاهرة: إحياء الكتب العربية، د.ت.

9- الشناوي، عبد العزيز محمد: **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، د.ط، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1980م.

10- الشنطي، محمد صالح الشنطي، **فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه**، دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية، حائل، ط5، 1422هـ.

11- العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد الشهير بابن حجر، ت 852هـ: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ط2،الهند: دائرة المعارف العثمانية، 1392هـ، 1972م.

12- العقاد، عباس محمود (ت 1383هـ): **عبقري الإصلاح والتعليم الأستاذ الإمام محمد عبده**، د.ط، مصر: مكتبة مصر، د.ت.

13- العيسوي، عبد الفتاح محمد وعبد الرحمن محمد، **مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث** د.ط، بيروت: دار الراتب الجامعية، 1996م.

14- مصطفى مسلم، مصطفى مسلم محمد (ت 1442هـ)، **مناهج المفسرين**، ط4، القاهرة : دار القلم، 1426هـ.

15- المنصور، محمد عيد وفا، **العالم المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد علي طه الدرة**، ط1،حمص: دار الإرشاد للنشر، 1431هـ، 2010م.

16- الميداني، عبد الرحمن حسن: **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**: التبشير –الاستشراق– الاستعمار، ط8، دمشق: دار القلم، 1420هـ، 2000م.

17- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت 1425هـ)، **صراع مع الملاحدة حتى العظم**، ط5، دمشق: دار القلم، 1412هـ، 1992م.

18- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت 1425هـ)، **الكيد الأحمر**، ط4، دمشق: دار القلم، 1400هـ، 1980م.

19- ياغي، إسماعيل أحمد: **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ، 1996م.

فِهْرِسْتَ (قائمة) المراجع الالكترونية:

20- الألوكة وفاة العالم النحوي محمد علي طه الدرة. :
https://www.alukah.net/culture/0/1691/%D9%88%D9%81%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AD%D9%88%D9%8A-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%B7%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A9/

21- خرائط جوجل قرية زمرين: https://goo.gl/maps/kaBUnNLKw2PguAoU8

22- خرائط جوجل مدينة حمص: https://goo.gl/maps/PTdqeHujJno9eBnS6

23- خرائط جوجل قرية تلعمري: https://goo.gl/maps/bW1rfavZEPa8E9St7

24- خرائط جوجل جامع خالد بن الوليد رضي الله عنه. : https://goo.gl/maps/cnCyKAk2Wk11FLxPA

25- خرائط جوجل جامع العنابة حمص. : https://goo.gl/maps/JwLGYBPjbKkhfLYc8

26- خرائط جوجل جامع النوري الكبير. : https://goo.gl/maps/n3VJvKLPH4T7hjKK6

27- خرائط جوجل قرية ديربعلبة: https://goo.gl/maps/3mCNP1sByPB3JZq66

28- الشاملة الحديثة، أرشيف ملتقى أهل الحديث: https://al-maktaba.org/book/31616/60126 https://al-

الشاملة، كتب المؤلف محمد علي طه الدرة: https://shamela.ws/author/3039 https://shamela.

29- فيس بوك (الراح والروح). : https://www.facebook.com/536374559747089/posts/3236083186442866/?locale=ar_AR

30- منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية: https://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=24378

31- موقع الألوكة، في الرابط التالي: . https://www.alukah.net/culture/0/1691/%D9%88%D9%81%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AD%D9%88%D9%8A-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%B7%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A9/

32- موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية: https://tafsir.net/author/3084/mhmd-aly-th-ad-drt-t-1428

33- موقع هنا البيضاء: : https://www.hunaalbayda.com/post/6248/%D9%82%D8%A8%D8%A7%D8%A6%D9%84-%D8%A8%D9%86%D9%8A-%D8%AE%D8%A7%D9%84%D8%AF-%D9%88%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE%D9%87%D8%A7-%D9%88%D9%85%D8%B3%D8%A7%D9%83%D9%86-%D8%A7%D9%81%D8%B1%D8%A7%D8%AF%D9%87%D8%A7

34- موقع تفسير: https://tafsir.net/author/3084/mhmd-aly-th-ad-drt-t-1428

35- مكتبة التقوى ناشرون على الفيس بوك. : https://www.facebook.com/photo/?fbid=1589379784591990&set=a.348033485393299

36- موسوعة المعرفة محمد طاهر الأتاسي. : https://www.marefa.org/%D9%85%D8%A

D%D9%85%D8%AF_%D8%B7%D8%A7%D9%87%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AA%D8%A7%D8%B3%D9%8A

37- ويكيديا الموسـوعة الحرة كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%BA%D9%86%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A8_%D8%B9%D9%86_%D9%83%D8%AA%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A8

Arrasikhun Journal، Special Issue, February 2026

ISSN: 2462-2508

دور المساجد والمراكز الثقافية التي أنشأها ملوك المملكة العربية السعودية في نشر تعليم القرآن الكريم: مشروع التفرغ العلمي عام 1446 ه

د. أحمد بن عبد الله الفريح

عضو هيئة التدريس بقسم القراءات بكلية الدعوة وأصول الدين

aafraih@uqu.edu.sa

الملخص

البحث عبارة عن دراسة ميدانية مسحية تتناول عناية ملوك المملكة العربية السعودية بالمسلمين في العالم عموماً، لاسيما في الدول غير المسلمة، من خلال بناء وتشييد المراكز الثقافية، التي تبصر الناس بشؤون دينهم، وعنايتهم بتعليم القرآن الكريم؛ المصدر الأول للشريعة الإسلامية والسنة النبوية المطهرة، وتركز الدراسة على ثلاثة من أبرز المراكز الثقافية التي أنشأها ملوك المملكة العربية السعودية؛ وهي المركز الثقافي في مدينة بيونس آيرس عاصمة الأرجنتين، والمركز الثقافي في مدينة روما عاصمة إيطاليا، والمركز الثقافي في مدينة مدريد عاصمة إسبانيا، وتشمل الدراسة البعد التاريخي، والواقع المعاصر، والبرامج الثقافية، لاسيما برامج تعليم القرآن الكريم، وأثر ذلك على الأقليات المسلمة في تلك الدول؛ اشتغالاً وتأثراً بالقرآن الكريم، وانعكاس ذلك على المستفيدين من المسلمين في فهم الدين ولزوم تعاليمه.

Abstract

This research is a field-based survey study that examines the care and attention afforded by the Kings of the Kingdom of Saudi Arabia to Muslims worldwide, particularly in non-Muslim countries, through the establishment and development of cultural centers that educate people about their religion. The study focuses on their efforts to promote the teaching of the Qurʾān, the primary source of Islamic law, alongside the purified Prophetic Sunnah. The research specifically investigates three of the most prominent cultural centers established by the Saudi monarchy: the cultural center in Buenos Aires, Argentina; the cultural center in Rome, Italy; and the cultural center in Madrid, Spain. The study encompasses the historical context, contemporary realities, and cultural programs of these centers, with particular attention to Qurʾānic education initiatives. It also examines the impact of these programs on Muslim minorities in the respective countries, including their engagement with and influence by the Qurʾān, and the subsequent effect on the beneficiaries' understanding of Islam and adherence to its teachings.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، فإن دراسة الجهود العظيمة لملوك المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين في العالم أمر يصعب حصره ، ذلك أنهم لم يألوا جهداً في خدمة الأمة الإسلامية في كل المجالات الدينية والتعليمية والإنسانية والصحية والإغاثية وغير ذلك كثير، وهنا أسلط النظر على جزء يسير جداً من تلك الجهود العظيمة ألا وهو عنايتهم بنشر الثقافة الإسلامية، وذلك من خلال إنشاء المراكز الثقافية والأكاديميات العلمية وبناء المساجد، ورعايتها لتقوم بدورها المنشود تجاه الأقليات المسلمة في العالم، ومن أهم ما تعنى به تلك المراكز هو خدمة القرآن الكريم، لكونه مصدر الشريعة الإسلامية، وأصل الدين وأساسه المتين ، وبه يحصل سماع القرآن وتقويم تلاوته، وحفظ نصه، وفهم معانيه، والعمل به، وصولاً إلى تزكية النفس، ولا شك أن أول ما ينبغي للمسلم حديث الإسلام أن يتعلمه هو كلام رب العالمين ، وإقامة الدين الحنيف ، بما يتوافق مع الفطرة السليمة، ولا يتعارض مع الفهم القويم لكلام الله سبحانه وتعالى، ليثمر سكينة في النفس والمجتمع، وتزول غشاوة الفهم السقيم، وينتشر الوعي، ويفيء الناس إلى كلام رب العالمين، لا سيما في تلك الأماكن البعيدة عن مصدر العلم الصحيح، ويضعف فيها العلم بدين الله لكونها في بيئة تقطنها أقليات مسلمة كادحة، قليل فيهم العالم والمعلم، لذا كان لابد من العناية بالقرآن الكريم وذلك بتعليم تلاوته وتقويم أدائه، ويؤخذ بالحسبان الحاجة الماسة لدى المسلمين الجدد لتلقي القرآن الكريم، وضبط تلاوته وفهم معانيه، من هنا كان لابد من دراسة واقع تعليم القرآن الكريم في تلك المراكز الثقافية، ومن هنا جاء هذا البحث ليقدم دراسة تبرز دور تلك المراكز الثقافية ، ومقدماً توصياته التي ستفيد – بإذن الله تعالى – في تنمية العمل وتطويره بما يتناسب مع دور تلك المراكز ويحقق أثرها المنشود.

الدراسات السابقة:

أولاً: سبق تنفيذ دراسة عن تعليم القرآن الكريم عن بعد ، دراسة وصفية تحليلية ، للباحث أحمد بن عبد الله الفريح ، نفذها عام 1429 هـ – 2008م ، تضمنت دراسة بعض مبادرات تعليم القرآن الكريم عن بعد، عبر المؤسسات القرآنية في المملكة العربية السعودية، وأبرز المؤسسات التعليمية على الإنترنت، ودراسة المبادرات الفردية لتعليم القرآن الكريم عن بعد، ودراسة خصائص جيل الانترنت من المسلمين المقيمين في العالم، مع تنفيذ تجربة تعليم القرآن الكريم عن بعد، مع إنشاء موقع إلكتروني لتعليم القرآن الكريم عن بُعد.

ثانياً: بحث بعنوان : التحديات الثقافية التي تواجه الجاليات المسلمة في أمريكا اللاتينية وسبل مواجهتها (الأرجنتين نموذجاً)، ألفه الأستاذ الدكتور ناصر بن إبراهيم بن عبد الله آل تويم الأستاذ في قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة سابقاً بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأشار في صفحة 77 و 78 إلى حاجة الجالية إلى تعلم القرآن الكريم من خلال حلقات التحفيظ في المساجد، وروضات تعليم

القرآن الكريم للأطفال، وذكر في مقدمة كتابه عدداً من الدراسات والأبحاث التي تناولت الدراسة الجاليات المسلمة في أمريكا اللاتينية، باللغتين العربية والإسبانية، وبعضها يشمل الجاليات المسلمة في العالم، غير أن بحث الأستاذ الدكتور ناصر آل تويم لم يقتصر على جانب تعليم القرآن الكريم، بل شمل بالدراسة جميع الجوانب الدينية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية وسبل مواجهتها، ولم يشمل المراكز الثقافية بالدراسة بل اقتصر على المركز الثقافي في الأرجنتين.

أسباب اختيار مشروع البحث :

لاشك أن للمراكز الثقافية دورها الكبير والرائد في التعريف بثقافة المملكة العربية السعودية، وما يحمله شعبها من قيم وأخلاق نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وما نتج عنها من وعادات وتقاليد، وما يحمله من منهج وسطي معتدل في تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية، وليعرف المسلمون وغيرهم تلك المبادئ الكبرى التي يقوم عليها نظام المملكة العربية السعودية حكومة وشعباً، وليتلقى المسلمون الدين من مكان نزوله ومبعثه، فيرجعوا إلى المنبع الصافي المحفوظ بحفظ الله إلى قيام الساعة، وفي إبراز تلك الثقافة الأصيلة إبراز للمنهج الصحيح، والنهج القويم، والصراط المستقيم الذي يجب أن يتبعه المسلمون، وفي ذلك إبطال لكل منهج مخالف يدعي الصواب، ويمتطي الدليل ليكون هو المتبوع.

أسئلة مشروع البحث :

ما هي المراكز الثقافية التي أنشأها ملوك المملكة العربية السعودية؟

ما الدور الذي تقوم به؟ وما هي البرامج الثقافية التي تقدمها؟

ما مدى استفادة الأقليات المسلمة من تلك المراكز؟

ما دور تلك المراكز في خدمة الأقليات في مجال تعليم القرآن الكريم؟

ما هي البرامج القرآنية التي تم تنفيذها في تلك المراكز؟

ما الدور الذي تقدمه المراكز الثقافية في تعريف غير المسلمين بالقرآن الكريم؟

دور البحث في تحقيق مبادرات الخطة الاستراتيجية للجامعة وتوجهاتها الاستراتيجية:

نصت رسالة الجامعة على "خدمة المجتمع انطلاقاً من عمقنا العربي والإسلامي"، وهي منطلقة من كلمة سمو سيدي ولي العهد الأمير محمد بن سلمان عن رؤية المملكة العربية السعودية 2030 حيث قال :" دائما ما تبدأ قصص النجاح برؤية، وأنجح الرؤى هي تلك التي تبنى على مكامن القوة، ونحن نثق ونعرف أن الله سبحانه حبانا وطناً مباركاً هو أثمن من البترول، ففيه الحرمان الشريفان، أطهر بقاع الأرض، وقبلة أكثر من مليار مسلم، وهذا هو عمقنا العربي والإسلامي، وهو عامل نجاحنا الأول"، وقال أيضاً –حفظه الله– :" لدينا قدراتٌ سنقوم بمضاعفة دورها وزيادة إسهامها في صناعة هذا المستقبل، وسنبذل أقصى جهودنا لنمنح معظم المسلمين في أنحاء العالم فرصة زيارة قبلتهم ومهوى أفئدتهم"، ثم أشار حفظه الله إلى" المرتكزات الثلاثة لرؤيتنا : العمق العربي والإسلامي، والقوة الاستثمارية، وأهمية الموقع الجغرافي الاستراتيجي"، وكل ما سبق يستقيم

مع هذا المشـــروع البحثي الذي يبرز الجهود الكبيرة التي تبذلها المملكة العربية السـعودية في تحقيق مرتكز العمق العربي والإسـلامي، لاسـيما فيما اجتمع عليه المسلمون ألا وهو القرآن الكريم.

أهمية مشروع البحث : وتتمثل في الآتي:

1. إبراز الـدور الـذي قـام بـه ملوك المملكـة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين.
2. دراسة دور تلك المساجد والمراكز الثقافية في تعليم للقرآن الكريم للجاليات المسلمة.
3. أثر تلـك المراكز في توجيـه المســـلمين إلى التمسك بكتاب الله تعالى.
4. تحسين جودة حياة المسلمين بما يحصل لهم من طمأنينة النفس والروح لمن تعاهد القرآن الكريم وتمسك به.
5. إيجاد حلول مســـاندة للمراكز الثقافية من خلال التعاون بين المراكز الثقافية مع مقرأة جامعة أم القرى في تعليم قراءة القرآن الكريم عن بعد، لســـد الطلب المتزايد على المراكز الثقافية.

منهجية الدراسة :

اتخذت هذه الدراسـة أسـلوب الدراسـات المسـحية الوصـفية التحليلية، وقد شملت دراسـة إنشـاء تلك المساجد والمراكز الثقافية، ودراسة ميدانية لبرامج تلك المساجد والمراكز وأنشطتها القرآنية، ودراسة مسحية لأثر تلك المساجد والمراكز على الجاليات المسلمة.

الهدف من الدراسة :

الوقوف على الـدور الـذي يقوم بـه ملوك المملكـة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين في كل مكـان من العـالم، ومـدى تأثير تعليم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع في أوساط الجاليات المسلمة، وأثره عليها من حيث التمسك بكتاب الله تعالى.

أهمية الموضوع :

- إبراز الـدور الـذي قـام بـه ملوك المملكـة العربية السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان.
- دراسة دور تلك المساجد والمراكز الثقافية في تعليم القرآن الكريم للجاليات المسلمة.
- أثر تلـك المراكز في توجيـه المســـلمين إلى التمسك بكتاب الله تعالى.
- إمكانية إفادة تلك المسـاجد والمراكز الثقافية من مقرأة جـامعـة أم القرى في تعليم قراءة القرآن الكريم عن بعـد، لاســـيمـا مع تزايـد الإقبـال من المهاجرين أو المسلمين الجدد، أو أبنائهم.

التمهيد :

منذ قيام الدولة السـعودية وملوكها لا يألون جهداً في خدمة المسـلمين، وحمل همّ المسـلمين في كل مكان، فلا ينفكون عن الاهتمـام بهم، وخـدمتهم وتقـديم العون لهم ما اســـتطاعوا إلى ذلك ســـبيلاً، ورعاية مصـالحهم وقضـاياهم في المحافل الدولية، ولا يفترون عن خدمتهم؛ قادمين إلى الحرمين الشـريفين حجاجاً ومعتمرين، أو أقليات في دولهم قابعين، تُغيث وترعى وتُعلم، وتعتني بالعقول والأجســـاد، فترفع الجهـل بالعلم، وتُذهب المرض بالطب والمســاعدات الطبية، وتُزيل العمى والصـمم، فتعيد السـمع والبصـر بإذن الله؛ من خلال قوافـل ومتطوعون يحملون الخير إلى كـل مكـان في العـالم، فلا ينقطع خيرهـا وبرهـا عن أحد، على مدار العام.

وملوكها الكرام هم الذين يسعون لذلك، فيقنعون الملوك والرؤساء بأهمية بناء المراكز والمساجد، فيعم خيرهم كل دولة، ويحققون ما يعجز عنه غيرهم، فلا تكاد تخلو عاصمة من مسجد أو مركز ثقافي، ذلك أن المسجد هو منطلق الشريعة والهدى، وفيه يجتمع المسلمون ليؤدوا الصلوات مع المصلين، ويقومون لله قانتين، ويتعلموا شعائر دينهم، فيأتيها الرجل والمرأة، ويألفها الصغير والكبير، خلال اليوم للصلاة، وأسبوعياً لأداء الجمعة، وفي الأعياد لأداء صلاتي العيدين، وعند الاستسقاء والكسوف والخسوف، ويقصدونه لتلقي القرآن الكريم، وهو ما نحن اليوم بصدده، فبناء المسجد ينشأ عنه خير كثير، من أداء الصلوات وتعلم تلاوة القرآن، وطلب العلم، والفقه في الدين، وتنشأ تبعاً لذلك العلاقات الإنسانية، وتقوم على إثرها المودة والرحمة والتراحم والتواصل بين المسلمين، والواقع أن بناء المسجد ليس مجرد تشييد مبنى ولكنه بناء مجتمع متآلف تخييم عليه ملامح التواد والتراحم والتواصي بالحق والصبر.

ولعل في دراسة هذه المراكز الثقافية في هذه العواصم الثلاث، مركز روما ومدريد في وسط وجنوب أوروبا، ومركز بيونس آيرس في أمريكا اللاتينية، وما ترتب على إنشائها قبل مدد طويلة، تصل إلى أربعين عاماً؛ من انتشار الإسلام، وتعليم القرآن، وما نلاحظه من تزايد المسلمين، يؤكد تلك الآثار العظيمة على تلك المجتمعات، تقبلها الله بقبول حسن، وجزى ملوكنا الكرام خير الجزاء على ما قدموه للإسلام والمسلمين في كل مكان، وما نتج عنها من تعليم القرآن الكريم، وتعاليم الشريعة الغراء، وانتشار الوسطية والسلام والتعايش السلمي أينما كانوا.

المبحث الأول : المركز الثقافي في عاصمة الأرجنتين بيونس آيرس.

تعريف بالمركز الثقافي في مدينة بوينس آيرس بدولة الأرجنتين:

نشأت الفكرة منذ أواخر السبعينيات عندما قررت المملكة العربية السعودية فتح سفارة لها في عاصمة الأرجنتين، وبدأت الفكرة تبرز إلى الوجود بعد زيارة الرئيس الأرجنتيني الأسبق كارلوس منعم إلى السعودية، حيث عبّر للملك فهد عن رغبته في هبة قطعة أرض للمملكة لتشّيد مركز ثقافي عليها، فأنشأه على الطراز المعماري الكلاسيكي الحديث، وتم افتتاحه في 25 سبتمبر/ أيلول عام 2000 لتلبية حاجة المسلمين في قارة أمريكا الجنوبية ودول البحر الكاريبي إلى مسجد ومركز ثقافي؛ على المستوى اللائق لأداء شعائرهم وممارسة أنشطتهم الثقافية والاجتماعية.

ويُعدِّ مركز الملك فهد الثقافي الإسلامي الأكبر في أمريكا اللاتينية، حيث تبلغ مساحته الإجمالية 34.000 متر مربع، وتم افتتاحه في عام 2000م، وتولت الإشراف عليه وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ويضم المركز ضمن مرافقه جامع الملك فهد الذي تعلوه منارتان، وتبلغ مساحته الإجمالية ألفي متر مربع، ويتكون من طابقين ويتسع لأكثر من خمسة آلاف مصلي، والدور الثاني فيه جناح خاص بالنساء يتسع لنحو خمسمائة مصلية إضافة إلى أربعين دورة مياه،

منها دورات مياه لذوي الاحتياجات الخاصة، وزُين مدخل المسجد بنافورة كبيرة، كما تم تزويد الجامع بكاميرات مراقبة وشاشات عرض للأنشطة والصلوات الخمس في الحرم المكي والمدني.

ويشتمل المركز على مدرستين إحداهما للبنين والأخرى للبنات للمراحل الابتدائية –الثانوية، وتتكون كل مدرسة من ستة عشر فصلاً دراسياً، بالإضافة إلى مرحلة خاصة بروضة الأطفال، ومطعم لإعداد وجبات الطعام للطلاب، وقاعة كبيرة للطعام تتسع لأكثر من مائة وعشرين شخصا، كما يضم المركز أقساماً خاصة بتعليم اللغة العربية للكبار.

وتبلغ مساحة المكتبة العامة بالمركز مائتان وسبعون متراً، تحتوي على أكثر من عشرة آلاف كتاب، تتنوع بين مصاحف مترجمة للعديد من اللغات، وتفاسير القرآن الكريم، وكتب دعوية وثقافية وعلمية واجتماعية، ومخطوطات في التاريخ الإسلامي، إضافة إلى كتب تاريخية وثقافية عن المملكة مترجمة بعدة لغات، وكما تقام فيها الدروس الأسبوعية والدورات الشرعية.

كما تتسع قاعة المحاضرات الكبرى بالمركز لأكثر من خمسمائة شخص، ويقام فيها أكثر من عشرين فعالية ومناسبة شهرياً، تتنوع المناسبات بين محاضرات وندوات وورش عمل وملتقيات علمية وثقافية، حيث تم تجهيزها بنظام صوتي متطور وعارض ضوئي وأجهزة تصوير احترافية لتسهيل تلقي المعلومة من قبل الحضور.

ويقصد المركز يومياً نحو خمسمائة شخص لأداء الصلوات المفروضة، إلى جانب ألف شخص لأداء صلاة الجمعة في أكبر مسجد أنشئ في قارة أمريكا الجنوبية، كما ينفذ المركز برامج متعددة لنشر الدين الإسلامي لزائريه من خلال الحوارات الثقافية الدعوية، حيث يقيم المركز دورات لتعليم اللغة العربية للراغبين في تعلمها، ودروس ودورات عن الحضارة والثقافة الإسلامية، كما يقدم المركز برنامجا إذاعيا أسبوعيا بعنوان "اكتشف الإسلام".

مكونات المركز:

يتكون المركز من قاعة للصلاة، ومدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية، ومدرسة للإلهيات، ومتحفًا إسلاميًا، ومكتبة، ومركزًا للمؤتمرات، ومركزًا للتدريب.

أهداف المركز :

- تعريف المجتمع الأرجنتيني بالحضارة الإسلامية.
- تعزيز القيم الإسلامية لدى الجالية المسلمة في الأرجنتين.
- تشجيع الحوار بين الأديان والثقافات، لتعزيز التعايش والسلام.

أنشطة المركز :

يقدم مركز الملك فهد الثقافي الإسلامي في بوينس آيرس مجموعة متنوعة من البرامج والأنشطة الثقافية والتعليمية، ومنها إقامة دورات في اللغة العربية لجميع المستويات، من المبتدئين إلى المتقدمين، وتستهدف هذه الدورات المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، كما يُقدم دورات في الشريعة الإسلامية، وفي الفقه والحديث والسيرة النبوية. وتستهدف هذه الدورات المسلمين على وجه التحديد المسلمين.

ISSN: 2462-2508

ويقدم أيضـــاً دورات في الفن الإســـلامي والعمارة الإسلامية، بما في ذلك تاريخ الفن الإسلامي وتقنياته وعناصـره، وتسـتهدف هذه الدورات جميع المهتمين بالفن الإســلامي والثقافة الإســلامية، وينظم أيضــاً معارض فنية وثقافية بشـــكل دوري، بهدف تعريف الجمهور الأرجنتيني بالإســـلام وحضـــارته، وينظم نـدوات ومؤتمرات حول مختلف الموضـــوعـات الإســـلاميـة، بهـدف تعزيز الحوار بين الأديان والثقافات، وبالإضـــافة إلى البرامج والأنشـــطة يقدم المركز دروسًا دينية للأطفال والبالغين، بهدف تعليمهم تعاليم الإســلام، كما ينظم المركز أنشــطة اجتماعية، مثل الرحلات والحفلات، بهدف تعزيز التواصــل بين المسلمين في الأرجنتين.

مميزات موقع المركز:

يتميز المركز بموقعه؛ حيث يقع في حي ريكوليتا في بوينس آيرس، وهو حي راقي ومميز، ويطل على نهر بلاتا، وذلك الموقع يعطي شعوراً لكل من يرتاد المركز بالتميز والمركزية والمرجعية، ويجسـد المكانة وقوة التأثير التي تصـــف حال المركز، إضـــافة إلى المكانة الكبيرة للملكة العربية الســعودية، بما يجســد قوة الحضــور والمرجعية والتمثيل.

تأثير المركز :

يســـاهم المركز في تعزيز العلاقات بين المملكة العربية الســعودية وجمهورية الأرجنتين، كما يلعب دورًا مهمًا في نشـــر الثقافة الإســـلامية في أمريكا اللاتينية، ويساهم مركز الملك فهد الثقافي الإسلامي في بوينس آيرس في تعزيز الثقـافـة الإســـلاميـة في الأرجنتين، وتعريف المجتمع الأرجنتيني بالإسـلام وحضـارته، كما يســـعى المركز إلى تشـــجيع الحوار بين الأديان والثقافات.

برامج تعليم القرآن الكريم:

يقدم مركز الملك فهد الثقافي الإســـلامي في بوينس آيرس مجموعة متنوعة من برامج تعليم القرآن الكريم، تهدف إلى تعليم المسلمين قراءة القرآن الكريم وحفظه وفهم معانيه، وتســـتهدف برامج تعليم القرآن الكريم في المركز جميع الأعمـار، من الأطفـال إلى البـالغين، وتنقسم البرامج إلى ثلاث فئات رئيسية، وهي:

البرامج للمبتـدئين: تهـدف هـذه البرامج إلى تعليم المشـــاركين أســـاســـيات قراءة القرآن الكريم، مثل الحركات والقواعد والأحكام.

البرامج للمتقـدمين: تهـدف هـذه البرامج إلى تعليم المشاركين مهارات أكثر تقدمًا في قراءة القرآن الكريم، مثل التجويد والتفسير.

البرامج المتخصـــصـــة: تهدف هذه البرامج إلى تعليم المشاركين مهارات محددة في قراءة القرآن الكريم، مثل الحفظ أو التفسير أو التجويد.

وتشمل برامج تعليم القرآن الكريم في المركز أيضاً :

الدروس الجماعية: يقدم المركز دروسًا جماعية في قراءة القرآن الكريم لجميع الأعمار.

الدروس الفردية: يقدم المركز دروسًـــا فردية في قراءة القرآن الكريم للأشـــخاص الـذين يرغبون في تلقي تعليم أكثر خصوصية.

البرامج الصـيفية: يقدم المركز برامج صـيفية في قراءة القرآن الكريم للأطفال والمراهقين.

الـدروس عبر الإنترنـت: يقـدم المركز دروسًـــا عبر الإنترنت في قراءة القرآن الكريم للأشـخاص الذين لا يستطيعون حضور الدروس في مقر المركز.

هذا ويســـتخدم المركز الثقافي الســـعودي في بوينس آيرس مجموعة متنوعة من الأســاليب في تعليم القرآن الكريم، بما في ذلك:

الشرح النظري: يشرح المعلمون المشاركين أساسيات قراءة القرآن الكريم والأحكام والقواعد.

التمارين العملية: يمارس المشـــاركون ما تعلموه من خلال مجموعة متنوعة من التمارين العملية.

التحفيز والـدعم: يوفر المعلمون الـدعم والتحفيز للمشـــاركين لمســـاعدة على تحقيق أهدافهم في تعلم القرآن الكريم.

تســـاهم برامج تعليم القرآن الكريم في المركز الثقافي السعودي في بوينس آيرس في تعزيز الثقافة الإسلامية في الأرجنتين، وتعريف المجتمع الأرجنتيني بالإســـلام وحضـارته، كما تسـعى البرامج إلى تشـجيع المسـلمين على تعلم القرآن الكريم وحفظه وفهم معانيه.

المستفيدون من المركز الثقافي :

يجذب المركز الزوار من جميع أنحاء الأرجنتين والعالم، ويعتبر أحد أهم المعالم الإسـلامية في أمريكا اللاتينية، ويتوافـد إليـه المســـلمون في المناســـبـات الـدينيـة والاجتماعية والثقافية، وفي حفلات الأعياد، وأيضـــاً لحضـور الدورات التي تقام في المركز، ووفقًا لتقديرات المركز، يســـتفيد من برامج المركز الثقافية والتعليمية حوالي 10,000 شـخص سـنويًا، ويشـمل ذلك المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، وتستهدف برامج المركز جميع الأعمار، من الأطفال إلى البالغين، وتركز البرامج على تعليم المسـلمين الثقافة الإسـلامية والحضارة الإسلامية، كما تسعى البرامج إلى تشجيع الحوار بين الأديان والثقـافـات، وفيمـا يلي بعض الإحصاءات التقريبية حول عدد المسلمين المستفيدين من المركز الثقافي السعودي في مدينة بيونس آيرس:

بلغ عدد المســـتفيدين من برامج تعليم اللغة العربية خمسـة آلاف شـخص سـنويًا، وبلغ عدد المستفيدين من برامج تعليم الشـــريعة الإســـلامية ألفي مســـتفيد ســـنويًا، وبلغ عـدد المســـتفيـدين من برامج الفن الإسلامي والعمارة الإسلامية: ألف شخص سنويًا، وبلغ عدد المســـتفيدين من المعارض الفنية والثقافية مائة ألف شخص سنويًا، وبلغ عدد المستفيدين من الندوات والمؤتمرات خمسة آلاف شخص سنويًا، وبلغ عدد المســـتفيدين من الدروس الدينية ثلاثة آلاف شخص سنويًا، وبلغ عدد المستفيدين من النشاطات الاجتماعية ألفي شـخص سـنويًا، وتجدر الإشـارة إلى أن هذه الإحصاءات هي تقديرات فقط، وقد تختلف من سنة إلى أخرى[1].

البرامج التي يقيمها المركز في شهر رمضان المبارك:

يقيم المركز الثقافي الســـعودي في مدينة بيونس آيرس مجموعة متنوعة من الأنشطة والبرامج في شهر رمضان المبارك، بهدف تعزيز الثقافة الإســـلامية ونشـــرها بين المســـلمين وغير المســـلمين، وتشـــمل هذه الأنشـــطة والبرامج الدروس الدينية، حيث يقدم المركز دروسًـــا

(1) المصدر موقع https://bard.google.com/chat/8ac3c4406e890572

دينية للأطفال والبالغين، بهدف تعليمهم تعاليم الإسلام، والمحاضرات والندوات، إذ ينظم المركز محاضرات وندوات حول مختلف الموضوعات الإسلامية، بهدف تعريف الجمهور الأرجنتيني بالإسلام وحضارته، كذلك المعارض الفنية والثقافية، فينظم المركز معارض فنية وثقافية بشكل دوري، بهدف تعريف الجمهور الأرجنتيني بالمناسبات الاجتماعية والثقافية في المجتمع السعودي، أيضاً يقيم الأنشطة الاجتماعية، فينظم المركز أنشطة اجتماعية، مثل الرحلات والحفلات، بهدف تعزيز التواصل بين المسلمين في الأرجنتين، وهناك خصوصية للأنشطة والبرامج المرتبطة بشهر رمضان، فيقدم المركز مجموعة متنوعة من الأنشطة والبرامج المتعلقة بشهر رمضان، مثل تقديم الدروس الجماعية والدروس الفردية في تعليم القرآن الكريم لجميع الأعمار، كما ينظم المركز مسابقات قرآنية لتحفيز المسلمين على تعلم القرآن الكريم وحفظه، وينظم المركز مخيمات قرآنية للأطفال والمراهقين لتوفير بيئة تعليمية مناسبة لتعلم القرآن الكريم، ويقيم المركز الصلاة جماعة طوال شهر رمضان في المسجد التابع للمركز، وهناك الإفطار الجماعي بشكل يومي في المسجد الكبير، ويقوم بتوزيع الطعام على المحتاجين[1].

وتساهم هذه الأنشطة والبرامج في تعزيز الثقافة الإسلامية ونشرها بين المسلمين وغير المسلمين في الأرجنتين، كما تساهم في تحفيز المسلمين على تعلم تعاليم الإسلام وممارسة شعائره، وفيما يلي بعض الأمثلة على الأنشطة والبرامج التي يقيمها المركز الثقافي السعودي في مدينة بيونس آيرس في شهر رمضان المبارك:

في عام 2023، قدم المركز دروسًا جماعية في تعليم القرآن الكريم للأطفال والمراهقين والبالغين، كما قدم المركز دروسًا فردية في تعليم القرآن الكريم للأشخاص الذين يرغبون في تلقي تعليم أكثر خصوصية، ونظم المركز أيضًا مسابقات قرآنية لتحفيز المسلمين على تعلم القرآن الكريم وحفظه[2].

في عام 2022، نظم المركز برامج قرآنية مكثفة للأطفال والمراهقين لتوفير بيئة تعليمية مناسبة لتعلم القرآن الكريم، ونظم المركز أيضًا موائد الرحمن يوميًا في المسجد التابع للمركز لتوزيع الطعام على المحتاجين[3].

في عام 2021، نظم المركز معرضًا فنيًا وثقافيًا حول موضوع "الإسلام في الفن والحضارة"، ونظم المركز أيضًا محاضرة حول موضوع "الإسلام وحوار الحضارات"[4].

(1) خبر ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B1%D9%83%D8%B2_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%83_%D9%81%D9%87%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A

(2) خبر في واس https://www.spa.gov.sa/1847820#d870b992e7 https://dawa.center/islamic_centre/235

(3) المصدر: موقع العين الإخبارية :https://al-ain.com/article/king-fahd-centre-argentina

(4) موقع مركز خادم الحرمين الشريفين الملك فهد الثقافي في الأرجنتين http://www.cciar.com/arabe/iarabe.html أنشطة المركز http://www.cciar.com/arabe/anshta.html التعاون بين المركز ووزارة الصحة في الأرجنتين https://sabq.org/saudia/dcvmrc

وتستمر أنشطة وبرامج المركز الثقافي السعودي في مدينة بيونس آيرس في شهر رمضان المبارك في التطور كل عام، ويسعى المركز إلى تقديم أنشطة وبرامج متنوعة تلبي احتياجات المسلمين في الأرجنتين.

المبحث الثاني : المركز الثقافي في العاصمة الإيطالية روما.

المطلب الأول : الناحية التاريخية:

انطلاقاً من اهتمام ملوك المملكة العربية السعودية بالإسلام ورعاية مصالح المسلمين في العالم، حيث كانوا ولازالو حريصين على إيصال تعاليم الدين الإسلامي الحنيف صحيحة سالمة من كل تشويه أو تحريف، ولما كان المسجد هو المكان الذي اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم مُنطلقاً لإقامة الصلاة وتعليم الدين، فقد كان أو عمل يقوم به عند وصوله المدينة، فبنى مسجد قباء عندما نزل بها، وبنى مسجده صلى الله عليه وسلم عندما دخل المدينة، ومنه انطلق في إبلاغ الدين، وتعليم القرآن والسنة، وتلك السنة التي نهض بها ملوكنا –كتب الله أجورهم ورفع منزلتهم في الدارين– فكان ديدنهم بناء المساجد والمراكز الثقافية، أما بناء المساجد فلإقامة شعائر الدين، وأهمها إقامة الصلوات الخمس والعيدين، والاجتماع لغيرها من الصلوات والعبادات، كصلاة التراويح في رمضان، وغيرها من الصلوات التي يجتمع لها الناس مثل صلاة الميت والكسوف والخسوف والاستسقاء، وأما المراكز الثقافية فهي لنشر ثقافة المسلمين وتعريف الشعوب بالقيم والعادات والتقاليد التي يتحلى بها المسلمون، فلم تخلُ دولة فيها أقلية مسلمة من مسجد أو مركز.

ومن أبرز وأقدم تلك المساجد والمراكز الثقافية التي شيدها ملوكنا الكرام، المركز الثقافي الإسلامي في روما، حيث أسسه الملك فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله، على إثر زيارته لدولة إيطاليا عام 1974، حيث أبدى رغبته في إنشاء مركز ثقافي، ونظراً للمكانة المرموقة التي تحتلها المملكة العربية السعودية بين دول العالم، ولما لملوكها من احترام وتقدير، ولما لجلالة الملك فيصل رحمه الله من علاقة متميزة مع دولة إيطاليا، فقد رحب رئيس الحكومة الإيطالية آنذاك جوليو أندريوتي بإقامة المركز، وكذلك فعل بابا الفاتيكان، مما يؤكد تلك العلاقة الحسنة المتبادلة تجاه جميع الديانات الأخرى.

وقد لَبَّت الحكومة الإيطالية تلك الرغبة الكريمة من الملك فيصل، فمنحت الأرض من بلدية مدينة روما في عام 1974 الحكومة الإيطالية "بإهداء قطعة أرض مساحتها 30 ألف متر مربع، في منطقة جبال بريولي شمال العاصمة روما، ليقام عليها المركز، وقامت حكومة المملكة العربية السعودية بتمويل 70 في المئة من تكاليف بنائه وإقامته على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز – رحمه الله – والتي بلغت 50 مليون دولار، أكثر من 60 مليون ليرة إيطالية، وعُلقت لوحة على مدخل المركز كُتب عليها :"بسم الله الرحمن الرحيم ، بتوفيق من الله سبحانه وتعالى تم إنشاء المسجد والمركز الإسلامي الثقافي (إيطاليا) في مدينة روما، على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية تضامناً مع إخوانه

أبناء الجالية الإسلامية في إيطاليا، وتجسيداً للمبادئ الإسلامية السامية التي تدعو إلى المحبة والسلام".

حجر الأساس:

وُضع حجر الأساس للمسجد عام 1984م يوافق عام 1405هـ، واستمر البناء مدة عشر سنوات، وكان الافتتاح في 21 يونيو 1995 وهو يوم انقلاب الشمس الصيفي، يوافق 23 محرم 1416هـ، بحضور الرئيس الإيطالي ساندرو بيرتيني، وصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز (أمير منطقة الرياض آنذاك)، حيث أقيم حفل كبير بهذه المناسبة، وفي حفل الافتتاح ألقى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان – آنذاك– كلمةً أوضح فيها أن الهدف من إنشاء المركز الإسلامي الثقافي في روما هو «الإسهام في تقديم صورة فكرية وعملية لما يمكن أن يقوم به المؤمنون بالله ورسالاته – ويقصد المسلمين – من جهود في إنقاذ سفينة البشرية الجانحة، وسد ما نجم بها من ثقوب وثغرات»، والمسلمون الحقيقيون –كما يرى أمير منطقة الرياض آنذاك سلمان بن عبدالعزيز– هم الحريصون على إفهام العالم وتعريفه بدينهم وبمبادئه الإنسانية العظيمة، وأكد أن المركز الإسلامي سيكون «مؤسسة ثقافية إسلامية تُعرّف الشعب الإيطالي بحقيقة الإسلام ومبادئه السامية، التي تدعو إلى التعاون والتسامح والحوار الهادف البنّاء، وجسر مهم لإرساء العلاقات الثقافية والحضارية بين العالم الإسلامي والشعب الإيطالي».

تصميم الجامع الكبير:

المسجد فريد من نوعه معمارياً، وهو بمثابة تحفة باهرة، صُمم الجامع على طراز مباني العصور الوسطى الأوروبية، فجاء التصميم كثير الأعمدة، ويشبه لحد التطابق مباني الكاتدرائيات القوطية وطراز الباروك الإيطالي، صممه المعماري الإيطالي باولو بورتوجيسي وفيتوري جيليوتي وسامي الموسوي، فجاء مزيجاً متفرداً من الطُرُز القوطية الرومانية التاريخية؛ والباروك، وروعي فيه الفن التصويري والمنحوتات والتوريق التقليدي الإسلامي المغربي والأندلسي، كل جزء من أجزاء المسجد الداخلية بمثابة قطعة فنية، بدءاً من السقف الذي يلفت الأنظار حيث برع المصممون في تزيينه بالأشكال الهندسية المتشابكة، والثريا المتفردة من حيث الشكل، المتناغمة مع ديكور السقف و زجاج النوافذ الملون.

أعمدة المسجد مصممة وكأنها أشجار تحمل السقف، تشكل مساحات رمزية للرواق، كل عمود يُضم كرزمة من أربعة أعمدة، تتفرع في الجزء العلوي لنفس العمود، وتنحني خارجياً، مشكلةً أربعة فروع منحنية إلى الأعلى كأغصان الشجر، وهذه الأعمدة تشكل العناصر الخارجية والداخلية المميزة للمسجد، وتُغطِي الأعمدة قطع الفسيفساء الفنية الجميلة، والأمر نفسه ينطبق على النصف السفلي من جدار المسجد الداخلي، وأيضاً تجويف المحراب، و"يضم مجموعة من الكتابات الملونة المحفورة في قوالب من الجص، وفي أعلاها سلسلة الأشكال الهندسية المنتظمة، معظم مميزات التصميم الداخلي كانت معتمدة على تفسيرات واقتباسات رمزية مشتقة من مراجع تاريخية، فصور الشجر تشير إلى التنوع المذهبي المتأصل في الإسلام، والدوائر الخرسانية السبعة التي تشكل هيكلية القبة تدل على السموات السبع التي ذُكرت في القرآن الكريم".

كل ذلك يمنح المسجد مظهراً جميلاً، التراث والتاريخ يدخلان حتى في المواد المستخدمة في بناء المسجد، فقد استخدمت مواد محددة تتنوع بين الحجر الجيري والطين والجص حتى تنتج في النهاية ألواناً رومانية شهيرة، مع استخدام فنون مغربية تقليدية، كالزخرفة النباتية والتوريق، وكانت الديكورات والتصاميم الداخلية على نفقة ملك المغرب الحسن الثاني بتكلفة بلغت 30 مليار ليرة، والتي أسندها إلى شركات مغربية بمشاركة 300 عامل مغربي، فجاء التصميم شبيها بمسجد الدار البيضاء[1]

ومنظر المسجد من الخارج تعلوه قبة مركزية ضخمة محاطة بستة عشر قبة أصغر حجماً، تغطيها ألواح رصاص رمادية، ويدخل الضوء الطبيعي من سلسلة الفتحات الموجودة في القبة، أما جدران المسجد فتحمل لون الطوب الروماني الشهير، ومئذنة المسجد واقعة بين الكتلتين باتجاه جنوب غرب المسجد، ترتفع ستة وعشرين متراً بمعمار مستوحى من التاريخ الأندلسي.

مساحة المسجد وسعته:

وقد بلغت مساحة مباني المسجد حوالي أربعة عشر ألف متر مربع، ويتسع المسجد بباحته الداخلية والساحات المحيطة به لثلاثين ألف مصلٍ، ويتسع داخل المسجد لنحو خمسة آلاف مُصلٍّ[2]

مرافق المركز:

يتكون من كتلتين رئيسيتين، الأولى تضم المسجد، والثانية تضم بقية مرافق المركز:

أما الكتلة الأولى: فتضم المسجد ويأتي على شكل مستطيل، ضلعه الأطول باتجاه القبلة، وتضم باتجاهٍ متعامدٍ مع القبلة طابقين عرضهما يساوي عرض القاعة، وطولها يساوي ربع طول المسجد (القاعة الأساسية للصلاة)، وقد خُصص هذين الطابقين لصلاة النساء.

وأما الكتلة الثانية: فتتكون من ثلاث طوابق، وأروقة تحتل الطابق العلوي، وهي على شكل صفوف، وتشكل صحن المركز، وقُسمت الطوابق أسفل الأروقة الأربعة إلى أجنحة، تضم الصفوف والسكن والمكاتب وقاعة صلاة صغيرة، ومخزن ومكتبة، وسكن الإمام، ويضم المركز أيضاً مكاناً مهيأ لتقديم الخدمات الطبية من خلال أطباء متطوعين، ومرافق الوضوء تحت قاعة الصلاة.

ساحات المركز : تمتد قناة مائية ممتدة على طول ضلع الكتلة الثانية وتصل هذه القناة إلى بركتين، إحداهما من الجهة الشمالية، والأخرى في محور المركز، "مياه البِرَكِةِ العلوية تسقط كشلال في قناة البركة السفلية، وهناك نافورة ماء مركزية محاطةٍ بستة عشر نافورة صغيرة، رُتبت كلها لتعكس ترتيب القباب التي تغطي سقف قاعة الصلاة (المسجد)".

ويتكون المسجد من ثلاثة طوابق:

الأول: يضم ساحة الصلاة الرئيسة (المسجد)،ومركز تحفيظ القرآن الكريم.

الثاني: مخصص لتدريس العلوم الإسلامية، وفيه معهد للدراسات، مع وجود بعض المكاتب إدارية.

(1) . (ويكبيديا الموسوعة الحرة المسجد الكبير روما).

(2) . (المصدر: معلومات المركز على صفحات على الفيسبوك) .

الثالث: يضم قاعة مخصصة للمناسبات والاجتماعات ومستوصف خيري.

غاية المركز والجهة المشرفة :

وبافتتاح المركز الثقافي الإسلامي وجد مسلمو إيطاليا؛ خصوصاً الجالية المسلمة في روما؛ مقراً ليمارسوا فيه عباداتهم وانتماءهم إلى دينهم، ويقدم لمسلمي روما وإيطاليا فهماً صحيحاً لتعاليم الإسلام، خصوصاً في مجال العبادات، بعيداً عن تفسيرات المتشددين، ومن أجل ذلك حرص المسؤولون عن المركز أن تكون الجهة المشرفة عليه هي رابطة العالم الإسلامي، التي هي المرجع الشرعي لتفسير تعاليم الدين الحنيف عند المسلمين، وتتولى الرابطة المحافظة على غاية المركز التي رسمها سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز حفظه الله – آنذاك – في كلمته التي ألقاها في حفل افتتاح المركز، والتي أشار فيها إلى أن المركز سيسهم في تقديم صورة عملية عن الفكر الصحيح الوسطي الذي يقوم عليه منهج المسلمين، وإفهام العالم وتعريفه بدينهم وبمبادئه الإنسانية العظيمة السامية، من خلال الحوار والتواصل الحضاري البناء، وإرساء العلاقات الثقافية بين المسلمين والشعب الإيطالي.

وفيما يخص إدارة المركز فقد تقرر أن تكون مشتركة بين السعودية والمغرب ومصر، لاسيما ما يخص الإمامة والخطابة والوعظ وصلاة التراويح وغيرها.

المطلب الثاني : أنشطة المركز :

أولاً : الدينية :

حيث يمثل المركز مرجعاً دينياً للجالية المسلمة في إيطاليا، و"يُذكر أن المركز يقدم الكثير من الخدمات للمسلمين في روما، مثل إعداد دليلٍ بمواقيت الصلاة، وتوزيع المصحف الشريف وترجمات معانيه، إضافةً إلى الكثير من المحاضرات والدروس الدينية اليومية والأسبوعية، وبخاصة في شهر رمضان، وتعقد به وثائق الزواج والطلاق وإشهار الإسلام، والإشراف على الأحوال الشخصية للمسلمين، كما يشرف على بناء مقابر المسلمين، وبه مدرسة لتعليم اللغة العربية للناطقين باللغة الإيطالية، إضافة إلى المكتبة الإسلامية المتنوعة التي تحوي كتباً في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ الإسلامي بعضها باللغة العربية والآخر بالإيطالية وبلغات أوروبية أخرى، بحيث تتيح الفرصة للمسلمين وغيرهم للتعرف على مفهوم الإسلام الصحيح.

ثانياً : الاجتماعية:

كما يقدم هذا المسجد والمركز خدمات طبية، يقدمها أطباء متطوعون للمسلمين وغير المسلمين، ويُقدم الدواء مجاناً للمحتاجين، وفي المركز لجنة لجمع الزكاة وتوزيعها على المحتاجين والفقراء.

ويحظى المركز بزيارات علمية وسياحية من الجامعات والمدارس، ويعتبر المركز الإسلامي في روما من أشهر المراكز الإسلامية في أوروبا، ومعلماً حضارياً يدل على مدى التفاعل الحضاري بين روما الكاثوليكية والإسلام، ويمثل خطوة لحوار إسلامي مسيحي فعَّال لنبذ العنف والصدام الحضاري، كما يؤكد الدور

الحضـــاري والتاريخي للســـعودية في خدمة الأقليات المسلمة في أوروبا[1]

أنشطة تعليم القرآن الكريم:

إضافة إلى ما سبق من معلومات وأخبار ومواد مرئية موجودة على الانترنت وعبر يكيبيديا وغيرها، وأيضاً من خلال الزيارة الميدانية لإمام المركز سعادة الدكتور الرفاعي الشـــحات عبد ربه عيســـى؛ المبعوث من سماحة الإمام الأعظم شـــيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب؛ فقد وجدت أن هناك نشاطاً لتحفيظ القرآن لأبناء المســـلمين قائم على مجهود فردي، مع إقامة مســـابقة للقرآن الكريم تقام مع قرب قدوم شـــهر رمضـــان المبارك، إضـــافة إلى إقامة دروس في تفسـير آيات من القرآن الكريم بين ركعات صـــلاة التراويح، وهناك أيضـــاً حلقات لتحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين يقام حضورياً في الجامع خلال أيام الإجازة الأسبوعية وغيرها[2]

.

الشرائح المستفيدة:

أفاد من تلك البرامج عموم المســـلمين، والمســـلمين الجدد وأبناؤهم، وأبناء المســـلمين المهاجرين، تلك الفائدة كانت محدود لعدة عوامل، من أبرزها أن موقع المركز يحتاج للوصول إليه إلى وسائل مواصلات، فهو يخدم القريبون منه، وأيضاً تقتصر أنشطة المركز على إجازة نهاية الأســـبوع، ما ترتب على ذلك ضعف الإقبال على تعلم القرآن الكريم واللغة العربية، أما الصلوات الخمس فلا يحضرها سوى عدد يسير من الناس، وتقام في مصلى صغير، أما صلاة الجمعة فيأتيها الناس من أماكن بعيدة، ويتضـــاعف الإقبال في صلاة التراويح والعيدين.

المطلب الثالث: حجم الانتفاع ببرامج المركز:

لاشـــك أن وجود المركز وما يقدمه من برامج دينية واجتماعية له أثره في أوســـاط المســـلمين المهاجرين والإيطاليين الأصـــليين، ولاســـيما أثر برامج تعليم القرآن الكريم، ذلـك أن تعليم القرآن الكريم محـل اهتمام كل مســـلم، ويتمثل ذلك في حرص الأهالي على إلحاق أبنائهم في أنشـــطة المركز عموماً، وبرامج تعليم القرآن على وجـه الخصـــوص، ويبقى الأثر محدوداً للعوامل الســـابقة من ظروف حياة الناس المعيشية، والحاجة للمواصلات، وانتشار المسلمين في روما وضـــواحيها، ما ترتب عليه تجاوزهم لتلك الصـــعوبات من خلال اعتمادهم على الالتحاق بالمقارئ القرآنية عن بعد، والتي يقوم عليها أفراد ومؤســـســـات غير ربحية، من داخل إيطاليا أو من خارجها، وبعض تلك المقرئ مقرها الســـعودية مثل مقرأة ركن الحوار وغيرها.

المطلب الرابع: أثره على الأقلية المسلمة:

لاشـــك أن تلك البرامج لها أثر كبير على شـــعور أولئك المسلمين بالامتنان للمملكة العربية السعودية؛ حكاماً ومؤسسات وأفراداً، لما يجدونه من تلبية تلك الحاجة الماسة التي يقيمون بها دينهم، ويتصلون من

(1) . منقول: المركز الإســلامي في روما.. صــرح حضــاري شــيّدته السعودية | صحيفة معاد (themwl.org).

(2) المسجد الكبير (روما) – ويكيبيديا (wikipedia.org)

موقع مركز الاتحاد للأخبار، المستودع الدعوي الرقمي، موقع صحيفة معاد وسبق وصفحات على الفيس ومواقع التواصل.

خلالها بخالقهم سبحانه وتعالى من خلال تلاوة كلامه العظيم، ويصنع الطمأنينة والسكينة، لاسيما عند فهم الناس القرآن الكريم فهماً صحيحاً، ويكونون أكثر تقبلاً للآخر، وتعايُشاً مع المجتمع الذي يعيشون فيه، وبذلك تنعكس الصورة الحقيقية للمسلم، وبها تزول الصورة النمطية السيئة عن الإسلام والمسلمين، ما ترتب عليه تزايد عدد المعتنقين للإسلام، وانتشار مظاهره السلمية في المجتمع، ومع تزايد عدد المسلمين تتزايد الحاجة يوماً بعد يوم لمزيد من برامج تعليم القرآن الكريم، ما يحتم على مقرأة جامعة أم القرى مزيداً من العطاء.

المبحث الثالث : المركز الثقافي في العاصمة الإسبانية مدريد:

المركز الثقافي في مدريد هو المركز الرئيسي ضمن مراكز ثقافية أخرى في إسبانيا وجبل طارق، تشرف عليه رابطة العالم الإسلامي.

المطلب الأول : الناحية التاريخية:

تم إنشاء المركز وافتتاحه في عام 1413هـ يوافق عام 1992م، على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، وفي عهده الميمون رحمه الله تعالى، ووضع حجر أساسه الأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير منطقة الرياض آنذاك، وبحضور الملك خوان كارلوس الأول، حيث تم إنشاؤه على أرض تبلغ مساحتها ثلاثة عشر ألف متر مربع، منحتها الحكومة الإسبانية في أواخر الثمانينات، لصالح رابطة العالم الإسلامي، وبتمويل ودعم من الحكومة السعودية أعزها الله، خدمةً منها للإسلام والمسلمين في مملكة إسبانيا وأوروبا، وقد تجاوزت تكلفة بناءه عشرون مليون دولار.

تصميم بناء المركز ومرافقه:

تم تشييد المركز على طراز معماري حديث، وموقع متميز، وساحات واسعة مجاورة للمركز، تشمل حديقة ومواقف سيارات، مع إطلالة جميلة تزين مدينة مدريد، ومنبر ثقافي تتجه له الأنظار وتسلط عليه الأضواء، أما تصميمه فهو مستوحى من الطريقة المعمارية التي شُيدت بها مساجد المملكة العربية السعودية، فهو يشبه إلى حدٍ كبير طراز مسجد قرطبة مع التصاميم المعمارية الحديثة، مما يجسد أصالة العمارة الإسلامية.

وقد حوى المركز عدة أدوار مع بدروم، شملت مكاتب إدارية ومسجداً تقام فيه الصلوات الخمس والجمعة والتراويح والأعياد، والصلاة على أموات المسلمين، وقاعات للتدريب ومطعم وفصول دراسية، ومكتبة تضم أمهات الكتب والمصادر الإسلامية، وقاعة كبرى للمحاضرات تتسع لأكثر من 500 شخص، مزودة بأجهزة الترجمة الفورية إلى عدة لغات، وقاعات للمعارض مزودة بالوسائل اللازمة لعرض الأعمال الفنية المختلفة، وصالة رياضية تضم العديد من أجهزة التدريب واللياقة، ومطعم للمأكولات العربية، ومدرسة خياطة، ويتوسط المركز فناء داخلي، مستوحى من الطابع المعماري الأندلسي.

مهام المركز:

"يقوم المركز الثقافي الإسلامي في مدريد؛ منذ تأسيسه بالعديد من المهام فقد حمل على عاتقه الدعوة إلى الدين الإسلامي الحنيف وبيان محاسنه ومحامده،

وإقامة شـــعائره اليومية، وتوعية المســـلمين الجدد، وتوزيع الكتب والمطويات التوعوية والتعريفية بشـعائر الإسـلام ومحاسـنة، التي من شـأنها رفع الحس الديني وتصحيح الأخطاء العقدية، ودعوة غير المسلمين من عامة الشـعب الإسـباني، وتشـمل أنشـطة المركز الإسلامي أيضا إلقاء خطبة الجمعة وخطب العيدين باللغتين العربية والإســبانية، وهناك تعاون وثيق مع الجامعات الإســبانية لتزويد الباحثين والطلبة بالمعلومات الحقيقية عن الإسلام والمسلمين، وإرساء التعاون بين مكتبة المركز والمعاهد العلمية والجامعات الإسبانية لتزويد الباحثين والطلبة بالخدمات البحثية، بالإضـافة إلى توزيع المطبوعات والكتب الإسـلامية ونسخ القرآن الكريم باللغتين العربية والإسبانية، كما يحرص المركز بصفة دورية ومستمرة على إقامة سلسلة من الندوات والمحاضـــرات الثقافية والأدبية التي تهم الجالية المسلمة والمهتمين بالثقافة العربية من الجمهور الإسباني".

المطلب الثاني: أنشطة المركز:

يقوم المركز على التعريف بالإســلام وإبراز محاســنه، وإقامة الصــلاة وغيرها من الشـعائر الدينية اليومية، والتعريف بالإســلام للمســلمين الجدد، وتعليم اللغة العربية، وطباعة الكتب والمطبوعات التي تعرف الناس بشعائر الإسلام، ورفع الحس الديني ليعبد الناس ربهم على بصيرة وعلم، وتصحيح عقائدهم، والاستقامة على المنهج الوسط الذي أتى به المصطفى صلى الله عليه وســلم، ومن أبرز وأهم تلك البرامج ما يخص تعليم القرآن الكريم حيث يقدم مركز مدريد ثلاثة دروس قرآنية ثابتة في العام الدراسي مقسمة كالآتي:

١- درس أسبوعي للنساء المتحدثات باللغة العربية للحفظ والتجويد، وقد بلغ عددهن (٣٠ طالبة).

٢- درسان في نهاية الأسبوع للأطفال من سن خمس سنوات إلى اثني عشر سنة للحفظ والتجويد، وبلغ عددهم (٥٠ طالب وطالبة).

٣- درس أسبوعي للمسلمات الجدد لتعلم الحروف والنطق الصــحيح مع حفظ قصــار الســور ، وبلغ عددهم (١٠ طالبات).

وقد رُصدت تلك الإحصاءات في وقت الزيارة، وإلا فإن الأعداد في تجدد مســتمر، وأكثر الشــرائح والفئات العمرية إفادة من برامج المركز وأنشــطته هم الأطفال من أبناء الجالية، والمســلمون الجدد من الجنســين، وإفادة النســاء أكبر، وبالنســبة لإقبال الرجال البالغين فهو ضــعيف للغاية، ولعل ســبب ذلك هو الانشغال بالعمل اليومي طيلة النهار، وبُعد مكان العمل عن المركز، ما يترتب عليه الاكتفاء بأداء الصلوات في المصليات الأقرب إلى مقر العمل أو السكن، أو في أماكن عملهم ومساكنهم.

الأنشطة الاجتماعية:

وحيث إن المركز يعمل على نشــر ثقافة المجتمع الســعودي عموماً، في الجانب الديني والاجتماعي بقصد التواصل الحضاري والتعارف وتحقيق التعايش الســلمي، ومد جســور التقارب والود والتفاهم بين الجالية المسلمة والمجتمع الإسباني؛ انطلاقاً من قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شــعوباً وقبائل لتعارفوا) [ســورة الحجرات:13]، كان لابد من إقامة العديد من الأنشطة الاجتماعية، والإعلامية التي تبرز من خلالها

تلك الأنشـطة، للتواصـل مع المجتمع الإسـباني، من المسلمين وغيرهم لحضور تلك الفعاليات، والمشاركة في الحوارات الثقافية، بحضـور العلماء والطلبة في المجتمع الإسـباني، مما يجسـر العلاقة بين المجتمع السعودي والإسباني، وييسر التواصل بين البلدين، بنشـر تعليم اللغـة العربيـة والتعرف على اللغـة الإسبانية.

ومن تلك الأنشـطة الاجتماعية مد يد العون وتقديم إعانات للعائلات المحتاجة، وكبار السـن والنسـاء الأرامل والمطلقات، وتوزيع مواد غذائية على أكثر من مائتين عائلة، وفي رمضان يقبل على المركز مئات من المسلمين ليستفيدوا من مشروع إفطار الصائم، والذي يستمر حتى نهاية شهر رمضان، وتتضاعف المسـؤولية في المركز لما يتميز به الشـهر الكريم من روحانية، وخاصـية فريدة تجعل الجهد الدعوي أكبر، والقيام بالمسـؤوليات تجاه الصـائمين والقائمين المتواجدين مضاعفة، ليكون المركز المكان المناسب في أجواء رمضانية، وقد جسدت الخدمات التي يقدمها المركز الدعم الذي تقدمه الحكومة السعودية وجعلت منه مفخرة المسـلمين في القارة الأوروبية، وأحد أهم المراكز الإسـلامية الثقافية في العالم، وقد سـاهم الإعلام الإسباني بمختلف وسائله على تغطية أنشطة المركز وإبرازها، ومن ذلك أيضـاً الاهتمام بالأنشـطة التي تقام في شـهر رمضـان، والتي تدل على وحدة المسلمين في جو تملؤه الروحانية والبهجة.

ويقوم المركز بتنظيم المسابقات المختلفة ويقدم الجوائز لعـدد من الألعـاب الرياضـيـة، مثـل الكـاراتيـه والتايكواندو تحت إشـراف مدربين على مسـتوى عال.

كما يهدف المركز من خلال برامجه الاجتماعية والاعلامية إلى تكوين العلاقات الوطيدة مع الإعلام الإسـباني، وإتاحة المشـاركة في الحوارات، وتنظيم المشـاركات الدعوية وزيارة الطلاب والعلماء، كما ينظم المركز المعارض المتنوعة، ما يجعله مركزاً ثقافياً يلبي حاجات الإنسان المسلم،

و"شـهد المركز الثقافي الإسـلامي في مدريد خلال شهر رمضان مناشط ثقافية واجتماعية وخيرية متنوعة تحظى بإقبال كبير من الجاليات المسـلمة في إسـبانيا حيث تحول إلى ملتقى لأبناء الجاليات المسلمة هناك والطلبة السعوديين المبتعثين والمواطنين المقيمين هناك، للاستفادة من البرامج والأنشطة المختلفة التي يقيمها ويشرف عليها المركز الذي يُعد من أكبر المؤسسات الثقافية الإسلامية في أوروبا، إذ يحظى بمكانة مرموقة لدى المسلمين في إسبانيا والجهات الرسمية العليا في إسبانيا، وتولي حكومة المملكة العربية السعودية المركز الثقافي الإسـلامي في مدريد كل رعاية واهتمام؛ في سـبيل رفعة الإسـلام والحرص على تقوية العقيدة، حيث يُعد المركز أهم مرجعية دينية في إسبانيا، وجسر تواصل بين الجالية المسلمة هناك والمجتمع الإسباني، كما يعمل المركز على تعزيز نشـاطاته المتنوعة خلال شـهر رمضـان لتلبية متطلبات الجاليات المسـلمة هناك، عبر العديد من البرامج والملتقيات والأنشـطة الدينية والثقافية والاجتماعية والخيرية، التي تقدم للرجال والسيدات من المسلمين هناك".

ويقوم المركز بتدريس اللغة العربية للأخوات الإسبانيات وتعليم قواعد القرآن الكريم بالتجويد مع الحفظ للصغار والكبار، ودروس محو الأمية ونشاط الخياطة والفنّ، والعديد من المناشط النسائية الأخرى، كما يضم بين جنباته صالة رياضية مجهزة تجهيزاً جيداً، يتعلمون فيه فنون الكاراتيه للرجال، وبعض الرياضات الأخرى لأطفال وشباب الجالية العربية والإسبانية، وتقام منافسات بين المركز وعدد من النوادي الرياضية الموجودة في مدريد، وقد حصل نادي المركز على عدد من الجوائز، كما يقوم المركز بالعديد من المعارض للتعريف بالإسلام وغير ذلك.

كما يحظى المركز بثقة واحترام كبير من مختلف الجهات الرسمية العليا في مملكة إسبانيا وفي المملكة العربية السعودية وغيرها من جهات معنية،

وأيضاً من الأنشطة والخدمات التي يقدمها المركز:

- استقبال الزّائرين وأصحاب المشاكل لحلّها والرّد على تساؤلات وسائل الإعلام.
- شرح كلّ ما يتعلّق بالشّبهات المُثارة ضدّ الإسلام باللّغة الإسبانيّة.
- القيام بإلقاء الدّروس والمواعظ.
- إجراء عقود الزّواج والطّلاق وإشهار الإسلام وحلّ مشاكل الجالية المسلمة.
- الإشراف على تجهيز موتى المسلمين، وانفراد المركز باحتوائه على ثلاجة يحتفظ بها بموتى المسلمين.
- تقديم وجبات إفطار يوميًّا خلال شهر رمضان وتلّقي وتوزيع زكاة الفطر.
- توزيع المصاحف والكتب الإسلاميّة.
- اختيار الأئمّة في إسبانيا لإمامة المصّلين.
- زيارات ميدانيّة لبعض المساجد للوقوف على احتياجاتها.
- اختيار الموضوعات الإسلاميّة وترجمتها إلى اللّغة الإسبانيّة وطبعها في كُتب وكتيّبات- استقبال زيارات ثقافيّة منتظمة من كافة طبقات المجتمع الإسباني وفتح حوار معهم.
- متابعة ما ينشر ويُذاع في أجهزة الإعلام وإعداد تقارير عنه والرّد عليه.
- تمثيل المسلمين في مؤتمرات داخل إسبانيا وخارجها.
- الاشتراك والتّعاون مع أجهزة رسميّة ومؤسسات بلديّة وإقليميّة وغيرها فيما يعود بالنفع إلى المسلمين.
- تنظيم المعارض الدّوريّة للكتاب والإعلام عن الكتب الجديدة والحديثة.
- توفير مدرسة لتعليم الخياطة هي في الوقت نفسه منتدى نسائيًّا.
- توفير أماكن اجتماعيّة لتقديم خدمات طعامٍ وسلعٍ حلال للمسلمين داخل المطعم والمقهى بالمبنى لخدمة أبناء الجالية.
- أما مكتبة المركز فتضم عدة أقسام: مكتبة باللّغة العربيّة والإسبانيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة وكذا مكتبة أطفال علميّة وقصصيّة وكذا مكتبة فيديو وكاسيت بالإضافة إلى الدّوريّات والمجلاّت العربية.

وقد تضمن التقرير السنوي للمركز لعام 1440هـ – 1441هـ المنجزات التالية:

- أفاد من برامج المركز وأنشطته قرابة مائتي ألف مستفيد.
- وقد تنوعت البرامج لتشمل المجالات الدينية والثقافية والإعلامية والخيرية والاجتماعية، بما في ذلك الأنشطة الرمضانية والتعليمية.
- بلغ عدد من أشهروا إسلامهم 107 شخصاً ، منهم 46 رجلاً ، و61 امرأة.
- بلغ عدد الدروس المقدمة باللغة الإسبانية 30 درساً، وتلقى كل يوم سبت، أفاد منها قرابة 70 شخصاً.
- أقيمت أربع حلقات لتحفيظ القرآن الكريم ومحوم الأمية، شملت الكبار والصغار، والرجال والنساء، وتعقد بصورة أسبوعية.
- توثيق عشر عقود زواج، وخمس عقود طلاق شرعي، وتغسيل عدد 53 متوفى، ما بين رجل وامرأة وطفل.
- عقد أربع لقاءات تلفزيونية، ونقل بعض خطب الجامع، وخمس نشرات تعريفية، ومحاضرات دورية يوم الجمعة باللغة الإسبانية، وخمس لقاءات شهرية مفتوحة لجميع فئات المجتمع الإسباني للتعريف بسماحة الإسلام وجهود المركز، استفاد منها أكثر من 600 شخص، إضافة إلى برامج تهدف إلى التعايش الثقافي بالتنسيق مع بلدية الحي، بمناسبة اليوم العالمي للمهاجرين، أفاد منها قرابة 100 شخص.
- وبشأن الزيارات استقبل المركز أكثر من 400 طالب وطالبة من طلبة الجامعات للتعريف بالإسلام وجهود المركز،بلغ عدد الزيارات 73 زيارة من المدارس والمعاهد والجامعات، وبلغ عدد الزوار 2291 زائراً.
- قام المركز بتوزيع عدد 5000 نسخة من القرآن الكريم ، وتوزيع عدد 10 آلاف نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإسبانية، شملت الأفراد والجمعيات والمراكز الإسلامية الأخرى، وطباعة وتوزيع عدد 50 نسخة من كتيب حصن المسلم باللغتين العربية والإسبانية، تأمين عدد 1900 كفن للموتى،

وضمن الأنشطة الرمضانية تم توفير عدد 14150 وجبة إفطار للصائمين داخل المركز، وتوزيع عدد 4950 وجبة للمراكز القريبة، ومركز اللاجين ورعاية الأحداث ، وتوزيع أكثر من 73 طناً من التمور على عدد 5719 جمعية ومركزاً ومسجداً ، وتوزيع عدد 15 ألف كيلو من التمور على المصلين طيلة شهر رمضان المبارك بعد صلاة الجمعة، وكذلك توزيع 2500 من السجاد لفرش بعض المساجد المحتاجة، وطباعة عدد 9400 إمساكية رمضان، وعدد 1060 مسندة وسجادة لكبار السن، وعدد 100 دولاب خشبي للمصاحف على الجمعيات والمراكز، كما وفر المركز سبل الراحة للمصلين الذين بلغ عددهم 2000 مصلٍ في صلاة التراويح ، وحضر لصلاة عيد الفطر قرابة 5000 شخص، أما روضة الأطفال فقد أفاد منها قرابة 60 طفلاً

وطفلة، وتلقوا دروساً في تعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم، بالإضافة إلى لبرامج محو الأمية.

المطلب الثالث: حجم الانتفاع ببرامج المركز:

من خلال الأعداد التي تتردد على المركز في مختلف البرامج والأنشطة التي تقام في المركز يظهر حجم الانتفاع وكونه كبير وواسع – بحمد الله – للشرائح المستهدفة ضمن النطاق الذي يعمل فيه المركز حالياً، وهو وإن كان نطاقاً صغيراً نسبياً، بالنسبة لعدد الجالية المتواجدون في منطقة الحي الجغرافي التي يوجد فيها المركز، ومع ما يقدمه المركز من برامج إلا أن الحاجة المتزايدة تفوق طاقة المركز وإمكاناته، وتَفَرُّق الجالية المسلمة في أنحاء مدريد يزيد من صعوبة وصولهم إلى المركز والتحاقهم ببرامجه، ولكن أثر وتأثير المركز تصل إليهم بشكل أو بآخر، حيث يُنتخب للمراكز الأخرى أئمة من المركز الثقافي السعودي باعتباره مرجعاً لترشيح أئمة المراكز الثقافية على مستوى الدولة، وأيضاً التواصل المستمر بين المراكز في البرامج الأخرى، ولاشك أن مرافق وتجهيزات وبرامج المركز الثقافي السعودي جاذبة لكثير من المسلمين.

المطلب الرابع: أثره على الأقليات:

لاشك أن هناك أثراً واضحاً، لاسيما على الأطفال بتعزيز هويتهم الدينية في ظل الظروف المجتمعية التي يعيشونها، وفي المسلمين الجدد ببث الروحانية في نفوسهم؛ التي كانوا يفتقدونها قبل إسلامهم، وفي نفوس البالغين بتثبيت محفوظهم من القرآن الكريم، وزيادة رصيدهم من الحفظ، وحسن التلاوة والتجويد، وزرع أهمية وجود القدوات في المنزل لتهيئة أبنائهم بما تعلموه من قرآن وتجويد[1].

.

(1) المركز الإسلامي الثقافي في إسبانيا – ويكيبيديا

المركز الإسلامي الثقافي في إسبانيا، (بالإنجليزية: Islamic Cultural Center of Spain)، (بالإسبانية: Centro Cultural Islámico de España) [2][3][4]

الإسلام في إسبانيا

^ http://madridarabe.es/2012/11/14/mezquita-de-la-m-30/.

تعدى إلى الأعلى ل:

أ ب ج د هـ المركز الثقافي الإسلامي في مدريد.. جسر سعودي للتواصل بين الجاليات المسلمة والمجتمع الإسباني – جريدة الرياض – العدد (16457) – 1434هـ نسخة محفوظة 22 ديسمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

تعدى إلى الأعلى ل:

أ ب ج د المركز الثقافي الإسلامي في مدريد.. شاهد علاقات تاريخية بين المملكة وإسبانيا – جريدة الرياض – 1433هـ – العدد (16105) نسخة محفوظة 22 ديسمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

تعدى إلى الأعلى ل:

أ ب المركز الإسلامي الثقافي في إسبانيا | رابطة العالم الإسلامي نسخة محفوظة 27 ديسمبر 2017 على موقع واي باك مشين.

المركز الثقافي الإسلامي في مدريد المركز الثقافي الإسلامي في مدريد – Main Destinations in Spain : Visiting Madrid : Places to Visit in Madrid : أماكن و مزارات سياحيه فى مدريد : –

المركز الثقافي الإسلامي في مدريد – Main Destinations in Spain : Visiting Madrid : Places to Visit in Madrid : أماكن و مزارات سياحيه فى مدريد : –

صفحة المركز على موقع رابطة العالم الإسلامي:

الرئيسية – Centro Cultural Islámico de Madrid

تتضمن معلومات عن المركز وأنشطته وخدماته ومدراء المركز منذ إنشائه.

الخاتمة:

النتائج :

وبعد .. فإن المتأمل لما يقوم به ملوك المملكة العربية السعودية وحكومتها الرشيدة يجد عملاً كبيراً في خدمة الإسلام والمسلمين، وجهوداً عظيمة في التعريف بالمفهوم الصحيح الوسطي للدين الإسلامي، وإبراز معاني السلام والتعايش في تعاليمه وشرائعه، وتلك هي ثقافة المجتمع السعودي، القائمة على التعريف بقيم الدين الإسلامي ودعوته إلى مكارم الأخلاق، التي يقدمها بين يدي المجتمعات الغربية، ليرونا من خلالها، وقد ظهرت لي جملة من النتائج، من أبرز ما يلي:

- عناية ملوك المملكة العربية السعودية بتعريف المسلمين وغيرهم بالمفهوم الصحيح للإسلام والسلام والتعايش، وما يحمله من رحمة إلى الإنسان في كل مكان.
- الدور الكبير الذي تقدمه المملكة العربية السعودي من خلال المراكز الثقافية للمسلمين وغيرهم.
- أهمية نقل الثقافة السعودية إلى المجتمعات الغربية، وتعزيز التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم.
- عناية المملكة العربية السعودية بخدمة الجاليات المسلمة في جميع الدول التي أنشأت فيها مراكز ثقافية.
- لم تقتصر العناية بالمسلمين على الجانب الثقافي والديني، بل شملت الجانب الإغاثي والطبي والتعليمي وغيرها.
- نال تعليم القرآن الكريم قمة الاهتمام والعناية، حيث تم توزيع الملايين من نسخة المصاحف وتراجمها باللغات المختلفة في جميع تلك الدول التي وُجدت فيها المراكز الثقافية.
- بذلت المملكة العربية السعودية أموالاً طائلة لبناء المراكز الثقافية وما فيها من جوامع ضخمة، لتبقى محضناً للجالية المسلمة يقصدونها لأداء الشعائر والمناسبات الدينية، ويتعرفون من خلال المركز وأنشطته على أمور دينهم، ويجدون فيه الدعم والعون والمساعدة والتعليم، والبيئة السليمة لتربية أبنائهم على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ويجدون الإسلام الوسطي القويم القائم على التعايش والسلام.
- الدور الكبير الذي تقدمه رابطة العالم الإسلامي ووزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في الإشراف على المراكز الثقافية، وتقديم كل ما يلزم للتعريف بثقافة المجتمع السعودي والتزامه بتعاليم الدين الإسلامي القويم، وما يتحلى به المجتمع من قيم وأخلاق كريمة حث عليها الإسلام.
- مع كل تلك الجهود المبذولة في خدمة تعليم القرآن الكريم إلا أن تزايد الطلب مستمر، ويتنامى مع تزايد عدد المسلمين، وتزايد أبنائهم، وزيادة المهاجرين للعمل في تلك الدول موضع الدراسة، وبالتالي فلابد من تطوير أساليب تعليم القرآن الكريم ووسائله وطرقه لتلبية ذلك الاحتياج المزايد.

التوصيات :

وبعد .. ففي ختام هذا البحث أوصي بما يلي:

- استكمال بقية المراكز الثقافية السعودية بالدراسة.

- تيسير الإفادة من الخدمات التي تقدمها المؤسسات التعليمية الحكومية في المملكة العربية السعودية عن بُعد، لا سيما ما يخدم تعليم القرآن الكريم، مثل مقرأ جامعة أم القرى وغيرها، من برامج تعليمية.
- أهمية تأهيل معلمي القرآن الكريم في تلك الدول من خلال دورات تدريبية تقام لهم في تلك المراكز الثقافية.
- ضرورة الاهتمام بتعليم القرآن الكريم للمسلمين الجدد وأبناء الجالية المسلمة بطريقة ممنهجة.
- مزيد دراسة أثر القرآن الكريم في حياة المسلمين، لاسيما فئة المسلمين الجدد، وفئة أبناء المسلمين في بلاد الأقليات.
- دراسة أثر القرآن الكريم على استقامة المسلم، وحسن تعايشه في المجتمعات التي يعيش فيها.

وختاماً ..

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا البحث، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Arrasikhun Journal، Special Issue, February 2026

ISSN: 2462-2508

التأثير والتأثر بين المستشرقين والقرآنيين دراسة تحليلية نقدية

أ. د. مها بنت عبد الرحمن أحمد نتو

أستاذ الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة

جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية

manato@uqu.edu.sa

الملخص

تناول البحث منهج القرآنيين وعلاقته بالاستشراق؛ وكيف أن شبههم تناقلوها من المستشرقين؛ إذ يتشابهون في العديد من العقائد والتصورات. ويُجادل "القرآنيون" بأن عدم أمر النبي ﷺ بتدوين السنة يدل على عدم حجيتها. كما يستخدمون آيات قرآنية؛ للدلالة على عدم صحة الاحتجاج بالسنة؛ لعدم كتابتها وحفظها كتابةً مثل القرآن. ويستشهدون بأقوال وأفعال بعض الصحابة في محو بعض ما كُتب من السنة. وخلص البحث إلى أن:

–ظهور الفرق والمذاهب المتعددة، في القرن الثاني للهجرة بعد جيل الصحابة، وكانت تدعو كل منها إلى بعض الآراء التي مزَّقت الأمة، وشتَّتَتْ وحدتها، وأضاعت أحكام دينها التي كان عليها الجيل الذي قبلهم. وبرزت حينها طوائف تنكر حجية السنة النبوية بشكل مطلق، وأخرى تنكر خبر الآحاد، داعيةً إلى الاعتماد على القرآن الكريم وحده. القرآنيون غالباً ما يتأثرون بالتغريب أو التشرق، أو بالمراكز الاستعمارية والاستشراقية، مما يؤثر على تفكيرهم العقدي والثقافي والاقتصادي والسياسي. وهدفهم في النهاية هو تمزيق وحدة الأمة وإثارة الشكوك حول السنة النبوية، وهو مصدرٌ أساسيٌّ لدينهم. توجد علاقة وثيقة بين ما يسمى بـ"القرآنيين" – وهم في الحقيقة بعيدون عن الفهم الصحيح للقرآن الكريم – وبين المستشرقين؛ إذ يتشابهون في العديد من العقائد والتصورات. ذكر جوانب محددة من شبهات القرآنيين، ومن كتاباتهم ومجلاتهم وندواتهم، فدراساتهم لم تتوقف عند حد معين من النقد والقدح، وإنما يشككون في كل شيء من هذا الدين. رغم أن أفكار القرآنيين صارت عقيدة لدى كثير من المفكرين والأكاديميين المنتسبين إلى الإسلام، إلا أن معظمهم من الذين تغربوا أو تشرقوا، أو احتضنتهم المراكز الاستعمارية والاستشراقية، وتأثروا بهم في جميع مجالات الحياة ليس في الجانب العقدي فحسب؛ بل تغلغل هذا التأثير في وجدانهم؛ فغيَّر نظرتهم للحياة اقتصاديًّا وثقافيًّا وسياسيًّا.

الكلمات المفتاحية: القرآنيون– السنة النبوية– إنكار السنة– المستشرقون.

Abstract

This study examines the methodological approach of the Qurʾāniyyūn (Qurʾānists) and its relationship to Orientalism, arguing that many of their doubts and arguments have been transmitted from Orientalist scholarship, given the considerable overlap in doctrinal positions and conceptual frameworks between the two. The Qurʾāniyyūn contend that the Prophet's (peace be upon him) failure to command the formal codification of the Sunnah indicates its lack of binding authority. They further invoke Qurʾānic verses to argue against the legitimacy of appealing to the Sunnah as a source of proof, maintaining that it was neither written nor preserved in the manner of the Qurʾān. In addition, they cite reports concerning certain Companions who erased portions of what had been written from the Sunnah. The study concludes the following: The emergence of multiple sects and schools of thought in the second century AH, following the generation of the Companions, each advancing views that fragmented the Muslim community, undermined its unity, and compromised adherence to the religious rulings upheld by the preceding generation. During this period, groups appeared that categorically denied the authority of the Prophetic Sunnah, while others rejected solitary reports (khabar al-āḥād), advocating exclusive reliance upon the Qurʾān. The Qurʾāniyyūn are frequently influenced by Westernization, Orientalism, and colonial intellectual institutions, which shape their doctrinal, cultural, economic, and political orientations. Their ultimate objective is presented as fragmenting the unity of the Muslim community and casting doubt upon the Prophetic Sunnah, a foundational source of Islamic law and belief. A close relationship exists between the so-called "Qurʾāniyyūn"—who, according to the study, depart from the sound understanding of the Qurʾān—and Orientalist scholars, as they share numerous theological assumptions and conceptual premises. An examination of the Qurʾāniyyūn's writings, journals, and conferences reveals that their critiques extend beyond limited scholarly disagreement to a comprehensive skepticism toward core elements of the religion. Although Qurʾānist ideas have gained adherence among a number of Muslim intellectuals and academics, many of these individuals have been shaped by Westernizing or Orientalist influences, often through engagement with colonial or Orientalist institutions. Such influence extends beyond theological concerns to affect broader economic, cultural, and political perspectives, reshaping their overall worldview.

Keywords: Quranists - Sunnah - Denial of the Sunnah - Orientalists.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم، وعلى آله، وصحبه، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الشبهات التي تثار حول السنة النبوية من الطعن في رواتها، والتشكيك في متون الأحاديث، إنما مصدرها في الحقيقة واحد، وإن اختلفت صورها وأشكالها، أو تباينت أفكار أصحابها، أو تباعدت أعصارهم وأمصارهم، فإنهم جميعًا يجتمعون في الشبهة غالبًا.

فقد ظهر هؤلاء الأعداء بصور متعددة قديمًا وحديثًا، ففي القديم كانوا متمثلين في المعتزلة، وبعض الطوائف التي ظهرت وتنادي بالرجوع إلى القرآن فحسب، وامتد فكر هذه الطوائف لفترة طويلة ما بين مد وجزر، إلى أن هيأ الله للأمة علماء وأمراء مخلصين تمكنوا من كشف أكاذيبهم ومآربهم، إلا أن هذا التيار بقي على نحو ضعيف، إلى أن ظهرت في العصر الحديث طائفة محدودة من هؤلاء تنادي بالمنهج نفسه، وهم الذين نسميهم العقلانيين، فهؤلاء امتداد لفرقة المعتزلة[1]، وغيرهم ممن يسمون أنفسهم بالقرآنيين. ويجدر بنا أن نتطرق إلى علاقة هذه الفرق القديمة والحديثة بالاستشراق[2] والمستشرقين، ونبين بعض النقاط المشتركة بينهم باختصار شديد. ومن هنا رغبت في الكتابة عن بحث بعنوان: **(التأثير والتأثر بين المستشرقين والقرآنيين– دراسة تحليلية نقدية)**.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1. تكاتف أبحاث المستشرقين على تشويه مصادر الإسلام، وعلاقتها المستمرة من الفرق التي تدعم هذا التشويه ومنها القرآنيون.
2. التشكيك من قبل المستشرقين والقرآنيين في السنة النبوية.
3. خطورة تمجيد الاستشراق لأهل الضلال من القرآنيون.

الصعوبات التي واجهتني في كتابة هذا الموضوع:

كان في مقدمتها صعوبة الحصول على المراجع المتخصصة في هذا الموضوع؛ سيما وأن أكثرها كتب باللغات الأجنبية، ثم ترجمتها الترجمة الصحيحة،

(1) المعتزلة: هم فرقة كلامية ظهرت في أول القرن الثاني الهجري، وبلغت شأنها في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري لقول واصل بان مرتكب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا بل هو في منزلة بين المنزلتين، ولما اعتزل واصل مجلس الحسن وجلس عمرو بن عبيد إلى واصل وتبعهما أنصارهما قيل لهم معتزلة، وهذه الفرقة تعتد بالعقل وتغلو فيه وتقدمه على النقل. ينظر: الشهرستاني، أبو الفتح محمد أبى بكر أحمد (1993). ***الملل والنحل***، ط3، القاهرة: مؤسسة الحلبي 1/ 46.

(2) الاستشراق: أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة صياغته وتشكيله وممارسة السلطة عليه. ينظر: غراب، أحمد عبد الحميد. (1991). ***رؤية إسلامية للاستشراق***، ط2، الرياض: المنتدى الاسلامي. ص٧–٨.

وهو الدراسة المتقصية المتنوعة المتعددة الأغراض التي مارسها الغربيون لمحاولة فهم الشرق والتعرف على الكنوز الحضارية، والعادات والتقاليد والديانة وجوانب مناحي الحياة، سواء أكانت لأهداف دينية أو علمية أو عسكرية. ينظر: سعيد، إدوارد. (1981). ***الاستشراق المعرفة– السلطة– الإنشاء***. ترجمة: كمال أبو ذيب (2005). بيروت، لبمام: مؤسسة الأبحاث العربية. ص28.

وأخيراً صعوبة إخراج هذه الدراسة في أقل عدد من الصفحات دون الإخلال بالموضوع. مع اتسام الموضوع بالتداخل والاتساع؛ وذلك يرجع في الأساس إلى كون الاستشراق بعمومه جزءاً من الحركة العلمية والفكرية والثقافية الواسعة في أوربا، والولايات المتحدة، ولارتباطه بشكل عميق بمصالح القوى الكبرى، وارتهانه للسياق التاريخي والسياسي العام.

كما وجدت صعوبة في العثور على مؤلفات لقرآنيين هنود –موطن نشأة الفرقة– يتكلمون العربية. ولا أزعم أنني وضعت لبنات البحث لبنة لبنة، فلست وحدي في الميدان، وجهود العلماء على مدار التاريخ لا ينكرها إلا جاحد.

إشكالية البحث وتساؤلاته:

تكمن مشكلة البحث في الوقوف على حقيقة علاقة المستشرقين [1]بالقرآنيين، وكشف طعن كلاهما في السنة النبوية، والرد على شبهاتهم المثارة حولها.

وجاءت تساؤلاته كالآتي:

1- ما علاقة المستشرقين بالقرآنيين؟

2- ما هو موقف كل منهما من السنة النبوية؟

3- كيف يتم دحض الشبه الموجهة للسنة النبوية من قبل المستشرقين والقرآنيين؟

الدراسات السابقة:

هناك كتب كثيرة تناولت الحديث عن الاستشراق والقرآنيين غير ما اخترته في بحثي هنا، ألا وهو التركيز فيه على إثارة المستشرقين الشُّبه في الأصل الثاني لمصدر العقيدة الإسلامية ألا وهو السنة والطعن فيها، مما يزعزع اعتقاد المسلم بها، وهذا أمرٌ في منتهى الخطورة.

وأذكر –هنا– أهم الكتب التي تحدثت عن الاستشراق والقرآنيين بالصفة التي وضحتها:

أ- حول الاستشراق الجديد (مقدمات أولية)، لعبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي، مجلة البيان، الرياض، الطبعة الأولى، 1435هـ.تناول فيه الاستشراق في المنظور التاريخي منذ نشأته حتى وقتنا الحاضر، وقام بالتركيز على الناحية السياسية التي كانت من آثار هذا الاستشراق.

ب- 10002- معلومة عن الاستشراق والمستشرقين ومخططاتهم في العالم الإسلامي، لهاني محمد حامد محمد، دار الفضيلة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014م.تناول فيه تعريف الاستشراق ونشأته، وصلته بالاستعمار وباليهود، وأهدافه، ودوافعه، وأعلامه.

ج- نشأة الاستشراق (مراحله ودوافع المستشرقين)، للدكتور أحمد عبد العزيز الحصين، مكتبة الإيمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1432هـ-2011م.وهو كتابٌ جليٌ من عنوانه، وقد أضاف إليه أيضا مناهج المستشرقين والاسقاطات فيها، ومدارسهم.

(1) المستشرقون هم: الغربيون الذين قاموا بدراسة تاريخ الشرق ولغاته وآدابه، وعادته ومعتقداته. ينظر: الإسكندراني، أحمد. (1934). **المفصل في تأريخ الأدب العربي**، ط1، القاهرة: مطبعة مصر. 20/ 408.

واستشرق أي صار شرقيا، فيقول إن المستشرقين هم أولئك الأساتذة والباحثين الغربيين الذين تخصصوا في دراسة اللغة العربية والحضارة العربية، وقضايا الدين الإسلامي. ينظر: الشرقاوي. محمد. (1993). **الاستشراق دراسة تحليلية تقويمية**، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي. ص21.

د- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لخادم حسين إلهي بخش، ط2، 1421هـ-2000م، تناول فيه نشأة القرآنيين، والأصول التاريخية لفكرهم، ثم قام بدراسة أفكارهم العقدية وناقشها، إلا أنه لم يتناول العلاقة بينهم وبين المستشرقين، وخطورة تمجيد الاستشراق للقرآنيين.

منهج البحث العلمي وإجراءاته:

المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، والذي يعتمد على الوصف والتحليل والمقارنة الارتباطية بهدف وصف ما هو كائن، وتفسيره من خلال إلقاء الضوء على المشكلة المراد بحثها (الاستشراق والقرآنيون)، وجمع المعلومات – قدر المستطاع- التي تزيد من توضيح الظروف المحيطة بها خاصة ما يتعلق بأوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.

بالإضافة إلى استخدام المنهج المقارن والذي اعتمد على مقارنة آراء القرآنيين وغيرهم من المستشرقين.

الإجراءات البحثية:

1-جمع أقوال المستشرقين والقرآنيين مما كتبوه بأنفسهم، أو نقل عنهم، ووضعها في المباحث والمطالب المناسبة لها.

2- تحليل ألفاظهم، ونقدها وردها بالنقل والعقل.

3- كتابة الآيات بمصحف المدينة المنورة مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

4- تخريج الأحاديث النبوية ؛ فإن كانت في الصحيحين اكتفيت بأحدهما، وإلا خرجتها من خارجهما، وذكرت أقوال أهل العلم المشهورين قديماً وحديثاً ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

5-شرح الألفاظ الغريبة.

6- الترجمة للأعلام غير المشهورين.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين، وخاتمة، وفهارس علمية:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والصعوبات التي واجهتني أثناء كتابته، ومشكلته، وتساؤلاته، والدراسات السابقة، ومنهجه العلمي، واجراءاته، وخطته:

التمهيد: نشأة الاعتقاد بالاقتصار على القرآن وحده.

المبحث الأول: علاقة التأثير بين القرآنيين والمستشرقين.

المبحث الثاني: أباطيل القرآنيين المستمدة من الاستشراق.

المبحث الثالث: شبه القرآنيين والرد عليها.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس: وفيها فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وفي الختام: فإن ما قدمته هو جهدي-وهو مبلغ وسعي-، فإن وفقت فيه فلله الحمد وحده لا شريك له، وإن كان فيه نقص؛ فقد أبى الله الكمال إلا لكتابه ولسنة رسوله ﷺ، والنقص صفة المخلوق، واستغفر الله من الخطأ والزلل. والحق قصدت، وأعوذ بالله من شر نفسي والشيطان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين.

المبحث الأول: نشـــأة الاعتقاد بالاقتصـــار على القرآن وحده

لقد ظهر في القرن الثاني للهجرة بعد جيل الصـحابة ﷺ، فرق ومذاهب متعددة، تدعوا كل منها إلى بعض الآراء التي مزّقت الأمة، وشـــتَّتَتْ وحدتها، وأضـــاعت أحكام دينها التي كان عليها الجيل الذي قبلهم. وبرزت حينها طوائف تنكر حجية الســـنة النبوية بشـــكل مطلق، وأخرى تنكر خبر الآحاد، داعيةً إلى الاعتماد على القرآن الكريم وحده باتباع الهوى[1]، وترك الوحي.

وهذا خلاف ما دعا إليه الله في كتابه كما في قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُـــولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾[3]، وقول نبيه ﷺ: ((**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**))[4]. وقد دل الحديث على معجزة للنبي ﷺ فقد ظهرت فئة في القديم والحديث تدعو إلى هذه الدعوة الخبيثة وهي الاكتفاء بالقرآن عن الأحاديث، وغرضهم هدم نصف الدين، أو إن شـــئت فقل: الدين كله! لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن فسيؤدي ذلك ولا ريب إلى استعجام كثير من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه، وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن فقل على الإسلام العفاء[5].

ولولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم في خطبته بعد تعليمه من شـــهده أمر دينهم: (**ألا، فَلْيُبَلِّغِ الشَّـــاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**)[6]، فالسنة النبوية الصحيحة وحي من الله؛ كما أن القرآن هو الوحي المتلو المتعبد بتلاوته، والسنة الصحيحة هي من الوحي غير المتلو،

(1) الهوى: أصله يدل على خلو وسقوط. وهو إيثار ميل النفس إلى الشـهوة والانقياد لها فيما تدعو إليه من معاصـي الله، قيل: سُمي بذلك؛ لأنَّه يهوِي بصـــاحِبِه في الدنيا إلى كلِّ داهيةٍ، وفي الآخرةِ إلى الهاوِيةِ. ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. (1979). ***مقاييس اللغة***. المحقق: عبد الســـلام محمد هـارون. (د.ط). بـيروت: دار الفـكـر. 6/ 15، الراغـب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (1994). ***المفردات في غريب القرآن***. المحقق: صفوان عدنان الداودي. ط1، دمشق: دار القلم. ص849.

(2) سورة الحشر، الآية: (7).

(3) سورة النجم، الآيتان: (3، 4).

(4) رواه أبو داود، سـليمان بن الأشـعث بن إسـحاق بن بشـير بن شـداد بن عمرو الأزدي السِّـجِسْـتاني. (د.ت). ***سنن أبي داود***. المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد. صـــيدا، بيروت: المكتبة العصـرية. كتاب: السـنة، باب: في لزوم السـنة، (4/ 200)، حديث رقم: (4604)، وأحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسـد الشـيباني. (2001). ***مسـند أحمد***. المحقق: شـعيب الأرناؤوط وآخرون، إشـراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة. مسند الشاميين، حديث المقدام بن معدي كرب، (28/ 410)، حديث رقم: (17174)، وصـححه الألباني، محمد ناصـر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشـقودري. (1998). ***صـحيح الجامع الصـغير وزيادته***. (ط3). دمشـق: المكتب الإسـلامي. (1/ 516)، حديث رقم: (2643).

(5) ينظر: التميمي، محمد بن عبد الوهاب بن سـليمان النجدي. (2000). ***أصـول الإيمان***. تحقيق: باسـم فيصـل الجوابرة. (ط5). المملكة العربية السـعودية: وزارة الشـؤون الإسـلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ص122.

(6) رواه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي. (2002). ***صحيح البخاري***. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط1). بيروت: دار طوق النجاة. كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، (2/ 176)، حديث رقم: (1741).

ولكننا مكلفون باتباع ما ورد فيها؛ فالسنة مفسرة وموضحة للقرآن، ومخصصة ومقيدة لبعض ما فيه؛ فليس لأحد أن يزعم الاكتفاء بالقرآن عن السنة المطهرة؛ فالواجب تعظيم سنة النبي ﷺ، ومعرفة قدرها، والالتزام بها، وعدم إنكارها.

وقد استندت الطوائف المنكرة لسنة رسول الله ﷺ على بعض الآيات القرآنية، والتحليلات العقلية؛ زاعمةً أن القرآن كلام الله الشامل والمفصل لكل شيء.

وقد واجه الأئمة تلك الأفكار بالرد المفصل على منكري السنة، فجميع ما تقوله الأئمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن[1]، فقال الشافعي بعد حكمه على ما استدل به أولئك من حديث (**إِلَّا أَنِّي لَا أُحِلُّ إِلَّا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ**)[2]: هذا منقطع[3]، وعلى فرض صحته فليس فيه دليل للخصم فيما يدَّعِي؛ لأن معناه أن ليس للناس أن يقولوا :كيف يُحل رسول الله ﷺ ويحرم ما ليس في القرآن، فإن الرسول ﷺ مُشرّع، وهو لا يحل إلا ما كان حلالًا في شرع الله، ولا يحرم إلا ما كان حرامًا فيه، وكل ما يحله أو يحرمه إنما هو في كتاب الله باعتبار أنه أمر بطاعته، ونهى عن مخالفته، فقد أمرنا أن نطيعه ﷺ فيما يحله أو يحرمه، أو أن كل ما يحرمه أو يحله له أصل في كتاب الله ﷻ أو نظير يقاس عليه[4].

والعجيب في هؤلاء المنكرين للسُّنَّة أنهم يستدلون بها على عدم حجيتها، فكيف يرفض هؤلاء السُّنَّة ثم يأخذون منها الدليل على ما يزعمون؟! وإن جاز لهم ذلك، فلماذا يستدلون بالأحاديث الضعيفة ويتركون الأحاديث الصحيحة التي تحث على كتابة السُّنَّة، وعلى الأخذ بالسُّنَّة؟!

وقد حذر النبي ﷺ من هذه الفئة بقوله: ((**أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ. وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ**))[5].

وفي الحديث: بيان أهمية السنة النبوية، وإخباره بما سيقع في المستقبل، وهو من دلائل نبوته الشريفة.

---

(1) ينظر: القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي. (2002). ***مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح***. (ط1). بيروت، لبنان: دار الفكر. (1/ 250).

(2) رواه البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني. (2003). ***السنن الكبرى***. المحقق: محمد عبد القادر عطا. (ط3). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية. كتاب النكاح، باب الدليل على أنه صلى الله عليه وسلم لا يقتدى به فيما خص به ويقتدى به فيما سواه، (7/ 120)، حديث رقم: (13439). والشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع. (1980). ***مسند الشافعي***. (ط1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ص30.

(3) ينظر: موسى، محمد بن علي بن آدم. (2006). ***مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه***. (ط1). الرياض، المملكة العربية السعودية: دار المغني. (1/ 321).

(4) ينظر: مزيد، على عبد الباسط. (2023). ***منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر***. (ط1). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص27.

(5) رواه الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. (1975). ***سنن الترمذي***. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي. (ط2). القاهرة، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، أبواب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (5/ 38)، حديث رقم: (2664). وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقال البيهقي: إسناده صحيح.

والقرآنيين هم طائفةٌ من الفرق الضالة؛ لإنكارهم ما أجمعَ عليه المسلمون من وجوب طاعة واتباع النبيّ ﷺ، إضافةً إلى اقترافها جريمة السُّخرية من السنة النبوية، والصحابة الكرام، وسلف الأمة، والمحدّثين، وعموم المسلمين! والقرآنيون دعاةٌ إلى حلِّ عرى الإسلام ونقضه من أركانه، وهم عبارة عن شرذمة من شراذم أعداء الدين؛ تفرّغت لمحاربة السنة النبوية المطهّرة بدعوى برّاقة هي العودة إلى القرآن الذي هجره المسلمون، والتفتوا إلى ما افترَوه من الأحاديث[1].

تأججت فتنة القرآنيين في العصر الحديث بعد إخمادها أكثر من أحد عشر قرنًا، وكان ذلك بسبب الاستعمار، ففي بداية القرن الثالث عشر من الهجرة، ولدت فتنة القرآنيين واستوطنت العراق ثم ارتحلت للهند وانتشرت وذاعت في الهند على يد سيد أحمد خان[2]، الذي أنكر السنة كليةً وأصبحت بذرة إرهاصات لفكر القرآنيين، وتبعه المولوي جراغ علي[3]، وتبعهما المولوي عبد الله جكرالوي[4]،

(1) ينظر: بخش، خادم حسين إلهي. (2000). ***القرآنيون وشبهاتهم حول السنة***. (ط2). الطائف. المملكة العربية السعودية: مكتبة الصديق. ص48.

(2) هو السيد أحمد بن المتقي بن الهادي بن عماد بن برهان الحسيني التقوي الدهلوي المعروف بسيف أحمد خان، كان من مشاهير الشرق، ولد في دهلي في عام 1817م، بدأ دراسته بالقرآن الكريم ثم درس بعض كتب الفارسية والعربية، كان في بداية أمره على مذهب المشايخ النقشبندية، وفي 1838م توفي والده وعمل مساعد القاضي في المحاكم الإنجليزية وبدأت حياته العملية بتصنيف الكتب وإصدار المجلات الثقافية والعلمية وانتهت بتأسيس المدارس والمعاهد وأخيرًا جامعة عليكره، ففي 1847م، أخرج كتابه الشهير "آثار الصناديد" في ذكر الآثار القديمة لمدينة دهلي، ومن آثاره العلمية "أسباب الثورة في الهند"، و "خطبات أحمدية "، و " تاريخ بجنور " و " تصحيح آثين أكبرى) وغيرها. هذا بالإضافة إلى ماكتبه في مجلة " تهذيب الأخلاق " التي جمعها الشيخ محمد إسماعيل ، ونشرها تحت اسم (مقالات سر سيد) توفى سنة: 1898م. ينظر: الطالبي، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني. (1999). ***نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر***. (ط1). بيروت، لبنان: دار ابن حزم. (8/ 1175). فرقة أهل القرآن. ص75.

(3) هو جراغ علي، ولد سنة 1844 م، وكان بحق تلميذ سيد أحمد خان الوفي والرجل البارز بعد سيد خان في حركة "عليكرة"، وأحد أعمدتها .. وتوفي في 15 يونيو 1895 م. رضع جراغ –أو شراغ– علي من لبان تلك المدرسة؛ بل أسهم في الدفاع عن آرائها أيما إسهام، وحاول صبغ الإسلام بالحضارة الغربية مثل أستاذه سيد أحمد خان، فأول نصوص الإسلام بما يتلاءم مع تلك الحياة الأوربية. ينظر: العفاني، سيد بن حسين بن عبد الله. (2006). ***وا محمداه إن شانئك هو الأبتر***. (ط1). القاهرة: دار العفاني. (2/ 469).

(4) هو عبد الله بن عبد الله الجكرالوي، نسبة إلى بلدة (جكرالة) التي ولد بها، وهي إحدى قرى إقليم "البنجاب" بباكستان حالياً، وعاصمته "لاهور". وقد ولد عبد الله حوالي 1830م. في أسرة علم ودين، وكان والده يتبع مشيخة إحدى الطرق، فلما ولد ابنه وسماه عبد الله، حمله إلى شيخ الطريقة فباركه ودعا له وسماه: " غلام نبي " أي خادم النبي، أو "عبد النبي". وقد تلقى "عبد الله جكرا لوي" علومه بالمدارس الأهلية، ثم سافر بعد ذلك إلى مدينة "دهلي" حاضرة الهند لدراسة الحديث الشريف والتخصص فيه، وبعد أن أتم دراسته، ولمس من القدرة على تدريس الحديث وتعليمه الآخرين عاد من "دهلي" مدرساً ومعلماً، ثم دخل مجال التأليف والكتابة فيما تلقاه وتخصص فيه من علوم الحديث الشريف. وقد ظل على ذلك زمانا يزاول تعليم الحديث وخدمة السنة تعليماً وتأليفاً ومناظرة مع الآخرين. ينظر: ***شبهات القرآنيين حول السنة النبوية***. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ص33.

وآخرين. ثم تعدد أتباعها خارج الهند [1].

ويمثل هذا الاتجاه ما كتبه (المولوي جراغ علي الهندي) في كتاب أسماه: «أعظم الكلام في ارتقاء الإسلام» قال: «إنَّ الحديث النبوي ليس قطعياً كما يظنه المسلمون، بل صحَّته وحُجيته محل نظر وشك، وهو لا يصلح لأنْ يعتمد عليه في معرفة الأحكام، وإنَّ "الجامع الصحيح للإمام البخاري" يتضمَّنُ أحاديث موضوعة كثيرة، ولكنَّ المسلمين يَظُنُّونَهُ أَصَحَّ الكتب بعد كتاب الله، بناءً على مغالاتهم في الاعتقاد وتقليدهم الأعمى»[2].

وقد ذهب هؤلاء وبقيت دعوتهم على هيئة فرق وطوائف تكونت على أساس من هذه الدعوات. وقد فعل الزمان والظروف فعلها في هذه الحركات، حيث تلاقحت الأفكار والمناهج، فتأثر هذا بذاك، واختلط بعض ببعض، وكان من ذلك بضعة طوائف ما تزال تتحرك على الساحة الإسلامية بباكستان والهند، وبعض البلاد العربية، فأسس أتباع عبد الله جكر الوى حركة تسمى: "أمة مسلمة". وهي تمثل فكر "جكرالوي"، ولكن أخذها الضعف والوهن – بفضل الله سبحانه – وأضحى نشاطها محدوداً ومقصوراً على أعضائها القليلين نسبيا. ولهذه الطائفة "معابد" يتعبدون فيها على طريقتهم الكافرة التي لا يعرفها دين الله، ويسمون معابدهم هذه: "مساجد" إصراراً منهم على أنهم من المسلمين، بل على أنهم هم المسلمون. ومعابدهم هذه توجد في بعض المدن الباكستانية.

المبحث الثاني: أباطيل القرآنيين المستمدة من الاستشراق

تشابهت القلوب والأفعال رغم اختلاف المناهج والأهداف؛ إذا إن إنكار السنة النبوية لم يقتصر على المعتزلة والمستشرقين، بل كان عقيدة راسخة لدى الخوارج، وتبناها القرآنيون بل وأقاموا عليها مذهبهم فكانت النقطة الرئيسة عندهم هو إنكار السنة بادعائهم اتباع القرآن فقط، فغالباً ما تأثروا في ذلك بالتغريب أو الاستشراق، أو بالمراكز الاستعمارية والاستشراقية، مما يؤثر على تفكيرهم العقدي والثقافي والاقتصادي والسياسي. فنتاج مذهبهم في النهاية هو تمزيق وحدة الأمة وإثارة الشكوك حول السنة النبوية، وهو مصدرٌ أساسيٌّ لدينهم.

فرغم أن أفكار القرآنيين صارت عقيدة لدى كثير من المفكرين والأكاديميين المنتسبين إلى الإسلام، إلا أن معظمهم من الذين تغربوا أو تشرقوا، أو احتضنتهم المراكز الاستعمارية والاستشراقية، وتأثروا بهم في جميع مجالات الحياة ليس في الجانب العقدي فحسب؛ بل تغلغل هذا التأثير في وجدانهم؛ فغيَّر نظرتهم للحياة اقتصاديًّا وثقافيًّا وسياسيًّا.

وحقيقة إنكار السنة لم تنحصر في المعتزلة والقرآنيين والمستشرقين فحسب، بل كانت عقيدة راسخة في أذهان الخوارج، فهذا هو شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– يقول عن موقف الخوارج من السنة:

(1) ينظر: حكيم، محمد طاهر. (1982). ***السنة في مواجهة الأباطيل***. (ط1). مكة الكرمة: مجلة دعوة الحق، ع12. ص76.

(2) ينظر: لاشين، موسى شاهين. (1411هـ). ***السنة والتشريع***. القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف. ص10.

"وأصـــل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب اتّباعه، حتى خرجوا عن السنة والجماعة، فهم لا يرون اتّباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن؛ كالرجم ونصـــاب السرقة وغير ذلك، فضلوا، فإن رسول الله ﷺ أعلم بما أنزل الله عليه، والله قد أنزل عليه الكتاب والحكمة "[1].

فثَمَةَ علاقة وثيقة بين ما يسمى بـ"القرآنيين" – وهم في الحقيقة بعيدون عن فهم القرآن الصحيح – وبين المســتشــرقين؛ إذ يتشــابهون في العديد من العقائد والتصورات، سبقهم إليها المعتزلة. وقد نشرت مجلة "المنار" بعض هذه الشـــبه والأباطيل، مثل مقالة الدكتور توفيق صـــدقي أفندي الطبيب بعنوان: "الإسلام هو القرآن وحده". والذي صرح فيها بأنه من القرآنيين[2].

فتعتمد حجج "القرآنيين" على تفســـيرات خاطئة لبعض الآيات، منها:

أولا: تفسير آيات الشمول: فيستندون إلى آيات مثل: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾[3]، و ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾للدلالة على أن القرآن يحتوي على جميع أحكام الدين تفصيلًا، دون حاجة إلى السنة النبوية. فأرادوا بأن القرآن قد احتوى الدين كله أحكامًا ومعاملات وعبادات بشكل مفصل وواضح، فلا يحتاج هذا القرآن إلى شيء آخر كالسُّنَّة مثلًا، وإلا لم يكن هذا الكتاب بيانًا وتبيانًا لأمور الدين كلها.

وهذا تفسير في غير موضعه؛ لاحتواء القرآن الكريم على كثير من الأحكام العامة والقواعد الكلية، إلا أنه ترك كثيرًا من الأحكام مجملة، وترك بيانها وتفســـيرها للرســـول ﷺ، وأمر بعد ذلك المؤمنين باتباع هذا النبي ﷺ وطاعته، فجاءت آيات كثيرة تحث على ذلك وتدعو الأمة إلى الالتفاف حوله ﷺ، وهذا لا ينافي مطلقًا أن يكون القرآن حجة، والسنة أيضًا حجة؛ لأن ما يرد في القرآن قد يرد في الســـنة على ســـبيل التأكيد والأهمية، وقد يأتي في القرآن أحكام تحتاج إلى البيان والتوضيح من رسول الله ﷺ؛ لقوله تعالى : ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[4].

فقد تبين ببيان الله جلّ جلاله عند السلف والخلف: أنّ مما أنزل الله من القرآن على نبيه صـــلى الله عليه وسلم، ما لا يُوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ. وذلك تأويل جميع ما فيه: من وجوه أمره – واجبه ونَدْبِه وإرْشـــاده–، وصـــنوفِ نَهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضـــه، ومقادير اللازم بعضَ خَلْقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آية، التي لم يُدرَك علمُها إلا ببيان رســـول الله ﷺ لأمَّته. وهذا وجهٌ لا يجوز لأحد القول فيه، إلا ببيان رســـول

(1) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. (1995). ***مجموع فتاوى***. المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاســـم. (ط2). المدينة النبوية، المملكة العربية الســـعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. (3/ 208).

(2) رضا، محمد رشيد بن علي. (1327 هـــ). ***مجلة المنار***. (ط2). المنصورة، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر. (9/ 515).

(3) سورة الأنعام، الآية: (38).

(4) سورة النحل، الآية: (44).

الله ﷺ له تأويلَه بنصٍّ منه عليه، أو بدلالة قد نصَبها، دالَّةٍ أمَّتَه على تأويله[1].

لكن هذا التفسير يغفل أن القرآن الكريم يحتوي على أحكام عامة وقواعد كلية، ترك تفصيلها وتوضيحها للرسول ﷺ. كما أن آيات كثيرة تحث على اتباع النبي ﷺ وطاعته، مثل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2]، ويوضح هذا ما ثبت عَنِ عمران بن حصين، أنه كان جالسا ومعه أصحابه فقال رجل من القوم: لا تحدثونا إلا بالقرآن، قال: فقال له: ادنه، فدنا، فقال: أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعا وصلاة العصر أربعا والمغرب ثلاثا، تقرأ في اثنتين، أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعا والطواف بالصفا والمروة، ثم قال: أي قوم خذوا عنا فإنكم، والله إلا تفعلوا لتضلن"[3].

ثانيًا: تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[4]. بأن الآية دليل على أن الله –تعالى– تكفل بحفظ القرآن فحسب دون السنة النبوية، فلو كانت السنة حجة لتكفَّل الله بحفظها أيضًا[5].

وهذا التفسير كثيرًا ما يتوافق مع أقوال كثير من المستشرقين الذين يثيرون الشُّبَه والأباطيل حول ظنية السنة، وأنها تعرَّضت للضياع والزيادة والنقصان، كما تعرضت للوضع والتحريف حسبما كانت تمليه الظروف السياسية للأمراء والخلفاء، وهذا يتوافق تمامًا مع قول برنارد لويس[6]: "ثمة دوافع للتحريف المتعمد؛ لأن الفترة التي تلت وفاة الرسول ﷺ شهدت تطورًا شاملًا في حياة المجتمع الإسلامي، فكان تأثر المسلمين بالشعوب المغلوبة بالإضافة إلى الصراعات بين الأُسَر والأفراد كل ذلك أدى إلى وضع الحديث"[7].

(1) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. (2000). ***جامع البيان في تأويل القرآن***. المحقق: أحمد محمد شاكر. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة. (1/ 73).

(2) سورة النحل، الآية: (44).

(3) البغدادي، الخطيب. (1432هـ). ***الكفاية في معرفة أصول علم الرواية***. المحقق: ماهر ياسين الفحل. (ط1). الدمام، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي. (1/ 105).

(4) سورة الحجر، الآية: (9).

(5) ينظر: الصغير، فالح. (د.ت). ***الاستشراق وموقفه من السنة النبوية***. (ط1). المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة. ص86.

(6) برنارد لويس (Bernard Lewis): من مواليد لندن ببريطانيا، سنة: 1916م. هو أستاذ فخري بريطاني-أمريكي لدراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون ومستشرق يهودي. وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب، وتشتهر أعماله حول تاريخ الدولة العثمانية ،وهو من أبرز المخططين لمشاريع تقسيم الوطن العربي. وهو أحد أهم علماء الشرق الأوسط الغربيين التي طالما ما سعى صناع السياسة من المحافظين الجدد مثل إدارة الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش إلى الحصول على استشارتهم. وتوفي سنة: 2018م.

Beinin ،Joel. (1987) Review of Semites and Anti-Semites: An Inquiry into Conflict and Prejudice by Bernard Lewis". MERIP Middle East Report. N 147. P 42- 45.

(7) ينظر: مطبقاني، مازن بن صلاح. (1995). ***الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس***. الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية. ص157.

وحقيقة إن هذا التأويل لكلام الله بما لا يحتمل من قبل هؤلاء المتأثرين بالتغريب وأفكارهم، ضَـــرْبٌ من العجز العلمي أو النقص والشـــعور بالدونية يدفعهم للسير وراء مقولات أعداء الدين من اليهود والنصارى وأهوائهم، وإلا فكيف يقال: إن حفظ الله لكتابه يعني عدم حفظه لسُنَّة نبيه ﷺ، وهل يفسر الذكر بالقرآن فحسب؟ أم هو الدين الإسلامي كله بما فيه الســـنة النبوية المطهرة؟ وكيف يفســـر قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[1]، وأهل الذكر هم علماء الأمة الربانيون الذين حفظ الله على أيديهم هذا الدين من التحريف في كتابه العزيز وسُنَّة نبيّه ﷺ وهو قول علي رضي الله عنه[2].

هذه من جهة، أما من الجهة الأخرى فقد وردت كلمة الذكر في مواضـــع أخرى من القرآن الكريم، وهي تشير إلى إبطال تفسير هؤلاء المغرضين، فهذه الآية الكريمة: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3]، دليل على أن من أهم مهام الرسول ﷺ توضـــيح أمور الدين للناس ابتداء من العقيدة وانتهاء بأدقّ الأحكام والآداب.

ولو ســـردنا أحكام الدين التي تحتاج الأمة إلى بيانها وتفصـــيلها من القرآن لاحتاج ذلك إلى حيزٍ واســـعٍ من البحث، ولكن نشـــير إلى بعض تلك الأحكام والفرائض بشيء من الاختصار، فالصلاة التي جاءت في القرآن مجملة دون تفصـيل، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[4]، فهي بحاجة إلى بيان كيفية أدائها بالأقوال والحركات، والرســـول ﷺ هو الوحيد الذي يوضح للأمة هذه الكيفية، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْـــتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[5]، فلولا الســـنة لاختلطت كيفية أداء هذا النُّسُك العظيم بالشركيات وأهواء الناس، وكل واحد يؤديه حســـب فهمه الخاص، ولكن الرســـول عليه الصلاة والسلام علَّم الأمة هذه الكيفية بحجته ﷺ، وقوله للصحابة: (**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ. فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ**)[6]، فالسنة بوصفها تبين وتوضّـــح الأحكام المجملة في القرآن، إلا أنها تؤدي دورًا مهمًّا في وحدة الأمة وترابط أبنائها على أداء العبادات بصـــورة واحدة لا تمايز لأحد على آخر؛ مما يؤدي بالتالي إلى جعلها كالجســـد الواحد، في أعمالها وأقوالها ومشـــاعرها، ويتحقق بذلك قوله ﷺ: (**مَثَـلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَـوَادِّهِـمْ وَتَـرَاحُمِـهِـمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَـدِ. إِذَا اشْـتَكَى مِنْهُ عُضْـوٌ،**

---

(1) سورة النحل، الآية: (43).

(2) ينظر: الطبري، (2000). ***جامع البيان في تأويل القرآن***. (18/ 414). الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصـــري البغدادي. (د.ت). ***النكت والعيون***. المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (ط1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية. (3/ 438).

(3) سورة النحل، الآية: (44).

(4) سورة البقرة، الآية: (110).

(5) سورة آل عمران، الآية: (97).

(6) رواه النيســـابوري، مســـلم بن الحجاج أبو الحســـن القشـــيري. (د.ت). ***صحيح مسلم***. المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب الحج، باب اســـتحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا، وبيان قوله ﷺ: «لتأخذوا مناسككم»، (2/ 943)، حديث رقم: (1297).

تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[1].

إن المستشرقين وأذنابهم ممن يسمون بالقرآنيين إما أنهم يجهلون هذه المعاني والأحكام، أو أنهم يقصدون ذلك لتمزيق صف الأمة الواحد، وإفشاء روح التشكيك في نفوس المسلمين تجاه أهم مصدر لدينهم؛ وهو السُّنَّة.

ثالثًا: قولهم بما أن النبي ﷺ لم يأمر بكتابة السنة أو جمعها وحفظها في قراطيس، فهذا يدل على أن السُّنَّة ليست بحجة، ولأن السنة بعد ذلك صارت ظنيَّة الثبوت فلا يصح الاحتجاج بها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[2]، وقال:﴿ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾[3]؛ لأن القطع لا يكون إلا بكتابتها وحفظها من التحريف والزيادات مثل القرآن، ومن أجل ذلك أمر النبي ﷺ بعدم كتابة السنة، ومحو ما كُتب منها.

وهذه الشبهة استشراقية بكل محتوياتها، فهذا هو المستشرق الألماني شاخت[4] يقول: "لا صحة لأي حديث منسوب للنبي ﷺ، وإن أقدم ما بين أيدينا من أحاديث الأحكام لا يرجع إلا إلى سنة (100) هجرية ليس إلا"[5].

المبحث الثالث: شبه القرآنيين والرد عليها

قام فكر القرآنيين أساساً على إنكار السنة، ونبذها، وعدم اعتبارها مصدراً للتشريع الإسلامي، فتخبطوا وضلوا، وجاءت أحكامهم ناقصة مشوشة، بعيدة عن مرادها، إذ رفعوا شعار (حسبنا كتاب الله) متناسين أن السنة جاءت موضحة لكتاب الله ومفسّرة، ومكملة لأحكامه. وأهم أفكارهم:

1ـــ اعتبار القرآن الكريم المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية دون سواه.

2ـــ استبعاد كل المصادر الأخرى المشكلة للشريعة الإسلامية كالسنة، والسيرة والتفسير والقياس والاجتهاد وسير الصحابة والإجماع وفتاوى الأئمة.

3ـــ ادعاؤهم بأن الصوم في شهر شعبان، وليس في رمضان.

4ـ اعتبارهم أن الكعبة صنم، وأن الطواف حولها من طقوس الوثنيين في الجاهلية.

5ـــ ينكرون وجود النسخ بأقسامه الثلاثة (نسخ

(1) رواه مسلم، (د.ت). ***صحيح مسلم***. كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم. (4/ 1999)، حديث رقم: (2586).

(2) سورة الإسراء، الآية: (36).

(3) سورة يوسف، الآية: (38).

(4) **جوزيف شاخت** (Joseph Schacht): **ولد سنة: 1920م**، وتوفى سنة: 1969م، مستشرق وباحث ألماني في الدراسات العربية والإسلامية. متخصص في الفقه الإسلامي. له مؤلفات عدة أبرزها «بداية الفقه المحمدي»، والذي حلل فيه فقه الإمام الشافعي ورسالته الشهيرة، بالإضافة إلى تحليل نشأة علم الحديث. وقد أثار شاخت حفيظة العلماء المسلمين؛ لأنه يشكك في صحة الأحاديث النبوية، ويرى أنها وضعت خلال الفترة المتمدة بين نهاية القرن الثاني، وبداية القرن الثالث هجري. وتابع في ذلك أستاذه جولدزيهر في ادعاء تلفيق الأحاديث النبوية؛ حيث أن شاخت صرح بأنه استفاد من كتاب (دراسات محمدية) لأستاذه. ينظر: بدوي، عبد الرحمن. (1993). ***موسوعة المستشرقين***. (ط3). بيروت: دار العلم للملايين. ص217.

(5) ينظر: الصغير، فالح محمد. (د.ت). ***الاستشراق وموقفه من السنة النبوية***. (ط1). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد للطباعة ص90.

الحكم، ونسخ التلاوة، ونسخ الحكم والتلاوة) في القرآن الكريم، معللين ذلك بقولهم (الإقرار بوجود الآيات المنسوخة في القرآن يستلزم مخالفة القرآن نفسه، إذ يقع الجرح في العلم الإلهي بحيث أن بعض أحكام القرآن استلزم النسخ لعدم مسايرتها الظروف الزمنية).

6ـ يرى بعضهم أن لا وجود للمجمل في القرآن الكريم، كما يختلفون في مسألة تخصيص القرآن، وتقييده بغيره، فإن القرآن الكريم برئ من عيب الإجمال، والإطلاق كبراءة الله وطهارته.

7. يعتمدون في فهم القرآن وتفسيره على اللغة العربية فقط، وذلك بسبب استبعادهم للسنة النبوية الموضحة والمفصلة للقرآن، فصرفوا الآيات والأحكام عن مرادها.

8ـ تبني نظرية (مركز الملّة) التي تعني أن الآيات التي تأمر بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم غير مختصة بهما، إنما تعني طاعة الحاكم أو الإمام الذي يتولى منصب النبي صلى الله عليه وسلم من بعده.

9ـ وفي الجانب الاقتصادي، يروجون للنظرية الاشتراكية، ويطلقون عليها (نظرية نظام القرآن الاقتصادي)، وتعني سيطرة الدولة على الثروات ووسائل الإنتاج، وإلغاء الملكية الفردية[1].

شبهة عدم تدوين السنة:

يُجادل "القرآنيون" بأن عدم أمر النبي ﷺ بتدوين السنة يدل على عدم حجيتها. كما يستخدمون آيات مثل ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[2]؛ للدلالة على عدم صحة الاحتجاج بالسنة لعدم كتابتها وحفظها كتابةً مثل القرآن.

قال الدكتور: محمد توفيق أفندي الطبيب في مقاله: (الإسلام هو القرآن وحده...آراء وأفكار): «لا خلاف بين أحد من المسلمين، في أن متن القرآن الشريف مقطوع به؛ لأنه منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ بدون زيادة ولا نقصان، ومكتوب في عصره بأمر منه عليه السلام، بخلاف الأحاديث النبوية فلم يكتب منها شيء مطلقًا إلا بعد عهده بمدة تكفي لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل، ومن ذلك نعلم أن النبي عليه السلام لم يرد أن يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن الشريف الذي تكفل الله تعالى بحفظه في قوله جل شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9) فلو كان غير القرآن ضروريًّا في الدين لأَمَرَ النبي بتقييده كتابة ولتكفل الله تعالى بحفظه، ولما جاز لأحد روايته أحيانًا على حسب ما أداه إليه فهمه.

فإنْ قيل: إن النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلتبس بكلام الله، قلت: وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الإتيان بمثله ولِمَ لَمْ يضمن ما في الأحاديث من الواجبات كما ضمن ما في القرآن حتى نأمن عليه من التغيير والتحريف والاختلاف ولما كان بعض الدين قرآنًا والبعض الآخر حديثًا، وما الحكمة في ذلك، وما الفرق بين الواجب بالقرآن

(1) هيئة التحرير، (2013). ***مجلة الراصد 1 – 59***. الناشر: مركز الراصد للدراسات السياسية والاستراتيجية. (27/ 4).

(2) سورة الإسراء، الآية: (36).

والواجب بالسُّـــنة؟ فهذه بعض أســـئلة ألقيها على الباحثين ليجيبوا عنها إن كان ثَم جواب[1].

ويستشـهدون بأقوال وأفعال بعض الصـحابة في محو بعض ما كُتب من الســـنة. لكن هذه الشـــبهة استشراقية؛ فالسنة وثقت بطرق متعددة من خلال الرواية والتواتر، كما أن الحديث عن عدم تدوينها في بدايات الإسلام لا ينفي حجيتها، بل يُبرر بأسبابٍ تاريخيةٍ مختلفة. كما أن ادعاءات المســتشــرقين مثل "شـاخت" بأن أقدم الأحاديث لا ترجع إلا إلى عام 100 هجرية، ادعاءات باطلة تم دحضها.

قولهم بما أن النبي ﷺ لم يأمر بكتابة السنة أو جمعها وحفظها في قراطيس، فهذا يدل على أن السُّـــنَّة ليســت بحجة، ولأن السـنة بعد ذلك صـارت ظنيَّة الثبوت فلا يصـح الاحتجاج بها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[2]، وقال:﴿ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾[3]؛ لأن القطع لا يكون إلا بكتابتها وحفظها من التحريف والزيادات مثل القرآن، ومن أجل ذلك أمر النبي ﷺ بعدم كتابة السـنة، ومحو ما كُتب منها:

أ –فعن عائشة أن أبا بكر (رضي الله عنهما) أحرق خمسمائة حديث كتبها، وقال: «خشيت أن أموت، فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته، ووثقت به، ولم يكن كما حدثني، فأكون قد نقلت ذلك». وزاد في رواية: «فأكون قد تقلدت ذلك، ويكون قد بقي حديث لم أجده، فيقال: لو كان قاله رسول الله صلى الله عليه وســـلم ما غبي على أبي بكر إني حدثتكم الحديث ولا أدري لعلي لم أتتبعه حرفاً حرفاً»[4].

ب –فعل زيد بن ثابت عندما دخل على معاوية رضي الله عنهما، فسأله معاوية عن حديث، فأخبره به، فأمر معاوية إنســـانًا بكتبه، فقال له زيد: إن رسول الله أمرنا ألا نكتب شيئًا من حديثه فمحاه[5].

ج –لقد عزم عمر ﷺ مرة أن يكتب الســـنن، ثم

(1) رضا، (1327 هـ). ***مجلة المنار***. (9/ 515).

(2) سورة الإسراء، الآية: (36).

(3) سورة يوسف، الآية: (38).

(4) أخرجه الحاكم كما في كنز العمال (285/10)، **حديث رقم: (29460)**، من "مسند الصديق رضي الله عنه"، عن موسى بن حماد والغلابي والزيادة له. كلاهما عن المفضـل بن غسـان الغلابي عن علي بن صـالح عن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن إبراهيم ابن عمرو بن عبيد الله التيمي . وفي رواية الغلابي ـ عمر حدثني القاسم بن محمد عن عائشة ـ وفي رواية الغلابي القاســـم أو ابنه عبد الرحمن. وهذا إســـناد قال فيه الذهبي: لا يصـح. ينظر: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (1998). ***تذكرة الحفاظ***. (ط1). بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية. (1/ 11). وأورده السـيوطي، جلال الـدين. (2005). ***جمع الجوامع***. المحقق: مختـار إبراهيم الهـائج وآخرون. (ط2). القـاهرة: الأزهر الشـــريف. (14/ 354)، **حديث رقم: (622)**، وقال ابن كثير كما في الكنز: غريب من هذا الوجه جداً وعلي بن صالح لا يعرف.

(5) أورده الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. (د.ت). ***تقييد العلم***. (ط1). بيروت: إحياء السـنة النبوية. ص٣٥، وابن عبد البر، أبو عمر يوسـف بن عبد الله بن محمد بن عاصـم النمري القرطبي. (1994). ***جامع بيان العلم***. تحقيق: أبي الأشـــبال الزهيري. (ط1). المملكة العربية الســـعوديـة: دار ابن الجوزي. (٢٧١/١)، وهو منقطع؛ لأن المطلب لم يسمع من زيد كما ذكر الحافظ. ينظر: ابن حجر، أبو الفضـل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسـقلاني. (1326هـــــ). ***تهذيب التهذيب***. (ط1). الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية. (١٠/ ١٧٩).

عدل عن ذلك، عن عروة – بن الزبير –، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: «إني كنت أريد أن أكتب السنن فإني ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتبًا، فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني– والله – لا أشوب كتاب الله بشيء أبدًا»[1].

د –وردت روايات تدل على كراهية الصحابة لكتابة الحديث؛ خوفه من انشغال الناس بها وانصرافهم عن القرآن الكريم، وأن السنة لم تكتب وتدون إلا في العصور المتأخرة بعد أن اعتراها الخطأ والنسيان والتحريف والتبديل، مما يوجب الظن والشك فيها فلا يجوز الأخذ بها[2].

هناك أدلة وإنما يكفينا حديث أبي سعيد –رضي الله عنه– فهو واضح في الدلالة على النهي عن كتابة السنة في أول الأمر، ثم بعد ذلك أذن النبي –صلى الله عليه وسلم– في الكتابة، وهذا الإذن له أدلة كثيرة، وهناك قرائن تبين أن هذه الأدلة كانت في آخر حياة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

من هذه الأدلة حديث: ((اكتبوا لأبي شاة)) فها هو النبي –صلى الله عليه وسلم– يأذن لعبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله تعالى عنهما– في الكتابة، وكان ذلك بعد إسلام عبد الله الذي أسلم في السنة الثامنة للهجرة، وحديث أبي شاة كان في فتح مكة أي في رمضان من السنة الثامنة من الهجرة.

روى الإمام أحمد –رحمه الله تعالى– بسنده إلى عبد الله بن عمرو –رضي الله تعالى عنهما– قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول –صلى الله عليه وسلم– أريد حفظه. فنهتني قريش فقالوا: "إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول –صلى الله عليه وسلم– ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– بشر يتكلم في الغضب والرضا". فأمسكت عن الكتاب –يقصد الكتابة يعني، أمسكت يعني امتنعت– فامتنعت عن الكتاب أي عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: ((اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق)) الحديث سنستدل به على قضية أخرى بعد أن نشرع في الغوص في المسألة، لكن الآن نستدل به على أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أذن في الكتابة بعد النهي عنها.

والخطيب البغدادي –رحمه الله تعالى– روى في كتاب (تقييد العلم) قال بسنده إلى أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: كان رجل يشهد حديث النبي ﷺ فلا يحفظه، فيسألني، فأحدثه، فشكا قلة حفظه إلى

(1) أورده معمر بن راشد، أبو عروة معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي. (1403هـ). ***الجامع***. المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. (ط2). بيروت: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي. (11/ 257)، حديث رقم: = =(20484)، والخطيب البغدادي، (د.ت). ***تقييد العلم***. ص٥٠. وابن عبد البر، (1994). ***جامع بيان العلم***. (١/ ٦٤)،

(2) ينظر: السباعي، مصطفى بن حسني. (1982). ***السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي***. (ط3). دمشق، سوريا: المكتب الإسلامي. ص153-155.

رسول الله ﷺ فقال له النبي ﷺ: "استعن على حفظك بيمينك" أي: استعن بالكتابة لتساعدك على الحفظ؛ لأن الكتاب من أقوى الوسائل في حفظ العلم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأصلي وأسلم على خير البريات وعلى آله وأصحابه وزوجاته الطاهرات والتابعين لهم بإحسان ما دامت الأرض والسماوات، وبعد؛ فقد كانت تلك دراسة موجزة عن الاستشراق والقرآنيين تلخصت نتائجها في:

1- ظهر في القرن الثاني للهجرة بعد جيل الصحابة ﷺ، فرق ومذاهب متعددة، تدعوا كل منها إلى بعض الآراء التي مزَّقت الأمة، وشتَّتَتْ وحدتها، وأضاعت أحكام دينها التي كان عليها الجيل الذي قبلهم. وبرزت حينها طوائف تنكر حجية السنة النبوية بشكل مطلق، وأخرى تنكر خبر الآحاد، داعيةً إلى الاعتماد على القرآن الكريم وحده.

2- توجد علاقة وثيقة بين ما يسمى بـ"القرآنيين" – وهم في الحقيقة بعيدون عن فهم القرآن الصحيح – وبين المستشرقين؛ إذ يتشابهون في العديد من العقائد والتصورات.

3- ذكر جوانب محددة من شبهات هؤلاء القوم، لأن كتاباتهم ومجلاتهم وندواتهم كثيرة لا يتسع لها هذا المقام، فدراساتهم لم تتوقف عند حد معين من النقد والقدح، وإنما يشككون في كل شيء من هذا الدين، ودراسة الاستشراق والمستشرقين والقرآنيون وموقفهم من السنة وحدها، تحتاج إلى تصنيف طويل وموسوعة مطولة، إلا أننا اكتفينا بذكر بعض أقوالهم ومناقشتها في ضوء الأدلة القطعية والحقائق التاريخية.

4- رغم أن أفكار القرآنيين صارت عقيدة لدى كثير من المفكرين والأكاديميين المنتسبين إلى الإسلام، إلا أن معظمهم من الذين تغربوا أو تشرقوا، أو احتضنتهم المراكز الاستعمارية والاستشراقية، وتأثروا بهم في جميع مجالات الحياة ليس في الجانب العقدي فحسب؛ بل تغلغل هذا التأثير في وجدانهم؛ فغيَّر نظرتهم للحياة اقتصاديًّا وثقافيًّا وسياسيًّا.

5- أن الاستشراق مدرسة خطيرة من مدارس الاستعمار وحركات التنصير، فهو يشكل معهما مثلثًا خطيرًا يهدد العالم الإسلامي في عقيدته وأخلاقه واقتصاده ومجتمعه.

ثانيا: التوصيات:

1- إرشاد أبناء الأمة من الطلبة والجامعيين والعاملين في كل المؤسسات العلمية والثقافية إلى حقيقة دعاوى القرآنيين، وتوضيح أهدافهم في المنطقة الإسلامية، والجهات التي تدعمهم حتى يكونوا على حذر تام من تلوثهم الفكري وشبهاتهم الباطلة.

2- حرص الجامعات في البلاد الإسلامية، وبخاصة في أقسام السنة النبوية على تجلية هذه المذاهب ودراسة الشبه ودحضها.

3- أن تحرص المراكز العلمية على ترجمة ما يذكره القرآنيون قديمًا وحديثًا والتنبه له مبكرًا.

4- أن ينبرى المختصون لربط الشبة الموجهة إلى

السنة النبوية مهما كان مصدرها، وحصرها.

5- أن يقوم المختصون بمتابعة ما يجد في تخصصاتهم حول السنة النبوية ونشرها والدفاع عنها بمختلف الوسائل الممكنة.

6- الانتباه اليقظ من الأمة، وأن تعد العدة في كل لحظة لمواجهة أي عدوان فكري مرتقب، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والمعرفة، والاطلاع على ثقافة العدو وكشف زيفها أمام العالم، وهتك الستار الكاذب الذي يتزين به.

والله الموفق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

المراجع العربية:

1- أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. (2001). ***مسند أحمد***. المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

2- الإسكندراني، أحمد. (1934). ***المفصل في تأريخ الأدب العربي***. (ط1). القاهرة: مطبعة مصر.

3- الألباني، محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري. (1998). صحيح الجامع الصغير وزيادته. (ط3). دمشق: المكتب الإسلامي.

4- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي. (2002). ***صحيح البخاري***. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط1). بيروت: دار طوق النجاة.

5- بخش، خادم حسين إلهي. (2000). ***القرآنيون وشبهاتهم حول السنة***. (ط2). الطائف. المملكة العربية السعودية: مكتبة الصديق.

6- بدوي، عبد الرحمن. (1993). ***موسوعة المستشرقين***. (ط3). بيروت: دار العلم للملايين.

7- البغدادي، الخطيب. (1432هـ). الكفاية في معرفة أصول علم الرواية. المحقق: ماهر ياسين الفحل. (ط1). الدمام، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

8- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني. (2003). ***السنن الكبرى***. المحقق: محمد عبد القادر عطا. (ط3). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

9- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. (1975). ***سنن الترمذي***. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي. (ط2). القاهرة، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

10- التميمي، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي. (2000). ***أصول الإيمان***. تحقيق: باسم فيصل الجوابرة. (ط5). المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

11- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. (1995). ***مجموع فتاوى***. المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (ط2). المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

12- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن

محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. (1326هـ). ***تهذيب التهذيب***. (ط1). الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية.

13- حكيم، محمد طاهر. (1982). ***السنة في مواجهة الأباطيل***. (ط1). مكة الكرمة: مجلة دعوة الحق، ع12.

14- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. (د.ت). ***تقييد العلم***. (ط1). بيروت: إحياء السنة النبوية.

15- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني. (د.ت). ***سنن أبي داود***. المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد. صيدا، بيروت: المكتبة العصرية.

16- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (1998). ***تذكرة الحفاظ***. (ط1). بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

17- الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد. (1994). ***المفردات في غريب القرآن***. المحقق: صفوان عدنان الداودي. (ط1). دمشق: دار القلم.

18- رضا، محمد رشيد بن علي. (1327 هـ). ***مجلة المنار***. (ط2). المنصورة، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر.

19- السباعي، مصطفى بن حسني. (1982). ***السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي***. (ط3). دمشق، سوريا: المكتب الإسلامي.

20- سعيد، إدوارد. (1981). ***الاستشراق المعرفة- السلطة- الإنشاء***. ترجمة: كمال أبو ذيب. (2005). بيروت، لبمام: مؤسسة الأبحاث العربية.

21- السيوطي، جلال الدين. (2005). ***جمع الجوامع***. المحقق: مختار إبراهيم الهائج وآخرون. (ط2). القاهرة: الأزهر الشريف.

22- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع. (1980). ***مسند الشافعي***. (ط1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

23- الشرقاوي. محمد. (1993). ***الاستشراق دراسة تحليلية تقويمية***. (ط1). القاهرة: دار الفكر العربي.

24- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد. (1993). ***الملل والنحل***. (ط3). القاهرة: مؤسسة الحلبي.

25- الصغير، فالح محمد. (د.ت). ***الاستشراق وموقفه من السنة النبوية***. (ط1). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد للطباعة.

26- الصغير، فالح. (د.ت). ***الاستشراق وموقفه من السنة النبوية***. (ط1). المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

27- الطالبي، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني. (1999). ***نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر***. (ط1). بيروت، لبنان: دار ابن حزم.

28- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. (2000). ***جامع البيان في تأويل القرآن***. المحقق: أحمد محمد شاكر. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

29- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي. (1994). ***جامع بيان العلم***. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. (ط1). المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

30- العفاني، سيد بن حسين بن عبد الله. (2006). ***وا محمداه إن شانئك هو الأبتر***. (ط1). القاهرة: دار العفاني.

31- غراب، أحمد عبد الحميد. (1991). ***رؤية إسلامية للاستشراق***. (ط2). الرياض: المنتدى الاسلامي.

32- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. (1979). ***مقاييس اللغة***. المحقق: عبد السلام محمد هارون. (د.ط). بيروت: دار الفكر.

33- القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي. (2002). ***مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح***. (ط1). بيروت، لبنان: دار الفكر.

34- لاشين، موسى شاهين. (1411هـ). ***السنة والتشريع***. القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

35- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. (د.ت). ***النكت والعيون***. المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (ط1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

36- مزروعة، محمود محمد. (2009). ***شبهات القرآنيين حول السنة النبوية***. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

37- مزيد، على عبد الباسط. (2023). ***منهاج المحدثين في القرن الأول الهجري وحتى عصرنا الحاضر***. (ط1). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

38- مطبقاني، مازن بن صلاح. (1995). ***الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس***. الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية.

39- معمر بن راشد، أبو عروة معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي. (1403هـ). ***الجامع***. المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. (ط2). بيروت: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي.

40- موسى، محمد بن علي بن آدم. (2006). ***مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه***. (ط1). الرياض، المملكة العربية السعودية: دار المغني.

41- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري. (د.ت). **صحيح مسلم**. المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

42- الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي البرهانفوري.

(1981). ***كنز العمال***. المحقق: بكري حياني - صفوة السقا. (ط5). بيروت: مؤسسة الرسالة.

43- هيئة التحرير، (2013). ***مجلة الراصد 1 59***. الناشر: مركز الراصد للدراسات السياسية والاستراتيجية.

المراجع الأجنبية:

Beinin ،Joel. (1987) Review of Semites and Anti-Semites: An Inquiry into Conflict and Prejudice by Bernard Lewis". MERIP Middle East Report. N 147.

Arrasikhun Journal، Special Issue, February 2026

ISSN: 2462-2508

الرد على المخالف في مسائل الأصول في عهد الخلفاء الراشدين

وليد بن محمد بن علي أبو عجمه
باحث دكتوراه بقسم الدعوة وأصول الدين
جامعة المدينة العالمية ماليزيا
Waleed0404@hotmail.com

د. محمد السيد البساطي
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة وأصول الدين
جامعة المدينة العالمية ماليزيا
khaled.nabawy@mediu.my

الملخص

الاختلاف سنة من سنن الله تعالى في خلقه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118-119]، نحتاجه في عصرنا الحاضر، في ظل كثرة الاختلافات، مع قلة الفقه، والتقصير في الأدب مع المخالفين، إلى دراسة تسعى لبيان منهج الرد على المخالف في عصر القرون المفضلة وبالتحديد في عهد الخلفاء الراشدين، مع استخراج المقاصد الدعوية، وبيان المناهج الدعوية، وتضمنت الدراسة مسائل الخلاف في الأصول ، باستخدام المنهج الوصفي والتحليلي والتاريخي، وكان من أهم ما توصلت إليه الدراسة، هو أهمية الرد على المخالف في سبيل الوصول إلى الحق، وأن التعامل في الخلاف في المسائل الشرعية له الأثر في قوة المسلمين وتماسك المجتمع وخصوصا في أحداث الفتن.

Abstract

Difference is one of the Sunnahs of Allah in His creation ,the Almighty said" :And if your Lord had willed ,He would have made mankind one nation ,and they would still be different , except from the womb of your Lord ,and that is why He created them ,and the word of your Lord has been fulfilled, so that I would fill Hell with Paradise and all mankind ".The study included issues of disagreement in the origins ,using the descriptive ,analytical and historical method ,and one of the most important findings of the study was the importance of responding to the violator in order to reach the truth ,and that dealing with disputes in legal matters has an impact on the strength of Muslims and the cohesion of society ,especially in the events of strife.

المقدمة

خلفية البحث:

إنَّ مصادر الشريعة الأصيلة موافقة للطبع السليم، ولقد بذل الخلفاء الراشدون جهودًا في خدمتها، ومن تلك الجهود الرد على المخالف لها؛ وهذا البحث بعنوان: (**الرد على المخالف في مسائل الأصول في عهد الخلفاء الراشدين**)، للإفادة منه في إصلاح أحوال المسلمين في أمور دينهم ودنياهم. وتقويم أخلاقها وضبط أقوالها وأفعالها حتى يعود التعايش والمنعة والقوة للمسلمين، وذلك بالدعوة إلى الله بمنهج قويم وخلق إسلامي رفيع باجتماع العقل والعاطفة، ويتوج ذلك العلم، أسأل الله التوفيق والقبول.

مشكلة البحث

يعتبر الرد على المخالف محل إشكال، وذلك من حيث الموازنة بين فجوة الخلاف ومساحته، وبين أهداف الردود وثمرتها، فإذا كان الرد على المخالف مطلوب فإن له آدابه وآلياته، وهذا ما يعالجه البحث في محاولة الكشف عن منهج وآداب وآليات الرد على المخالف في عهد الخلفاء الراشدين.

أسئلة البحث

تتمحور تساؤلات البحث حول ما يلي:

س 1: ما المقاصد الدعوية في الرد على المخالف في مسائل الأصول في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ؟

س 2: ما الأساليب الدعوية في الرد على المخالف في مسائل الأصول في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى إبراز مفهوم الرد على المخالف، وبيان معالم عهد الخلفاء الراشدين.

وإبراز المقاصد والأساليب والمناهج الدعوية كضوابط في الرد على المخالف في مسائل الأصول.

مصطلحات البحث

الأصل:

الأصل في اللغة: يدل على ما بُني عليه غيره، فأصل الجدار أساسه الذي يبنى عليه[1].

الأصل في الاصطلاح:

تختلف دلالة الأصل بحسب الموضوع، وقد وردت عدة تعريفات من ذلك:

الأصول: الدين ينقسم إلى معرفة وطاعة، فالمعرفة هي التوحيد، وهي الأصول، والطاعة هي الفقه، وهي الفروع[2].

أهمية البحث

تكمن أهمية الموضوع فيما يلي:

أولًا: أننا في زمان قل فيه العلم، وكثر المخالفون، وراجت الفتن والأهواء، فيحتاج الدعاة فيه إلى الحكمة في دعوتهم والرجوع إلى سلفهم.

ثانيًا: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُربي الصَّحابة ويعلمهم هذا المنهج، ويرسخه فيهم، فمن سار على هذا المنهج في الذب عن دين الله ظهر الحق على يديه بصورة جميلة وانكشف الباطل بصوره القبيحة.

(1) زكريا الأنصاري، **الحدود الأنيقة التعريفات الدقيقة**، ط1. (ص: 66)، والزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط1. (27/ 447).

(2) المرجع السابق (ص: 70).

الدراسات السابقة:

لم تخل الساحة من دراسات في الرد على المخالف وشرح آداب البحث والمناظرة ومشروعية الرد عليهم إذا دعت إليه الحاجة ومن أهم الدراسات السابقة التي لها تداخل في هذا البحث ما يلي:

الدراسة الأولى: (الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة– دراسة تحليلية في أصول سياسة التشريع ومقاصده وتاريخه)، تأليف د. عبدالرحمن بن معمر السنوسي، أصل الكتاب رسالة دكتوراه، الإصدار الحادي والعشرون، الوعي الإسلامي، ط1، 1432هـ2011م.

أوجه الاختلاف بين هذه الدراسة وبحثي:

هذه الدراسة متعلقة بموضوع الاجتهاد بالرأي وما يتعلق به في عصر الخلفاء الراشدين.

وبحثي متعلق بالرد على المخالف عند الخلفاء الراشدين، سواء كان الخلاف متعلقًا بالنص أو بالاجتهاد.

أن هذه الدراسة ذات طابع فقهي أصولي.

وبحثي ذا طابع دعوي، يتعلق بموضوع الدعوة من حيث المقاصد والأساليب والمنهج.

أن هذه الدراسة تعتني بمسائل الاجتهاد.

ودراستي تتناول الرد على المخالف في مسائل الخلاف فقط.

الدراسة الثانية: كتاب **(تغير الفتوى عند الخلفاء الراشدين)**، تأليف د. عبدالحكيم الرميلي، طبعة مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم.

أوجه الاختلاف بين هذه الدراسة وبحثي:

أن هذه الدراسة متعلقة بموضوع تغير الفتوى عند الخلفاء الراشدين ﷺ.

وبحثي متعلق بردود الخلفاء الراشدين على المخالفين.

أن هذه الدراسة ذات طابع فقهي أصولي.

ودراستي ذات طابع دعوي، تتعلق بموضوع الدعوة من حيث المقاصد والأساليب والمنهج.

أن هذه الدراسة تعتني بمسائل تغير الفتوى.

ودراستي تتناول الرد على المخالف في مسائل الخلاف التي يقع الخلاف فيها بسبب الاجتهاد.

الدراسة الثالثة: (اتفاق الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأثره في الأحكام)، تأليف د. عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم العويد، الأستاذ المشارك بقسم أصول الفقه كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

أوجه الاختلاف بين هذه الدراسة وبحثي:

أن هذه الدراسة متعلقة بموضوع أحكام اتفاق الخلفاء الراشدين.

وبحثي متعلق بالرد على المخالف عند الخلفاء الراشدين.

الدراسة الرابعة: (السياسة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين)، تأليف: عبد المتعال الصعيدي.

أوجه الاختلاف بين هذه الدراسة وبحثي:

أن هذه الدراسة متعلقة بموضوع السياسة الداخلية والخارجية.

وبحثي متعلق بالسياسة الشرعية بالرد على المخالف من ناحية دعوية.

الدراسة الخامسة: (السياسة الأمنية للخلفاء الراشدين (11 – 40 هـ / 632 – 661م)، رسالة دكتوراه في تخصص التاريخ الإسلامي، إعداد ماجدة عمر عبدالله الصيعري، 1436هـ/2015م.

أوجه الاختلاف بين هذه الدراسة وبحثي:

أن هذه الدراسة متعلقة بسياسة الخلفاء الراشدين من الناحية الأمنية قولًا وأمرًا وفعلًا.

وبحثي متعلق بالسياسة الشرعية بالرد على المخالف من الناحية الدعوية.

أن هذه الدراسة ذكرت الأحداث التي تهدد الأمن الداخلي وكيف تعامل معها الخلفاء الراشدين.

وبحثي يتناول الرد على المخالف في الفروع والأصول والسياسة الشرعية من ناحية دعوية.

الدراسة السادسة: (فقه الرد على المخالف)، تأليف: أ.د خالد السبت، 1431هـ/2010م.

أوجه الاختلاف بين هذه الدراسة وبحثي:

أن هذه الدراسة لم تتعلق بعصر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين.

بينما موضوع بحثي متعلق بعصر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين.

أن هذه الدراسة ذات طابع عقدي في الرد على المخالف.

بينما بحثي ذا طابع دعوي، يتعلق بموضوع الدعوة من حيث المقاصد والأساليب والمنهج.

منهج البحث

استخدم الباحث المنهج الوصفي في عرض الرد على المخالف، وكذلك المنهج التحليلي في إيضاح الردود، وذلك بتحليل الردود ومحاولة استنباط منهجهم، والفوائد المستفادة منه، وذلك في إطار المنهج التاريخي، لتعلق البحث بحوادث تاريخية.

ويقوم المنهج الوصفي على دراسة المشكلات العلمية ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية، لها دلائل وبراهين تمنح الباحث القدرة على وضع أطر محددة لكل مشكلة.

أما المنهج التحليلي فيعتمد على تفكيك العناصر الأساسية للموضوعات، ثم دراستها بأسلوب متعمق، وفي ضوء ذلك يتم استنباط أحكام أو قواعد تساعد في حلول الإشكاليات العلمية.

ويرتكز المنهج التاريخي على تتبع الحقائق والمعلومات عن فترات ماضية، ونقدها بحياد وبموضوعية؛ للتأكد من جودتها وصحتها، ثم إعادة صياغتها للتوصل إلى نتائج مُدعمة بالأدلة والقرائن المقبولة.

الرد على المخالف في مسائل الأصول في عهد الخلفاء الراشدين

أولًا: مفهوم الرد:

ترجع دلالات الرد في اللغة على أصل واحد مطرد مُنْقَاس، وهو رجع الشيء. تقول: رددت الشيء أرده ردًا، وسمي المرتد لأنه رد نفسه إلى كفره[1].

وقد ورد الرد في القرآن متصرفًا على وجوه، منها: **﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ 11﴾** [سورة الرعد]، وفيه: **﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ 43﴾** [سورة الروم] قال ثعلب: يعني يوم القيامة، لأنه شيء لا يرد.

(1) ابن فارس، **مقاييس اللغة**، د. ط. (2/ 386).

وفي الحديث الصحيح: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[1] أي مردود عليه، يقال أمر رد، إذا كان مخالفًا لما عليه السنة، وهو مصدر وصف به.

ورد عليه الشيء، إذا لم يقبله، وكذلك إذا خطأه.

وعن جماعة من أهل الاشتقاق والتصريف أن رد يتعدى إلى المفعول الثاني بإلى، عند إرادة الإكرام، وبعلى، للإهانة، واستدلوا بنحو قوله تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة القصص: 13]

وبقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران: 149]، ونقله الجلال السيوطي وسلمه، قال الزبيدي: فتأمله، فإن الاستقراء ربما ينافيه[2].

ويقال هذا أمر لا رادة له، أي لا مرجوع له ولا فائدة فيه. والردة: تقاعس في الذقن، كأنه رد إلى ما وراءه. والردة: قبح في الوجه مع شيء من جمال، يقال في وجهها ردة، أي إن ثم ما يرد الطرف، أي يرجعه عنها. والمتردد: الإنسان المجتمع الخلق، كأن بعضه رد على بعض. ويقال – وفيه نظر – إن المردودة الموسى، وذلك أنها ترد في نصابها. ويقال نهر مرد: كثير الماء. وهذا مشتق من ردة الشاة والناقة. ومن الباب رجل مرد، إذا طالت عزبته; وهو من الذي ذكرناه من ردة الشاة، كأن ماءه قد اجتمع في فقرته[3].

الرد في الاصطلاح:

لا تختلف دلالة الرد في الاصطلاح عن مفهومه اللغوي، فيدل في سياقه على الرد والرفض وعدم القبول.

ويستعمله الفقهاء في الفرائض بمعنى: صَرْفُ ما فَضَل عن فَرْضِ ذوي الفروض، ولا مستحقّ له من العصبات إليهم بقدر حقوقهم[4].

أما في التصرفات الموقوفة عند الفقهاء: فهو كلُّ ما يدلُّ على رفضِ مَنْ توقَّفَ العقدُ على إجازته إمضاء العقد وإنفاذه.

ولا فرق بين كونه بالقول أو بالفعل، ذلك أن من له حق الإجازة إذا اختار رد التصرف المتوقف عليها كان له ذلك، وإذا ردَّه فليس له أن يجيزه بعد ذلك، لأنه بالردّ أصبح التصرف باطلًا [5].

ثانيًا: مفهوم الخلاف:

الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغير[6].

فمن الباب الأول الاختلاف مصدر اختلف، وهو افتعال من الخلاف، وهو تقابل بين رأيين فيما ينبغي

(1) أخرجه مسلم، **صحيح مسلم** (3/ 1343) كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (1718).

(2) الزبيدي، **تاج العروس**، ط1، (8/ 88-89).

(3) ابن منظور، لسان العرب، ط3، (3/ 172)

(4) الجرجاني، **التعريفات**، ط1، (ص: 110)، **وشرح الفصول المهمة في مواريث الأمة**، د. ط (2/ 689).

(5) مجموعة من المؤلفين، **الفتاوى الاقتصادية** (ص: 87).

(6) ابن فارس **مقاييس اللغة**، د. ط، (2/ 210).

انفراد الرأي فيه، وهو نقيض الاتفاق[1].

وتخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الأخر وهو ضد الاتفاق؛ لأن كل واحد منهم ينحي قول صاحبه، ويقيم نفسه مقام الذي نحاه[2].

والخلاف أعمُّ من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، وذلك لأن الاختلاف نوعين:

– اختلاف تَنَوُّع: وهو عبارة عن الآراء المتعددة التي تَصُبُّ في مَشْرَبٍ واحد، ومن ذلك ما يُعرف بالخلاف الصُوري والخلاف اللفظي والخلاف الاعتباري، ومن ذلك ما يُعرف بالاختلاف المحمُود، وهو الاختلاف الحاصل نتيجة الاجتهاد في المسائل الاجتهادية التي ليس فيها دليل واضح من كتاب أو سنَّة أو إجماع في قضايا متفاوتة.

– اختلاف تَضَاد: وهو عبارة عن الآراء أو الأقوال المتنافية المتنافرة، سواء أكان في أصول الدين أم في فروعه[3].

الخلاف في الاصطلاح:

لا يختلف المعنى الشرعي للخلاف عن المعنى اللغوي، إلا أنه مقصور على الاختلاف في المسائل الشرعية، فالعلاقة بين المعنيين هي علاقة عموم وخصوص مطلق، ذلك أن علماء الشريعة يطلقون الخلاف على المسائل الشرعية التي لم يجمع عليها، فالخلاف ضد الإجماع[4].

ونعني بالخلاف هنا ما هو أشمل من الخلاف في المسائل الفقهية الاجتهادية، فيدخل في ذلك المخالفة في المسائل الاعتقادية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[سورة آل عمران: 105][5].

وقد عرف الخلاف بعض المتأخرين بأنه: منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو إبطال باطل وهو أعم من المضادة [6].

ثالثًا: مشروعية الرد على المخالف:

لما كان التفاوت في العقل والفهم والعلم والدين من الحكمة الخلقية، والفطرة التي فطر الله الناس عليها، وكان من المقتضيات الحتمية لهذا التفاوت أن يقع الاختلاف بين الناس.

فلا يتعدد الحق بتعدد آراء الخلق؛ لهذا كانت نصرة الحق أولى من اتباع الخلق، فالحق أحق أن يتبع.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين

(1) الأزهري، **تهذيب اللغة** (7/ 169).

(2) الزبيدي، **تاج العروس**، ط1، (23/ 275).

(3) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى لابن تيمية**، د. ط. (58/6)، وللدكتور صالح السدلان **الائتلاف والاختلاف**، ط1. (ص42)، وللدكتور عبد الله الطريقي، **فقه التعامل مع المخالف**، ط1. (ص21)، وللدكتور ياسر برهامي، **فقه الخلاف بين المسلمين**، ط1. (ص15).

(4) د. يوسف الشبيلي، **فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب**، د. ط، (ص: 4).

(5) د. يوسف الشبيلي، **فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب**، د. ط، (ص: 4).

(6) الجرجاني، **التعريفات الفقهية**، ط1، (ص: 89).

وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[1]. وهذا نص في مشروعية الرد على المخالف الذي جانب الصواب أيًّا كان، وعلى أي مستوى كان الخلاف سواء كان في الأصول أو في الفروع، ولا شك أن هذا من المصلحة العامة، وفيه درء للمفاسد، وهو مقتضى المنطق السليم.

وينقسم الخلاف في الإطار الشرعي إلى قسمين: خلاف محمود، وخلاف مذموم.

أما الخلاف المحمود: فالمراد به الخلاف الذي هو ناتج عن اختلاف أنظار الفقهاء المجتهدين نظرًا لظنية النصوص ثبوتًا أو دلالة فهذا الخلاف محمود، بل هو دليل على حيوية الدين الإسلامي.

أما الخلاف المذموم: فالمراد به الخروج عن المسلمات الإيمانية من اعتقاد أو قول أو عمل، والذي يوصف صاحبها بالكفر أحيانًا وبالبدعة أحيانًا أخرى.

يقول الشاطبي رحمه الله: "فكل مسألة حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة، علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتنافر والتنابز والقطيعة، علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء، وأنها التي عني رسول الله ﷺ بتفسير الآية، وهي قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[سورة الأنعام: 159]، وقد تقدمت، فيجب على كل ذي دين وعقل أن يجتنبها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[سورة آل عمران: 103]، فإذا اختلفوا وتقاطعوا، كان ذلك لحدث أحدثوه من اتباع الهوى..

وهو ظاهر في أن الإسلام يدعو إلى الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف، فكل رأي أدى إلى خلاف ذلك، فخارج عن الدين"[2].

والناس في موقفهم من الأخطاء ونقدهم لأصحابها طرفان ووسط:

الطرف الأول: أهل الغلو والإفراط، وهم الذين أفرطوا في نقد الأخطاء وأصحابها حتى جعلوا من الفروع أصولًا ومن بعض الجزئيات كليات، وجعلوا همَّهم تصيد الأخطاء والفرح بها وتضخيمها، ولم يرحموا من وقع فيها من طلاب العلم بل جاروا عليهم في ذلك حتى أساءوا الظن بهم، وبنواياهم.

الطرف الثاني: أهل التفريط والإضاعة، وهؤلاء وإن كانوا قد فرَّطوا في الأخذ بالحق ورد الباطل، والتقليد الأعمى، إلا إنهم وقعوا في المقابل في الغلو في الرجال

(1) البيهقي، **السنن الكبرى، ط3**. (21/ 94) باب الرجل من أهل الفقه يسال عن الرجل، حديث رقم: (20952) وصححه الألباني في **تحقيق مشكاة المصابيح** (1/ 82) برقم: (248)

(2) الشاطبي، **الموافقات**، ط1. (5/ 163) الشاطبي، **الاعتصام** للشاطبي ت الهلالي، ط1. (2/ 734).

والتعصب لأخطائهم ولسان حالهم يقول بالعصمة لمن قلدوهم.

يقول الإمام ابن القيم في وصف أهل الطرفين السابقين -بعد أن ذكر فضل أئمة الإسلام-: «فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما، فلا نؤثّم ولا نَعْصِم، ولا نسلك بهم مسلك الرافضة في علي ﷺ ولا مسلكهم في الشيخين»[1].

الطائفة الثالثة: وهم أهل العدل والإنصاف الذين أعطوا كل ذي حق حقه.

المبحث الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالرد على المخالف في مسائل الأصول:

يعتبر الرد على المخالف في مسائل الأصول من أهم المقاصد الدعوية في عهد الخلفاء الراشدين، وإذا كان الخلاف في الفروع سائغًا فإن الخلاف في الأصول تعسف، والاجتهاد فيها تكلف، والنص فيها دليل وبرهان.

1- مسألة مانعي الزكاة:

حرص الصحابة على وحدة كلمتهم وصفهم في أمر قتال مانعي الزكاة، ورد أبو بكر رضي الله عنه على من خالفه من الصحابة في شأن قتالهم بحجة وبيان وعزم وقطع لا يقبل المساومة.

فالزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة، وقرنها الله تعالى بالصلاة في اثنتين وثمانين آية من كتابه، وقد فرضها الله تعالى بكتابه، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع أمته[2].

واشتهرت شهرة جعلتها من ضروريات الدين، بحيث أن من جحد وجوبها كفر، أما من امتنع عن أدائها -مع اعتقاده وجوبها- فإنه يأثم بامتناعه دون أن يخرجه ذلك عن الإسلام، وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهرًا ويعزره، وكذا لو امتنع قوم عن أدائها - مع اعتقادهم وجوبها.

المقاصد المستخرجة من الحدث:

الثبات في الحق وعدم التردد والرجوع إلى النص عند الخلاف.

وذلك لأن أشرف الأركان بعد الشهادة الصلاة، التي هي حق الله، عز وجل، وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين.

الفقه في الدين والعلم بالأدلة: قد كان لأبي بكر ﷺ من الفقه ما استطاع به أن يحسم الخلاف، فاتفق الصحابة ﷺ معه على قتال مانعي الزكاة، وكذا اتفق الأئمة من بعدهم.

2- مسألة جمع الأمة على مصحف واحد:

كان القرآن على عهد رسول الله ﷺ متفرقًا في الصحف، وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ وقتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة في قتال مسيلِمة الكذاب أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق بجمع القرآن مخافة أن يذهب بموت القراء، فجمعه في صحف غيرَ مرتب السور، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر، ثم عند عمر بعده، ثم عند ابنته حفصة أم المؤمنين ثم حدث اختلاف الناس في القران في عهد عثمان ﷺ فحسم

(1) ابن القيم، **إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1**. (3/ 220).

(2) السيد سابق، **فقه السنة**، ط3. (1/ 327).

عثمانﷺ هذا الاختلاف وقضى على شرر الفتنة وعلى مدى أربعة عشر قرنًا إلى اليوم والمسلمون متفقون بجمع عثمان ﷺ[1] الأمة على مصحف واحد.

المقاصد المستخرجة من الحدث:

حمل الناس على الاتفاق في أصول الشرع ووحيه المنزل: فقد حسم عثمان ﷺ الاختلاف في القرآن وقضى على الفتنة، وعلى مدى أربعة عشر قرنًا إلى اليوم والمسلمون متفقون بجمع عثمان[2].

قطع دابر الخلاف واستئصال موارده: حتى لا تتأتى إثارته في المستقبل، خشية أن يُفتن الناس في أمر دينهم، وتتفرق كلمتهم ويتشتت شملهم.

3- مسألة الانكار على الخوارج والشيعة:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بحفظ الضروريات الخمس التي أولها ورأسها وأساسها العقيدة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل من اعتدى عليها، وأراد تغييرها فقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[3].

وعن العرباض بن سارية، قال: «وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة»[4].

الشواهد:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وأول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج، والشيعة، حدثتا في أثناء خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فعاقب الطائفتين، أما الخوارج فقاتلوه، فقتلهم، وأما الشيعة فحرق أغلبهم بالنار، وطلب قتل عبدالله بن سبأ فهرب منه، وأمر بجلد من يفضله على أبي بكر، وعمر وروى عنه من وجوه كثيرة أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر»، ورواه عنه البخاري في صحيحه[5].

المقاصد المستخرجة من الحدث:

إنكار البدع التي يثيرها بعض المخالفين: حذر النبي ﷺ وأصحابه من البدع ومحدثات الأمور وأمروهم بالاتباع الذي فيه النجاة من كل محذور.

مواجهة البدع والمبتدعين: واجه علي بن أبي طالب البدع والمبتدعين وأمر بجلد من يفضله على أبي بكر

(1) ابن أبي داود، **المصاحف** (ص: 97) وصححه ابن حجر **في فتح الباري**: (9/ 18) د. ط. وذكر ابن كثير في **البداية والنهاية**، ط1. (9/ 149) القصة بتفاصيلها.

(2) ابن أبي داود، **المصاحف** (ص: 97) وصححه ابن حجر في **فتح الباري**: (9/ 18) د. ط. وذكر ابن كثير في **البداية والنهاية**، ط1. (9/ 149) القصة بتفاصيلها.

(3) البخاري، **صحيح البخاري**، د. ط. (4/ 61) كتاب الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله، حديث رقم: (3017).

(4) الترمذي، **سنن الترمذي**، د. ط. (5/ 44) باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم: (2676) وصححه.

(5) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، د. ط. (279/3).

وعمر؛ وروى عنه من وجوه كثيرة أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر.

4- مسألة إنكار الشبهات.

يجب تقديم الشرع على الهوى والرأي، وهذا أصل عظيم يختلف فيه أهل السُّنَّة المتبعون لرسولهم ﷺ عن مخالفيهم من جميع الطوائف والفرق، حيث قال: ".. معلوم وجوب تقديم النص على الرأي، والشرع على الهوى، فالأصل الذي افترق عليه المؤمنون بالرسل والمخالفون: تقديم نصوصهم على الآراء، وشرعهم على الأهواء، وأصل الشر من تقديم الرأي على النص، والهوى على الشرع. فمن نَوَّرَ الله قلبه، فرأى ما في النص والشرع من الصلاح والخير، وإلا فعليه الانقياد لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه، وليس له معارضته برأيه وهواه".

الشواهد:

عن عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: بعد لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته- ولم أر والحمد لله إلا خيرًا- قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: ما رأيت؟

قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصا فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مئة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك، وانتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم؟!، ثم مضى، ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟

قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم [1].

المقاصد المستخرجة من الحدث:

التحذير من الشبهات التي هي وسيلة الفتن، وطريق إلى المحرمات:

وقد أشار الله تعالى إلى ذلك فقال: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ**

(1) الدارمي، سنن الدارمي (ص: 142) باب: في كراهية أخذ الرأي، حديث رقم: (222)، وصححه الألباني في **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: (5/ 11).

﴿زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة آل عمران7 :].

يعني: أن الذين في قلوبهم زيغ يغلون في طلب التأويل للمتشابه؛ فيقعون على التأويل المظلم؛ فذلك ابتغاء الفتنة؛ لأن من غلا في الدين، وطلب تأويل ما لا يعلمه إلا الله، يقع في الفتنة، ويكون مفتونًا، وخير الدين: النمط الأوسط الذي ليس فيه غلو ولا تقصير[1].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[2].

إن سبيل الحق واحد والشبهات سبب للضلال:

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا، وَخَطَّ عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الْخَطِّ، وَعَنْ شِمَالِهِ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا، وَهَذِهِ السُّبُلُ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ 153﴾ [سورة الأنعام]»[3].

5- مسألة القول بالرأي في مسائل الأصول:

كان الصحابة ﷺ أشد الناس تمسكًا بالنص، واقتداء بالسنة، وبعدًا عن الرأي، وكانوا يزجرون عن القول في الدين بالرأي، فرأس البلية في هذا الابتداع القول في الدين بالرأي، فما من أحد يبتدع، أو يتبع مبتدعًا إلا استدل على بدعته بالرأي. وقد ظهرت مبادىء هذه البدع والأهواء في القرون الأولى قرون العلم بالسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما زال أمرها يستفحل حتى وصلت إلى ما نراه الآن. وما شرع من اجتهاد الرأي في حديث معاذ وغيره؛ فهو خاص بالقضاء لا بأصول الدين وعباداته، فقد أكمل الله دينه، فلم يترك فيه نقصًا يكمله غيره بظنه ورأيه بعد وفاة رسوله، وليس لقاضٍ ولا مفتٍ أن يسند رأيه الاجتهادي إلى الله، فيقول: هذا حكم الله، وهذا دينه، بل يقول: هذا مبلغ اجتهادي، فإن كان صوابًا فمن توفيق الله وإلهامه، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان[4].

الشواهد:

قول علي ﷺ: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله

(1) السمعاني، **تفسير السمعاني**، ط1. (1/ 295).

(2) مسلم، **صحيح مسلم**، د. ط. (3/ 1219) كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم: (1599).

(3) رواه الحاكم في **المستدرك**، ط1. (2/ 261) برقم: (2938). وصححه ووافقه الذهبي.

(4) الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ط1**. (9/ 297).

صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه»[1].

المقاصد المستخرجة من الحدث:

عدم القول بالرأي في مسائل الأصول فالقول فيها بالرأي سبب للافتراق والفتنة:

وقد أنذر رسول الله ﷺ بالافتراق بسبب اختلاف الآراء والأهواء، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «تَفَرَّقَتِ اليَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[2].

عدم القول بالرأي والخرص والظن والقياس من غير بينة ولا أصل معتبر

ويدخل في نطاق القول بالرأي: الخرص، والظن، والقياس من غير بينة ولا أصل معتبر، يقول أبو عمر بن عبد البر: "هذا هو القياس على غير أصل، والكلام في الدين بالخَرْصِ والظن،.... فمن جهل ذلك وقال فيما سُئِل عنه بغير علم، وقَاسَ برأيه ما خرج به عن السنة؛ فهذا الذي قاس الأمور برأيه فَضَلَّ وَأَضَلَّ "[3].

المبحث الثاني: الأساليب الدعوية المتعلقة بالرد على المخالف في مسائل الأصول:

يحتاج تبليغ الدعوة إلى أساليب تعين الداعية وتسهّل طريقه نحو أهداف الدعوة وغاياتها، وتندرج تلك الأساليب في ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وعلى هذا فإن الأساليب عامل لا يستهان به في سبيل نجاح الدعوة إلى الله تعالى نحو أهدافها والأساليب الدعوية هي الطرق والفن والكيفيات التي يسلكها الداعية عند التطبيق العملي في الدعوة.

والأسلوب الدعوي إنما يعمل به رغبة في إحداث التأثير والإقناع في المدعو تجاه الفكرة أو الرسالة الدعوية، وإن لم يصل الداعية إلى ذلك التأثير المطلوب؛ لأن التأثر والإقناع قد يرجعان إلى شخص المدعو ونفسيته.

أما الداعية فهو مطالب باستخدام الأساليب المناسبة لإقناع المدعو بما يدعوا إليه.

وعلى هذا فإن الأسلوب في العملية الدعوية جزء من ماهيتها، وداخل في صميمها، فالأسلوب إذن من أركان الدعوة[4].

وقد أرشد الله إلى استعمال الأساليب في قوله تعالى: **﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾** [سورة النحل125].

فالحكمة في الآية لها معان كثيرة ومن معاني الحكمة التي هي من الأساليب: الإحكام والإتقان، وإصابة الحق في القول والعمل، ووضع كل شيء في محله، والنظر في أحوال المدعوين وظروفهم ومراعاة ذلك

(1) أبو داود، سنن أبي داود، ط1. (1/ 42) باب كيف المسح، حديث رقم: (162). وصححه الألباني في **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** (1/ 140) برقم: (103).

(2) رواه الحاكم في **المستدرك على الصحيحين**، ط1. (1/ 217) حديث رقم: (441). وصححه ووافقه الذهبي.

(3) **جامع بيان العلم**"، ط1. (2/ 1039 بعد رقم 1997).

(4) للبيانوني **المدخل إلى علم الدعوة**، ط1. (ص: 47)، د. عبد الحليم محمود **وفقه الدعوة إلى الله تعالى**، د. ط. (215/1) د. علي جريشة **ومناهج الدعوة إلى الله وأساليبها**، ط1. (ص: 16).

كله، فإن هذه الأمور عبارة عن الصفات والحالات، والكيفيات، أو الطرائق لأداء الدعوة وعند مباشرة العمل[1].

1- الحوار والمناظرة:

وقد استعمل الصحابة رضي الله عنهم الحوار والمناظرة كأسلوب من الأساليب الدعوية في الرد على المخالف في مسائل الأصول في عهد الخلفاء الراشدين.

فالحوار أسلوب قرآني، وهدي نبوي، ومنهج دعوي، دعى الله تعالى إليه، وأمر به نبيه فقال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [سورة النحل: 125].

الشواهد:

ولهذا استعان الصحابة بالحوار في الرد على المخالف في مسائل الأصول في عهد الخلفاء الراشدين، ومن أمثلة ذلك حوار ابن عباس للخوارج في عهد علي ﷺ، فرجع منهم عشرون ألفًا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا[2].

أثر هذا الأسلوب على الدعوة:

نجاح الدعوة وانتشارها والاستفادة منها وقد رجع من الخوارج عشرون ألفًا وبقي منهم أربعة آلاف عندما استخدم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أسلوب الحوار والمناظرة ولهذا أصل ففي السنة النبوية أمثلة كثيرة يتبين من خلالها أنه ﷺ كان يربي أصحابه على الحوار حتى في أحلك الظروف وفي المواقف التي تستدعي أناة وترويًا فنتج عن ذلك فتح مبين.

2- أسلوب الترغيب والترهيب:

وهو أسلوب القرآن الكريم في دعوته، وأسلوب الرسل جميعًا، ويكمُن سر هذه الموازنة في النفس البشرية، التي طبعت في آن واحد على الخوف والتأثر بالترهيب من جهة، والطمع والاستجابة للترغيب من جهة أخرى، فاتباع هذه الوسيلة فيه معالجة عميقة للنفس البشرية في هذا الجانب.

الشواهد:

وقد استعمل الصحابة رضي الله عنهم الترغيب والترهيب كأسلوب من الأساليب الدعوية في الرد على المخالف في مسائل الأصول في عهد الخلفاء الراشدين اقتداء برسول الله ﷺ، فقد روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بالجنة أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد، خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها، وعند الله تسعة وتسعون»[3].

أثر هذا الأسلوب على الدعوة:

من إثر هذا الأسلوب معالجة عميقة للنفس فإذا

(1). أبو السعود، **تفسير أبو السعود**، د. ط. (304/3)، **والوسائل المشروعة والممنوعة في الدعوة إلى الله تعالى**، د. ط (ص: 23-24).

(2) رواه الحاكم في **المستدرك على الصحيحين**، ط1. (2/ 164) برقم: (2656) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في **السنن الكبرى**، ط3. (8/ 309) باب لا يبدأ الخوارج بالقتال حتى يسألوا ما نقموا، ثم يؤمروا بالعود، ثم يؤذنوا بالحرب، حديث رقم: (16740).

(3) مسلم، **صحيح مسلم**، د. ط. (4/ 2109) كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم الحديث (2755).

و أحمد، **مسند أحمد**، ط1. (16/ 195) رقم الحديث (10280)

أذنب العبد خاف من عذاب الله فراجع نفسه وإذا رأى باب التوبة مفتوحًا، توجه إلى ربه، وتاب من ذنبه.

من إثر هذا الأسلوب أيضًا الثبات فالعبد إذا سمع الترهيب حذر من العصيان، وإذا سمع الترغيب ازداد طاعة وطمعًا بما عند الله من النعيم والجنان.

3- الموعظة والنصح:

يعتبر أسلوب الموعظة الحسنة من أساليب الدعوة والتربية الإسلامية المهمة التي لها تأثير فعال في النفس البشرية، وهو من أساليب الرسل والأنبياء الدعوية والتربوية التي لعبت دورًا هامًا في الإرشاد.

الشواهد:

وقد سطَّر أصحابُ رسول الله ﷺ أروعَ الأمثلة التطبيقية والعملية لأسلوب الموعظة في تعليم غير المسلمين، وَفْق ما كان عليه الرسولُ ﷺ وفطنوا إليها، وخاطبوا الناس بها، فنجحوا في تربيتهم.

نلمس هذا الأسلوب عند الصحابي ربعي بن عامر رضي الله عنه حين قال لرستم قائد جيوش الفرس: "إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"[1].

أثر هذا الأسلوب على الدعوة:

ولأهمية أسلوب الموعظة الحسنة في التربية، نلاحظ أن القرآن الكريم مليء بالمواعظ والتوجيهات الكريمة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[سورة يونس: 93].

ويعد أسلوب الموعظة الحسنة مطلبًا أساسيًا في التربية والتعليم، وينبغي على المربي والمعلم استخدام هذا الأسلوب استخدامًا هينًا لينًا سهلًا لكي يصل إلى الهدف التربوي المرجو منه.

وقد كان النبي ﷺ يستعمل أسلوب الموعظة في تعليمه ودعوته ويعلمه للصحابة ﷺ أجمعين.

فأحيانًا يستعمل أسلوب الموعظة الحسنة بصورة مباشرة للإنسان المخطئ، لكي يقلع عن الخطأ، كما فعل مع الغلام الذي لا يعرف آداب الطعام، فقام ﷺ بتوجيهه بأسلوب سهل ولا شدة فيه ولا تعنيف، وبكلمات قليلة ولكنها شاملة، وكافية لتعليمه آداب الطعام، وبصورة مباشرة في الوعظ، فعن عمر بن أبي سلمة، قال: «كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ»[2].

4- ترك الجدال والمراء:

للجدال صورًا متعددة، منها المشروع، ومنها ما هو مذموم، والضابط في هذا: أن كل جدال بعلم، وأسلوب حسن، ابتغاء معرفة الحق، وسلوك سبيل

(1) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك، ط2**. (3/ 520)، ابن كثير، **البداية والنهاية**، ط1. (7/ 40).

(2) رواه البخاري: البخاري، **صحيح البخاري**، د. ط. (كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، حديث رقم:5376). ومسلم: **صحيح مسلم**، (كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث رقم:2022).

الهداية، فهو محمود.

والأصل في الرسالة الإسلامية أن تكون بعيدة عن الجدال، ولكن قد تدعو الضرورة إلى استخدامه أسلوب الإقناع، وإثبات الحق، والتعريف بالخير والشر، والفضيلة والرذيلة.

وللجدال بالتي هي أحسن شروط وقواعد وأصول يجب اتباعها، صيانة للجدال بالحق عن أن يتحول إلى مماراة بعيدة عن نشدان الحقيقة، أو إلى مشاحنات أنانية، ومشاتمات، ومغالطات، ونحو ذلك مما يفسد القلوب، ويهيج النفوس، ويورث التعصب، ولا يوصل إلى حق[1].

الجدال في الأصل هو حوار كلامي يتفهم فيه كل طرف من الفريقين المتحاورين وجهة نظر الطرف الآخر، ويعرض فيه كل طرف منهما أدلته التي رجحت لديه استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال الانتقادات التي يوجهها الطرف الآخر على أدلته، أو من خلال الأدلة التي ينير له بها بعض النقاط التي كانت غامضة عليه.

وأما ما ورد عن السلف في النهي عن الجدال فالمقصود من ذلك المذموم منه، وذلك توفيقًا من أقوال السلف الذين مدحوه، فضلًا عن ثبت الأمر به في الكتاب والسنة وفعله الرسل والأئمة

تتجلى معالم المناظرة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وما فيها من إحراج الخصم بل إفحامه، وعجزه عن الجواب، منذ خلق البشرية إلى يوم القيامة، إلا أن يسلم ويؤمن فالحق أحق أن يتبع.

الشواهد:

وقد كان الصحابة من أبعد الناس عن الجدال العقيم، وأحرصهم على هداية الناس ودعوتهم، فعن عبادة بن قرص «أَنَّهُ غَزَا غَزَاةً فَمَكَثَ فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الأَهْوَازِ سَمِعَ صَوْتَ أَذَانٍ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا لِي عَهْدٌ بِصَلاةٍ فِي جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مُنْذُ زَمَانٍ فَقَصَدَ نَحْوَ الأَذَانِ يُرِيدُ الصَّلاةَ فَإِذَا هُوَ بِالأَزَارِقَةِ قَالُوا لَهُ مَا جَاءَ بِكَ يَا عَدُوَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنْتُمْ إِخْوَتِي قَالُوا أَنْتَ أَخُو الشَّيْطَانِ لنقتلك قَالَ فَمَا ترْضونَ مني مَا رَضِي الله عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مني قَالُوا وَأي شَيْء رَضِي الله عَنهُ بِهِ مِنْكَ قَالَ أَتَيْتُهُ وَأَنَا كَافِرٌ فَشَهِدْتُ أَن لَا إِلَه إِلَّا الله انه رَسُولُ اللَّهِ فَخَلا عَنِّي فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ»[2].

أثر هذا الأسلوب على الدعوة:

أسلوب يوصل إلى الإقناع وإثبات الحق.

يوصل إلى التفريق بين الخير والشر، والفضيلة والرذيلة.

نجاح أسلوب المجادلة إذا لم يتحول إلى مماراة بعيدة عن نشدان الحقيقة، أو إلى مشاحنات تورث التعصب، ولا توصل إلى المراد من المجادلة.

المبحث الثالث: المنهج الدعوي المتعلق بالرد على المخالف في مسائل الأصول:

تدور دلالة المنهج اللغوية على الطريق والمسلك[3].

ومفهوم المنهج في الاصطلاح الدعوي، هو مجموعة القواعد والأصول الدعوية الثابتة التي لا تتغير بتغير

(1) الميداني، **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، ط1.** (ص: 363).

(2) الطبراني، **المعجم الأوسط**، ط1. (8/ 255) (8559) د. ط، قال الهيثمي في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، د. ط. (1/ 26). رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، ط3، (300/14)، مادة "نهج".

الظروف والأحوال[1].

وبناء على ما سبق فإن المعنى المراد بالمنهج الدعوي في هذه الدارسة الطريق البيّن الواضح الذي يختاره الداعية لنفسه ثمّ ينطلق منه في تبليغ كافة ما تحتويه رسالة الإسلام وشرع الله القويم.

وتتجلى أهمية المنهج الدعوي المتعلق بالرد على المخالف في مسائل الأصول في وضع أسس تكون مرجعًا ودليلًا للداعية، وترسم معالم وأهداف وغايات الرد، كما تبعد وتميز الأخطاء الدعوية التي قد يرتكبها بعض الأفراد فتنسب إلى الدعوة ويفتات بها على المناهج الدعوية وهي بريئة منها.

1- الصّراحة والوضوح، والصّفاء والنقاء:

كان الصّحابة ﷺ يحرصون على منهج الوضوح في الرد على المخالفين، ويعتبرون ذلك منهجًا دعويًا يجب أن يتحلى به الداعية بعيدًا عن الألغاز والمجاملات، ويرفضون النّفاق بأشكاله وألوانه، ولا يستخدمون التُقية أو التورية في أحاديثهم، بل الصّراحة والوضوح، والصّفاء والنقاء.

ومن ذلك على سبيل المثال خلافهم في رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج، فقد اختلف السلف ربه فذهبت عائشة[2] وابن مسعود ﷺ في رؤية النبي إلى إنكارها واختلف عن أبي ذر[3] وذهب جماعة إلى إثباتها، ولقد كان موقف عائشة شديد الوضوح واللهجة مع المخالف بعيدًا عن الشك والتردد والمجاملات في مسائل الأصول، رغم أن الترجيح قد لا يكون حليفًا لها، لكنها كانت قوية في موقفها حرصًا على جانب المعتقد؛ فعن مسروق[4]، قال: كنت متكئًا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله ﷺ الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني، ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾[سورة التكوير: 23]، ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾[سورة

(1) **مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء**، الرياض: (150/88).

(2) هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق، كان النبي ﷺ تزوجها بمكة، ما لم يتزوج بكرًا غيرها، وهي بنت ست سنين، ودخل بها بالمدينة، وهي بنت تسع سنين، بعد سبعة أشهر من مقدمه المدينة، وقبض وهي بنت ثمان عشرة سنة، وبقيت إلى خلافة معاوية، وتوفيت سنة ثمان، وقيل: سبع وخمسين، وقد قاربت السبعين، وأوصت أن تدفن بالبقيع. ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ط1. (1881/4)، **ومعرفة الصحابة** لابن منده، ط1. (ص: 939).

(3) أبو ذرّ الغفاريّ الزاهد المشهور الصادق اللهجة، واسمه: جندب بن جنادة بن سكن، رابع أو خامس من أسلم، ثم رجع إلى بلاد قومه بعد ما أسلم فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق، ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصحبه إلى أن مات، ثم خرج بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه إلى الشام، فلم يزل بها حتى ولي عثمان رضي الله عنه. ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية به وأسكنه الربذة، روى عنه أنس، وابن عباس، وأبو إدريس الخولانيّ، وزيد بن وهب الجهنيّ، والأحنف بن قيس، وجبير بن نفير، وعبد الرحمن بن تميم، وسعيد بن المسيب، توفي بالربذة سنة إحدى وثلاثين.. **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط1. (7/ 105) رقم: (9877).

(4) هو: مسروق بن الأجدع، واسم الأجدع عبد الرحمن بن مالك بن أمية، أبو عائشة الهمداني، ثم الوادعي الكوفي، مخضرم، سمع أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليًّا، وابن مسعود، ومعاذًا، وأبي بن كعب، وخباب بن الأرت، وعائشة، روى عنه: أبو وائل، وسعيد بن جبير، وأبو الضحى، وإبراهيم النخعي، ويحيى بن وثاب، توفي مسروق سنة اثنتين وستين.. **تاريخ الإسلام**، د. ط. (2/ 712) رقم: (100).

النجم: 13]؟

فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض»، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام: 103]، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴾[سورة الشورى: 51]؟، قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[سورة المائدة: 67]، قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [سورة النمل: 65][1].

أثر هذا المنهج على الدعوة:

سببًا في دخول كثير من النّاس الإسلام وقد نبّه القرآن إلى تشبّث المنافقين بلحن القول والغموض وعدم الوضوح، قال تعالى: **﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ 29 وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾** [سورة محمد: 29-30].

2- الرفق واللين:

لا بُدَّ للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من استعمال الرفق واللين فيما يأمر وينهى، فإن الله – تعالى– يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.

الشواهد:

ومن ذلك ما جاء في عقد الذمّة الذي كتبه خالد بن الوليد ﷺ لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النّصارى، سطّر فيه أرقى قيم التّقدير والاحترام، حتّى للضعفة من النّصارى، يقول: «وجعلت لهم: أيّما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدّقون عليه، طرحتُ جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله»، وكان هذا في عهد أبي بكر الصدّيق ﷺ، وبحضرة عدد كبير من الصّحابة، وقد كتب خالد ﷺ به إلى الصدّيق ﷺ ولم ينكر عليه[2].

أثر هذا المنهج على الدعوة:

الرفق يوثر على المدعويين وله أثر كبير في تغيير الكراهية والحفاء إلى ود ومحبة.

الرفق سبب إلى الخير والرحمة فعن عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا عائشة» إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"[3].

3- الهجر وعدم المخالطة:

من حكمة القوة في الدعوة إلى الله هجر من يظهر

(1) مسلم، **صحيح مسلم**، د. ط. (1/ 159) كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾ [النجم: 13]، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، حديث رقم: (177).

(2) أبو يوسف: **كتاب الخراج**، د. ط (144).

(3) مسلم، **صحيح مسلم**، د. ط. (4/ 2003) كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم الحديث: (2593).

المنكرات على وجه التأديب حتى يتوب، كما هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم.

وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كان هجره يضعف الشر كان مشروعًا، وإن كان المهجور لا يرتدع بذلك ولا يرتدع به غيره، بل يزيد الشر والهاجر ضعيف وتكون مفسدة الهجر راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، كما كان الهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألف قومًا ويهجر آخرين[1].

ولا شك أن الهجر لحق الله من العقوبات الشرعية، فهو من جنس الجهاد في سبيل الله[2]، وهذا يفعل لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله. وهذا يدل على أن حكمة القوة لها الأثر الكبير عند وضعها في موضعها.

الشواهد:

وقد كان الهجر منهجًا تربويًا ودعويًا عند الصحابة رضي الله عنهم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلد صبيغًا التميمي بسؤاله عن الذاريات والمرسلات والنازعات، وكتب إلى عماله: أن يقيموه حتى ينادي على نفسه، وحرمه عطاءه، وأمر بهجرته، فلم يزل وضيعًا في الناس.

أثر هذا المنهج على الدعوة:

استخدام أسلوب الهجر يوصل الي التوبة إلى الله والعوده إليه.

الهجر دليل واضح على أنه لا علاقة تشملها المحبة إذا لم يتبع الشرع.

4- العدل والقسط:

العدل هو: استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير[3].

والعدل اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، ولأجله أرسل الرسل، وأنزل الكتب ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥]

وقد حضّ الله تعالى على العدل، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة: ٨]

ولقد اتّفقت الشّرائع السّماوية على مبدأ سنّة العدل، وأجمع عليه العلماء والعقلاء، فالعدل مشتمل على مصلحة العالم، ونقيضه الظلم والجور مشتمل على فساد العالم، ولا يتسنّى الأمن إلا بالعدل، ولا تقوم الحياة إلا به.

والإسلام دين عدل يرفض الجور، ولا مجال فيه للظلم، ولا يسمح بممارسة الظلم للرّاعي ولا للرعيّة.

الشواهد:

وقد رسّخ النبي ﷺ أسلوب العدل ومفهومه في نفوس الصّحابة رضي الله عنهم.

(1) **فتاوى ابن تيمية، د. ط.** 28 / 204- 207.

(2) المرجع السابق، 28 / 208

(3) الجاحظ: مرجع سابق، ص(28).

ومن ذلك: قصّة تنازع عليّ بن أبي طالب ﷺ، وهو خليفة المسلمين، مع يهوديّ[1].

وهذا النّوع من العدل والإنصاف لا يستغرب على أحد من الصّحابة ﷺ.

أثر هذا المنهج على الدعوة:

فما هو إلا سلطان الحقّ، وهيمنة العدل، تملّكت قلوبهم، وأصبحت سجيّة في طباعهم، وغريزة في نفوسهم، ونموذجًا سلوكيًّا في معاملاتهم، يقولون بالحقّ، وبه يعدلون، وبهذا أذعنت لهم أعداؤهم، واستتبّ لهم الأمن رعاة ورعيّة.

وقد شهد بذلك أعداء الإسلام، يقول (هربرت جورج ولز)[2] عن تعاليم الإسلام: «إنّها أسّست في العالم تقاليد عظيمة للتّعامل العادل، وإنّها لتنفخ في النّاس روح الكرم والسماحة، كما أنّها إنسانيّة السمة، ممكنة التنفيذ، فإنّها خلقت جماعة إنسانيّة يقلّ ما فيها ممّا يغمر الدّنيا من قسوة وظلم اجتماعيّ عمّا في أيّة جماعة أخرى سبقتها»[3].

الخاتمة

نتائج البحث:

الحمد وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

في الختام أحمد الله أولًا وآخرًا على ما من به من توفيق لإكمال هذا البحث.

وقد توصلتُ من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

1- أهمية الرد على المخالف بشرط أن يكون الرد على المخالف وفقًا لمنهج الكتاب والسنة مع إخلاص النية والسعي في طلب الهداية

2- السلف رضي الله عنهم كانت لهم عناية بالرد على المخالف، وقد تركوا لنا آثارًا حسنة تستوعب منهجهم في الرد على المخالف .

3- الرد على المخالف محور هام في توحيد الأمة وجمع كلمتها، ومدعاة لنبذ الاختلاف والتفرق، وذلك أن الخلاف إذا كان سببه الاجتهاد في طلب الحق أو الجهل به فإن الرد على المخالف وبيان الحق له وفق منهج السلف رحمهم الله هو أفضل وأقوم طريق لجمع الكلمة والرجوع إلى الحق، ونبذ الخلاف.

4- العلماء رحمهم الله قد بذلوا جهدًا كبيرًا في نشر منهج المتقدمين في الرد على المخالف فصنفوا في هذا المجال كتبًا كثيرة، وخصصوا له أبوابًا وفصولًا في كتبهم فيستفاد منها.

5- المقاصد الدعوية المتعلقة بالرد على المخالف قد كانت محل عناية السلف رضي الله عنهم، وقد ذكرت في ثنايا البحث أمثلة وافرة على ذلك من عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

6- الأساليب الدعوية المتعلقة بالرد على المخالف

---

(1) رواه التّرمذي: **جامع الترمذي** (كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين – رضي الله عنهما –، حديث رقم: 3768) د.ط، وقال: «حديث حسن صحيح».

(2) هو: هربرت جورج ويلز، أديب، مفكّر، صحفيّ، عالم اجتماع، ومؤرّخ إنجليزي، يعتبر من مؤسّسي أدب الخيال العلمي، وقد اكتسب شهرته بفضل رواياته التي تنتمي لذاك الصنف الأدبي، توفّي ويلز في 13 أغسطس 1946م. ينظر الرّابط التّالي:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%B1%D8%A8%D8%B1%D8%AA_%D8%AC%D9%88%D8%B1%D8%AC_%D9%88%D9%8A%D9%84%D8%B2

(3) لمصطفى السّباعي، **من روائع حضارتنا**، د. ط. ص(146).

هي موضوع له قيمته ووزنه، في إرساء الأمن والقيم وتبليغ دين الله.

7- المنهج الدعوي المتعلق بالرد على المخالف قد كان من الأولويات التي لا يستغني عنها الداعية في عهد الخلفاء الراشدين، وفي البحث أمثلة كثيرة تبين مدى أهميته عندهم وكيف كانوا يتقيدون به.

توصيات الباحث:

خلال إعداد هذا البحث لمست بعض الموضوعات ذات الأهمية والتي هي جملة الوصايا التالية:

1- يوصي الباحث مراكز الدعوة بتبني مشروع متكامل في الرد على المخالف وفق منهج أهل السنة في القرون المفضلة الأولى.

2- يوصي الباحث بإعداد مشروع يشمل مسائل الخلاف في عهد الصحابة والتي لم يؤثر عنهم رد عليها، كما يشمل جميع مسائل الخلاف في عهد الصحابة، ويضم إلى كل مسألة ردودهم عليها.

3- يوصي الباحث بالاعتناء بفقه الخلاف الذي يمنح الأناة والسماحة ويفسح للاجتهاد، وينمي الإدراك.

المصادر والمراجع

1. ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1417هـ / 1997م.
2. الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001م.
3. البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، د. ط، بيروت، دار طوق النجاة، 1422هـ.
4. البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، ط1، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، 2009م.
5. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، 1424 هـ - 2003 م.
6. الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، د.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م.
7. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ - 1983م.
8. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، د.ط، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ.
9. أبو داود السجستاني، **المصاحف**، المحقق: محمد بن عبده، ط 1، القاهرة، الفاروق الحديثة، 1423هـ - 2002م.
10. الزَّبيدي، محمد بن محمد بن محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط1، بيروت، دار الفكر، 1414هـ.

11. الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، د. ط، القاهرة، مطابع أخبار اليوم، د ت.

12. ابن فارس، أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، بيروت، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

13. القسطلاني، أحمد بن محمد، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ط7، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1323 هـ.

14. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، ط1، القاهرة، دار هجر، 1417هـ - 1997م.

15. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط2، الرياض، دار طيبة، 1420هـ - 1999م.

Arrasikhun Journal، Special Issue, February 2026

ISSN: 2462-2508

التوجيه النحوي والصرفي لقراءات الأسماء في سورة الرعد
من خلال كتاب فتح البيان في مقاصد القرآن للإمام صدّيق حسن خان

عبد السلام يونس فرج — **د. محمد شحاتة عبد الحميد الشرقاوي**

باحث دكتوراه بكلية اللغات – قسم اللغة العربية — **الأستاذ المشارك بكلية اللغات – قسم اللغة العربية**

جامعة المدينة العالمية ماليزيا — **جامعة المدينة العالمية ماليزيا**

Mzuhrin11@gmail.com — khaled.nabawy@mediu.my

الملخص

هذه دراسة نحوية صرفية لقراءات الأسماء في سورة الرعد عند الإمام صدّيق حسن خان، من خلال كتابه (فتح البيان في مقاصد القرآن). وقد اختار الباحث توجيه القراءات صرفيًّا ونحويًّا؛ لما للنحو والصرف من أثر كبير في فهم القراءات وبيان مدلولها. كما اختار تفسير الإمام صدّيق لإيجازه، وخلوّه من شواذّ القراءات والتفسير، ولأنّ هذا الكتاب لم يحظ بقسط وافٍ من البحث والدراسة. وقد اختار الباحث أن يكون عنوان الدراسة: التوجيه النحوي والصرفي لقراءات الأسماء في سورة الرعد من خلال كتاب فتح البيان في مقاصد القرآن للإمام صدّيق حسن خان. والمحور الرئيس الذي يدور حوله هذا البحث هو: معرفة الأصول النحوية والصرفية التي اعتمد عليها الإمام صديق في توجيهاته، وكيفية تعامله مع توجيه القراءات. ولكي تحقق الدراسة أهدافها؛ فقد اتبع الباحث منهجًا وصفيًّا تحليليًّا إحصائيًّا، قام فيه بتحليل توجيه القراءات عند الإمام، وربطها بما ذكره العلماء في هذه التوجيهات. وتشتمل هذه الدراسة على ثلاثة مباحث: المبحث الأول: التعريف بالإمام صدّيق حسن خان، والمبحث الثاني: التوجيه النحوي للقراءات، والمبحث الثالث: التوجيه الصرفي للقراءات. وقد راعى الباحث في بحثه الاقتصار على القراءات المتواترة، وعدم الخوض في الشاذ من القراءات. وفي دراسة التوجيهات يبدأ الباحث بعرض القراءات الواردة في كتب القراءات المشهورة، مثل: السبعة في القراءات لابن مجاهد، والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، وحرز الأماني ووجه التهاني (الشاطبية) للشاطبي، والقناع في القراءات السبع لابن الباذش، وغيرها. ثم يعرض الباحث توجيهات الإمام صدّيق، مبيّنًا الأصول النحوية والصرفية التي اعتمد عليها في توجيهاته. وبعد ذلك يناقش الباحث هذه التوجيهات ويبيّن وجوهها من كتب النحو والصرف. ثم يختم ببيان الأثر الدلالي لتوجيه القراءات، ومدى تأثر المعنى العام باختلاف القراءات. وقد أنهى الباحث بحثه بخاتمة أجمل فيها النتائج التي توصّل إليها من خلال دراسته. والله الموفق إلى ما فيه الخير، والحمد لله أولًا وآخرًا.

ISSN: 2462-2508

ABSTRACT

This study presents a grammatical and morphological analysis of the variant readings (qirāʾāt) of nouns in Sūrat al-Raʿd as interpreted by Siddiq Hasan Khan in his exegetical work Fath al-Bayān fī Maqāṣid al-Qurʾān. The researcher elected to examine the readings from both syntactic and morphological perspectives due to the central role of grammar (naḥw) and morphology (ṣarf) in understanding the variant readings and clarifying their semantic implications. This particular tafsīr was selected for its conciseness, its avoidance of anomalous (shādhdh) readings and irregular interpretive positions, and because it has not yet received sufficient scholarly attention. Accordingly, the study is entitled: The Syntactic and Morphological Justification of the Noun Readings in Sūrat al-Raʿd through Fath al-Bayān fī Maqāṣid al-Qurʾān by Siddiq Hasan Khan. The central focus of this research is to identify the grammatical and morphological principles upon which Siddiq Hasan Khan relied in his justificatory treatment (tawjīh) of the readings and to examine his methodological approach in handling them. To achieve these objectives, the study adopts a descriptive, analytical, and statistical methodology. It analyzes the Imam's grammatical and morphological justifications and correlates them with the positions articulated by earlier and later scholars in the relevant disciplines. The study is structured into three main sections: An introduction to Siddiq Hasan Khan and his scholarly profile; The syntactic justification of the readings; The morphological justification of the readings. The research is limited to the canonical (mutawātir) readings and deliberately excludes anomalous (shādhdh) readings. In presenting the material, the researcher begins by citing the readings as recorded in the major classical works on qirāʾāt, including Ibn Mujāhid's al-Sabʿa fī al-Qirāʾāt, Abu Amr al-Dānī's al-Taysīr fī al-Qirāʾāt al-Sabʿ, Al-Shāṭibī's Ḥirz al-Amānī wa Wajh al-Tahānī (al-Shāṭibiyyah), and Ibn al-Bādhish's al-Iqnāʿ fī al-Qirāʾāt al-Sabʿ, among others. Thereafter, the study presents Siddiq Hasan Khan's syntactic and morphological justifications, clarifying the linguistic foundations upon which they rest. These justifications are then critically examined in light of the established works of grammar and morphology. The study concludes by assessing the semantic impact of these justificatory analyses and the extent to which variations in the readings influence the overall meaning of the verse.

مقدمة:

الحمد لله الذي نطقت بحمده الألسنة، وهَدى إلى توحيده في كل الأزمنة، وخلق الألسنة واللغات، وأنزل القرآن جامعًا لما في الإنجيل والتوراة؛ فجعله قرآنًا عربيًا فُصّلت آياته، وأُحكمت كلماته؛ فأعجز الفصحاء، وأتعب البلغاء، ولم يقو على الطعن فيه أعداءه. والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد، وأفضل من عرف المرادفات والأضداد، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، أفضل صلاة إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فإن أعظم الشرف أن يُرزق المرء علمًا يُنتفع به، وإنّ أفضل العلوم ما كان في كتاب الله؛ لما يناله الباحث فيه من شرف الاشتغال بكلام الله تعالى ومعانيه. ومن فضل الله عليّ أن جعلني أبحث في اللغة العربية، وأنعم عليّ إذ وفقني لاختيار موضوع يتعلق بالقرآن الكريم، فكان في التوجيه النحوي والصرفي القراءات للقرآنية.

ولما كان من المتعذّر دراسة التوجيهات النحوية والصرفية للقراءات القرآنية في جميع سور القرآن، فقد وقع الاختيار على سورة الرعد لدراسة قراءات الأسماء فيها من خلال كتاب (فتح البيان في مقاصد القرآن) للإمام صدّيق حسن خان. وتُعدّ هذه الدراسة امتدادًا لبعض البحوث في كلية اللغات، قام فيها عدد من الزملاء بدراسة التوجيه النحوي والصرفي للقراءات القرآنية من خلال هذا الكتاب المميّز، وقد توقفوا عند سورة التوبة؛ لذا فإنّ اختيار الباحث لهذه السورة يُعدّ استكمالًا لتلك الدراسات.

1- مشكلة البحث:

تتمثّل المشكلة الأساسية للبحث في دراسة منهج الإمام صديق في توجيه القراءات القرآنية دراسة نحوية صرفية. وللوقوف على منهج الإمام في التوجيه، قام الباحث بإحصاء مواضع التوجيهات، ودراستها وتحليلها، وبيان منهجه في التوجيه، وأدلته، ومصادره، وأسلوبه، وكيفية تعامله مع القراءات، ومدى تأثير ذلك في تفسيره للآيات، وبيان الأدلة والأصول التي اعتمد عليها في توجيهاته، ومدى تأثّر تفسيره بالتوجيه النحوي والصرفي.

2- أسئلة البحث:

1. ما المواضع التي اعتمد فيها الإمام صدّيق على التوجيه النحوي والصرفي لتفسير الآيات؟
2. ما الأصول النحوية والصرفية التي استند إليها الإمام صدّيق في توجيهاته؟
3. كيف تأثر المعنى العام للآيات القرآنية بالتوجيه النحوي والصرفي للقراءات؟

3- أهداف البحث:

1. إحصاء المواضع التي فسّر فيها الإمام صدّيق الآيات استنادًا على التوجيه النحوي والصرفي للقراءات القرآنية.
2. بيان الأصول النحوية والصرفية التي اعتمد عليها الإمام صدّيق في توجيهاته.
3. بيان أثر التوجيه النحوي والصرفي للقراءات في المعنى العام للآيات القرآنية.

4- أهمية البحث:

الأسباب التي دعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع كثيرة منها ما يلي:

1. من عظيم الشـــرف أن يكون البحث متعلقًا بكتاب الله عزّ وجلّ، المصدر الأول للتشريع.
2. قلّة الدراســـات التي تناولت التوجيه النحوي والصـــرفي للقراءات القرآنية في تفســـير الإمام صديق؛ لذا فإنّ هذه الدراسة تُعدّ استكمالًا لما قـام بـه الزملاء في كليـة اللغـات حول هـذا الكتاب.
3. إبراز الجوانب النحوية والصـــرفية في توجيهات الإمام صـديق، وبيان الأصـول التي اعتمد عليها في توجيهاته، وأثر التوجيهات في تفســيره لمعاني الآيات، وفي الفروق الدلالية بين القراءات.

5- حدود البحث:

يتنـاول هـذا البحـث التوجيـه النحوي والصـــرفي للقراءات القرآنية في الأسماء الواردة في ســورة الرعد، ولا يعنى بالتوجيهات الأخرى كالتوجيه الصوتي مثلًا. وتكون الدراســـة من خلال كتاب (فتح البيان في مقاصد القرآن) للإمام صديق حسن خان. والنسخة المعتمدة هي طبعة المكتبة العصـرية للطباعة والنشـر، صيدا-بيروت، سنة النشر: 1412 هـ / 1992 م، تقديم ومراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

6- الدراسات السابقة:

لم ينل هذا الكتاب كثيرًا من الدراســـات والأبحاث؛ لذا فإنّ ما وُجد من دراسات سابقة لهذا البحث هو بحوث في الكتاب، لكنها لم تتعرض لقراءات الأسماء في سـورة الرعد تحديداً. وتنقسـم هذه الدراسـات إلى قسمين:

أولًا: دراسات جامعة المدينة العالمية بماليزيا

1. (التوجيه النحوي والصـــرفي للقراءات القرآنية في ســـورة (الأنعام) من خلال كتاب فتح البيان في مقاصـــد القرآن للإمام صـــديق حســـن خان). دراســة نحوية صــرفية تحليلية، رســالة ماجســتير، الباحث: جينال عابدين لقمان، جامعة المدينة العالمية، إشراف الدكتور: محمد بخيت.
2. (التوجيه النحوي والصـــرفي للقراءات القرآنية في ســورة (النســاء) من خلال كتاب فتح البيان في مقاصـــد القرآن للإمام صـــديق حســـن خان). دراســـة نحوية صـــرفية تحليلية، رســـالة دكتوراة، البـاحـث: عبـد العزيز منور المطيري، جـامعـة المدينة العالمية، إشــراف الدكتور: محمد شــحاتة عبد الحميد الشرقاوي.
3. (التوجيـه النحوي والصـــرفي للقراءات القرآنيـة العشــر في ســور (الأعراف والأنفال والتوبة) من خلال كتاب فتح البيان في مقاصد القرآن للإمام صــديق حســن خان). دكتوراة في اللغة العربية، الباحث: علي الســـيد محمد عادل، إشـــراف الدكتور: محمد بخيت.

ثانيًا: دراسات أخرى

1. (صـديق حسـن خان والمسـائل النحوية والصـرفية في تفسـيره فتح البيان في مقاصـد القرآن: تطبيقًا على الأجزاء الخمسـة الأولى من القرآن الكريم)، دراسة وصـفية تحليلية، رسـالة دكتوراة، الباحث:

خالد حمود الصـــعدي، جامعة القرآن والعلوم الإسلامية، السودان، 2015 م.

2. (حروف المعاني في تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن للســـيد أبي الطيب القنوجي البخاري)، دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير، الباحث: نائل أركان عمران، كلية التربية، جامعة كربلاء، 2023م.
3. (الظواهر الـدلاليـة في كتـاب فتح البيـان في مقاصـد القرآن لأبي الطيب صـديق بن حسـن القنوجي)، رســـالة دكتوراة، الباحثة: صـــابرين مهـدي أبو الريش، جـامعـة الأزهر، كليـة الدراسات الإسلامية والعربية، مصر، 2008م.
4. (القضايا النحوية والصرفية في النصف الثاني من القرآن الكريم من خلال كتـاب فتح البيـان في مقاصـد القرآن الكريم لصـديق خان)، رسـالة ماجسـتير، الباحث: السـيد رمضـان حسـن، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنوفية، مصر، 1999م.
5. (القضايا النحوية والصرفية في النصف الأول من القرآن الكريم في كتاب فتح البيان من مقاصـــد القرآن لصـديق حسـن خان)، رسـالة ماجسـتير الباحث: محمد عبد الواحد منصـــور، جامعة الأزهر، كليـة اللغـة العربيـة بالمنوفيـة، مصـــر، 1999م.
6. (فتح البيان في مقاصـد القرآن للقنوجي: دراسـة صـــوتية من أول ســـورة مريم إلى نهاية القرآن الكريم)، رسـالة ماجسـتير، الباحث: مصـطفى أحمد إسماعيل، جامعة الأزهر، مصر، 2009م.

ويتضح من الدراسات السابقة أنّ أيًّا منها لم يتعرض لموضـــوع التوجيهات النحوية والصـــرفية للقراءات القرآنية في ســـورة الرعد، رغم اشـــتراكها مع هذه الدراسـة في تناول كتاب فتح البيان، أو في القضـايا النحوية والصـــرفية بوجه عام؛ لذا تبرز أهمية هذا البحث من خلال انفراده بالبحث في التوجيهات النحوية والصـرفية للقراءات القرآنية للأسماء في سـورة الرعد من خلال كتاب فتح البيان.

7- منهج البحث:

المنهج المتّبع في هذا البحث هو المنهج الوصـــفي التحليلي الاســتقرائي القائم على إحصـاء مواضـع القراءات القرآنية التي ذكرها الإمام في تفسيره، وتحليل توجيهاته النحوية والصرفية للقراءات. ويتم ذلك على النحو الآتي:

1- حصر مواضع القراءات القرآنية في السور، وبيان أصـــول القراءات بـذكر من قرأ بهـا، مع إيراد مصـــادرها من كتب القراءات وإعراب القرآن والتفسير.
2- إيراد توجيهات الإمام صدّيق بالنص أو بالمعنى.
3- دراســة القراءة مبتدئًا بتوجيه الإمام صــدّيق، ثم بتوجيهات العلماء الآخرين، ثم دراســـة ما يلزم من قضـــايا نحوية أو صـــرفية، ثم بيان التوجيه الراجح.

المبحث الأول: التعريف بالإمام صـــدّيق حســـن خان

أ- نسبه وحياته

هو الشيخ محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله القِنَّوجِي البخاري الحســيني، المعروف بصـــدّيق حسن خان، أحد رجال النهضة الإسلامية المجددين.

ولد ونشأ في قنوج بالهند عام 1248 هـ، وتعلم في (دهلي)، ثم سافر إلى (بهوپال) طلبا للمعيشة. وقد قال في ترجمة نفسه: (ألقى عصا الترحال في محروسة بهوپال؛ فأقام بها وتوطن وتمول، واستوزر وناب، وألف وصنف) وتزوج بملكة بهويال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر. له نيف وستون مصنفًا بالعربية والفارسية والهندسية (1).

ب- شيوخه

درس المؤلف على جماعة من مشايخ الهند واليمن، واستفاد منهم في علوم القرآن والحديث وغيرهما. ومن أشهر شيوخه: أخوه الأكبر السيد العلامة أحمد بن حسن بن علي، والشيخ الفاضل المفتي محمد صدر الدين خان الدهلوي، والشيخ القاضي حسين بن محسن السبعي الأنصاري تلميذ العلامة محمد بن ناصر الحازمي تلميذ العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني، والشيخ المعمر الصالح عبد الحق بن فضل الله الهندي، والشيخ التقي محمد يعقوب المهاجر إلى مكة.

ج- تلاميذه

من تلاميذه: العلامة المحدث يحيى بن محمد بن أحمد بن حسن الحازمي، قاضي عدن، والشيخ العلامة السيد نعمان خير الدين الألوسي مفتي بغداد.

د- مؤلفاته

من مؤلفات الإمام صدّيق: (حسن الأسوة في ما ثبت عن الله ورسوله في النسوة)، و(أبجد العلوم)، و(فتح البيان في مقاصد القرآن) عشرة أجزاء في التفسير، و(لف القماط) في اللغة، و(حصول المأمول من علم الأصول)، و(عون الباري) في الحديث، و(العلم الخفاق من علم الاشتقاق)، و(العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة)، و(الطريقة المثلى) في ترك التقليد، و(نيل المرام من تفسير آيات الأحكام)، و(خلاصة الكشاف) في إعراب القرآن، و(البلغة إلى أصول اللغة)، و(غصن البان المورق) رسالة في الأدب، ومثلها (نشوة السكران)، و(الروضة الندية) في شرح الدرر للشوكاني، و(التاج المكلل) في التراجم، وقد اشتمل على ٥٤٣ ترجمة (2).

هـ- وفاته

توفي ليلة 29 جمادى الآخرة عام 1307 هـ/1890م، وقد بلغ من العمر تسعًا وخمسين عامًا. وكان ذلك وهو في خضم محنتهِ في أمر الولاية وما تعرض له من مؤامرات الحكومة ضده؛ إذ أصيب بمرض الاستسقاء، فاشتد عليه حتى توفي"(3).

المبحث الثاني: التوجيه النحوي

توجيه القراءات في (زرع) و(نخيل) و(صنوان) و(غير) بين الرفع والجر

قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي

(1) الزركلي، **الأعلام**، ط15، ج6، ص: 167-168.

(2) الزركلي، **الأعلام**، ط15، ج6، ص: 168.

(3) نفس المصدر السابق، ج6، ص: 167-168.

ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾. سورة الرعد، الآية: 4.

أولًا: عرض القراءات

ورد في قراءة (زرعٌ) و(نخيلٌ) و(صنوانٌ) و(غيرُ) وجهان، هما: الرفع والجر. قال ابن مجاهد: "فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص (وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغيرُ صنوانٍ) رفعًا، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي (وزرعٍ ونخيلٍ صنوانٍ وغيرِ صنوانٍ) خفضًا"(1).

ثانيًا: منهج الإمام وأصوله في التوجيه

ذكر الإمام صدّيق وجهي القراءة في ألفاظ (زرع، ونخيل، وصنوان، وغير)، غير أنّه لم ينسب هذه القراءات، ولم يبين درجتها من حيث التواتر أو الشهرة. كما عرض توجيه القراءات بصيغة المبني للمفعول، فقال: "قرئ بالرفع في الأربعة عطفًا على جنات وبالجر عطفًا على أعناب". ويُلاحظ أنّ الإمام صدّيق أغفل ذكر وجه النصب.

ثالثًا: التوجيه النحوي للقراءات

1- توجيه الرفع

قال الإمام صدّيق: "قرئ بالرفع في الأربعة عطفًا على جنات". والمقصود الأربعة: زرع، ونخيل، وصنوان، وغير؛ فهي معطوفة على (جناتٌ). وعلى هذا التوجيه تكون (جنات) مرفوعة عطفًا على (قطع) التي هي مبتدأ مؤخر. والمعنى: وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ وفي الأرض جناتٌ.

وقد رجّح الفراء وجه الرفع في (صنوان وغير)، فقال: "وقوله: (صنوان وغير صنوان) الرفع فيه سهل لأنه تفسير لحال النخل. والقراءة بالخفض، ولو كان رفعا كان صوابًا. تريد: منه صنوان ومنه غير صنوان"(2). وعلى هذا التوجيه يكون الرفع بالعطف على (قطع). وقال الفارسي موضحًا هذا الوجه: "من رفع (زرعًا) من قوله: وجنات من أعناب وزرع جعله محمولًا على قوله: وفي الأرض. تقديره: وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ، وجناتٌ من أعناب، وفي الأرض زرعٌ ونخيلٌ صنوان، فجعله محمولًا على قوله (وفي الأرض)، ولم يجعله محمولًا على ما الجنّات منه من الأعناب"(3).

أمّا قول الإمام صدّيق: (قرئ بالرفع في الأربعة عطفًا على جنات) فمقتضاه أن (جنات) لا موضع لها إلا الرفع. وقد صرّح البغوي بذلك في تفسيره فقال: "من أعناب وزرع ونخيل صنوان رفعها كلها ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، ويعقوب، عطفًا على الجنات، وجرها الآخرون نسقا على الأعناب"(4).

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ توجيه الرفع عطفًا على (جنات) لا يستقيم إلا إذا كانت (جنات) مرفوعة عطفًا على (قطع). أمّا إذا كانت (جنات) على غير الرفع، فإنّ رفع (زرع، ونخيل) لا توجيه له إلّا بالعطف على (قطع). وعليه فالأرجح في توجيه الرفع هو حمل

(1) ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ط2، ص: 356.

(2) الفراء، **معاني القرآن**، ط1، ج2، ص: 58.

(3) أبو علي الفارسي، **الحجة للقراء السبعة**، ط2، ج5، ص: 6.

(4) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ط1، ج3، ص: 6.

(زرع، ونخيل، وصنوان، وغير) على (قطع)، لا على (جنات)، والمعنى في الوجهين واحد؛ غير أنّ رفع (جنات) فيه خلاف؛ فقد قيل بنصبها على تقدير: وجعل فيها جنات؛ ولهذا فإنّ الأخذ بما لا خلاف فيه أولى من الأخذ بما وقع فيه الخلاف.

2- توجيه الجر

قال الإمام صدّيق في توجيه الجر: "وبالجر عطفًا على أعناب"، فاختار الإمام أن يكون الجر بالعطف على (أعناب). وهذا الوجه ذكره عدد من العلماء، منهم الفراء؛ إذ يقول: "فلك في الزرع وما بعده الرفع، ولو خفضت كان صوابًا. فمن رفع جعله مردودًا على الجنات، ومن خفض جعله مردودًا على الأعناب، أي: من أعناب ومن كذا وكذا"(1).

غير أنّ توجيه الجر في (زرع، ونخيل، وصنوان، وغير) عطفًا على (أعناب) ليس محلّ إجماع؛ إذ انقسمت فيه الآراء إلى رأيين: الرأي الأول: عدم جواز الجر أصلًا، وترجيح الرفع عليه. قال النحاس: "وقرأ أبو عمرو وابن كثير (وزرع) بالرفع، وما بعده مثله. قال الأصمعي: قلت لأبي عمرو بن العلاء: كيف لا تقرأ (وزرع) بالجر؟ فقال: الجنات لا تكون من الزرع"(2). وقد ردّ أبو جعفر النحاس هذا القول بأنّ ما قاله أبو عمرو لا يلزم من قرأ بالجر؛ لأنّ بعده ذكر النخيل، وإذا اجتمع النخيل مع الزرع قيل لهما: جنة (3).

والرأي الثاني: جواز الجر في الألفاظ الأربعة، لكن بالعطف على (جنات) لا على (أعناب). وعلى هذا التوجيه تكون (جنات) منصوبة بالكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنها جمع مؤنث سالم، والتقدير: وجعل فيها جنات. قال الزجاج: "ويجوز النصب في جنات، ويقرأ وجناتٍ من أعنابٍ، المعنى: جعل فيها رواسي، وجعل فيها جنات من أعناب"(4). ومثله قال النحاس: "ويجوز و(جناتٍ) على: وجعل فيها جنات"(5).

ويظهر للباحث أنّ تأويل النصب في (جنات) تأويل متكلّف؛ لأنّ من قرأ بالرفع تأوّل عطف (جنات) على (قطع)، ثم أتبع (زرع، ونخيل، وصنوان، وغير) للجنات فرفعها عطفًا. أمّا من قرأ بالجر فقد جعل العطف على (أعناب). فلا موجب للذهاب إلى إضمار الفعل وفاعله لتوجيه نصب (جنات) ما دام يمكن جرها عطفًا على (أعناب). وقد يكون الدافع إلى هذا التأويل هو التخلّص من إدخال (زرع) ضمن أنواع الجنات عند القراءة بالجر، لكنّ هذا الاحتمال قد رُدّ عليه.

رابعًا: الأثر الدلالي للتوجيهات

1- الفروق الدلالية بين القراءات

إنّ قراءة (زرع، ونخيل) بالرفع تشير إلى أنّ الجنة المشار إليها هي التي تحتوي على الأعناب دون غيرها. وقد قال الفارسي في بيان ذلك: "والجنّة على

(1) الفراء، **معاني القرآن**، ط1، ج2، ص: 58.
(2) النحاس، **إعراب القرآن**، ط1، ج2، ص: 219.
(3) نفس المصدر السابق.
(4) الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ط1، ج3، ص: 137.
(5) النحاس، **إعراب القرآن**، ط1، ج2، ص: 219.

هـذا يقع على الأرض التي فيهـا الأعنـاب دون غيرها"[1]. أمّا قراءة (زرع، ونخيل) بالجر، فهي تدلّ على أنّ الجنة قد تكون من الكرم، وقد تكون من النخيل والزرع أيضًـــا. قال ابن عادل في تأييد هذا الوجه: "وقد أجيب عن ذلك بأن الجنة احتوت على النخيل، والأعناب، لقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾"[2].

وعلى الرغم من هذا التنوع الدلالي، فإنّ إثر وجوه القراءة في هذه الآية يبقى منحصـــرًا في الجانـب المعجمي المتعلق بمعنى الجنة، ولا يؤثر كثيرًا في المعنى العام؛ إذ يظل المقصـود واحدًا، سـواء أكانت الجنة خاصـة بالأعناب، أم كانت شـاملة للنخيل والزرع أيضًا.

2- الأثر العقدي والفقهي والإعجازي

لا ترتبط الآية بمسـائل عقدية أو فقهية؛ لذلك لا يترتب على اختلاف القراءات اختلاف في العقيدة ولا في الأحكام الشرعية. أمّا الجانب الإعجازي فهو واحد في التوجيهين؛ لأنّ الآية مثلٌ ضُرب للمؤمنين، يُظهر أنّ المحاصيل كلها تُسقى بماء واحد، ومع ذلك تختلف ثمارها وألوانها. وقد عبّر الطبري عن هذا المعنى بقوله: "بسـاتين من أعناب، وزرع ونخيل أيضًـــا، متقاربة في الخلقة، مختلفة في الطعوم والألوان، مع اجتماع جميعها على شرب واحد"[3].

المبحث الثالث: التوجيه الصرفي

المطلب الأول: توجيه القراءات في (الكفار) بين الإفراد والجمع

قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾. سورة الرعد، الآية: 42.

أولًا: عرض القراءات

ورد في لفظ (الكفار) قراءتان مشـــهورتان، إحداهما على صيغة الجمع، والأخرى على صيغة المفرد. قال ابن مجاهد: "واختلفوا في التوحيد والجمع من قوله: (وســـيعلم الكفار)؛ فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (وسيعلم الكافر) واحدًا. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: (وسيعلم الكفار) على الجمع"[4]. وقال الأزهري: "قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (الكافرُ) واحدًا، وقرأ الباقون: (الكُفَّارُ) جماعة"[5].

ثانيًا: منهج الإمام وأصوله في التوجيه

بالنظر إلى توجيه القراءات في هذا الموضـــع يتبيّن أنّ الإمام صـدّيق يذكر وجهي القراءة في (الكفار) دون ترجيح، إذ يقول: "وســـيعلم الكفار جميعهم، وقرئ الكافر على التوحيد أي: جنس الكافر، وقيل المراد بالكافر أبو جهل"[6]. ولم يذكر في هذا الوجه أكثر من ذلك، كما لم يُنسَـب أيٌّ من القراءتين، واكتفى بالإشـارة إليهما، مسـتخدمًا صـيغة (قُرئ) المبني

(1) أبو علي الفارسي، **الحجة للقراء السبعة**، ط2، ج5، ص: 6.
(2) ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ط1، ج 11، ص: 245.
(3) الطبري، **تفسير الطبري جامع البيان**، ط1، ج13، ص: 419.
(4) ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ط2، ص: 359.
(5) الأزهري، **معاني القراءات للأزهري**، ط1، ج2، ص: 58.
(6) صدّيق حسن خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، د.ط، ج7، ص: 75.

للمجهول، مما يدلّ على عدم تأثر المعنى العام للآية باختلاف القراءتين.

ثالثًا: التوجيه الصرفي للقراءات

1- توجيه (الكافر) على المفرد

يتبيّن من عرض الإمام صدّيق للقراءات أنّه لم يزد في هذا الوجه على قوله: "وقرئ الكافر على التوحيد أي جنس الكافر وقيل المراد بالكافر أبو جهل". وتستند قراءة المفرد على حجتين رئيسيتين: الحجة الأولى أن ذكر الكافر بالمفرد يراد به أبو جهل تحديدًا. وقد أشار ابن خالويه إلى ذلك بقوله: "قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (الكافر) موحدًا، لأن الكافر يعني أبا جهل فقط"(1).

أمّا الحجة الثانية فتنبني على أن اللفظ المفرد دالّ على الجنس. يقول الزجاج: "وقرئت: وسيعلم الكافر، ومعنى الكفار والكافر ههنا واحد؛ الكافر اسم للجنس، كما تقول: قد كثرت الدراهم في أيدي الناس، وقد كثر الدرهم في أيدي الناس"(2)، وهو دليل واضح على دلالة المفرد على العموم. ويؤكد السيرافي هذا المعنى بقوله: "اسم الجنس واحد مذكر وهو يقع على الجميع؛ لأن الجنس جمع"(3). وكذلك، ذكر ابن السراج أنّ كلّ ما أريد به العموم فهو جنس، مهما كان اللفظ، وقال: إذا قلت: ما هذا؟ فقيل: إنسان، فالمقصود الجنس(4). وعلى هذا القياس تكون قراءة (الكافر) مفردًا من هذا الباب، فيدلّ المفرد على الجماعة.

ولا خلاف في صحة قراءة (الكافر) بالمفرد، وإنما وقع الخلاف في تأويل هذا المفرد. فقد روي عن ابن عباس أنّ الكافر يُراد به أبو جهل، إذ قال ابن الجوزي: "قال ابن عباس: يعني: أبا جهل"(5). وتأويل (الكافر) مفردًا على أنّه أبو جهل قاله ابن عباس في هذا الموضع وفي غيره من المواضع، فقد ذكر النحاس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ (6) أنّه روي عن ابن عباس: الكافر هاهنا أبو جهل وشيعته؛ لأنه يستظهر بعبدة الأوثان على أولياء ربه (7).

غير أنّ تأويل (الكافر) المفرد على أنّه أبو جهل لا يتفق مع سياق هذه الآية ولا مع غيرها؛ إذ المقصود إخبارٌ عن حال الكافر يوم القيامة حين يعلم عاقبة كفره، وهذا المعنى عامّ يشمل جميع الكفار، ولا يختصّ بكافر بعينه. ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ (8)؛ فليس المراد كافرًا واحدًا؛ لأنّ الندم في هذا الموقف لا ينفرد به كافر دون غيره، بل المعنى: أنّ كل كافر يتمنى أن يصير ترابًا يوم القيامة حتى لا يُحاسب على كفره فيُعذّب. ومما يؤيد ذلك ما ذكره النحاس من أنّ

(1) ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها، ط1**، ج1، ص: 332.

(2) الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ط1، ج3، ص: 151.

(3) السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ط1، ج4، ص: 348.

(4) ابن السراج، **الأصول في النحو**، د.ط، ج1، ص: 159.

(5) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ط1، ج2، ص: 502.

(6) سورة الفرقان، من الآية: 55.

(7) النحاس، **إعراب القرآن**، ط1، ج3، ص: 114.

(8) سورة النبأ، من الآية: 40.

المفرد يؤدي إلى معنى الجمع، فقال: "وسيعلم الكفار والكافر بمعنى واحد يؤدي عن جمع"[1]. وكذلك وافقه الواحدي فبيّن أنّ من قرأ (الكافر) بالإفراد جعله كالجمع، أي جعله اسمًا شائعًا، كالإنسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [2]؛ فقد جاء واحدًا يُراد به الكثرة [3].

وأمّا سبب الاختلاف في قراءة (الكافر) فلأنه كُتب في مصحف عثمان بغير ألف، فاحتمل الوجهين. قال ابن خالويه: "وإنما اختلف القراء في هذه الأحرف لأنه كتب في مصحف عثمان بغير ألف (الـ ك ف ـر)" [4]. ولما كانت كذلك في المصحف، جاز وضع الألف قبل الفاء فتصير مفردًا، أو بعدها فتصير جمعًا.

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ الباحث يرى أنّ تأويل المفرد بالجمع هو الأقرب للصواب؛ لأنّ صدر الآية: (وقد مكر الذين من قبلهم) يدلّ على الجمع، فالقراءة على المفرد صحيحة، وتأويلها على الجمع أحسن، مع بقاء قراءة المفرد صحيحة ثابتة.

2- توجيه (الكفار) على الجمع

ذكر الإمام صدّيق هذا الوجه بقوله: "(وسيعلم الكفار) جميعهم". وقوله: (جميعهم) يدلّ بوضوح على أنّ القراءة هنا قراءة الجمع. وهذا الوجه هو قراءة الجميع سوى ابن كثير ونافع وأبي عمرو. قال ابن الجزري: "قرأ المدنيان، وابن كثير وأبو عمرو: (الكافر) على التوحيد، وقرأ الباقون على الجمع"[5].

وحجة من قرأ بالجمع أنّ قراءة عبد الله بن مسعود: (وسيعلم الكافرون)، وقراءة أبيّ بن كعب: (وسيعلم الذين كفروا). وقد لخّص ابن خالويه هذه الحجة بقوله: "وقرأ الباقون: (وسيعلم الكفار) على الجمع، وحجتهم قراءة عبد الله وأبي، لأن في حرف أبيّ: (وسيعلم الذين كفروا)، وفي حرف عبد الله (وسيعلم الكافرون)" [6]. كما ذكر ابن زنجلة وجهًا آخر، وهو أنّ الكلام جاء عقب قوله تعالى: (وقد مكر الذين من قبلهم)، ثم قال: (سيعلم الكفار) بلفظ الجمع؛ ليأتلف الكلام على سياق واحد [7].

ومما يقوي القراءة بالجمع أنّ قراءة (الكافر) على المفرد قد أوّلها كثيرون على معنى الجمع، وليس فيها ما يدل على قصد كافر بعينه إلّا ما روي عن ابن عباس من أنّ المقصود بالكافر هو أبو جهل. فإذا لم يؤخذ بهذا التأويل، لم يبق لقراءة المفرد إلا أن تكون على اسم الجنس، أي أنّ المقصود جنس الكافر. وحيث إنّ تأويل المفرد بمعنى الجمع جائز، فإنّ قراءة الجمع تكون أولى من حمل المفرد على الجمع بالتأويل.

(1) النحاس، **إعراب القرآن**، ط1، ج2، ص: 226.

(2) سورة العصر، الآية: 2.

(3) يُنظر: **التفسير البسيط** للواحدي، ط1، ج12، ص: 386.

(4) ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها، ط1**، ج1، ص: 332.

(5) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، د.ط، ج2، ص: 298.

(6) ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها، ط1**، ج1، ص: 332.

(7) يُنظر: **حجة القراءات** لابن زنجلة، د.ط، ص: 375.

وبناءً على ذلك، فإنّ معنى القراءتين لا يخرج عن إرادة العموم؛ فإذا قرئ بالمفرد فهو على اسم الجنس الدال على الشمول، وإذا قرئ بالجمع فهو الأصل في دلالته المباشرة على جميع الكفار.

رابعًا: الأثر الدلالي للتوجيهات

1- الفروق الدلالية بين القراءات

تدلّ قراءة (الكافر) بالمفرد على معنى الجمع، ومنه قول العرب: (كثر الدرهم في أيدي الناس)، والمقصود كثرت الدراهم. ومن هنا جاء حمل المفرد في الآية على عموم الكفار. وقد بيّن الزجاج هذا المعنى بقوله: "الكافر اسم للجنس، كما تقول قد كثرت الدراهم في أيدي الناس. وقد كثر الدرهم في أيدي الناس"[1]. وذكر الثعلبي [2] أنّ العرب تضع الواحد موضع الجمع كقوله ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [3].

أمّا قراءة (الكفار) بالجمع، فهي نصّ صريح في عموم المخاطبين، فالكلام موجّه إلى جميع الكفار. ولذلك احتج من قرأ بالجمع بقراءة أبيّ: (وسيعلم الذين كفروا)، وقراءة عبد الله بن مسعود: (وسيعلم الكافرون). وقد لخّص ابن خالويه هذا المعنى بقوله: "والحجة لمن جمع: أنه أراد كل الكفار. ودليله أنه في حرف أبيّ: (وسيعلم الذين كفروا)، وفي حرف عبد الله: (وسيعلم الذين كفروا)" [4]. ولا خلاف بين القراء في أن الجمع هو الأصل في الدلالة على عموم الكفار.

2- الأثر العقدي والفقهي والإعجازي

لا يترتب على اختلاف القراءتين -قراءة المفرد أو الجمع- أيّ اختلاف عقدي أو فقهي؛ إذ إنّ المعنى في كلتا القراءتين واحد، وهو أنّ الكفار سيعلمون يوم القيامة مغبة كفرهم، وحسن عاقبة المؤمنين.

وقول الطبري: "وسيعلمون إذا قدموا على ربهم يوم القيامة لمن عاقبة الدار الآخرة، حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون بالله ورسوله الجنة"[5] يدلّ على أن المقصود جميع الكفار، وليس فئة بعينها. وهذا ما يجعل قراءة الجمع أقرب من حيث الدلالة، مع بقاء قراءة المفرد مساوية لها في المعنى؛ لأنّ الكافر على الإفراد اسم جنس يُراد به عموم الكفار لا كافر بعينه.

المطلب الثاني: توجيه القراءات في (الأُكُل) بضم الكاف وإسكانها

قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. سورة الرعد، الآية: 4.

(1) الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ط1، ج3، ص: 151.

(2) الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ط1، ج4، ص: 89.

(3) سورة الفرقان، من الآية: 55.

(4) ابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، ط4، ص: 202.

(5) الطبري، **تفسير الطبري جامع البيان**، ط1، ج13، ص: 580.

أولًا: عرض القراءات

ورد في كلمة (الأكل) قراءتان، هما: (الأُكْل) بسكون الكاف، وهي قراءة نافع وابن كثير. و(الأُكُل) بضم الكاف، وهي قراءة الباقين. قال ابن مجاهد: "وخفف الكاف في (أكل) نافع وابن كثير، وثقل الباقون"(1). وقال الأزهري: "وقرأ نافع وابن كثير بتخفيف ذلك كله، وقرأ الباقون بتثقيل ذلك كله ما استثنوا شيئًا. قال أبو منصور: هما لغتان جيدتان، فاقرأ كيف شئت"(2).

ثانيًا: منهج الإمام وأصوله في التوجيه

ذكر الإمام صدّيق وجهي القراءة في (الأكل) بقوله: "والأكل بضمتين وإسكان الثاني للتخفيف: المأكول، والمراد به ما يؤكل منها، وهو الثمر والحب؛ فالثمر من النخيل والأعناب، والحب من الزرع"(3). ولم يعرض الإمام أسباب اختلاف القراءات أو علة ذلك، واكتفى بالإشارة إلى وجود القراءتين. ويبدو من قوله: "والأكل بضمتين وإسكان الثاني للتخفيف" أنّه يُسوّي بين الوجهين، ولا يرجح قراءة على أخرى.

ثالثًا: التوجيه الصرفي للقراءات

1- توجيه (الأُكُل) بالتثقيل

ذكر الإمام صدّيق في هذا الوجه أنّ الأُكُل -بضم الهمزة والواو والكاف- يراد به ما يؤكل من الثمر والحب، ومعنى ذلك أنّ صيغة (الأُكُل) ليست مصدرًا، إذ المصدر هو (الأكْل)، وإنما هي اسم مفعول يدل على المأكول. ولا خلاف من الناحية الصرفية في أنّ (الأُكُل) يدلّ على ما يؤكل من الطعام، وأنّ (الأَكْلة) للمرة الواحدة، و(الأُكْلة) للقمة؛ فقد قال الخليل الفراهيدي: "الأَكْلة: المرة. والأُكْلَةُ: اسم كاللقمة"(4).

وإذا كان المعنى اللغوي للأُكل في المعاجم يندرج تحت مادة (أ-ك-ل)، فإنّ التأويل في النص القرآني يخضع للإعجاز البلاغي ومرونة التفسير. وفي هذا الإطار ذكر مقاتل ابن سليمان أنّ (الأُكُل) يعني الحِمْل، أي ما يحمله النبات من ثمر؛ إذ قال في تفسير قوله تعالى: (وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ): أي في الحمل، فبعضها أكبر حملًا من بعض"(5). غير أنّ هذا القول ليس محل إجماع، وقد ذكره الطبري ضمن أقوال أخرى، فقال: "بعضُها أكثر حملًا من بعض، وبعضُه حلوٌ وبعضُه حامضٌ، وبعضُه أفضلُ من بعضٍ"(6).

ويميل الباحث إلى القول بأنّ المفاضلة بين النبات ينبغي أن تُحمل على اختلاف الطعوم لا على اختلاف الحمل؛ لأنّ ما قبلها: (يسقى بماء واحد) يدلّ على أنّ الإعجاز متمثل في اختلاف الطعوم مع وحدة الماء والتربة، وليس في كبر الحمل أو صغره. وهذا ما أشار إليه ابن خالويه بقوله: "وذلك أن

(1) ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ط2، ص: 528.

(2) الأزهري، **معاني القراءات للأزهري**، ط1، ج1، ص: 227.

(3) صدّيق حسن خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، د.ط، ج7، ص: 16.

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، د.ط، ج5، ص: 408.

(5) مقاتل بن سليمان، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ط1، ج2، ص: 367.

(6) الطبري، **تفسير الطبري جامع البيان**، ط1، ج13، ص: 420.

الثمرة لو كانت إذا لم تختلف تربتها وسقى بماء واحد وجب ألا تختلف طعومها"[1]. ويؤيد هذا الاتجاه ما ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في تفسيره لقوله تعالى: (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ): "الفارسي والدَّقل والحلو والحامض"[2]، والفارسي: نوع جيد من التمر، والدقل: تمر رديء. مما يدلّ على أنّ المفاضلة في الطعوم.

أمّا من جهة القراءة، فالأصل في (الأُكُل) الضم؛ إذ قال مكي بن أبي طالب: "والضم هو الأصل، والإسكان على التخفيف، فهما لغتان"[3]. وقد وقع خلاف في الإسكان لغرض التخفيف؛ فابن زنجلة يبيّن أنّ حجة من سكن الكاف استثقال الضمتين في كلمة واحدة، بينما احتج من قرأ بالضمتين بعدم وجود ضرورة تدعو إلى إسكان حرف مستحق للرفع، واستشهدوا بإجماع القراء على قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ [4]، حيث اجتمعت في (نُزُلُهُم) ضمات كثيرة من غير ثقل" [5].

وبناءً على ذلك، فلا مانع من قراءة (الأُكُل) بالتثقيل؛ بل إنّ حجة ترجيح قراءة التخفيف ليست ملزمة؛ لأنّ اجتماع الضمات في العربية ثابت من غير استثقال. كما أنّ التثقيل إشباع، والإشباع أفخم، وهو ما أشار إليه أبو القاسم الهذلي بقوله: "الباقون بالضم، وهو الاختيار؛ لأن الإشباع أفخم"[6]. ولهذا يميل الباحث إلى قراءة (الأُكُل) بضم الكاف؛ لكونها قراءة الأغلب، ولأنّ علة التخفيف، وهي الاستثقال، ليست ملزمة مع ثبوت اجتماع الضمات في الكلمة مع انتفاء الثقل.

2– توجيه (الأُكْل) بالتخفيف

ذكر الإمام صدّيق وجه قراءة (الأُكْل) بتسكين الكاف على التساوي مع التثقيل، مبينًا أنّ معنى (الأُكل) في كلا القراءتين هو المأكول. فالتخفيف لا يغير المعنى، إذ يُراد بالأكل المخفف ما يراد بالأكل المثقل. وقد أوضح الأخفش هذا المعنى بقوله: "و(الأُكْلُ): هو ما يؤكل. و(الأَكْلُ) هو الفعل الذي يكون منك؛ تقول: (أكلت أكلًا) و(أكلت أَكْلة واحدة). وإذا عنيت الطعام قلت: أُكْلة واحدة"[7]. والتخفيف قراءة نافع وابن كثير. قال ابن الجزري: "وسكن الكاف من (الأكل، وأكل) حيث جاء: نافع وابن كثير، وسكن الكاف أيضًا من (أكلها) والغين من (شُغْل): نافع وابن كثير وأبو عمرو"[8].

وعلة التخفيف في (الأُكْل)، كما ذكر ابن خالويه، هي كراهة توالي الضمتين؛ إذ قال: "فمن خفّف كره توالي الضّمّتين فخفف كما يقال: السُّحْق والسُّحُق،

(1) ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها، ط1**، ج1، ص: 343.

(2) يُنظر: **سنن الترمذي** للترمذي، ط2، ج 5، ص: 294، حديث رقم: 318.

(3) مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، ط2، ج1، ص: 314.

(4) سورة الواقعة، من الآية: 56.

(5) ابن زنجلة، **حجة القراءات**، د.ط، ص: 146.

(6) أبو القاسم الهذلي، **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**، ط1، ص: 509.

(7) الأخفش، **معاني القرآن**، ط1، ج1، ص: 200.

(8) ابن الجزري، **شرح طيبة النشر في القراءات**، ط2، ص: 176.

والرّعْب والرّعُب"[1]. وقد عدّ هذا السبب تعليلًا للقراءة لا حجّة ملزمة؛ لأنّ توالي الضمات جائز في العربية دون استثقال، كما استدلّ من قرأ على التثقيل بإجماعهم على قراءة قوله تعالى: ﴿نُزُلُهُمْ﴾، فقد اجتمعت فيها ضمّات متعددة دون أن يُعد استثقالًا.

ومن ثَمّ، فليس لمن قرأ بالتخفيف حجة سوى استثقال توالي الضمتين. فقد قال ابن خالويه: "وتوالي الضمتين ثقيل أيضًا، فخفف بالإسكان"[2]. وهذه الحجة ليست ملزمة، وإنما هي تعليل لوجه القراءة. والقراءة بالتخفيف جائزة، رغم الخلاف حول حجتها، فالأُكْل والأُكُل معناهما واحد، وهو ما أكّد عليه الواحدي بقوله: "الأكل المهيأ للأكل، ومنه قيل: للرزق الأُكْل، يقال: فلان كثير الأُكْل من الدنيا"[3]. كما ذكر المنتجب الهمذاني أنّ (الأُكُل) بمعنى المأكول على البناء للمفعول، وكلّ ما يؤكل فهو أُكُل أو أُكْل، وكلا القراءتين من المتواتر [4].

وخلاصة الوجهين: أنّ (الأُكل) بضم الكاف وإسكانها اسم للمأكول، والمقصود به ثمر النخل والشجر، والقراءتان صحيحتان من حيث اللغة والقراءة، ولا ترجح إحداهما على الأخرى إلا من جهة كونها قراءة الأغلب؛ إذ إن قراءة التثقيل أكثر انتشارًا. أمّا من الناحية اللغوية فالمعنى واحد. كما أشار أبو منصور الأزهري بقوله: "هما لغتان جيدتان، فاقرأ كيف شئت"[5].

رابعًا: الأثر الدلالي للتوجيهات

1- الفروق الدلالية بين القراءات

لا يظهر بين القراءتين أي فروق دلالية؛ فالمعنى ثابت في الوجهين، والدلالة واحدة، والقراءتان تجسدان القدرة الإلهية في تنوع الطعوم رغم وحدة الماء والهواء والتربة. والاختلاف بين الوجهين من باب اختلاف اللفظ والمعنى واحد. وهو ما أشار إليه أبو عمرو الداني من أنّ البيان، والإدغام، والمد، والقصر، والفتح، والإمالة، وتحقيق الهمز أو تخفيفه تُعدّ من باب اختلاف اللغات فقط دون اختلاف في المعنى [6]، وينطبق ذلك على إسكان الكاف وضمها في لفظ (الأُكل).

وتحوي الآية ردًا قاطعًا على مذهب أصحاب الطبائع الذين يقولون أنّ الطعوم تحدث بطبع الأرض والهواء والماء، فقد قال الجصاص: "فيه أوضح دلالة على بطلان مذهب أصحاب الطبائع؛ لأنه لو كان حدوث ما يحدث من الثمار بطبع الأرض والهواء والماء لوجب أن يتفق ما يحدث من ذلك لاتفاق ما يوجب حدوثه"[7].

(1) ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها، ط1**، ج1، ص: 100.

(2) ابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، ط4، ص: 102.

(3) الواحدي، **التفسير البسيط** ط1، ج12، ص: 292.

(4) المنتجب الهمذاني، **الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد**، ط1، ج3، ص: 651.

(5) الأزهري، **معاني القراءات للأزهري**، ط1، ج1، ص: 227.

(6) أبو عمرو الداني، **الأحرف السبعة في القرآن**، ط1، ص: 48.

(7) الجصاص، **أحكام القرآن**، ط1، ج3، ص: 233.

2- الأثر العقدي والفقهي والإعجازي

لا تشـــتمل الآية على أي أحكام فقهية، فهي دعوة إلى التـأمـل في قـدرة الله تعـالى في خلقـه من خلال النظر والتـأمـل في اختلاف الطعوم بين النبـات رغم وحدة الماء والهواء والتربة. وتتمثل الدلالة العقدية في إثبـات وحـدانيـة الله تعـالى وانفراده بالخلق والتـدبير، وهي عقيدة المؤمن الذي يوقن بأنّ المدبر لكل شـيء هو الله تعالى. وقد عبّر النحاس عن هذا المعنى بقوله: "أي: هي تأتي مختلفـة وإن كـان الهواء واحـدًا، فقـد عُلِم أن ذلك ليس من أجل الهواء ولا الطبع، وأن لها مدبرًا"(1).

أمّا الدلالة الإعجازية البلاغية فتتمثل في بنية الآية كلهـا، وإن كـانـت لفظـة (الأُكـل) تحمـل بحـد ذاتهـا إعجازًا بلاغيًا؛ إذ اختصـــــت باختلاف الطعوم في المأكول، فاسـتُثني ما لا يؤكل كالنباتات السـامة؛ إذ لو قال: (نفضـــل بعضـــها على بعض في الطعم) لاشتمل على كل ما له طعم سواء كان صالحًا للأكل أم لا. لكنّه لما أراد أن يبين التفاضـــل بين طعوم النبات اســـتخدم لفظة: (الأكل)، فدلت على ما يصلح للأكل.

المطلب الثالث: في الوقف على الأسماء المنقوصة

ورد توجيه القراءات في الأسماء المنقوصـــة الواردة بين إثبات الياء وحذفها في أربعة أسماء في ســـورة الرعد: الأول: (هـاد) في قولـه تعـالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾. ســـورة الرعـد، من الآيـة: 7، وقولـه تعـالى: ﴿وَمَن يُضْـــلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾. ســـورة الرعد، من الآية: 33. والثاني: (واق) في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ ســـورة الرعـد، من الآيـة: 34، وقولـه تعـالى: ﴿مَـا لَـكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ ســورة الرعد، من الآية: 37. والثالث: (وال) في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾. سورة الرعـد، من الآيـة: 11. والرابع: (المتعـال) في قولـه تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّـــهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾. سورة الرعد، الآية: 9.

أولًا: عرض القراءات

قرأ ابن كثير (هـاد) و(واق) و(وال) بإثبـات اليـاء وقفًا، وحذفها مع التنوين وصلًا، وقرأ الباقون بحذف الياء وصـــلًا ووقفًا. قال ابن مجاهد: " قرأ ابن كثير (يوم التلاق) و (يوم التناد) يثبت الياء وصـــلًا أو وقفًا، وكذلك (من واق) و (من هاد)؛ يصل بالتنوين ويقف على الياء"(2).

أمّا لفظ (المتعال) فقد قرأه ابن كثير ويعقوب بإثبات الياء في الوصـــل والوقف، في حين قرأ الباقون بحذف اليـاء في الحـالين. قـال ابن مجـاهـد: "قرأ ابن كثير (المتعال سواء منكم) بياء في الوصل والوقف، وكذلك قـال الحلواني عن أبي معمر المنقري عن عبـد الوارث عن أبي عمرو، وكـذلـك أخبرني أبو حـاتم الرازي في كتـابـه إليّ عن أبي زيـد عن أبي عمرو. والبـاقون لا يثبتون الياء في وصل ولا وقف"(3).

(1) النحاس، **معاني القرآن**، ط1، ج3، ص: 470.

(2) ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ط2، ص: 568.

(3) ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ط2، ص: 358.

ثانيًا: منهج الإمام وأصوله في التوجيه

ذكر الإمام صدّيق توجيه القراءات في لفظ (هاد)، ولم يذكر توجيهًا لألفاظ (واق) أو (وال) أو (المتعال)، وقد قال في بيان قراءة (هاد): "وقرأ الجمهور (هاد) من دون إثبات الياء على اللغة الكثيرة الفصيحة، وقرئ بإثباتها على اللغة القليلة وهما سبعيتان"[1]. ويلاحظ أنّ الإمام صديق لم يتعرض لتوجيه القراءات في الأسماء المنقوصة إلا في لفظ (هاد)، حيث أثبت وجود قراءتين، مشيرًا إلى تفضيل قراءة الجمهور بقوله: "من دون إثبات الياء على اللغة الكثيرة الفصيحة"، مما يدلّ على استحسانه لهذه القراءة.

ثالثًا: التوجيه الصرفي للقراءات

1- توجيه القراءات في لفظ (هاد)

لا خلاف بين العلماء على أنّ القراءتين في لفظ (هاد) -سواء بإثبات الياء أو حذفها- معناهما واحد، وأنّ الاختلاف بينهما صرفيّ يتعلق ببنية الكلمة. وقد قال مقاتل: "فَما لَهُ مِنْ هادٍ، يعني: من أحد يهديه إلى دين الله عز وجل"[2]. كما قال الطبري: "ومن أضله الله عن إصابة الحق والهدى بخذلانه إياه، فما له أحد يهديه لإصابتهما"[3]. وقد اتفقت كتب التفسير على هذا المعنى، ولم يرد في أي منها ما يشير إلى فرق دلالي بين القراءتين.

وقد ذكر الإمام صدّيق أنّ لفظ (هاد) في قوله تعالى: (ومن يضلل الله فما له من هاد) يدل على أنّ من جعله الله ضالًا لا يستطيع أحد هدايته. وهذا المعنى هو ما عبر عنه الماتريدي بقوله: "من أضله الله فلا يملك أحد هدايته"[4]. أمّا لفظ (هاد) في قوله تعالى: (ولكل قوم هاد) فقد ذكر الإمام أنه يحتمل عدة معانٍ، منها: النبيّ، أو أنّ المراد هو الله سبحانه وتعالى، أو العمل الصالح، أو القائد إلى الخير. وأشار الفراء إلى المعاني نفسها بقوله: "قال بعضهم: نبي. وقال بعضهم: لكل قوم هاد يتبعونه، إما بحق أو بباطل"[5]. وهذه المعاني تدخل في باب التأويل المقبول، ولكل وجه منها شواهد من القرآن أو السنة، دون أن يخرج أي منها عن الصواب، أو يحيد بالمعنى عن مقصده العام.

وقد بيّن ابن الصائغ أنّ الاسم المنقوص إذا كان نكرة مرفوعًا أو مجرورًا، سقط حرف إعرابه لوجوب تنوينه؛ اتّقاءً لاجتماع ساكنين، وساغ ذلك لدلالة الكسرة التي قبله عليه"[6]. وعلى هذا فإنّ (هادي) في حال النكرة المرفوعة أو المجرورة تكون صورته: (هادٍ) بتنوين الكسر وحذف ياء المنقوص.

أمّا حجة حذف ياء المنقوص عند الوقف، فقد ذكر العكبري أنّ الياء لما وجبَ حذفها في الوصلِ بسبب التنوين، لزم أن تحذف في الوقف أيضًا؛ لأنّ الوقف حالة عارضة، والعارض لا يغّير حكم الأصل. أمّا

(1) صدّيق حسن خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، د.ط، ج7، ص: 63.

(2) مقاتل بن سليمان، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ط1، ج3، ص: 713.

(3) الطبري، **تفسير الطبري جامع البيان**، ط1، ج13، ص: 551.

(4) الماتريدي، **تفسير الماتريدي**، ط1، ج6، ص: 348.

(5) الفراء، **معاني القرآن**، ط1، ج2، ص: 59.

(6) ابن الصائغ، **اللمحة في شرح الملحة**، ط1، ج 1، ص: 177.

من أثبت الياء في الوقف، فاستند إلى أنّ موجب الحذف في الوصل التقاء الياء مع التنوين، فحذفت الياء لئلا يجتمع ساكنان. فلمّا زال السبب عند الوقف، وأُمِنَ التقاء الساكنين، عادت الياء إلى أصلها، وشبهوا ذلك بحذف حرف العلة مع الجازم، ثم عودته عند زوال الجزم [1].

وقد رجّح كثيرون حذف الياء في الوقف، اعتمادًا على أنّ الوقف عارض لا يغيّر حكم الأصل. وقال ابن مالك: "فإن كان منونًا ولم يكن منصوبًا، ولا محذوف العين أو الفاء، فالمختار الوقف عليه بالحذف نحو: هذا قاضٍ، ومررت بقاضٍ"[2].

وعلى هذا، فقراءة الجمهور بحذف الياء من (هاد) وقفًا ووصلًا تستند على كون الوقف عارض لا يغير حكم الحذف. ولم يخالفهم ابن كثير في حالة الوصل؛ إذ قرأ بحذف الياء كذلك، مما يدلّ على اتفاق القراء في علّة الحذف، وإن اختلفوا في مسألة: هل يزول موجب الحذف عند الوقف أم يبقى حكمه؟ واستحسن الإمام صدّيق ما استحسنه كثير من العلماء، فجعل قراءة (هاد) بحذف الياء من اللغة الكثيرة الفصيحة، أمّا إثباتها في الوقف فحمله على لغة قليلة.

2- توجيه القراءات في لفظ (واق)

تتشابه قراءة (واق) مع (هاد) في مسألة حذف الياء أو إثباتها، فقد ذكر ابن مجاهد أنّ ابن كثير يصل بالتنوين ويقف على الياء في (واق)، بينما يقرأ الباقون بحذف الياء وصلًا ووقفًا [3]. وأمّا قراءة ابن كثير بإثبات الياء فتكون في الوقف، أمّا الوصل فلا خلاف على وجوب التنوين فيه. فقد قال ابن مهران: "ولم يختلفوا في الوصل أنه بالتنوين ولا يجوز غيره"[4].

وأشار أبو شامة المقدسي في شرح الشاطبية إلى أنّ ابن كثير يقف بالياء على الأصل، وإنما حذفت في الوصل لاجتماعها مع سكون التنوين، فإذا زال التنوين بالوقف عادت الياء، والباقون يحذفونها تبعًا لحال الوصل. واعتبر ذلك وهما لغتين؛ فالحذف أكثر شيوعًا وفيه متابعة الرسم"[5]. وعليه فإنّ حذف الياء من (واق) هو الرأي الراجح، ويقاس عليه كما في لفظ (هاد)، باعتبار أنّ الوقف عارض لا يغير حكم الأصل.

3- توجيه القراءات في لفظ (وال)

ذكر الإمام صدّيق أنّ معنى (وال) في قوله تعالى: (وما لهم من دونه من وال) هو: مَنْ يلي أمرهم ليدفع عنهم العذاب، أو الناصر الذي ينصرهم فيمنعهم من العذاب. وأوضح أنّ المعنى العام للفظ هو أنّه لا رادّ لعذاب الله ولا ناقض لحكمه. وأشار مقاتل إلى أنّ (وال) معناه: وليّ [6]، ويظهر أنّ لفظ (وال) بوزن (فاعل) يتساوى مع معنى (وليّ) بوزن (فعيل)، وهو

(1) يُنظر: **التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين** للعكبري، ط1، ص: 184-185.

(2) ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ط1، ج4، ص: 1985.

(3) ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ط2، ص: 568.

(4) ابن مهران، **المبسوط في القراءات العشر**، د.ط، ص: 255.

(5) أبو شامة المقدسي، **شرح الشاطبية إبراز المعاني من حرز الأماني**، د.ط، ص: 547.

(6) مقاتل بن سليمان، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ط1، ج2، ص: 370.

ما ذكره ابن قتيبة بقوله: "وال، أي: ولي، مثل: قادر وقدير، وحافظ وحفيظ"[1]. ولا خلاف في أنّ المراد بالوالي في قوله تعالى: (وما لهم من دونه من وال) هو أنّه لا يلي أمرهم أحد فينصرهم أو يحميهم أو يمنعهم من عذاب الله. كما أوضح الزجاج: "أي لا يلي أمرهم أحد من دون الله"[2].

أمّا حجة حذف الياء من (وال) فهي حجة كلّ اسم منقوص منون غير منصوب؛ إذ تحذف ياؤه عند التقاء الساكنين. قال ابن خالويه: "والأصل: من والي، مثل ضارب، فاستثقلوا الكسرة على الياء فخزلت، فالتقى ساكنان: الياء والتنوين، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين" [3]. وأمّا حجة من أثبت الياء، فإنّ التنوين يسقط في الوقف، فلا سبب لالتقاء الساكنين، وإذا زال السبب رُدّت الياء إلى أصلها فثبتت. وقد أشار ابن عادل إلى أنّ ابن كثير كان يقف بالياء، مستندًا في ذلك إلى ما رواه سيبويه: أن بعض الثقات من العرب يقفون بالياء[4].

ولا خلاف بين العلماء على أنّ حكم (هاد) و(واق) و(وال) واحد فيما يتعلق بحذف الياء أو إثباتها. فقد قال ابن مجاهد في سياق الوقف على الأسماء المنقوصة: "ابن كثير وحده يقف بياء على قوله: (هاد) و(واق) و(وال)، وقرأ الباقون بغير ياء"[5].

والذي عليه الأكثر هو القراءة بحذف الياء وصلًا ووقفًا في هذه الأسماء المنقوصة. قال مكي بن أبي طالب: "والحذف أكثر، وهو الاختيار؛ لأن الأكثر عليه"[6].

ولا خلاف في حججهم في الحذف والإثبات، فقد ذكر الفارسي أنّ الوقف على (هاد) و(واق) و(وال) يشمل لغتين: إحداهما –وهي الأكثر شيوعًا– الوقف على الاسم المنقوص بغير ياء؛ لأنّه في الوصل كان متحركًا بالكسر، فإذا وقفت حذفت الحركة كما تحذفها من سائر المتحركات. والأخرى: أنّ ابن كثير يقف بالياء؛ لأن حذفها إنما كان لأجل التنوين، فلما زال التنوين في الوقف عادت الياء، وقد حكى سيبويه اللغتين جميعًا، وأشار إلى أنّ بعض العرب يقول: هذا داعي [7].

4– توجيه القراءات في لفظ (المتعال)

ذكر الإمام صدّيق معنى (المتعال) من الناحية اللغوية، فقال إنّ معناه: العظيم الذي كل شيء دونه، أو المتعالي عما يقوله المشركون، أو المستعلي على كل شيء بقدرته وعظمته وقهره، أو المتعالي عن الخلق باستوائه على عرشه ومباينته عن خلقه، وهو الأولي [8]، فرجّح أنّ التعالي يكون بالاستواء على العرش. وأمّا قراءة (المتعال) فتُقرأ بحذف الياء وبإثباتها،

(1) ابن قتيبة، **غريب القرآن**، د.ط، ص: 225.

(2) الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ط1، ج3، ص: 142.

(3) ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها، ط1**، ج1، ص: 326-327.

(4) ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ط1، ج 11، ص: 313.

(5) ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، ط2، ص: 360.

(6) مكي بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، ط2 ج2، ص: 22.

(7) الفارسي، **الحجة للقراء السبعة**، ط2، ج5، ص: 23-24.

(8) صدّيق حسن خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، د.ط، ج7، ص: 25.

والقراءتان سبعيتان، لكنّ الإمام صديق لم يتعرض لتوجيه القراءتين.

ومن الناحية الصرفية يشمل لفظ (المتعالي) إعلالًا بالقلب، وأصله (متعالو)، فقلبت الواو ياءً؛ لأنّ أصل لام الفعل واو، كما في علا يعلو. وقال ابن خالويه: "(المتعالي) بوزن (متفاعل) من العلوّ، والأصل: متعالو، فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، كقولك: الداعي والغازي، والأصل: الدّاعِو والغازِو، فصارت الواو ياء لانكسار ما قبلها" [1]. ويختلف وجه القراءة في (المتعال) عن ألفاظ (هاد) و(واق) و(وال) من حيث أنّه معرفة، ولا يحتوي على تنوين. لذلك قرأ ابن كثير (المتعالي) بالياء وصلًا ووقفًا على الأصل، بينما قرأ الباقون بعدم إثبات الياء سواء في الوصل أو الوقف.

وقد ذكر ابن خالويه أنّ حذف الياء في (المتعال) له حجتان: الأولى تتعلق بخطّ المصحف. والثانية بأن العرب يجتزئون بالكسرة عن الياء الشّديدة. واستشهد بقول مضرس بن ربعي [2]: فطرتُ بمنصلي في يعملاتٍ... دوامي الأيدِ يخبطن السّريحا، أي أراد: الأيدي فحذف الياء [3]. كما ذكر سيبويه أنّ اسم الفاعل إذا لم يكن في موضع تنوين، فإن البيان يكون أجود في الوقف، كما في قولك: هذا القاضي، وهذا العمي؛ لأنها ثابتة في الوصل [4]. ولفظ (المتعال) يحتوي على ألف ولام؛ ولذلك فإنّ إثبات الياء أجود وأقرب إلى الأصل.

ومن حجج حذف الياء في (المتعال) قول النحاس: "والْمُتَعالِ: المستعلي على كل شيء، وحذفت الياء لأنه رأس آية"[5]. ويقصد بقوله (رأس آية) أنّ الحذف يكون بسبب الوقف على الفواصل. وهو ما أشار إليه سيبويه بقوله: "وجميع ما لا يحذف في الكلام وما يختار فيه ألّا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي، فالفواصل قوله تعالى: (والليل إذا يسر)، (ما كنا نبغ)، (يوم التناد)، (الكبير المتعال) [6]. وأيضًا قال السيرافي: "إنما يريد بالفواصل، رؤوس الآي ومقاطع الكلام"[7]. وعلى هذا، يجيز سيبويه اللغتين في (المتعال)؛ فقد ذكر أنّ إثبات الياء أجود في كل ما لم يكن فيه تنوين، ثم أجاز حذف ياء (المتعالي) في رأس الآية، رغم كونها معرفة بالألف واللام. وخالص رأيه قوله: "وإثبات الياءات والواوات أقيس الكلامين، وهذا جائز عربيٌّ كثير"[8].

والخلاصة في توجيه القراءة بين حذف ياء المنقوص وإثباتها هي أنّ الحذف في الوصل والوقف هو الأكثر

(1) ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها، ط1**، ج1، ص: 326.

(2) مضرس بن ربعي بن لقيط الأسدي: شاعر حسن التشبيه والرصف. أورد له البغدادي أبياتًا جيدة في وصف ليلة ويوم، ومقطوعة فيها حكمة. وقال: هو شاعر جاهلي. (معجم الشعراء للمرزباني، ص: 390)، (الأعلام للزركلي، ج7، ص: 250).

(3) ابن خالويه، **إعراب القراءات السبع وعللها، ط1**، ج1، ص: 325-326.

(4) سيبويه، **الكتاب**، ط3، ج1، ص: 27.

(5) النحاس، **إعراب القرآن**، ط1، ج2، ص: 220.

(6) سيبويه، **الكتاب**، ط3، ج4، ص: 184-185.

(7) السيرافي، **شرح كتاب سيبويه**، ط1، ج5، ص: 57.

(8) سيبويه، **الكتاب**، ط3، ج1، ص: 27.

شيوعًا في الأسماء المنقوصة التي لا تحتوي على ألف ولام، مثل (هاد)، (واق)، (وال). وقال أبو شامة المقدسي: "وهما لغتان، والحذف أكثر، وفيه متابعة الرسم"[1]. أمّا ما يحتوي على ألف ولام، مثل (المتعال)، فإثبات الياء في الوصل والوقف هو الأصل والقياس. وكلّ قراءة بخلاف ذلك صحيحة لكنها ليست على الأصل أو القياس. قال ابن عادل: "الوقف على المنقوص المنون بحذف الياء نحو: هذا قَاض، وإثباتها لغةً قَلِيلٌ"[2].

وقد قرأ الجمهور (المتعال) بحذف الياء خلافًا للقياس، وحجتهم في ذلك اتباع خط المصحف [3]. ولا خلاف في أنّ المعنى واحد في القراءتين، وأنّ الاختلاف بينهما صرفيّ في بنية الكلمة، لا يؤثر في المعنى العام.

رابعًا: الأثر الدلالي للتوجيهات

1- الفروق الدلالية بين القراءات

تدلّ القراءة بحذف ياء الأسماء المنقوصة على نفس معنى القراءة بإثباتها. ومن الناحية اللغوية، لا فرق بين (هادٍ) و(هادي)؛ فكلاهما من الجذر: هدى، ومعنى الهادي في القراءتين هو الدليل أو المرشد، وذكر الثعلبي أنّ (هاد) معناه: موفّق (4). وكذلك (واق) و(وال) لا تختلف الدلالة فيهما عمّا في (هاد)؛ فحذف ياء المنقوص لا يؤثر في المعنى العام للآية. والفروق بين القراءتين -حذف ياء المنقوص وإثباتها- تقتصر على التغاير الصوتي والإملائي، ولا تُغيّر المعنى العام أو الغرض البلاغي.

2- الأثر العقدي والفقهي والإعجازي

الآيات التي وردت فيها الأسماء المنقوصة (هاد) و(واق) و(وال) و(المتعال) لا تتضمن أحكامًا فقهية؛ إذ إنّها دعوية، تؤكد على انعدام الهادي والواقي والوالي إذا أراد الله أنْ يضل أو يعذب عباده.

أمّا من الناحية العقدية، فإنّ هذه الآيات تجسّد عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر، ومفادها أنّ الله وحده هو الهادي والواقي والوالي. وذكر الثعلبي أنّ الآيات تأتي ردًّا على القدرية [5]. وقال القرطبي: "ومن يضلل الله فما له من هاد، أي من خذله فلا مرشد له. وهو يرد على القدرية وغيرهم"[6]. وبالتالي، فإنّ المعنى العقدي في الآيات يبيّن أنّ الله هو المتصرف في خلقه بهدايتهم أو إضلالهم، ووقايتهم أو تعذيبهم، وتولّي أمرهم أو تركهم لأهوائهم. وكل ذلك يؤكد عقيدة القضاء والقدر.

أمّا الدلالات البلاغية فتتمثل في ورود (هاد) و(واق) و(وال) بصيغة النكرة للدلالة على العموم والشمول؛ إذ تفيد الآيات نفيًا قاطعًا لوجود أي نوع من الهداية

(1) أبو شامة المقدسي، **شرح الشاطبية إبراز المعاني من حرز الأماني**، د.ط، ص: 547.

(2) ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ط1، ج 16، ص: 502.

(3) ابن زنجلة، **حجة القراءات**، د.ط، ص: 372.

(4) الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ط1، ج5، ص: 294.

(5) الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ط1، ج23، ص: 49. ج8، ص: 232.

(6) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج10، ص: 32.

أو الوقاية أو الولاية لِمن أراد الله عذابه. واستخدام صيغة النكرة في مثل هذا المعنى أجود وأبلغ؛ لأنها تدلّ على انتفاء العموم، واستغراق النفي لجميع الأنواع بلا استثناء. قال الطيبي: "والتنكير في (هَادٍ) للإبهام والشيوع"[1]. فالنكرة هنا أفادت العموم؛ فلا هادي لهم –أيًا كان– إنْ أراد الله إضلالهم.

أمّا صيغة المعرفة في (المتعال) فتؤكد انفراد الله تعالى بالعلوّ والرفعة. وجاءت بعد قوله تعالى: (الكبير) لتدلّ على العظمة والعلوّ. فصفة (المتعال) صارت في صيغتها المعرّفة اسمًا من أسماء الله الحسنى، فإذ قيل: هذا رجلٌ متعالٍ، فالمعنى: المتكبّر على الناس، فتكون صفة مذمومة. أمّا حينما تُذكر بالمعرفة فهي تخص الذات الإلهية.

نتائج الدراسة

1. في توجيه القراءات يذكر الإمام صديق القراءات القرآنية دون أن ينسبها أو يبيّن درجتها، مما يدل على عدم اهتمامه بنسبة القراءات.
2. اعتمد الإمام صديق في تفسيره على عموم اللفظ، واستدل في تفسيره بالمعاجم والنحو والصرف بما يخدم المعنى العام، كما اعتمد في توجيه القراءات على بعض الأصول النحوية والصرفية واللغوية. وكل ما ذكره من توجيه القراءات نحويًا وصرفيًا كان لبيان أوجه التأويل، ومعرفة المعنى العام للآية.
3. اعتمد الإمام صديق في تفسيره على القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأقوال الصحابة والتابعين، وأقوال العلماء والمفسرين قبله.
4. استطاع الإمام صدّيق أن يضع تفسيره بين كتب التفسير المشهورة؛ إذ أوجز فيه دون إخلال، وابتعد عن الحشو وما لا يخدم التفسير، وانتهج نهج أهل السنة والجماعة في الأمور العقدية كصفات الله تعالى. كما خلا تفسيره من المسائل الفلسفية والتأويل غير المعتمد على قواعد التفسير المعتبرة عند المفسرين. وكلّ ذلك جعل تفسيره جزءًا من منظومة التفاسير السنية المعتدلة.
5. من خلال اطلاع الباحث على تفسير الإمام صديق، ومقارنته بـ (فتح القدير) للشوكاني في مواضع كثيرة، تبيّن للباحث أنّ الإمام صديق تأثر في تفسيره بتفسير الشوكاني (فتح القدير) تأثرًا واضحًا وعميقًا؛ إذ يبدو كأنّ الإمام صديق قد ألّف تفسيره (فتح البيان) واضعًا أمامه تفسير الشوكاني، صفحة بصفحة، وموضعًا بموضع.

التوصيات

يوصي الباحث الدارسين والباحثين وطلاب العلم بما يأتي:

1. الاهتمام بعلوم القرآن الكريم، والكتب التي تتعلق به، وجعل دراسة العلوم القرآنية مُقدَمة على غيرها من الدراسات الشرعية واللغوية.

(1) الطيبي، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، ط1، ج8، ص: 468.

2. حث المؤسسات والأفراد وكل من يملك القدرة المادية على دعم العلماء، وذلك من خلال نشر البحوث والدراسات، وترجمة كتب التفسير والسنة النبوية إلى اللغات الأخرى.
3. العناية بتحقيق الكتب المتعلقة بكتاب الله تعالى، ولا سيما مؤلفات العلماء من غير العرب؛ إذ ما يزال في التراث الإسلامي كثير من المصنفات لم يُحقّق أو يُنقَّح بعد.
4. الاهتمام بالعلماء المسلمين من الأمم الأخرى، وتشجيعهم على البحث والدراسة في العلوم الإسلامية، اقتداء بما فعله الإمام صديق حين استقدم علماء اليمن إلى الهند لنشر العلم والمعرفة.
5. الدعوة إلى دراسة تفسير الإمام صديق حسن خان، وذلك بأنْ بوضع الحواشي والتعليقات التي تنسب فيها القراءات وتبين درجتها. مع الحث على البحث في مؤلفات الإمام الأخرى وتحقيقها وتنقيحها ونشرها بما يفيد التراث الإسلامي.

المصادر والمراجع

1. الأبياري، علي بن إسماعيل، التحقيق **والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه**، تح: علي بن عبد الرحمن الجزائري، ط1 (الكويت: دار الضياء، 1434 هـ - 2013 م).
2. ابن أبي حاتم، أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، تح: أسعد محمد الطيب، ط3 (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419 هـ).
3. الأنباري، أبو البركات، كمال الدين، عبد الرحمن بن محمد، **أسرار العربية**، ط1 (د.م: دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1420هـ- 1999م).
4. الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، د.ط (بيروت: دار الفكر، 1420هـ).
5. ابن الباذش، أبو جعفر، أحمد بن علي بن أحمد، **الإقناع في القراءات السبع**، د.ط (د.م: دار الصحابة للتراث، 1431 هـ).
6. البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، **صحيح البخاري**، تح: د. مصطفى ديب البغا، ط5 (دمشق: دار ابن كثير ودار اليمامة، 1414 هـ - 1993 م).
7. ابن الجزري، شمس الدين، محمد بن محمد، **شرح طيبة النشر**، ط2 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ).
8. ابن الجزري، شمس الدين، محمد بن محمد، **النشر في القراءات العشر**، تح: علي محمد الضباع، د.ط (د.م: المطبعة التجارية الكبرى، 1431 هـ).
9. ابن جني، أبو الفتح، عثمان بن جني، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تح: محمد عبد القادر، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419 هـ).

10. ابن جني، أبو الفتح، عثمان بن جني، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار، ط4 (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت).
11. ابن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد**، تح: شعيب الأرنؤوط، ط1 (د.م: مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001 م).
12. ابن خالويه، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد، **الحجة في القراءات السبعة**، تح: عبدالعال سالم مكرم، ط4 (بيروت: دار الشرف، 1401 هـ).
13. الخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، **الجمل في النحو**، تح: فخر الدين قباوة، ط5 (د.م: د.ن، 1416هـ 1995م).
14. الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري، **معاني القرآن وإعرابه**، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط1 (بيروت: عالم الكتب، 1408 هـ).
15. الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمرو، **المفصّل في صنعة الإعراب**، تح: د. علي بو ملحم، ط1 (بيروت: مكتبة الهلال، 1993 م).
16. ابن زنجلة، أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد، **حجة القراءات**، تح: سعيد الأفغاني، د.ط (د.م: دار الرسالة، 1431 هـ).
17. السمين الحلبي، أبو العباس، أحمد بن يوسف، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تح: د. أحمد الخراط، د.ط (دمشق: دار القلم، 1431 هـ).
18. سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان، **الكتاب لسيبويه**، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3 (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1408 هـ).
19. الشاطبي، أبو محمد، القاسم بن فيرة، **متن الشاطبية حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، تح: محمد تميم الزعبي، ط4 (د.م: مكتبة دار الهدى، 1426 هـ).
20. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تفسير الطبري جامع البيان**، ط1 (القاهرة: دار هجر للطباعة، 2001م).
21. ابن عادل، أبو حفص سراج الدين، عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تح: الشيخ عادل أحمد، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419 هـ).
22. ابن عطية، أبو محمد، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: عبد السلام عبد الشافي، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422 هـ).
23. العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تح: د. عبد الإله النبهان، ط1 (دمشق: دار الفكر، 1416 هـ).
24. أبو عمرو الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد بن عثمان، **التيسير في القراءات السبع**،

تح: أوتو تريزول، ط2 (بيروت: دار الكتاب العربي، 1404 هـ).

25. الفارسي، أبو علي، الحسن بن أحمد، **الحجة للقراء السبعة**، تح: بدر الدين قهوجي، ط2 (بيروت: دار المأمون للتراث، 1413 هـ).

26. الفراء، أبو زكريا، يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تح: أحمد يوسف النجاتي، ط1 (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، 1431هـ).

27. ابن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن عبد الله، **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، تح: محمد كامل بركات، د.ط (القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1387 هـ).

28. المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الله، **الكامل في اللغة والأدب**، تح: محمد أبو الفضل، ط3 (القاهرة: دار الفكر العربي، 1417 هـ - 1997 م).

29. ابن مجاهد، أبوبكر، أحمد بن موسى، **السبعة في القراءات**، تح: شوقي ضيف، ط2 (مصر: دار المعارف، 1400 هـ).

30. مقاتل بن سليمان، أبو الحسن، مقاتل بن سليمان بن بشير، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تح: عبد الله محمود شحاته، ط1 (بيروت: دار إحياء التراث، 1431 هـ).

31. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط3، (بيروت: دار صادر، 1414 هـ).

32. النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، **إعراب القرآن**، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1421 هـ).

33. ابن هشام، جمال الدين، عبد الله بن يوسف، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تح: بركات يوسف، د.ط (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1431 هـ).

34. ابن يعيش، أبو البقاء، يعيش بن يعيش، **شرح المفصل للزمخشري**، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ).

Arrasikhun Journal، Special Issue, February 2026

ISSN: 2462-2508

مختارات من الأساليب الخبرية والإنشائية في سورة آل عمران وأثرُها البلاغي.

عبد الكريم فاي
باحث دكتوراه بكلية اللغات
قسم اللغة العربية – جامعة
المدينة العالمية ماليزيا
faye.abdoukarim@yahoo.fr

د. محمد إبراهيم بخيت
أستاذ مشارك بكلية اللغات قسم
اللغة العربية – جامعة المدينة
العالمية ماليزيا
mohamed.bakhet@mediu.my

كوسوبي عيسى
أستاذ مشارك بكلية اللغات قسم
اللغة العربية – جامعة المدينة
العالمية ماليزيا
koussoube.issa@mediu.edu.my

الملخص

يُعنى هذا البحث بدراسة بعض الأساليب الخبرية والإنشائية في سورة آل عمران دراسةً بلاغية تحليلية، للكشف عن أسرار النّظم القرآني ودقّة التّعبير في أداء المعاني والمقاصد. ويسعى إلى بيان أنواع هذه الأساليب ووظائفها البلاغية وأغراضها التّعبيرية، مع تحليل مواضعها في السّورة وارتباطها بسياقاتها العقدية والتّربوية والجدلية. كما يركّز على أثر التّنويع بين الخبر والإنشاء في تحقيق التوازن بين الإقناع العقلي والتّأثير الوجداني، وإبراز جمال التّناسب بين المعنى والمقام، بما يعكس روعة الإعجاز البياني الّذي تميّز به الخطاب القرآني في هذه السورة الكريمة،وتنبع أهميّة هذا البحث من كونه يسعى إلى الجمع بين **التحليل البلاغي الدّقيق** و**المنهج التّطبيقي** في دراسة سورةٍ من أطول سور القرآن الكريم وأكثرها ثراءً في البناء الأسلوبي. كما يُسهم في إثراء الدّراسات البلاغية القرآنية من خلال إبراز التّنوع الفني بين الأسلوبين الخبري والإنشائي، وربطهما بالمقاصد التّعبيرية والوجدانية في النّص القرآني ، ويهدف إلى تحليل البنية البلاغية لتلك الأساليب وبيان دورها في خدمة المعنى القرآني، وتوضيح الأثر البلاغي النّاشئ عن التّنويع بين الخبر والإنشاء في السّياقات المختلفة، وأظهر البحث نتائج عديدة منها : تداخل الأسلوبين في مواضع متعددة لتحقيق التّوازن بين البيان العقلي والعاطفي، وأنّه قد تنوّعت أغراض الأسلوب الإنشائي بين الطّلب الحقيقي والمجازي بما يخدم المعنى المقصود.

الكلمات الدّلالية :الأساليب الخبرية، الأساليب الإنشائية، البلاغة القرآنية، سورة آل عمران، الإقناع والتّأثير، الإعجاز البياني، التّنويع الأسلوبي، المقاصد القرآنية.

ISSN: 2462-2508

Abstract

This study examines selected declarative (khabariyyah) and imperative (inshā'iyyah) stylistic devices in Surah Āl ʿImrān through a rhetorical-analytical approach, aiming to uncover the intricacies of Qurʾānic composition and the precision of expression in conveying meanings and objectives. The research seeks to identify the types of these stylistic devices, their rhetorical functions, and expressive purposes, while analyzing their occurrences in the surah and their connection to theological, educational, and argumentative contexts. Particular attention is given to the effect of alternating between declarative and imperative styles in achieving a balance between rational persuasion and emotional impact, highlighting the aesthetic harmony between meaning and context, and reflecting the rhetorical and linguistic excellence that characterizes the Qurʾānic discourse in this chapter. The significance of this study lies in combining meticulous rhetorical analysis with an applied methodology to examine one of the longest and most stylistically rich chapters of the Qurʾān. It contributes to Qurʾānic rhetorical studies by emphasizing the artistic variation between declarative and imperative modes and linking them to expressive and affective objectives. The study demonstrates that the interplay of these two styles frequently achieves a balance between rational and emotional expression, while the purposes of the imperative style vary from literal to figurative, all serving the intended meaning.

Keywords: declarative styles, imperative styles, Qurʾānic rhetoric, Surah Āl ʿImrān, persuasion and impact, rhetorical excellence, stylistic variation, Qurʾānic objectives.

المقدمة:

تُعد البلاغة القرآنية من أبرز مظاهر الإعجاز في كلام الله تعالى، إذ تجمع بين دقة التّعبير وجمال الأسلوب وعمق المعنى. وقد تنوّعت الأساليب في القرآن الكريم بين الخبر والإنشاء، ليؤدي كلٌّ منهما وظيفة خاصة في بناء المعنى وإبراز المقاصد بأسلوب مؤثر. وتزخر سورة آل عمران بروائع البيان القرآني، فهي تحتوي على أساليب خبرية وإنشائية تخدم المعاني العقدية والتّربوية والتّشريعية، فتثبت قلوب المؤمنين وترد على شبهات الكافرين بأسلوب يجمع بين الإقناع العقلي والجمال الفني. ويهدف هذا البحث إلى دراسة هذه الأساليب في السّورة، من خلال تتبّع مواضعها وتحليلها في ضوء علم المعاني، وبيان أثرها البلاغي في توجيه المعنى وإظهار المقاصد، مع الكشف عن العلاقة بين اختيار الأسلوب والسّياق، ودور التّنويع الأسلوبي في خدمة المعاني البلاغية.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في الحاجة إلى دراسة بلاغية تكشف عن الأثر الّذي تُحدثه الأساليب الخبرية والإنشائية في سورة آل عمران، من حيث توظيفها في إبراز المعاني القرآنية وتحقيق المقاصد التّعبيرية. كما تسعى إلى توضيح دور التنويع الأسلوبي بين الخبر والإنشاء في سياقات التقرير والبيان والدّعوة والجدال، وبيان ما يحققه هذا التّنوع من تكامل بلاغي يسهم في إبراز الإعجاز البياني للسّورة.

أسئلة البحث.

1- ما الأساليب الخبرية والإنشائية الواردة في سورة آل عمران، وكيف يمكن تصنيفها وفقًا للبلاغة القرآنية؟

2- ما البنية البلاغية لهذه الأساليب، وما دورها في خدمة المعنى القرآني؟

3- ما الأثر البلاغي النّاتج عن التّنويع بين الأسلوب الخبري والإنشائي في السّياقات المختلفة في السّورة؟

4- كيف تحقق هذه الأساليب الإعجاز في النّظم والمعنى، وما الدّلالات النّفسية والتّربوية الّتي تحملها؟

أهداف البحث

1. الكشف عن الأساليب الخبرية والإنشائية الواردة في سورة آل عمران وتصنيفها.

2. تحليل البنية البلاغية لتلك الأساليب وبيان دورها في خدمة المعنى القرآني.

3. توضيح الأثر البلاغي النّاشئ عن التّنويع بين الخبر والإنشاء في السّياقات المختلفة.

4. إبراز ما تحقّقه هذه الأساليب من إعجازٍ في النّظم والمعنى، وما تحمله من دلالاتٍ نفسية وتربوية.

أهمية البحث

تنبع أهميّة هذا البحث من كونه يسعى إلى الجمع بين **التّحليل البلاغي الدّقيق والمنهج التّطبيقي** في دراسة سورةٍ من أطول سور القرآن الكريم وأكثرها ثراءً في البناء الأسلوبي. كما يُسهم في إثراء الدّراسات البلاغية القرآنية من خلال إبراز التّنوع الفني بين

الأسلوبين الخبري والإنشائي، وربطهما بالمقاصد التّعبيرية والوجدانية في النّص القرآني.

الدّراسات السّابقة.

تناول الباحثون الأساليب الخبرية والإنشائية من زوايا لغوية وبلاغية متعددة، وقد عرضت الدّراسات السّابقة جهودًا مهمّة في هذا المجال، غير أنّها اقتصرت غالبًا على أحد الجانبين أو على سور أخرى. وتأتي هذه الدّراسة لتسدّ جانبًا من هذا النّقص عبر جمعها بين تحليل الأسلوبين معًا في سورة آل عمران، مبيّنة أثرهما البلاغي في سياق السّورة الحجاجي والعقدي، ومعتمدة منهجًا نوعيًا يقوم على اختيار نماذج دالة وتحليلها دلاليًا، بما يكشف خصوصية الأسلوب القرآني ويضيف إسهامًا جديدًا إلى الدّراسات البلاغية المتخصصة.

1- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم.

المؤلف :د. صباح عبيد دراز، جامعة الأزهر، 1986م.

تناولت الدّراسة الأساليب الإنشائية في اللّغة العربية وبيان دلالتها البلاغية، ثمّ طبقتها على القرآن الكريم. **الشّبه مع البحث الحالي** :تحليل الأساليب الإنشائية لغويًا وقرآنيًا.

الاختلاف :البحث الحالي يشمل الأساليب الخبرية والإنشائية مع تطبيقها على سورة آل عمران فقط.

2- تغير أنواع الخبر في سورة البقرة (دراسة تحليلية بلاغية في علم المعاني)

المؤلف :محمّد ريزا رمضان، جامعة سلطان مولان حسن الدين الإسلامية، 1440هـ / 2019م.

حللت الدّراسة أسلوب الخبر في اللغة العربية والقرآن الكريم، مع تطبيقه على سورة البقرة، وبيان أنواعه وأغراضه وعدد الآيات الّتي ورد فيها .**أوجه الشبه** : دراسة الخبر لغويًا وقرآنيًا .**الاختلاف** :البحث الحالي يشمل الأساليب الإنشائية والخبريّة ويأخذ سورة آل عمران نموذجًا.

3- الأساليب الإنشائية الطّلبية وغير الطّلبية في جزء "عمّ" من القرآن الكريم.

المؤلفان :نادية بوجمعه وسيليا بوخانه، جامعة عبد الرّحمن ميرة – بجاية، الجزائر، 1438هـ / 2017م.

حللت الدّراسة الأساليب الإنشائية الطّلبية وغير الطّلبية في جزء "عمّ" وبيّنت أغراضها وأبرز الأساليب الغالبة، مع التّركيز على الاستفهام ثمّ الأمر والنّداء والنّهي والتّمني .**أوجه الشّبه مع البحث الحالي** : دراسة الأساليب الإنشائية لغويًا وقرآنيًا في جزء محدد، **الاختلاف** :البحث الحالي يشمل الأساليب الخبرية والإنشائية ويطبقها على سورة آل عمران.

4- الإنشاء والخبر بين التركيب والدّلالة: دراسة بلاغية في سورة البقرة.

المؤلفتان :بسمة منصورية وفاطمة زين، جامعة العربية التّبسي – بسبتة، الجزائر، 1441هـ / 2020م.

تناولت الدراسة الأغراض البلاغية للإنشاء والخبر وتحليل أساليبهما في سورة البقرة وبيان دلالاتها، موضحة العلاقة التّكاملية بين النحو والبلاغة .**أوجه الشبه** :دراسة الإنشاء والخبر لغويًا وقرآنيًا في سورة

محددة .**الاختلاف** :البحث الحالي يشمل الأساليب الخبرية والإنشائية مع تطبيقها على سورة آل عمران.

5- الأساليب الإنشائية البلاغية في سورة يوسف.

المؤلفة :فاطمة عبد الرحيم محمد علي، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 1439هـ / 2018م.

حللت الدراسة الأساليب الإنشائية في سورة يوسف وبيّنت أغراضها البلاغية والجماليات التي تضيفها، مع التركيز على الأمر والاستفهام والنداء والنهي والتمني .**أوجه الشبه** :دراسة الأساليب الإنشائية لغويًا وقرآنيًا .**الاختلاف** :البحث الحالي يشمل الأساليب الخبرية والإنشائية ويطبقها على سورة آل عمران نموذجًا.

منهج البحث.

يعتمد هذا البحث على **المنهجين الوصفي والتّحليلي** لدراسة النّص القرآني، مع الاستعانة **بالمنهج البلاغي التّطبيقي** في تحليل التّراكيب واستخلاص الدلالات البلاغية. ويتم ذلك من خلال ما يلي:

1. تتبّع الآيات الّتي ورد فيها الأسلوب الخبري أو الإنشائي في سورة آل عمران.
2. تحليل هذه الآيات في ضوء قواعد علم المعاني لتوضيح البنية البلاغية لكل أسلوب.
3. استنباط الأثر البلاغي لكل أسلوب بحسب سياقه، مع بيان دوره في خدمة المعنى وإبراز المقاصد البلاغية.

ويُقسم البحث إلى مقدمة أربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأوّل :**نبذة عن سورة آل عمران.**

المبحث الثّاني :**المفهوم الخبري الإنشائي.**

المبحث الثّالث : مختارات من **الأساليب الخبرية في سورة آل عمران.**

المبحث الرابع : مختارات من **الأساليب الإنشائية في سورة آل عمران.**

الخاتمة:وتتضمن أهم النّتائج الّتي توصّل إليها البحث، والتّوصيات.

المبحث الأول: نبذة عن سورة آل عمران:

إنّ سورة آل عمران هي السّورة الثّالثة في ترتيب المصحف، وتأتي بعد سورة البقرة، وهي من السّور المدنيّة الطّويلة الّتي تركز على إرساء التّشريع والأحكام الفقهيّة العمليّة. وترتكز السّورة على جانبين أساسيين:

الجانب الأوّل: الاهتمام بإقامة الأدلّة والبراهين على توحيد الله تعالى، وإثبات النّبوة وصدق القرآن الكريم، والرّد على شبهات أهل الكتاب حول الإسلام والرّسالة المحمدية، وقد جاءت متممة لسورة البقرة؛ فبينما أقامت البقرة الحُجّة، جاءت آل عمران لإزالة الشّبهة وتوضيح الحقائق الإيمانية.وذلك في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ...﴾ **[البقرة:21]** وفي آل عمران تصويرهم في الأرحام، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء ...﴾ **[آل عمران:6]**.

"وذكر في سورة البقرة مبدأ خلق آدم عليه السّلام، وفي آل عمران مبدأ خلق أولاده، وافتتحت سورة البقرة بقصّة آدم عليه السّلام وخلقه من تراب بلا أبّ ولا أمّ"، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ **[البقرة:30]** "وذكر نظيره في سورة آل عمران، الخلق من غير أبّ وهو عيسى عليه السّلام"، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون﴾ **[آل عمران:47]** [1].

الجانب الثّاني: اشتملت سورة آل عمران على تنظيم التشريعات المتعلقة بالجهاد وبعض أحكام الشريعة كالحج والزكاة وتحريم الربا، وتناولت غزوتي بدر وأحد لاستخلاص العبر، كما دعت إلى التأمل في خلق السماوات والأرض لإثبات عظمة الخالق. وتُعد موضوعاتها متممة لسورة البقرة، إذ يجمع بينهما ترابط في المقاصد والأساليب الشرعية والبيانية. [2]، والمخاطب هنا هو المنكر أو المتردّد؛ لذلك تتنوع الأساليب القرآنية وتتفاوت حسب درجة الإنكار والتّردّد، بهدف توضيح المعاني المرادة وتثبيتها، وإزالة الشّك والاحتمال، وتعزيز النّهي أو النّفي. فالأساليب اللّغوية في القرآن الكريم تعمل كعناصر متكاملة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ **[النساء:82]** ولا سيما الأساليب الإنشائية والخبرية، لأنّ القرآن الكريم هو كلام ربّ العالمين سبحانه وتعالى، المنزّل على عبده. كذا في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ **[الفرقان:1]**. حيث يشمل القرآن الكريم على أوامر ونواهٍ ووعد ووعيد، وهذه الأمور تتطلّب استخدام أساليب متنوّعة لبيانها وترسيخها. وقد وردت في هذه السّورة العديد من هذه الأساليب، الّتي سيتناولها البحث.

المبحث الثّاني :**المفهوم الخبري والإنشائي**:

يقسّم البلاغيون الكلام إلى نوعين :**الخبر والإنشاء**، إذ يرون أن كل ما يصدر عن الإنسان من كلام لا يخرج عن هذين القسمين؛ فهو إمّا خبر يُحتمل الصدق والكذب، وإمّا إنشاء لا يحتمل ذلك، يرى القزويني أن الكلام ينقسم إلى **خبر** و**إنشاء**؛ فالكلام إن كانت له نسبة يمكن أن تُطابق الواقع أو تُخالفه فهو **خبر**، وإن لم يكن له خارج يُطابقه أو يُخالفه فهو **إنشاء**[3] فجعلوا الإنشاء قسيم الخبر.

أوّلا: الخبر، الخبر عند البلاغيين هو **الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب لذاته**، وهو نفس تعريف اللغويين تقريبًا، مع استثناء القرآن الكريم والأحاديث النبوية. وقد انقسم البلاغيون في تعريفه إلى فريقين: أحدهما يكتفي **بالأمثلة والتّطبيقات** دون وضع

(1) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط1، ج2، ص71. بالتّصرف

(2) **المرجع السّابق**.

(3) القزويني **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط3، ج1، ص56.بالتصر.

حدودٍ وتعريفات. يرى **السّكاكي** أن معرفة الصّادق والكاذب أمرٌ فطري يدركه حتى الصغار دون حاجة إلى التعريفات المنطقية، لأنهم يميّزون بين التصديق والتكذيب بطبيعتهم، ولهذا رأى أن القول بأن الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب إنما هو **تحديد لما هو معلوم بالبديهة**[1]،أما الجرجاني فيرى وجوب وضع تعريفٍ دقيق للخبر، لأن معرفة أمثلته وحدها لا تكفي؛ فبالتعريف يمكن التمييز بين ما هو خبر حقيقي وما هو في لفظه خبر لكنه في معناه **إنشاء**، مثل قولنا :*رحمة الله عليه*، فهو دعاء لا خبر ويتبّن من قوله أنّ هذا التّعريف للخبر يشمل اللّغات كلّها ولا يختصّ باللّغة العربية فحسب، ولهذا يقول القزويني:" اختلف النّاس في انحصار الخبر في الصّادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنّه منحصر فيهما ثم اختلفوا:

1- فقال الأكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه للواقع، أي: (الخارج الّذي يكون لنسبة الكلام الخبري، فصدق الخبر على ذلك هو مطابقة نسبته الكلامية للنسبة الخارجية، سواء طابقت الاعتقاد أو لا) هذا هو المشهور وعليه التّعويل.

2- وقال بعض النّاس: صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صوابًا كان أو خطأ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له"[2].

مما يستنتج من ذلك، أنّ الخبر هو الكلام الذي يمكن للمتكلم التحكم في صدقه أو كذبه بالنظر إلى ذاته، بغض النظر عن المخاطب، دون الالتباس بالأخبار القطعية الصدق أو الكذب، إذ قد يكون صادقًا أو كاذبًا في الواقع، وقد يصدقه السامع أو يكذبه.

ثانيا: الإنشاء، الإنشاء عند البلاغيين، هو الكلام الّذي لا يحتمل الصّدق ولا الكذب، ويحمل في طيّاته عاطفة يعبر بها المتكلم عن إرادته، سواء بالأمر أو النّهي أو النّداء أو التّعجب أو الاستفهام، بحسب الأغراض الّتي تقتضيها الحال، يقول التفتازاني: "فَإِنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ الْكَذِبَ) أَيْ الْإِنْشَاءُ لَا يَحْتَمِلُ التَّدَارُكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّدَارُكِ تَدَارُكُ الْكَذِبِ وَالْإِنْشَاءُ لَا يَحْتَمِلُ الْكَذِبَ"[3].

وعرّفه الدسوقي بقوله:" والإنشاء ليس بحكم، بل هو إيجاد معنى بلفظ يقارنه في الوجود"[4]. ومعنى ذلك أنّ الإنشاء: لا يقصد به الحكاية عن أمر حدث، وإنّما يقصد به إنشاء أمر لم يحدث من قبل، مثل الأمر بفعل شيء، أو النّهي عنه، وفي قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُوم﴾ **[القلم:48]** ورد في هذه الآية، الإنشاء بصيغة الطّلب، وفعل الأمر وعرّفه مزبان: "كلّ فعل دلّ على الطّلب بصيغته"[5]. والله سبحانه تعالى، أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصّبر على حكمه تعالى، أي: على تحمّل رسالته الّتي أوكِلت إليه، وما تنطوي عليه من تحمّل

(1) السّكاكي: **مفتاح العلوم**، ط3، د.ج، ص164.

(2) القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط3، ج1، ص59.

(3) التّفتازاني: **التّلويح على التوضيح**، د.ط، ج1، ص200م.

(4) الدسوقي: **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني**، د.ط، ج1، ص301.

(5) المرجع نفسه

مسؤوليات الدّعوة، ثمّ يلي الأمر النّهي، عن استعجال النّصر، مثلما حدث مع نبيّ الله يونس عليه السّلام- صاحب الحوت، يقول ابن عاشور:" وَحَثَّهُ عَلَى الْمُصَابَرَةِ وَاسْتِمْرَارِهِ عَلَى الْهُدَى، وَتَعْرِيفَهُ بِأَنَّ ذَلِكَ التَّثْبِيتَ يَرْفَعُ دَرَجَتَهُ فِي مَقَامِ الرِّسَالَةِ لِيَكُونَ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ، فَذَكَّرَهُ بِمَثَلِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذِ اسْتَعْجَلَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، فَأَدَّبَهُ اللَّهُ ثُمَّ اجْتَبَاهُ وَتَابَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ تَذْكِيرًا مُرَادًا بِهِ التَّحْذِيرُ" (1).

فتعريف الإنشاء عند البلاغيين: تمهيد لبيان المعنى الصادرة من صيغة، سواء كان أمرًا، أو نهيًا، أو استفهامًا، أو تعجبًا، الّتي سيأتي بيانها في المبحث الثالث.

وهذه هي التّعريفات الّتي وردت في مفهوم الخبر ومفهوم الإنشاء عند البلاغيين.

المبحث الثالث: مختارات من **الأساليب الخبرية في سورة آل عمران.**:

الخبر هو أسلوب للتعبير عن المعلومات والحقائق بشكل مباشر، دون طلب أو أمر، ويكوّن مع المبتدأ جملة مفيدة. ويقسم إلى ثلاثة أنواع بحسب موقف المخاطب :**ابتدائي** إذا كانت المعلومة جديدة، **طلبي** إذا كان المخاطب مترددًا، و**إنكاري** إذا أنكر المعلومة ورفضها، مع كون الأصل في الخبر الابتدائية لنقل المعلومات الجديدة.، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين﴾**[آل عمران:49].** ففي هذه الآية، الله سبحانه وتعالى يخبر عن إرسال عيسى عليه السلام **ابتدائيًا** لإبلاغ بني إسرائيل بأمر جديد. وعندما ظهر شكهم وترددهم، جاء الخبر مصحوبًا بتوكيدات ومعجزات لإزالة الشك، ثم استُخدم **خبر مؤكد بتوكيدين**)إنّ + اللام المزحلقة) لتثبيت صدق الرّسالة وإظهار اليقين في المعجزات.

ومثله في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾**[آل عمران:78]** وهذه الآية تتضمن الأساليب الخبرية الثلاثة: الخبر الابتدائي وهو الإخبار بوجود فريق من أهل الكتاب يلوون ألسنتهم بالكذب للتّنبيه والتّحذير. الخبر الإنكاري وهو نفي صحة ادعاءاتهم كما في قوله وما هو من الكتاب وما هو من عند الله مستخدما أدوات النّفي وضمائر الفصل لتأكيد الزّيف وقطع الشّك. الخبر الطّلبي فيظهر عند ربط الخبر بموقف المخاطب وتلقيه للمعلومة. وقد اجتمعت في هذه الآيات الأساليب الخبرية الثّلاثة، وهي:

الخبر الابتدائي: وهو الّذي يُعلن عن أمر جديد لم يكن معلوما مسبقا.

(1) ابن عاشور: **التّحرير والتنوير**، د. ط، ج29، ص104.

الخبر الطلبيّ: وهو الخبر المؤكد الّذي يحمل في طياته دعوة ضمنية لإزالة الشّك والتّردد.

الخبر الإنكاري: وهو الخبر المؤكد بتأكيدين ، ويُوجه خطابًا إلى من أصرّ على الإنكار.

وفيما يلي، يتوضيح هذه الأنواع الثّلاثة، على حدة، وأغراضها النّحوية والبلاغيية:

أوّلا: الخبر الابتدائي:

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيل﴾**[آل عمران:3].** والخبر في هذه الآية ابتدائي، إذ يتضمّن معلومات جديدة للمخاطب، ويُخبر عن حقيقة نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم بالحقّ، وأنّه مُصدّق لما قبله من التّوراة والإنجيل. وهذه معلومات جديدة لهم. لذلك لا يستدعي التّوكيد، بل يُكتفى بالخبر المباشر لإبلاغهم بتلك الحقائق.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّه لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾**[آل عمران:5].** في هذه الآية، يُخبر الله سبحانه وتعالى بأن "لا شيء في الأرض أو في السّماء يخفى عليه"، وهذا يشير إلى علم الله الواسع الّذي لا يخفى عليه شيء، وهو خبر جديد يقدّمه الله للنّاس ليبيّن لهم عظمة علمه وقدرته، وهو أمر قد لا يكونوا على دراية به أو يحتاجون لتأكيده.

ثانيا: الخبر الطّلبي:

ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ...﴾**[آل عمران:19].** الخبر في هذه الآية طلبيّ؛ لأنّه يهدف إلى التّوجيه وإثبات الحقيقة الدّينية العظيمة وهي، أنّ الدّين المقبول عند الله هو الإسلام، مع دفع التّردد والتّشكيك باستخدام أداة التّوكيد "إنّ".

ثالثا: الخبر الإنكاري:

ومن أمثلته **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا وَأُولَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّار﴾**[آل عمران:10].** والخبر في هذه الآية إنكاريّ، والغرض منه توجيه الخطاب إلى فئة تنكر الحقّ وحقيقة الجزاء الإلهي. ولذلك جاء مؤكدًا بأدوات متعددة، مثل **"إنَّ"** الّتي تفيد التّوكيد، و**"لن"** الّتي تفيد النّفي القاطع للمستقبل، ممّا يُبرز قوّة المعنى ويؤكد مصيرهم المحتوم كوقود للنّار.

ومثله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّه لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾**[آل عمران:5].** والخبر هنا إنكاري، إذ جاء مؤكدًا بأداة التوكيد **"إنَّ"** لإثبات حقيقة علم الله الشّامل وإزالة أيّ شكّ أو تردّد لدى المخاطب بشأنها، خاصة لمن قد يغفل عن هذه الحقيقة أو ينكرها.

المبحث الرابع : مختارات من **الأساليب الإنشائية في سورة آل عمران.**

إنّ سورة آل عمران، كما ذُكر سابقًا، تعالج القضايا الشّرعية وتقيم الأدّلة والبراهين حولها. وتمتاز الأساليب الإنشائية فيها بالحَثِّ على التّأمل، وإثارة الذّهن، وتنشيط العقل، وتحفيز المخاطب والسّامع.

تنقسم الأساليب الإنشائية إلى قسمين: الطَّلَبية، وهي التي تستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطّلب، ومنها: **الأمر**، و**النّهي**، و**الاستفهام**، و**النّداء بأنواعه**، و**التّمني**.

وغير طلبيّة، أما القسم الثّاني فهو الأساليب غير الطَّلَبية، ومنها: **العجب**، و**المدح** و**الذّم**، و**القسم**، و**أفعال الرّجاء**، وسيتم تناول كلّ منها على حدة.

أولا: الأساليب الطّلبيّة:

أ- الأمر: ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَاد﴾ **[آل عمران:12].** ويكون الأمر لطلب الفعل على سبيل الإلزام، فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهؤلاء الكفّار على سبيل الإنذار والتّهديد إنّهم سيغلبون ويقتلون في الدّنيا، ومصيرهم في الآخرة هو نار جهنّم، وبئس المهاد ، وفي هذا المعنى يقول ابن عاشور: "والله سبحانه وتعالى يأمر نبيّه بأن يقول للكافرين بأنّهم سيغلبون ويقتلون، ويحشرون إلى جهنّم، وهذا على سبيل الإنذار والتهديد لزيادة الموعظة والتّذكير"[1].

وقد ورد في السّورة الأمر ب"**قُلْ**" في مواضع كثيرة، الّتي سيتم بيانها فيما يأتي:

منه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد﴾ **[آل عمران:15]** يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يخبر قومه بما أعد لعباده المتقين من نعيم الجنّة، وهو خير لهم من زينة حياة الدّنيا، وقال عزّ وجلّ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآب﴾ **[آل عمران:14]** وذكر الطّبريّ، قول أبي جعفر إذ يقول: "يعني جل ثناؤه: قل، يا محمد، للنّاس الّذين زُيّن لهم حب الشّهوات من النّساء والبنين، وسائر ما ذكر ربّنا جل ثناؤه: "أؤنبئكم"، أأخبركم وأعلمكم ="بخير من ذلكم"، يعني: بخير وأفضل لكم ="من ذلكم"، يعني: مما زُيّن لكم في الدّنيا حبُّ شهوته من النّساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذّهب والفضة، وأنواع الأموال التي هي متاع الدّنيا"[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيم﴾ **[التوبة:21].** يؤكد الله لهم الوعد برحمة أبدية ورضوان دائم، ونعيم خالد في الجنّة. وفي السّياق نفسه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم﴾ **[التوبة:111]** إذ يأمر الله تعالى المؤمنين بأن يستبشروا ببيعهم الذي بايعوه لله، وهو عرض صادق لعطاءٍ عظيم. وهذا الأمر يتضمّن

(1)الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط1، ج2، ص71. بالتّصرف.

(2) الطبريّ: **جامع البيان**، ط1، ج6، ص260.

تحفيز المؤمنين على الفرح والسرور بما قدموه من تضحية في سبيل الله، وهذا يمثل أسلوبًا بلاغيًا يُبرز أهمية وعد الله بالمغفرة والجنة يقول الحليمي: "بين أنّ هؤلاء البائعين المشتري منهم: من هم التّائبون العابدون الحامدون السّائحون الرّاكعون السّاجدون، الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر، والحافظون لحدود الله، وبشر المؤمنين أي فبشر الذين آمنوا، أي وبشر الّذين هذه صفاتهم بأن الله واف بعهده لهم، وهو اشتراؤه أنفسهم وأموالهم للقتال في سبيل الله بالجنة، فإنّهم هم المؤمنون بالإطلاق..."[1]. و قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين﴾ **[البقرة:91]**، وفي هذا السّياق، يأمر الله نبيّه صلّى الله عليه وسلم أن يخبر هؤلاء الكفّار، الّذين أصرّوا على كفرهم وتمادوا في قتلهم للأنبياء، بأنّ لهم عذابًا أليمًا جزاءً على ما كانوا يفعلون، وذلك في قوله تعالى: **﴿...فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيم﴾** أي: أنذرهم بعذاب أليم، جزاء بما كانوا يفعلون، ويقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُون﴾ **[آل عمران:24]** " وجاءت الآية ب **"إنّ"** لزيادة التّأكيد، ولا تدخل **الفاء** في خبر **"إنّ"** إلاّ إذا كان اسمها صلة موصولة بالفعل، فتكون بمنزلة الجواب والجزاء، كأن يُقال: **"إنّ الّذين يكفرون فبشرهم"** بمعنى: **من يكفر فبشره** ، يقول العكبري: "قَوْلُهُ تَعَالَى: **(فَبَشِّرْهُمْ)** : هُوَ خَبَرُ إنَّ، وَدَخَلَتِ الْفَاءُ فِيهِ حَيْثُ كَانَتْ صِلَةَ الَّذِي فِعْلًا، وَذَلِكَ مُؤْذِنٌ بِاسْتِحْقَاقِ الْبِشَارَةِ بِالْعَذَابِ جَزَاءً عَلَى الْكُفْرِ، وَلَا تَمْنَعُ إنَّ مِنْ دُخُولِ الْفَاءِ فِي الْخَبَرِ ; لِأَنَّهَا لَمْ تُغَيِّرْ مَعْنَى الِابْتِدَاءِ بَلْ أَكَّدَتْهُ، فَلَوْ دَخَلَتْ عَلَى الَّذِي «كَأَنَّ» ، أَوْ «لَيْتَ» لَمْ يَجُزْ دُخُولُ الْفَاءِ فِي الْخَبَرِ"[2] وبذلك تتحول **"البشارة"** الّتي كانوا ينتظرونها إلى عذاب أليم، إذ يكون موضع البشارة هو ذاته موضع العذاب.، وقد أشار النّحّاس إلى هذا المعنى، إذ يقول: " أي: اجعل لهم موضع البشارة عذابًا أليمًا"[3] كما في قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ **[النّساء:138]**

وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾ **[آل عمران:29]** في هذه الآية الكريمة، يأمر الله سبحانه وتعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يُخبِر المؤمنين بأنّه تعالى، بعدما نهاهم عن اتّخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يعلم ما في صدورهم، سواء أظهروه أم أخفوه، فهو سبحانه عالم الغيب والشّهادة. وأنّه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي

(1) الحليمي: **المنهاج في شعب الإيمان**، ط1، ج2، ص479.

(2) العكبري: **التّبيان في إعراب القرآن**، د.ط، ج1، ص249.

(3) النّحاس: **إعراب القرآن**، ط1، ج2، ص117.

الصُّـــدُور﴾ **[غـافـر:19]** وقـولـه **﴿...مـا فى صـــدوركم...﴾** مجاز مرســـل، والمراد بها القلوب، وعلاقتها المحلية؛ لأنّ الصّـدور محل القلوب الّتي تتأثر بالمحبّة والمودّة والكراهة والحقد وغيرها. يقول الطبري: "يعني بذلك جل ثناؤه: "قل" يا محمد، للذين أمرتهم أن لا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ="إن تخفوا ما في صـدوركم" من موالاة الكفّار فتسروه، أو تبدوا ذلكم من نفوسكم بألسنتكم وأفعالكم فتظهروه ="يعلمه الله"، فلا يخفى عليه. يقول: فلا تضـــمروا لهم مودة ولا تظهروا لهم موالاة، فينـالكم من عقوبـة ربكم ما لا طاقة لكم به، لأنه يعلم سركم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شـيء منه، وهو محصـيه عليكم حتى يجازيكم عليه بالإحســـان إحســـانا، وبالســـيئة مثلها،"[1].

ومنـه قولـه تعـالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَـــادِقِين﴾ **[آل عمران:93]** والأمر في هذه الآية الكريمـة عنـد قولـه تعـالى: **﴿قُـلْ فَـأْتُواْ﴾** وليس المقصـــود منه تحقيق الإتيان، بل جاء لتبيان عجزهم عن ذلك. ومثله قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَـأْتُواْ بِمِثْـلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَـأْتُونَ بِمِثْلِـهِ وَلَوْ كَـانَ بَعْضُـــهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ **[للإســـراء:88]** وقد ظهر عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن كاملاً، فخفف التّحدي بأن يُأتوا بعشر سورٍ مثله، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين﴾ **[هود:13]**. فعجزوا، ثمّ خفف التّحدي أكثر بأن يأتوا بســـورة واحدة، فقال جلّ وعلا: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَـــادِقِين﴾ **[البقرة:23]** وهكذا، ينتقلون من عجز إلى عجز، ومن هزيمة إلى هزيمة، أمام بلاغة القرآن وعجزهم عن الإتيان بمثله، ويقول الزّرقاني:" فكان عجزهم بعد ذلك أشـــنع وأبشع وسجل الله عليهم الهزيمة أبد الدهر فلم يفعلوا ولن يفعلوا ودحضت حجتهم وافتضح أمرهم وظهر أمر الله وهم كارهون"[2].

وبأتي الأمر بمعنى الدّعاء ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَـمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَـــيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ **[آل عمران:193]**. ويتجلّى أســـلوب الأمر في هـذه الآيـة في قولـه تعـالى:﴿ **فَـاغْفِرْ ... كَفِّرْ ... تَوَفَّ** ﴾ إذ يتوجّـه المؤمنون إلى ربّهم بالـدّعـاء، ســـائلين إيّاه غفران الـذّنوب، وتكفير السّـــيئـات، وأن يُتوفّـاهم مع الصّالحين، في تعبير جامع عن الرّجاء والإنابة.

(1) الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط1، ج6، ص318.

(2) الزّرقـاوي: منـاهـل **العرفـان في علوم القرآن**، ط3، ج2، ص333،

ويُلاحظ في بعض مواضع القرآن الكريم ورود النداء بدون أداة النداء (**يا**)، مع بقاء المعنى الدّلالي للفعل. ويحمل النّداء في هذا السّياق معنى الأمر بصيغة الالتماس والدّعاء، لا بصيغة التّكليف المباشر، ويُحذف حرف النّداء غالبًا في خطاب الله تعالى تحقيقًا لغايتين:

– التّعظيم والإجلال لذاته العلية، وتنزيهه عن أسلوب الأمر المباشر. يقول مكي: "ونداء الرّبّ قد كثر حذف يَا مِنْهُ فِي الْقُرْآن وَعلة ذَلِك أَن فِي حذف **يَا** من نِدَاء الرّبّ تَعَالَى معنى التَّعْظِيم لَهُ والتنزيه وَذَلِكَ أَنّ النّداء فِيهِ طرف من معنى الْأَمر؛ لِأَنَّك إِذا قلت يَا زيد فَمَعْنَاه تعال يَا زيد أَدْعُوك يَا زيد فحذفت يَا من نِدَاء الرّبّ ليزول معنى الْأَمر وَينْقص لِأَنّ يَا تؤكده وَتظهر مَعْنَاهُ وَكَانَ فِي حذف يَاء التَّعْظِيم والإجلال والتنزيه للرّبّ فَكثر حذفهَا فِي الْقُرْآن"[1] .

– بيان قرب المنادى للدّاعي إذا دعا، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون﴾ **[البقرة:186]**وقوله تعالى: ﴿...وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد﴾ **[ق:16]**.

ويأتي النّداء أحيانًا مع حرف النّداء "**يا**" لإبراز عظمة المنادى أو تحقيق القرب الرّوحي، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّه وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُون [64] ويظهر عند قوله تعالى:﴿قُلْ...قُولُواْ اشْهَدُوا﴾، وأمر الله سبحانه وتعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة توحيد، فلا عبادة إلاّ لله وحده، ولا طاعة إلاّ لأمره، فهو سبحانه تعالى واحد لا شريك له في العبادة والطّاعة. وكما ذكر الشّعراوي في تفسيره: " إنّها آية تحمل دعوة مستوية بلا نتوءات، فلا عبادة إلاّ لله، ونحن لا نأخذ «افعل» و «لا تفعل» إلا من الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا كهنوتا أو مصدرا للتحليل أو التحريم، فإن رفضوا وتولوا، فليقل المؤمنون: ﴿اشهدوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: أنّه لا يوجد إلّا إله واحد، ولا شركاء له، وبعضنا لا يتخذ بعضا أربابا، وتلك شهادة بأنّ الإسلام إنّما جاء بالأمر المستوى الّذي لا عوج ولا نتوء فيه ونحن متبعون ما جاء به"[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿يَامَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِين﴾ **[آل عمران:43]** والأمر في هذه الآية الكريمة عند قوله تعالى: **﴿... اقْنُتِى ...اسْجُدِى ارْكَعِى... ﴾**. فقد أمر الله سبحانه وتعالى مريم عليها السّلام بعبادته، وذلك بدرجة عامة، ممّا يدلّ على الإخلاص والدّوام في العبادة له

1() مكي: **مشكل إعراب القرآن**، ط2، ج1، ص285.

2 () الشعراوي: **الخواطر**، د.ط، ج3، ص1524.

وحده دون سواه. ثمّ جاء ذكر السّجود والرّكوع على وجه الخصوص، وهما من أهمّ أعمال الصّلاة، الّتي تُعتبر من أعظم أنواع العبادة. يقول السّامرائي: " فتدرج من الكثرة إلى القلّة، فبدأ بالقنوت وهو عموم العبادة، ثمّ السّجود وهو أقل وأخص، ثمّ الرّكوع، وهو أقلّ وأخصّ"(1). إنّ تقديم السّجود قبل الرّكوع قد اختلف فيه أهل العلم، وهناك أقوال كثيرة في هذا الشّأن.يقول ابن عطية: اختلف المفسرون في سبب تقديم السجود على الركوع في الآية، فرأى بعضهم كان ذلك في شرع زكريا، وقال آخرون: الواو لا تدلّ على ترتيب بل معناها افعلي هذا وهذا، مع العلم بتقديم الركوع. والآية أشكلت أكثر من قولنا: قام زيد وعمرو، لأن القيام لا رتبة له، فكيف جاءت الواو مع علم أن السجود بعد الركوع؟

ومن هذه الأقوال ما يُبيّن أنّ من أساليب العرب أنّه إذا ذُكِر شيئان، فإنّ آخر المذكورين قد يكون هو المتقدّم في الفعل. وقد أشار ابن جنّي إلى ذلك بقوله: "إنّ رُتبة التقدّم قد تكون لما ورد آخِرًا، فيكون المتأخّر في اللفظ هو المتقدّم في الفعل، فيقع كلّ منهما في الموقع الذي يناسبه ويليق به"(2).

ومن ذلك أيضا، قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِين ﴾ **[آل عمران:61]** يظهر الأمر في هذه الآية في قوله تعالى: **﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ ﴾** إذ يُوجّه النّبيّ محمد صلى الله عليه وسلم بالقول لأهل الكتاب: **﴿ تعالوا ندع ﴾**. وذكر العاني في معنى الآية: "«**فَقُلْ تَعالَوْا**» أيها المجادلون المخاصمون بذلك «**نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ**» نحن وأنتم بأن نتضرع إلى الله ونجهد أنفسنا بالدعاء «**فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ**»"(3)

وكذا في قوله تعالى: ﴿ ...قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيم ﴾ **[آل عمران:73]**. يظهر الأمر في هذه الآية في قوله تعالى: **﴿ ...قُلْ... ﴾**، إذ يُوجَّه النّبيّ صلى الله عليه وسلم بأن يبيّن لهم أنّ الهداية من الله وحده، وأنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُون ﴾ **[آل عمران:98** ويأتي الأمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، عند قوله **﴿ قُلْ ﴾**، أي: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الكفّار من أهل الكتاب، مبيّنًا لهم سوء فعلهم بكفرهم بآيات الله، مع أنّ الله شاهدًا على ما يقومون به من أعمال، وعلى هذا أشار الطنطاوي في تفسيره: " أى: قل يا

(1) السّامرائي: **معاني النّحو**، ط1، ج2، ص230.

(2) ابن جنّي: **الخصائص**، ط4، ج1، ص296.

(3) العاني: **بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]**، ط1، ج5، ص350.

محمد لهؤلاء اليهود الذين كفروا بالحق بعد أن جاءتهم البينات: لم تعاندون الحق وتكفرون بآيات الله السمعية والعقلية الدالة على صدقى فيما أبلغه عن ربي، والحال أنّ الله مطلع عليكم وعالم علم المعاين المشاهد لأعمالكم الظاهرة والخفية، وسيجازيكم عليها بما تستحقونه من عقاب أليم"[1]. كذلك في قوله تعالى: ﴿...فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِين﴾**[آل عمران:81]** والامر في قوله تعالى: **﴿فَاشْهَدُواْ﴾** يعني: فاشهدوا، أيها الأنبياء، على أنفسكم وعلى أتباعكم بما أخذ الله منكم من ميثاق، وأن تُقرّوا بهذا العهد. وبهذا قال مكي: " أي: اشهدوا أيّها النّبيون بما أخذت به ميثاقكم عليكم، وعلى أممكم"[2]**.** ومنه قوله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّه غَفُورٌ رَّحِيم﴾**[آل عمران:31].** وأورده البخاري في صحيحه:..." عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: كلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجنة، ومن عصاني فقد أبى"[3] .

وأيضا قوله تعالى: ﴿...فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين﴾**[آل عمران:159]** تأتي أوامر الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم في الآية بصيغ الأمر عند قوله: ﴿ **فَاعْفُ ... وَاسْتَغْفِرْ ...وَشَاوِرْ... فَتَوَكَّلْ** ﴾ وقد أمره الله تعالى بالعفو عنهم، والاستغفار لهم فيما يختصّ بحقّ الله، ومشاورتهم في الأمور، ثمّ التّوكل على الله بعد اتخاذ القرار. وقد أورد القرطبي في تفسيره أقوال العلماء في هذه الآية: "قال العلماء: أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الأوامر التي هي بتدريج بليغ، وذلك أنه أمره بأن يعفو عنهم ما له في خاصته عليهم من تبعة، فلما صاروا في هذه الدرجة أمره أن يستغفر فيما لله عليهم من تبعة أيضا، فإذا صاروا في هذه الدرجة صاروا أهلا للاستشارة في الأمور."[4]

ومنه قوله تعالى: ﴿...تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ ... ﴾**[آل عمران:167]** ويأتي أسلوب الأمر في الأفعال: **﴿ تَعَالَوْاْ ... قَاتِلُواْ ... ادْفَعُواْ﴾** والمقصود به الدّعوة إلى الجهاد في سبيل الله، إما بالمواجهة المباشرة أو بدفع العدوّ، وهو تعبير عن التّحفيز والتّحريض على المشاركة الفعلية في القتال. ومثله في قوله تعالى: ﴿... قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِين﴾**[آل عمران:168]** والأمر في هذه الآية

(1) الطنطاوي: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط1، ج2، ص194.

(2) مكي: **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ط1، ج2، ص1064.

(3) البخاريّ: **صحيح البخاريّ، كتاب الاعتصام** بالكتاب والسّنة، **باب** الاقتداء بسنة الرّسول ﷺ، ط5، ج6، ص2655، رقم الحديث 685.

(4) القرطبي: **تفسير القرطبي**، ط2، ج4، ص249.

عند قوله تعالى: ﴿ **قُلْ فَادْرَؤُوا** ﴾ ويُفهم من سياق الآية، أنّهم حين قيل لهم: لا تنفروا وتتركوا نبيّكم تعالوا قاتلوا لأجل دفاع عن دين الله ولأنفسكم وأموالكم، فما كان جوابهم إلاّ أن قالوا: ﴿ **لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ** ﴾. وعند ذلك بيّن الله سبحانه وتعالى حقيقة حالهم بقوله: ﴿ ...هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُون ﴾**[آل عمران:167]** ثم أمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: إن كان فراركم من القتال وعدم دفاعكم عن دين الله نابعًا من حبّ الحياة وكراهية الموت، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم قادرين عليه، فقال عزّ وجلّ: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾**[النساء:78]** وعلى هذا يقول النّسفي: "أي: قل يا محمد: فادفعوا عن أنفسكم الموت إذ لم تحضروا القتال إنْ صدَقتم أنَّ مَن لم يشهد القتال حيٌّ فلم يَتلَفْ، وهذا ردٌّ عليهم ما قالوه من الكلام"(1).

ب– النّهي:

والنّهي، كما أسلفنا الذّكر، هو الامتناع عن فعل لغرض مقصود، ويأتي لأغراض كثيرة منها الامتناع، كما في قوله تعالى: ﴿لاّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ... ﴾ **[آل عمران:28]** النّهي هنا يظهر في قوله تعالى: ﴿ **لاّ يَتَّخِذِ...** ﴾ أي: نهي الله تعالى المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فلا ينبغي لهم الاعتماد عليهم أو طلب النصرة منهم بدلاً من إخوتهم في الإيمان. ويؤكد هذا النّهي في آية أخرى بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُون ﴾**[آل عمران:118]** فالنّهي هنا يراد به الامتناع والتّأكيد على ضرورة عدم اتّخاذ الكافرين بطانة أو أولياء؛ إذ إنّ الآية افتتحت بالنّداء المباشر للمؤمنين، في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾، ممّا يزيد من وضوح توجيه النّهي إليهم، وذلك حمايةً لهم من الأذى الّذي قد يلحق بهم جراء ولائهم لغير المؤمنين

وكذا في قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن

(1) النّسفي: **التّيسير في التّفسير**، ط1، ج4، ص354.

يَـفْـعَـلْـهُ مِـنـكُـمْ فَـقَـدْ ضَـلَّ سَـوَاء السَّـبِـيـل﴾**[الممتحنة:1]**. في هـذه الآيـة، يُنهى المؤمنون عن التّودد إلى أعداء الله وأعدائهم، وذلك بربط هذا النّهي بموقف الكافرين من الرّسالة المحمديّة ورفضهم لما جاء به من الحق من عند الله سبحانه وتعالى. وأيضا في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ **[النساء:144]**، إذ يُحذِّر الله المؤمنين من عواقب اتّخاذ الكافرين أولياء وترك ولاء المؤمنين، مشيرًا إلى أنّ هذا الفعل يترتّب عليه سخط من الله وسلطان مبين على عباده. كما يظهر النّهي ذاته في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[المائدة:51]**. هنا، يبيّن الله سبحانه وتعالى خطر التّحالف مع اليهود والنّصارى واعتبارهم أولياء، وصفًا أنّ من يتولاهم فكأنّه جزء منهم، كما أكّد الله سبحانه وتعالى أنّه لا يهدي القوم الّذين يظلمون أنفسهم بهذا الولاء. وأيضا في قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾**[النساء:89]**. مبينًا أنّ هؤلاء يرغبون بأن يكفر المؤمنون كما كفروا، لذا يجب على المؤمنين أن يكونوا حذرين وألاّ يتخذوهم أولياء أو أنصارًا، إلاّ إذا أظهروا الإخلاص لله وهاجروا في سبيله.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾**[آل عمران:130]** والنّهي في هذه الآية عند قوله تعالى: **﴿...لاَ تَأْكُلُواْ...﴾** والغرض منه الامتناع بعد التّحريم؛ إذ إنّ الله سبحانه وتعالى، بعد أن حرّم الرّبا، أمر المؤمنين بالامتناع عن أكله بقوله: **﴿لا تأكلوا الربا﴾**، أي: لا تستمروا في أكله بل انتهوا عنه وامتنعوا. ثم حذّرهم من عذاب النّار في الآية الّتي تليها، حيث قال: ﴿وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين﴾**[آل عمران:131]** وفي هذه الآية دلالة على أن من لم ينتهِ عن أكل الربا بعد تحريمه فقد أعد له عذاب أليم، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾ **[البقرة:279]**. وهو تهديد شديد لأولئك الّذين لم ينتهوا عن أكل الرّبا ولم يتوبوا إلى ربّهم.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾ **[آل عمران:]** يظهر النّهي في هذه الآية عند قوله: **﴿لاَ يَحْزُنكَ﴾**، إذ يُنهى النّبيّ صلى الله عليه وسلم عن الحزن بسبب الّذين يسارعون في الكفر. الهدف من النّهي هنا ليس مجرد المنع من الحزن، بل هو أسلوب بلاغي يقصد به التّسلية

والتّطمين للنّبي صلى الله عليه وسلم، وتأكيد أنّ الله تعالى يعلم ما يفعلون وأنّهم **لن** يضروا الله شيئاً، فلا حاجة لحزن النّبي أو قلقه عليهم، لأنّ الله قد قضى لهم العذاب في الآخرة. يقول الأصفهاني: "نهى عن الحزن على ما يفوته منهم، ووصف الكفار بالمسارعة في الكفر" (1).

ومن أغرضيه أيضا النّصح والإرشاد، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾**[آل عمران:60]** والنّهي في هذه الآية الكريمة، عند قوله تعالى: **﴿ فَلاَ تَكُنْ﴾**، وتحمل معنيين، الأوّل: أنّ الله سبحانه وتعالى بيّن لنبيّه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين أنّ خلق عيسى عليه السّلام كمثل خلق آدم عليه السّلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُون﴾ **[آل عمران:59].** ثمّ وجّه الخطاب للنّبيّ صلى الله عليه وسلم ليؤكد أنّ ما أخبر به الله هو الحقّ، وأمره ألاّ يكون من الشاكّين، لينتهي بذلك كل من سمع هذه الآية عن الشّكّ في أمر عيسى عليه السّلام.

والثّاني: أنّ الخطاب موجّه للنّبيّ صلى الله عليه وسلم ، ليزيده الله ثباتًا وطمأنينةً، مع أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم لا يشكّ أبدًا، ولكنّه خطاب لغرض التّهييج والتّأكيد. كما أوضح الزّمخشريّ بقوله: "من باب التّهييج لزيادة الثّبات والطّمأنينة، وأن يكون لطفا لغيره"(2).

ومن أغراضه **الالتماس**، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ...﴾**[آل عمران:73]** ويأتي النّهي في هذه الآية في قوله تعالى: **﴿ لاَ تُؤْمِنُواْ ﴾** والغرض منه الالتماس، إذ هو نهي صادر على لسان اليهود، إذ ينهون أتباعهم عن الإيمان بدين الإسلام واتّباع الرّسول صلى الله عليه وسلم. ويفعلون ذلك بزعمهم أنّ النّبوة حكر عليهم، فلا يرون أنّه ينبغي لأحد أن يُتبع أو يُصدّق إلاّ من كان على دينهم، أي: من اعتنق اليهودية واتّبعها، فهم يعتبرون ما يصدر منهم حسنًا ومصونًا لا يمس، وما يصدر من غيرهم قبيحًا وحقيرًا لا يستحق الاتباع والاحترام. وهذا في الواقع اعتقاد فاسد ورأي خاطئ وادعاءات مليئة بالكذب والخداع.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَاابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَايِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِ﴾**[طه:94].** فالنّهي هنا عند قوله: **﴿لاَ تَأْخُذْ﴾** جاء بمعنى الالتماس، إذ صدر من أخ إلى أخيه، ويعبّر عن طلب المودّة والرّحمة بينهما، وهو أسلوب يظهر من خلاله لطف الحوار وسماحة الطّلب بين الإخوة.

ومن أغراضه أيضا **الحثّ على الالتزام بالأوامر واجتناب النّواهي**، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون﴾**[آل عمران:102]** أي: لا يدرككم الموت إلاّ وأنتم معتنقون دين الإسلام. ومعنى ذلك:

(1) الأصفهاني: **الرّاغب الأصفهاني**، ط1، ج3،ص996.

(2) الزمخشري: **الكشاف**، ط3، ج1، ص368.

بعد أن أمر الله المؤمنين بالتّقوى وحثّهم على التّمسك بالدّين القويم، وهو الإسلام، الّذي هو الدّين الوحيد المقبول عند الله، دعاهم إلى الثّبات على هذا الدّين طوال حياتهم، والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه، حتّى لا يدركهم الموت إلاّ وهم ثابتون على هذا الدّين القيّم.

ومثله في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ...﴾**[آل عمران:103]** والنّهي في هذه الآية يظهر عند قوله تعالى:**﴿... وَلاَ تَفَرَّقُواْ ...﴾** وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتّمسك بالحبل الّذي يربطهم، وهو دينه وكتابه وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، ثمّ نهاهم عن التّفرق في الدّين كما تفرقت اليهود والنّصارى في دينهم وابتدعوا فيه ما لم ينزل الله به سلطانًا.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**[آل عمران:139]** والنّهي في هذه الآية الكريمة يأتي عند قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا﴾**. والغرض من ذلك إدخال الأمن ونفي الخوف والحزن؛ أي: لا تضعفوا بسبب ما أصابكم من القتل والجراح يوم أحد، ولا تحزنوا لما حلّ بكم من مصيبة في ذلك اليوم. وأخبر سبحانه وتعالى بأنّكم ستغلبون أعداءكم إذا تمسكتم بإيمانكم الصادق، في قوله تعالى: **﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**. و واستخدام **"لا"** هنا للنّهي عن التّراخي أو اليأس.

وهذا بيان على أنّ الإيمان هو الشرط الأساسي للنّصر والتمكين، فإن تحقق شرط الإيمان فلا تهنوا ولا تحزنوا على ما يصيبكم في الدنيا من مصائب. يقول الواحدي: " وفي هذه الآية إشارَةٌ إلى أنَّ مَنْ كان مؤمنًا، لا يَنْبَغِي له أن يَضْعُفَ لِمَا يَنَاله مِن مُصِيبَةٍ في الدُّنْيَا، بل يجب أن يسكن نفسُهُ، وينتفي حزْنُهُ بما هو عليه مِن الاستعلاء، والفوز بالأُمْنِيَةِ في العاقِبة"[1].

ومن أغراضه أيضا التّحذير، ومنه قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير﴾**[آل عمران:156]** والنّهي عند قوله تعالى: **﴿لاَ تَكُونُواْ﴾** والغرض منه التّحذير، أي: تحذير المؤمنين من التّشبه بالكافرين وذلك بالاستماع إلى قولهم الّذي يقولونه بفزع وجزع من أجل إخوانهم الّذين فقدوا بعضهم، بسبب سفرهم للتّجارة وآخرين، بسبب غزوهم في سبيل الله، على سبيل التّفجع: لو كان هؤلاء الّذين ماتوا في السّفر أو الغزو مقيمين معنا، أو ملازمين بيوتهم، ولم يضربوا في الأرض ولم يغزوا فيها لبقوا أحياء ولما ماتوا أو قتلوا[2]، ويظنون بذلك خسرانا لهم، وأنّهم لا يبعثون ولا يجزون على قدموا، ولهذا نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن مثل هذا الظّنّ، فقال: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ

(1) الواحدي: **التّفسير البسيط**، ط1، ج6، ص7.

(2) الطّنطاوي **التّفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط1، ج2، 310ص. بالتّصرف.

قُتِلُواْ فِي سَـبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون﴾**[آل عمران:169]** والنّهي عنـد قولـه تعالى: **﴿لاَ تَحْسَبَنَّ﴾** والغرض منه بيان العاقبة؛ أي لا تظنَّ هؤلاء أمواتًا، بـل هم أحيـاءٌ مكرّمون عنـد ربّهم، يُرزقون بنعمه ويعيشـون في سعادة. قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْـلِهِ وَيَسْـتَبْشِـرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون﴾**[آل عمران:170]** ويؤكـد ذلـك قوله تعالى في موضـع آخر: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَـبِيـلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَـلْ أَحْيَـاء وَلَـكِن لاَّ تَشْعُرُون﴾**[البقرة:154].**

ج- الاستفهام: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْـوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد﴾**[آل عمران:15].** الاسـتفهام في هـذه الآيـة عنـد قولـه: **﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾**، وليس الغرض منه طلب الإجابة، بل هو حثّ على التّفكير والتّأمل في الثّواب العظيم الّذي ينتظر المتقين.

ومن ذلك أيضـا قوله تعالى: ﴿...وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْـلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْـلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَـإِنَّمَـا عَلَيْـكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِـيرٌ بِالْعِبَاد﴾**[آل عمران:20].** الاسـتفهام في الآية عند قوله: **﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾** لا يُقصد به طلب إجابة فعلية، بـل هو أداة بلاغيـة تهـدف إلى تحفيز المتلقين على التّـأمـل والتّوجيـه. يُوجـه الخطـاب إلى الّـذين أُوتوا الكتـاب والأميين، داعيًـا إياهم للتّفكير في موقفهم من الإسـلام، مع التّـأكيـد على دعوة ضـمنيـة للاسـتسـلام لله، وتوضـيح مسـؤولية البلاغ في حال رفضهم.

ومنه أيضـا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُـون﴾**[آل عمران:23].** جاء الاسـتفهام في قوله: **﴿أَلَمْ تَرَ﴾** بمعنى التّعجب والتّوبيخ، إذ يُوجَّه الخطاب للنّبي صلى الله عليه وسـلم ليتعجب من حال الّذين أُوتوا نصيبًا من الكتـاب، ومع ذلـك يعرضـون عن حكم الله، متجاهلين ما لديهم من عل..

ثمّ قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيـهِ وَوُفِّيَـتْ كُـلُّ نَفْسٍ مَّـا كَسَـبَـتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ **[آل عمران: 25]**، فالاسـتفهام هنا يُبرز عاقبة أحوالهم ويؤكد توبيخهم على سوء أعمالهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَـدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَـالَ كَـذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء﴾ **[آل عمران:40]**. فالاستفهام هنا عند قوله: **﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ﴾** والغرض منه الاسـتغراب والتّعجب، وليس طلبًا للإجابة ولا دلالة على الشّـكّ في قدرة الله. فقد عبّر زكريا عليه السّلام بهذا السّؤال عن دهشته من تحقيق هذه البشارة، رغم كبر سـنه وعقم زوجته، فجاء الرّد ليزيل هذا العجب

والاستغراب بقوله: ﴿ **كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء** ﴾، أي: لا عجب في قدرة الله، فهو قادر على أن يفعل ما يشاء. وعلى هذا أشار مقاتل سليمان في تفسيره: "يَقُولُ ذَلِكَ تعجبا، لأنه كان قَدْ يبس جلده عَلَى عظمه من الكبر قالَ جبريل- عليه السلام كَذلِكَ يعني هكذا قال ربك إنَّه يَكُون لك ولد اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشاءُ، أن يجعل ولدا من الكبير والعاقر"(1).

ومثله في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ... ﴾**[آل عمران:47].** "الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ **[آل عمران:47]**، ليس سؤالًا منتظرًا لإجابة، بل هو تعبير عن الاستغراب والتّعجب من مريم عليها السّلام بشأن ولادتها دون زواج. فأجابها الملك لرفع عجبها واستغرابها بقوله: ﴿ **كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون** ﴾.

من ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ **[آل عمران: 65]**. جاء النّهي في قوله: ﴿ **لِمَ تُحَاجُّونَ** ﴾ بمعنى التّعجب والاستغراب، إذ يُستنكر على أهل الكتاب جدالهم في شأن إبراهيم عليه السّلام، إذ يدّعي كل فريق منهم أنّه على ملته، مع أنّ التّوراة والإنجيل قد أُنزلا من بعده بمدة طويلة. ثمّ جاء قوله: ﴿ **أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ ليؤكد التّعجب ويزيد من قوّته، توجيه الخطاب إلى غياب العقل والتّفكر في مثل هذا الجدل الّذي لا يستند إلى منطق أو دليل. ولتأكيد هذا المعنى، جاء البيان الإلهي الحاسم في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ **[آل عمران: 67]**، ليُزيل الشّبهة ويوضّح حقيقة ملّة إبراهيم، بعيدًا عن ادّعاءات أهل الكتاب.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِين ﴾ **[آل عمران:81]**، والاستفهام في هذه الآية يظهر في قوله تعالى: ﴿ **أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى** ﴾، والغرض منه التّأكيد والاستثارة. فهو يؤكد إلزام النّبيين بالميثاق الّذي عاهدهم الله عليه، والمتمثل في الإيمان بالرّسول الّذي يأتي بعدهم ونصرته، ويثير الشّعور بعظمة هذا الميثاق وإبراز مسؤوليته الجسيمة.

وممّا يدلّ على وقوع الإقرار قولهم الواضح في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَقْرَرْنَا** ﴾، إذ يُظهر هذا الجواب التزامهم بالميثاق. وجاء الاستفهام هنا كأداة بلاغية ترسّخ هذا الالتزام في النّفوس وتبيّن أهمية الميثاق.

(1) مقاتل سليمان: **تفسير مقاتل بن سليمان**، ط1، ج1، ص275.

كما أن الجملة الختامية في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِين ﴾ ، تؤكد توثيق الميثاق وشهادة الله عليه، مما يقوّي الغرض البلاغي للاستفهام، إذ يجعله وسيلة تأكيدية واستثارية.

وقد أشار الحجازي في تفسيره:" أنّ الله يذكّر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بالميثاق الذي أخذه على الأنبياء وأممهم، بأن يؤمنوا بالرّسول الّذي يأتي مصدقًا لما معهم، وينصروه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم . فسألهم الله: "أأقررتم وقبلتم هذا العهد؟" فأجابوا بالإقرار. ثم أمرهم أن يشهد بعضهم على بعض، مؤكدًا إحاطته وعلمه بكلّ شيء. أمّا من نكث هذا الميثاق، ولم يؤمن بالنّبيّ المبعوث، ولم ينصره، كحال بعض أهل الكتاب، فهم الفاسقون، الخارجون عن عهد الله"(1).

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّه شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللّهُ الشَّاكِرِين ﴾ **[آل عمران:144]**. فالاستفهام هنا في قوله : **﴿ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾** استفهام إنكاري يُراد به التّوبيخ والتّعجب، ويُنكر على المؤمنين ربط ثباتهم في الدّين بحياة النّبيّ صلى الله عليه وسلم . ويهدف هذا الاستفهام إلى بيان أنّ الإيمان لا يتوقّف على الأشخاص، بل هو التزام دائم بالعقيدة، ممّا يحثّهم على الثّبات والشّكر لله، مع التّأكيد على أنّ من يرتدّ عن دينه يضرّ نفسه ولا يضرّ الله شيئًا.

ومنه قوله تعالى: ﴿ ...وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِى أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ ... ﴾ **[آل عمران:154]**. الاستفهام في هذه الآية عند قوله تعالى: **﴿ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَىْءٍ ﴾** جاء على لسان طائفة من المؤمنين الّذين أثرت فيهم الهزيمة في غزوة أحد، وهو استفهام حقيقي يحمل معنى الشّكوى والاضطراب. والغرض من هذا التّساؤل، تصوير حال الاضطراب النّفسي وضعف اليقين بالله، إذ أبدوا تساؤلًا حول قدرتهم على التّحكم في مجريات الأمور، بما يدلّ على ضعف التسليم بقضاء الله. ويأتي الرد الإلهي في قوله: **﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾**، تأكيدًا على أنّ الأمر كلّه بيد الله وحده، ودعوةً إلى الإيمان والتّسليم المطلق.

ومنه قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّه عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين ﴾ **[آل عمران:183]**. الاستفهام في قوله: **﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾** والمراد به الاستنكار، وهو

(1) الحجازي: **التفسير الواضح**، ط10، ج1، ص248. بالتّصرف

يهدف إلى توبيخ اليهود وفضح تناقضهم، إذ يطالبون بآية القربان كشرط للإيمان، في حين أنّ الرّسل السّابقين جاءوا بما طلبوا ومع ذلك قتلوهم. هذا الأسلوب يكشف زيف ادعائهم ويكشف عن موقفهم العدائي من الحق ورسل الله، مما يظهر استكبارهم وعنادهم في مواجهة الدّعوة الإلهية.

د– التّمني: ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ **[آل عمران:30].**

وأسلوب التمني في هذه الآية عند قوله تعالى: **﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾** والغرض منه، تعبير عن الحسرة والنّدم العميق على الأعمال السيئة يوم القيامة، وهذا الأسلوب يبرز حالة النفس البشرية الّتي تتمنّى المستحيل حين ترى عاقبة أفعالها، ممّا يضفي على النّص هيبة وعمقًا في تصوير مشاهد الحساب والجزاء.

وكذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ **[آل عمران:91].**

والتّمني في هذه الآية عند قوله تعالى: **﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾**، يشير إلى استحالة قبول أيّ فدية يوم القيامة من الكافرين الّذين ماتوا على كفرهم، حتّى لو كانت الفدية ملء الأرض ذهبًا. هذا التّعبير يُظهر استنفاد كلّ الوسائل الممكنة للنّجاة من عذاب الله يوم القيامة.

هـ – النّداء: ومن أمثلته، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ **[آل عمران:16].** والنّداء في هذه الآية، عند قولهم :**﴿رَبَّنَا﴾**، وهو نداء موجّه إلى الله تعالى مباشرة. ويحمل معنى التّضرّع والخشوع، إذ يُظهر فيه المؤمن إيمانه العميق بالله، واعترافه بربوبيته، وقدرته على المغفرة والوقاية من العذاب. وحذف أداة النّداء **(يا)** للدّلالة على القرب من الله عند الدّعاء، ممّا يُقوي العلاقة بين العبد وربّه. وهذا يتماشى مع المعنى الّذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله :﴿نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ **[ق:16]** . وقد ورد النّداء مع حذف **"يا"** في السّورة في مواضع عديدة، وسيتم ذكر بعضها احترازا لبعض الآخر، منها: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾**[آل عمران:35]**

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم﴾**[آل عمران:36]**، وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء﴾ **[آل عمران:38]**، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ

بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء﴾ **[آل عمران:40]**

ومن ذلك قوله تعالى على لسان ذكريا عليه السّلام: ﴿... يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّه يَـرْزُقُ مَـن يَشَـاء بِـغَـيْـرِ حِسَـاب﴾**[آل عمران:37]**. والنّداء هنا في قوله **﴿يَا مَرْيَمُ﴾**، وهو نداء مقصود به جذب الانتباه والاستفهام عن مصدر الرّزق الذي وُهِبَ لها، مما يُبدي دهشة زكريا عليه السّلام وتساؤله عن هذا الفضل الرّباني، ومثله في قوله تعالى على لسان الملائكة: ﴿إِذْ قَالَتِ لْمَلاَئِكَةُ يَـامَرْيَمُ إِنَّ اللّه اصْـطَفَـاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِين[] يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْـجُـدِى وَارْكَـعِى مَـعَ الـرَّاكِـعِـين﴾ **[آل عمران:4243]**. وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللّه يُبَشِّـرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْـمُهُ الْمَسِـيحُ عِيسَـى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِين﴾**[آل عمران:45]**.

والنّداء في هـذه الآيات يظهر عنـد قولـه: **﴿يَـا مَرْيَمُ﴾**، إذ يُسـتخدم لاسـتدعاء الانتباه وتوجيه الخطاب مباشـرةً لمريم عليها السّـلام، إمّا لإبراز مكانتها وفضلها من خلال الاصطفاء والطّهارة، في قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْـطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾** أو لحثّها على العبادة والخضـوع لله سـبحانه وتعالى، في قوله: **﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى﴾** وهذا الأسلوب يُظهر عناية الله بمريم وتكريمها، ويكشـف الاهتمام الإلهي بها.

ومنه ما جاء في خطاب أهل الكتاب، ويُسـتخدم النّداء لتنبيههم وتـذكيرهم بمخـالفـاتهم العقـائـديـة وتناقضاتهم في زعمهم الباطل. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَـوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّه وَلاَ نُشْـرِكَ بِهِ شَـيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُـنَا بَعْضـاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْـهَدُواْ بِأَنَّا مُسْـلِمُون [] يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَلإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْـدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُون﴾**[آل عمران :64 65]**، وقوله تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْـهَدُون []يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُـونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُون﴾[آل عمران 70 71]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَاللّه شَـهِيـدٌ عَلَى مَـا تَعْمَلُون [] قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُـدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللّه بِغَـافِـلٍ عَمَّـا تَعْمَلُون﴾[آل عمران98 99]. ولقد اسـتُخدم النّداء في هذه الآيات الكريمة ليكون أداة للحوار الهادف، فهو يدعوهم إلى التّصـحيح والإصـلاح بإسـلوب عقلي ومنطقي، مسـتنكرًا تناقضـاتهم وشـهادتهم على أنفسـهم بالكفر أو التّحريف، ومبينًا بطلان مزاعمهم بعبارات واضـحة تجمع بين اللّوم والدعوة إلى التّفكير والتّعقل. وتُعدّ هذه من أبلغ حجّة على اليهود والنّصـارى، إذ إنّ

التوراة والإنجيل أُنزلا بعد إبراهيم عليه السّلام، وليس فيهما ذِكر لاسم أيّ من الأديان الّتي يدّعونها، بينما ذُكر اسم الإسلام في جميع الكتب السماوية[1].

ومن ذلك أيضًا نداء الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بوصفهم بالإيمان، وهو أسلوبٌ يُبرز كرامتهم ويُذكّرهم بما يقتضيه الإيمان من مسؤوليات وتكاليف. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّه حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون﴾**[آل عمران:102]**. إذ يدعوهم إلى التّقوى والاستقامة في العبادة. كذلك قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُون﴾**[آل عمران:118]** محذرًا إياهم من خطر اتخاذ غير المؤمنين أولياء.

ثانيا: الأساليب غير الطلبية:

يُعَدّ هذا النوع من الإنشاء أقلَّ عنايةً عند البلاغيين من الإنشاء الطلبي، لأنّ صِيَغه تُستعمل غالبًا في معانيها الأصلية دون التوسّع في الأغراض البلاغية، وله عدّة أنواع.

1- التّعجب: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللّه قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين﴾ **[آل عمران:86]**. ويظهر الأسلوب الإنشائي غير الطّلبي في قوله: ﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللّه قَوْمًا**﴾، يحمل معنى التّعجب، ويعبر عن استغراب كفر هؤلاء القوم بالله رغم إيمانهم السّابق وشهادتهم بصدق الرّسالة ووضوح الأدلّة الّتي جاءت بها. فهذا التّعجب يعكس عِظَمَ جُرمهم وشدة استحقاقهم للضّلال بسبب ظلمهم وكفرهم.

ومثله أيضا في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّار﴾**[البقرة:175]**. ويظهر الإنشاء غير الطّلبي في قوله: ﴿**فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّار**﴾، إذ يعبّر عن دهشة واستغراب من حال هؤلاء الذين استحقوا النار بسبب أفعالهم. وكأنّ الآية تساءل كيف يتحملون أو يصرون على طريق يؤدي بهم إلى النّار، رغم ما في ذلك من خسران وعذاب. يقول ابن الجوزي: "أنّ معناه: فما أصبرهم على عمل يؤدّيهم إلى النار!"[2]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم﴾**[آل عمران:6]**. الأسلوب الإنشائي غير الطّلبي في الآية عند قوله: ﴿**كَيْفَ يَشَاء**﴾، يحمل معنى التّعجب من قدرة الله سبحانه وتعالى في تصوير الإنسان في الأرحام بطريقة تتسم باللامحدودية والاختيار الكامل، وتُبرز عظمته

(1) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ط3، ج4، ص107. بالتصرف.

(2) ابن الجوزي: **زاد المسير في علم التفسير**، ط1، ج1، ص134.

سبحانه وتعالى في خلقه وتصويره للبشر بطرق لا تدركها العقول، ما يعكس مشهدًا من القدرة الإلهية المتفردة.

2- المدح: ومن أمثلته: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم﴾**[آل عمران:2]**. الأسلوب الإنشائي غير الطّلبي في هذه الآية يحمل معنى المدح، إذ يمدح الله سبحانه وتعالى نفسه بصفاته الكاملة الّتي تُبيّن وحدانيته **و**حياته المطلقة، وذلك من خلال تأكيد تفرده بالألوهية والقدرة المطلقة على التّدبير.

3- الذّم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾ **[آل عمران:77]**. في هذه الآية، يُذمُّ أولئك الذين يفرطون في عهودهم وأيمانهم مقابل مكاسب دنيويّة تافهة، ممّا يبرز ضيق أفقهم وازدراءهم للقيم الثّابتة في مقابل مصلحة عابرة. يظهر ذلك بطريقة جليّة في تهديدهم بالحرمان من رحمة الله وعذابٍ أليم في الآخرة.

4- القسم: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿... لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُون﴾**[آل عمران:187]**. يتجلّى الأسلوب الإنشائي غير الطّلبي في هذه الآية في قوله: ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ**﴾، ويحمل معنى القسم المقدر، وهو تعبير عن أخذ الله الميثاق من أهل الكتاب. وجاءت اللّام للتّوكيد، ممّا يُبرز عظمة الالتزام الّذي أُلزموا به، ويُظهر شدّة الذم لهم بسبب نقضهم هذا الميثاق النبيل واستبداله بمكاسب دنيويّة تافهة. وعلى هذا يقول العكبري: "وَلَمَّا كَانَ أَخْذُ الْمِيثَاقِ فِي مَعْنَى الْقَسَمِ، جَاءَ بِاللَّامِ وَالنُّونِ فِي الْفِعْلِ، وَلَمْ يَأْتِ بِهَا فِي يَكْتُمُونَ اكْتِفَاءً بِالتَّوْكِيدِ فِي الْفِعْلِ الْأَوَّلِ ; لِأَنَّ تَكْتُمُونَهُ تَوْكِيدٌ"[1].

5- الرّجاء: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِين﴾**[آل عمران:53]**. يظهر الرّجاء في هذه الآية من خلال طلب المؤمنين أن يُكتبوا مع الشّاهدين، مما يعبّر تمنيهم الحصول على هذا المقام الرّفيع. وقد ورد الرّجاء بصيغة الدّعاء، وهو أسلوب يُبين التّوجّه إلى الله بالتّمني المقرون بالإيمان بقدرته ورحمته.

6- كم الخبرية: تأتي بمعنى (أَيّنٍ) ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]، والمقصود منه إفادة الكثرة. كما ذكر الزّجاج في تفسيره: "كأيّن من نبيّ، أي: كم من نبيّ[2]

(1) العكبري: **التبيان في إعراب القرآن**، د.ط، ج1، ص318.

(2) الزجاج: **معاني القرآن وإعرابه**، ط1، ج1، ص475.

الخاتمة.

توصل البحث إلى أنّ الأساليب الخبرية والإنشائية في سورة آل عمران قد تنوعت وتكاملت لتحقيق الغايات البلاغية والبيانية، فجمعت بين الإقناع العقلي والتأثير الوجداني، مما أكسب الخطاب القرآني قوة في الحجة وعمقًا في الدلالة. أظهر الأسلوب الخبري جانب التثبيت والتقرير، بينما جاء الأسلوب الإنشائي ليؤدي أغراضًا متعددة كالأمر والدعاء والنداء، تعبيرًا عن التوجّه إلى الله، وإثارة التأمل في الحقائق الإيمانية.

ومن أهم النّتائج الّتي أسفر عنها البحث:

- تداخل الأسلوبين في مواضع متعددة لتحقيق التوازن بين البيان العقلي والعاطفي.

- تنوّعت أغراض الأسلوب الإنشائي بين الطلب الحقيقي والمجازي بما يخدم المعنى المقصود.

- اعتمدت السورة على الأسلوب الخبري لترسيخ العقيدة، وعلى الإنشائي لإثارة الوجدان والدعوة إلى العمل.

التّوصيات:

- ضرورة توسيع الدراسات التطبيقية حول الأساليب الخبرية والإنشائية في سور أخرى للكشف عن تنوّع المقامات البلاغية في القرآن الكريم.
- إدراج موضوع التكامل بين الخبر والإنشاء في مقررات البلاغة والتفسير لبيان أثرهما في تحقيق الإعجاز البياني.
- تشجيع الباحثين على دراسة العلاقة بين الأسلوب القرآني والسياق النفسي والتربوي للمخاطب؛ لإبراز أبعاد الخطاب القرآني الشاملة.

قائمة المراجع والمصادر

1. الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. المحقق: علي عبد الباري عطية، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

2. البخاري محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري. المحقق:د. مصطفى ديب البغا، ط5، سورية – دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

3. التّفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر، **شرح التلويح على التوضيح**، ط1، مصر: مكتبة صبيح، 2012م.

4. الجرجاني الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري، الحَلِيمي، المنهاج في شعب الإيمان. المحقق: حلمي محمد فودة، ط1، مصر: دار الفكر العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

5. بن جني أبو الفتح عثمان ، الخصـــائص، المحقق: محمد علي النجار: ط4، الهيئة المصـرية العامة للكتاب، د.ت.

6. ابن الجوزي جمـال الـدين عبـد الرحمن بن علي بن محمد ، زاد المسـير في علم التفسـير. المحقق: عبـد الرزاق المهـدي،ط1، بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ هـ

7. الحجازي، محمد محمود، التفسـير الواضـح، ط1، بيروت – لبنـان: دار الجيـل الجـديـد، 1413 هـ.

8. الحنفي يوســـف بن أبي بكر بن محمد بن علي الســـكـاكي الخوارزمي، **مفتـاح العلوم**. ضـبطه وكتب هوامشـه وعلق عليه: نعيم زرزو ط2، بيروت – لبنـان: دار الكتـب العلميـة، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

9. خطيب دمشـــق محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعـالي، جلال الـدين القزويني الشـافعي، **الإيضـاح في علوم البلاغة**. المحقق: محمـد عبـد المنعم خفـاجي، ط3، بيروت – لبنان: دار الجيل، د.ت.

10. الدّســـوقي محمد بن عرفة ، **حاشـــية الدسـوقي على مختصـر المعاني لسـعد الدين التفتازاني [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني]** المحقق: عبـد الحميـد هنـداوي، د.ط،بيروت – لبنـان: المكتبة العصرية، د.ت.

11. الراغب الأصـــفهانى الحســـين بن محمد، تفســـير الراغب الأصـــفهاني. جزء 1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسـيوني، ط1،مصـر: كلية الآداب – جامعة طنطا، 1420 هـ – 1999 م.

12. الزجاج، إبراهيم بن السـري بن سـهل، ، معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شـلبي، ط1، بيروت: عالم الكتب –١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨

13. الزمخشـــري محمود بن عمرو بن أحمـد، جـار الله، الكشـــاف عن حقـائق غوامض التنزيـل، ط3، بيروت – لبنـان: دار الكتـاب العربي، ١٤٠٧ هـ.

14. السّـامرائي فاضـل صـالح، معاني النحو، ط1، الأردن: دار الفكر للطبـاعـة والنشـــر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

15. الطّبري محمـد بن جرير بن يزيـد بن كثير بن غـالـب الآملي، جـامع البيـان في تأويـل القرآن. المحقق: أحمد محمد شاكر، ط1، بيروت – لبنان: مؤســســة الرســالة، 1420 هـ – 2000 م.

16. طنطاوي محمد سيد ، التفسـير الوسـيط للقرآن الكريم، ط1، القـاهرة – مصـــر: دار نهضـــة مصـــر للطباعة والنشـــر والتوزيع، 1998م.

17. ابن عاشـــور محمد الطاهر بن محمد بن محمـد الطـاهر التونســـي، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى الســـديد وتنوير العقل الجديد**

من تفسير الكتاب المجيد»، ط2، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.

18. العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، **التبيان في إعراب القرآن**. المحقق : علي محمد البجاوي، د.ط، مصر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت. م.

19. آل غازي عبد القادر بن ملّا السيد محمود، حويش العاني ، **بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]**، ط1، دمشق – سوريا: مطبعة الترقي، 1382 هـ - 1965 م.

20. القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة – مصر: دار الكتب المصرية ، 1384هـ - 1964 م.

21. مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تفسير مقاتل بن سليمان المحقق: عبد الله محمود شحاته، ط1، بيروت – لبنان: دار إحياء التراث، 1423 هـ.

22. مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، ط1، الإمارات العربية المتحدة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

23. مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، مشكل إعراب القرآن. المحقق: د. حاتم صالح الضامن، د.ط، بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة، د.ت.

24. النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، **إعراب القرآن**، ط1، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ 2000م.

25. النسفي أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، ط1، بيروت – لبنان: دار الكلم الطيب، 1419 هـ - 1998 م.

26. الواحدي علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي، **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط1، (عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠ هـ.

Arrasikhun Journal، Special Issue, February 2026

ISSN: 2462-2508

الظواهر النحوية للجملة الفعلية في ديوان امريء القيس

أحمد موسى معافا **د. محمد شحاتة عبد الحميد الشرقاوي**

باحث ماجستير بكلية اللغات – قسم اللغة العربية الأستاذ المشارك بكلية اللغات – قسم اللغة العربية

جامعة المدينة العالمية ماليزيا جامعة المدينة العالمية ماليزيا

ahmads302010@icloud.com khaled.nabawy@mediu.my

الملخص

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على رسوله وعبده، وبعد: تتجلى مشكلة هذا البحث على دراسة الجملة الفعلية في شعر امرئ القيس، باعتبارها عنصرًا أساسيًا في تشكيل المعنى الشعري، وليست مجرد تركيب نحوي، فالشاعر لا يعتمد فقط على اختيار الكلمات، بل على طريقة نسج الجمل وربطها بأساليب لغوية تبرز عمق تجربته الشعورية. وتتمثل إشكالية الدراسة في فهم كيف تؤدي الجمل الفعلية دورًا مركزيًا في بناء النص الشعري لدى امرئ القيس، خاصة من حيث الزمن، والتصريف، والدلالة الأسلوبية، والعلاقة بين الجمل داخل السياق العام للقصيدة، وتهدف الدراسة إلى تحديد أنواع الجمل الفعلية التي استخدمها الشاعر، وتحليل دلالات الأزمنة المختلفة للأفعال، وبيان كيف تؤثر التراكيب الفعلية في المعنى الفني، وتبرز أهمية البحث في كونه يغوص في بنية الشعر الجاهلي من منظور نحوي ودلالي، ما يضيف بعدًا جديدًا في فهم الإبداع اللغوي لدى امرئ القيس، ويُسهم في تعزيز الدراسات الأسلوبية المعاصرة، واستعرض البحث أيضًا عددًا من الدراسات السابقة التي تناولت شعر امرئ القيس من زوايا مختلفة لكنه تميز عنها بالتركيز العميق على "الجملة الفعلية" وحدها، معتمدًا في ذلك على المنهجين الوصفي والتحليلي، وتضمن الإطار النظري سيرة الشاعر وتفاصيل عن حياته وشعره، خاصة معلقته الشهيرة، التي تُعد واحدة من أعظم قصائد الجاهلية، لما تحمله من صور ومعانٍ وتجارب حياتية صادقة، ويخلص البحث إلى أن الجملة الفعلية في شعر امرئ القيس ليست مجرد بناء لغوي بل هي أداة قوية لنقل الإحساس والرؤية الشعرية ما يعكس عبقريته في توظيف اللغة للتعبير عن ذاته وعالمه الداخلي.

الكلمات الدلالية: الظواهر، النحوية، الجملة الفعلية، امرئ القيس.

ISSN: 2462-2508

Abstract

The focus of this research is the study of the verbal sentence in the poetry of Imruʾ al-Qays, considered a fundamental element in shaping poetic meaning rather than merely a syntactic construction. The poet does not rely solely on word choice, but also on the way sentences are crafted and connected using linguistic devices that reveal the depth of his emotional and aesthetic experience. The study addresses the problem of understanding how verbal sentences play a central role in structuring the poetic text of Imruʾ al-Qays, particularly in terms of tense, verb conjugation, stylistic meaning, and the relationships between sentences within the overall context of the poem. The research aims to identify the types of verbal sentences employed by the poet, analyze the semantic implications of different verb tenses, and demonstrate how verbal constructions influence artistic meaning. The significance of the study lies in its exploration of the structure of pre-Islamic poetry from a syntactic and semantic perspective, offering a novel dimension in understanding the linguistic creativity of Imruʾ al-Qays and contributing to the advancement of contemporary stylistic studies. The research also reviews previous studies on Imruʾ al-Qays's poetry, distinguishing itself by focusing exclusively on the verbal sentence. It employs descriptive and analytical methodologies and includes a theoretical framework presenting the poet's biography, his life, and his poetry, with particular emphasis on his famous Muʿallaqa, recognized as one of the greatest pre-Islamic odes for its imagery, meanings, and authentic life experiences. The study concludes that the verbal sentence in Imruʾ al-Qays's poetry is not merely a linguistic structure but a powerful tool for conveying emotion and poetic vision, reflecting his genius in employing language to express his inner self and personal world.

Keywords: grammatical phenomena, verbal sentence, Imruʾ al-Qays, syntactic-semantics.

المقدمة:

تتجلّى تجربة الشاعر امرئ القيس بوصفها إحدى التجارب الشعرية التي حظيت باهتمام الباحثين، حيث تناولوها بالدرس والتحليل ولم تزل تكتنز ظواهر عدّة تتناسب مع الدرس اللغوي الذي يعنى بتحليل التراكيب وتجاوز الظاهرة اللغوية بقالبها الخارجي إلى محمول تلك الظواهر دلاليًا، وما تحيل إليه من معان عميقة تشكلت عبر الأبنية النحوية، والاختيارات البنائية التي انتقاها الشاعر، فالشاعر يتميز عن غيره بطريقة بنائه للتراكيب والجمل وضمها جنبًا إلى جنب، ولو كانت المفردات وانتقاؤها هي الأصل في جودة الشعر لتساوت التجارب الشعرية، ولكن المعوّل عليه في بناء النص الشعري هو التركيب وطريقة البناء في الجمل، واستغلال الأساليب والوسائل التي يتيحها النظام اللغوي؛ لتفجير الطاقات الهائلة التي تشتمل عليها هذه الوسائل والأساليب(1).

وتمثل الجملة الفعلية على اختلاف أنواعها وأزمنتها إحدى الظواهر النحوية التي تحمل مضامين هائلة، وتشكل مدخلًا لغويًا إلى عالم واسع من المدلولات التي تعكس تجربة الشاعر الذاتية وما يعتمل في أعماقه من حركات وسكنات اكتست بالتركيب اللغوي؛ لتفصح عن القول الشعوري والرؤى الذاتية والتجارب الانفعالية، عبر تركيبات فعلية تتجسد عبر نسيج النص الشعري بروابط نصية تشكل بناء شعريًا متينًا، وخزانًا لمكنونات الشاعر وتصوراته التي يمكن استجلاؤها عبر تحليل تلك التراكيب وما تحيل إليه من معانٍ تتسع وتضيق بحسب مقدرة التركيب وبراعة الشاعر الذي يحمل تلك التراكيب طاقات شعرية تتجلّى أسلوبيًا عبر النسيج اللغوي، وتتلاحم في البنية الدلالية العميقة للنص للتولد عنها نصوص شعرية تحمل خصوصية الشاعر وتجربته المتفردة.

مشكلة البحث:

تتمثل إشكالية البحث في الدور الحيوي الذي تؤديه الجمل الفعلية في تكوين النص الشعري، والمرونة الأسلوبية التي تتسم بها الجملة الفعلية بأزمنتها المتعددة، والخصوصية التي تحملها تلك التراكيب في شعر امرئ القيس بوصفه نموذجًا بارزًا من نماذج الشعر العربي القديم، وذلك في ضوء دراسة تتناول الأبنية الفعلية للجمل وفقًا لدلالاتها الأصلية التي وضعها علماء النحو، ومعانيها المتغيرة ضمن السياق الشعري، والعلاقات التي تنشأ بين التراكيب الفعلية على المستوى النصي، وصولًا إلى المحمول الشعري الذي يكمن وراءها.

أسئلة البحث:

ينطلق البحث من تساؤل رئيسي وهو: ما الدلالات الأسلوبية لمكونات الجملة الفعلية في شعر امرئ القيس؟

أهداف البحث:

توضيح المعاني الأسلوبية لمكونات الجملة الفعلية في شعر امرئ القيس.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية الدراسة في إغناء المكتبة العربية ببحث جاد يتناول الأصول النحوية للجملة الفعلية، وكيفية بنائها ضمن السياق الشعري، ومحاولة تسليط الضوء

(1)ابن قسيمة، **فاعلية المعنى النحوي في إضاءة النصوص الشعرية**، ع7.

على جانب مهم من جوانب تآلف الظواهر اللغوية والدلالات المتنوعة التي يحملها تركيب نحوي واحد، وكيفية اختلاف هذا التركيب ومحموله الضمني باختلاف علاقاته النصية وتشكيله في بنية القصيدة، والكشف عن وظائف نحوية ذات قيمة فنية عالية في نصوص امرئ القيس الذي يمثل تجربة شعرية عربية مهمة، كما تنبع الأهمية من كونه بحثًا تطبيقيًّا يطبق على نصوص شعرية من أقدم النصوص التي وصلت إلينا، وهذا يمنح الدراسة فرصة الوقوف على الاستعمالات في اللغة النقية التي تنتمي بقوة إلى عصور الاحتجاج، ويمنحها الوقوف على تجليات الاستعمال اللغوي في النصوص التي أخذت القواعد منها أصلًا كما تنبع الأهمية من كون البحث محددًا بأطر محددة هي الجملة الفعلية ودلالاتها وهذا يشكل لبنة في الدراسات الأسلوبية الأخرى؛ لتحقيق تصور كامل للاستعمالات اللغوية في شعر امرئ القيس.

حدود البحث:

اقتصر البحث على دراسة الجمل الفعلية الواردة في شعر امرئ القيس، دون غيره من الشعراء، وقد انحصرت الدراسة في حدود النصوص المثبتة والمنسوبة إليه في دواوين موثوقة، مع التركيز على الجوانب النحوية والدلالية دون التوسّع في الجوانب الصوتية ، أو البلاغية خارج إطار الجملة الفعلية.

منهج الدراسة :

أولا منهج الدراسة: تستند الدراسة إلى المنهج الوصفي بحسب مقتضيات البحث، فيعتمد على الوصفي في تصنيف الأنواع وترتيبها وعرضها بتأطير نظري، مستعينا بأداة التحليل في الدراسة التطبيقية للظواهر اللغوية وأبنية الجملة الفعلية ضمن النصوص الشعرية لامرئ القيس.

الدراسات السابقة:

1- دراسة السيد أحمد أحمد موسى، 2022م، **مواقع الجملة المنفية في معلقة امرئ القيس وأثرها في تعميق الدلالة البلاغية وإثرائها.**

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل الجملة المنفية في مواقعها، وحاول في ضوء معطيات القرائن من معاني النحو وأحكامه وعوامل السياق وعناصره، وطبيعة المواقف ومقتضيات الأحوال التعرف على أثر هذه المواقع في إغناء الدلالة البلاغية وتعميقها وترسخيها، وقد أراد البحث الكشف عن جانب من جوانب العبقرية الفذة عند شعرائنا الجاهلين، ولاسيما امرئ القيس في توظيف هذه القدرات والطاقات الهائلة الكامنة في اللغة توظيفًا شعريًا، يقوم على مراعاة البعد الفني، ويلبي حاجات المعنى.

وقد التقت هذه الدراسة مع البحث الحالي في اختيار المادة الأدبية، وهي نصوص الشاعر امرئ القيس، كما اتفقت معها أيضًا في الوقوف على الجانب اللغوي موضوعًا للبحث، أما الاختلاف فجاء من حيث العنصر اللغوي المختار، فقد اقتصر على الجملة المنفية، والنفي يشمل نوعي الجملة الاسمية والفعلية بشكلها المنفي فقط للوقوف على معاني الأدوات النافية.

2- دراسة بلقاسم ليباريز، 2005م، **معلقة امرئ القيس دراسة أسلوبية**، جامعة منتوري، الجزائر.

تقوم هذه الدراسة على البحث في الظواهر الأسلوبية في شـــعر امرئ القيس، وذلك بالوقوف على معاني الأسلوب في الدرس العربي القديم أولًا، ثم الأسلوب في الدرس العربي الحديث، إضافة إلى الدرس الغربي، ثم تناولت في قسمها الثاني الظواهر الأسلوبية البارزة، مثل الحذف والتقديم والتأخير والجمل بأنواعها الطلبي والشرطي والنفي.

وتلتقي هذه الدراســة مع الدراســة الحالية في تناولها للمادة الأدبية في شعر امرئ القيس والبحث في البناء اللغوي والمكونات النصية، لكنها تختلف عنها في أنها توسـعت في الظواهر اللغوية على اختلاف أشـكالها النحويـة، في حين وقع الاختيـار هنـا على الجملـة الفعلية فقط لتكون دراسة غنية ومتعمقة.

3- دراسة رشيد بن قسمية، 2011م، **فاعلية المعنى النحوي في إضاءة النصوص الشعرية.**

هدفت هذه الدراســة إلى دراســة المعاني النحوية في النصوص الشعرية بالتطبيق على لامية الشنفرى، وقد اســتندت إلى تحليل معاني النحو ضــمن ســياق النصوص واكتشاف دلالاتها بعيدًا عن المعنى النصي لها، وراعت خصـوصـية المعنى والحالات النحوية التي تجسـدها بناء على الضـرورة الشـعرية، ودراسـة ظواهر الحذف والتقديم والتأخير والتعديل على نسـق الجملة العربية الأصلي.

التقت هذه الدراســة مع البحث الحالي في الدخول من باب اللغة والنحو إلى النص الشــعري، وانتقاء المادة من الشــعر العربي القديم، لكنها اتخذت من لامية الشـنفرى مادة لغوية للدراسـة في حين اعتمد البحث الحالي على قصائد امرئ القيس.

الفصل الأول: المعلقات

المبحث الأول :معلقة امرئ القيس:

ومعلقته هي إحدى المعلقات السبع المشهورة، ويُقال هي تسع أو عشر أو ست معلقات بحسب اختلاف الرواة، وتفرغ لهذه المعلقات عدد من العلماء والنقاد، وأشـبعوها درسًـا وتحليلاً ونقدًا، ويُقال إنها أفضـل ما وصـلنا من الشـعر الجاهلي، فعلى قلة ما وصـلنا من الشــعر الجاهلي، فإن المعلقات هي أجود الشــعر العربي في العصـر الجاهلي، وهي تمثل مرحلة النضـج الفني والأدبي في عصرها، وبقيت كذلك حتى عصرنا الحالي.

"والـذي يـدعونا إلى الاطمئنـان إلى صــحـة هـذه القصيدة هو إجماع الرواة عليها، وإن اختلفوا اختلافًا يسيرًا في بعض ألفاظها، أو في ترتيب قليل من أبياتها المتعاقبة، ويدعونا كذلك الاطمئنان إلى صحتها كثرة الأبيات التي تمثلت الأجيال بها"[(1)].

ويقول ابن عبد ربه الأندلســي: "لقد بلغ من كلف العرب بالشــعر وتفضــيلها له أن عمدت إلى ســبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها بأســتار الكعبة، فمنه يُقال: مذهَّبة امرئ القيس، مذهَّبة زهير..."[(2)].

ويقول ابن رشيق القيرواني: "وكانت المعلقات تسمى المذهبات؛ وذلك لأنها اختيرت من ســائر الشــعر، فكتبـت في القبـاطي بمـاء الـذهـب، وعلقـت على

(1)بدوي، **معلقات العرب**، ط (2)، ص (295).

(2)الأندلسي، **العقد الفريد**، ط (1)، 118/6.

الكعبة، فلذلك يُقال: مذهبة فلان، إذا كانت أجود شعره"[1].

وقد عد القدماء مطلع المعلقة من مبتكراته، إذ وقف واستوقف وبكى وأبكى من معه وذكر الحبيب والمنزل، ثم أخذ يصور لنا كيف كان أصحابه يحاولون أن ينفسوا عنه؛ وهو غارق في ذكرياته، ثم أخذ يصور البكاء والدموع، ثم انتقل إلى مغامراته مع النساء، وهذا المنحى القصصي الغرامي منحى قديم بدأه امرؤ القيس، وتبعه الأعشى ثم عمر بن أبي ربيعة[2].

وتمثل معلقة امرئ القيس واسطة العقد بالنسبة إلى المعلقات، فهي باتفاق العلماء والنقاد أجودها وأفضلها، وهي أول ما عُلِّق على أستار الكعبة، فكان له فيها أساليب مستحدثة في عصره، سار على إثرها الشعراء اللاحقون، واقتفوا أثره عصرًا بعد عصر.

لقد نجح امرؤ القيس[3] في أن ينقل لنا بصدق تجربته كاملة، والتي تنم عن عميق شعوره وإحساسه، واقتناعه الذاتي بما عالج في شعره، وإخلاصه الفني في التعبير عنها، ونقلها إلينا في دقة كاملة، تتمثل فيها ألوان الحياة التي عاشها، والصراع الذي عرض له، إزاء الأحداث التي أحاطت به، وفتح أنفسنا على آفاق وحقائق ومعان تقصر عن أدائها الكلمات الجامدة في المعاجم، أو الروايات الهامدة مسجاة في كتب التاريخ.

وهو يفضي بذات نفسه في إخلاص، لا يتحرج ولا يقتصد، هادئ طورًا كالنسيم، ومكتسح عاصف أحيانًا كالسيل، يزهو ويتضاءل، ويشمخ ويأسى، ويحزن ويتجلد، وينتقل من الحبيب الصاد إلى الحبيب الواصل .

المطلب الأول: مفهوم الجملة الفعلية وعناصرها:

إن التواصل اللغوي الإنساني يشكل فكرًا منتظمًا، تنظمه المادة الصوتية التي تُعنى بغاية أولى وهي التواصل مع الجنس البشري، والتعبير عن كلٍّ من الأفكار والمشاعر، وتوصيل المعلومات، فتشكل نتاجًا لغويًا متكاملاً يتلقاه المستمع، ويقوم المتكلم بمهمة ترتيب الكلام ونظمه ورصفه، مشكلاً جملاً تقوم على الأقل من وحدتين متتاليتين فأكثر، وهذه الوحدات تجتمع معًا بعلاقات بعضها صرفي وبعضها نحوي وبعضها سياقي وحضوري متبادل، ويحدد كل ذلك نظام اللغة المستخدمة في التواصل، ويميزها عن سواها من اللغات[4]، هذا بالنظر إلى أن اللغة العربية تتيح للمتواصلين فيها نظامًا متينًا لغويًا من جهة، ومن جهة ثانية تتيح حرية لغوية لا بأس بها، تضفي تنوعًا في الأساليب والاستعمالات والدلالات اللغوية التي يتحكم من خلالها المتكلم بمقصديته.

وتعرف الجملة كالآتي:

– لغة: يقول ابن منظور في لسان العرب: "جَمَلَ الشيءَ: جمعه"[5]، ويتوضح من كلامه المعنى من

(1)القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط (5)، 1981م، 96/1.

(2) ضيف، **شوقي، العصر الجاهلي**، ، ط (11)، (250-251).

(3)الطاهر، **امرؤ القيس حياته وشعره**، ، ط (6)، ص (268).

(4)نعيمة، **الجملة في الدراسات اللغوية**، مجلة جامعة محمد خيضر، ص (72).

(5) ابن منظور، ، **لسان العرب**، ط (1)، ، ج 11، ص (123-128).

الجذر (ج م ل)، وهو الشمولية والجمع.

ويقول الخليل بن أحمد الفراهيدي في العين: "من أمثال العرب: اتخذ فلان الليل جملاً، إذا سرى كله، والجَمَال مصدر الجميل، الفعل منه جَمُلَ يَجْمُلُ، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (النحل 6)، أي بَهاء وحسنٌ"[1]، والمقصود هنا أن الجذر (ج م ل) يعني الحسن من جهة والشمولية والكلية من جهة أخرى، فللمفردة (جملة) عددًا من المعاني المعجمية التي تحيل على ميادين عدة، أهمها لدى الفراهيدي هو الشمولية والكلية.

وورد في معجم متن اللغة: "الجملة جماعة كل شيءٍ، كل جماعة غير منفصلة"[2]، ويتضح من المعنى أن الجملة تعني الجماعة، وهو يتقاطع مع معنى الجملة النحوية، وهي مجموعة من الكلمات.

– اصطلاحًا: إن أول من ورد عنده مصطلح الجملة بمعناها الحالي هو المبرّد؛ يقول: "وإنما كان الفاعل رفعًا؛ لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها، وتجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر، فإذا قلت: قام زيد، فهو بمنزلة قولك: القائم زيد"[3]، فما يحدد معنى الجملة أولاً هو أنها يحسن السكوت عليها، بمعنى أنها تعطينا المعنى كاملاً، بحيث نستطيع أن نوقف الجملة عنده من دون أن نطلب المزيد من المعاني أو الألفاظ، كما يشير إشارة مهمة إلى جواز الاختيار بين الصيغة الاسمية والصيغة الفعلية في التعبير عن المعنى المراد، حينها يحدد الكاتب الصيغة التي يراها مناسبة للمعنى بما تحمله من دلالات خاصة بالبنى الاسمية أو الفعلية.

وعنه يقول ابن جني: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو: زيد أخوك وقام محمد... فكل ما استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام"[4]، فيرادف بين معنى الجملة ومعنى الكلام من حيث أداء المعنى كاملاً وباستقلال.

ورأي آخر هو رأي عبد القاهر الجرجاني: "فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا، نحو: خرج زيد، يسمى كلامًا، ويسمى جملة"[5]، وهنا نميز بين مصطلحين، الأول هو مصطلح الكلام، والثاني هو مصطلح الجملة؛ فالكلام يعني مجموعة كلمات مترابطة بقواعد نحوية وصرفية وسياقية تفيد معنى مستقلاً بذاته وكاملاً، في حين أن الجملة بوصفها أصغر مكون للكلام المفيد، تفترض وجود مسند ومسند إليه يفيدان معنى كاملاً مستقلاً، فكل جملة كلام، وليس كل كلامٍ جملة، أما لدى النحاة الحديثين ، فيقول إبراهيم أنيس: "إن الجملة في أقصر صورها أو أطولها تتركب من ألفاظ هي مواد البناء التي يلجأ إليها المتكلم أو الكاتب أو الشاعر، ترتب بينها وينظم ويستخرج لنا من هذا النظام كلامًا مفهومًا"[6]، فيستطيع الباحث أن يقول إنَّ في الجملة إسناد نحوي إما أن يتألف من فعل وفاعل، أو يتألف من مبتدأ

(1) الفراهيدي، **العين**، ط (1)، ، ج 2، ص (261).

(2) **معجم متن اللغة**، ، د.ط، مادة (ج م ل).

(3)المبرد, **المقتضب** ، ج1، ص (10).

(4) ابن جني، **الخصائص**، ط (2) ، ج1، ص (17).

(5) الجرجاني، **الجمل**، د.ط، ص (108).

(6) أنيس،**من أسرار العربية**، ط (3)،ص (262).

وخبر، وكل من الشكلين يشكل جملة ويفيدنا بمعنى تام يحسن الوقوف عليه.

والجملة وفق المنظور الوظيفي المؤدي للمعنى المراد تتألف من قسمين: المسند والمسند إليه، والمسند إليه يأتي في مرتبة أولى من حيث الأهمية والمقصدية؛ لأن المتكلم يقدم المعلومات المعروفة أولاً، ثم يبني عليها معلومات إضافية تضيف إلى المسند إليه والمتلقي معرفة جديدة، وهي المسند أو المحمول، والتركيب الإسنادي كما يقول مارتنيه هو التركيب الذي لا يمكن اختصاره؛ إذ لا يمكن لأحد أطرافه أن يؤدي خطابًا لغويًا وحده، فإن أصغر قول لابد أن يشتمل على عنصرين يشير أحدهما إلى مضمون أو حدث ويشد الانتباه إليه ونسميه المسند، ويشير الآخر إلى مشارك إيجابي أو سلبي ونسميه المسند إليه، ويكون تقويم دوره أيضًا على هذا الأساس، ويعدُّ التركيب الإسنادي النواة التي تقوم عليها العبارة وترتبط بها سائر الوحدات بصفة مباشرة أو غير مباشرة[1]، كما يقول الدكتور أحمد قدور: إن مفهوم الإسناد يشير إلى أن المسند هو عنصر يحمل معلومات معروفة أو سبقت الإشارة إليها من خلال السياق، على حين أن المسند إليه هو ما يحمل معلومات جديدة تقدَّم للسامع أو القارئ[2]، وهنا يجد الباحث إجماعًا لدى المنظرين أن الجملة تتألف من مسند هو المعلومات المضافة، ومسند إليه هو المعلومة المعروفة، والتي ينبني عليها جوهر الكلام المقدم من المرسل إلى المتلقي.

المطلب الثاني : تقسيمات الجملة العربية:

يقسم النحاة الجملة تقسيمات متنوعة، ويُعد أهم تقسم وأشهره للجملة هو بحسب صدرها، أي بحسب مطلعها، فتُقسم إلى اسمية وفعلية بحسب صدرها:

1- الجملة الفعلية: تُعرف عمومًا بأنها التي تبدأ بفعل تام أو ناقص، فمن الأول: الفعل اللازم (نام الطفل)، والفعل المتعدي لمفعول واحد (أكلتُ الزبيبَ)، والفعل المتعدي لمفعولين (ظننتُ الامتحانَ سهلاً)، و(أعطيتُ المحتاجَ مالاً)، والفعل المتعدي لثلاثة مفاعيل (أنبأتُك الامتحانَ سهلاً)، وهذه ركنها الثاني فاعل، والفعل المبني للمجهول (ضُرِبَ الفتى)، وهذه ركنها الثاني نائب فاعل، ومن الثاني: الفعل الناقص بأشكاله (كان الطقسُ جميلاً)، و(كاد الحائطُ يقعُ) وهذه ركنها الثاني اسم وخبر، وقد تبدأ الجملة باسم لكنها فعلية في حالات خاصة مثل: (الامتحانَ قدّمتُ)، ففي هذه الحالة حدث تقديم وتأخير بين الفعل والفاعل وبين المفعول به، لكن الجملة بقيت فعلية مع أنها بدأت باسم.

2- الجملة الاسمية: تعرف بأنها المؤلفة من مبتدأ وخبر، وللمبتدأ أشكال عدة: الاسم الظاهر (الطقسُ لطيفٌ)، الضمير المنفصل (هو مبدعٌ)، والمصدر المؤول (أن تسبح الله خيرُ الذكر)، وللخبر أشكال عدة منها: الاسم الظاهر (الامتحانُ بسيطٌ)، والجملة الاسمية (الامتحان أسئلته بسيطة)، والجملة الفعلية (الامتحان يفحصنا في النحو)، وشبه الجملة (الامتحان في القاعة الثانية)، (الامتحان بعد الظهر).

وهذه الأمثلة التي عرضناها تشكل البنية البسيطة للجملة العربية، فإن الجملة البسيطة هي التي يبدأ منها البناء اللغوي، ويبدأ منها التقعيد النحوي، وأية

(1)مارتينيه، ، **مبادئ اللسانيات العامة**، د.ط، ص (124).

(2)قدور، **مبادئ اللسانيات العامة**،ط (2)،ص (242).

دراســـة للغة أو تحليل لها؛ لأنها الخلية التي يتوقف عليها النسيج اللغوي، وإحكام العبارة[1].

المطلب الثالث : الجملة الفعلية:

هي مدار البحث الحالي، وهي الجملة التي يحمل فيها المســـند معنى التجديد إذا كان مضـــارعًا، ومعنى حصول الأمر إذا كان ماضيًا، ويتصف فيها المسند إليه أي الفاعل ونائبه، بالمســند وهو الفعل، اتصـافًا متجـددًا حيويًا متحركًـا، والـدلالـة على التجـدد مســـتمدة غـالبًا من الأفعـال[2]، فـالجملـة الفعليـة البسيطة هي الجملة الإسنادية التي تضـمنت فعلاً في العناصر المكونة للإسناد، وهي ما توفرت فيها عملية إســنادية واحدة، ســواءٌ اشــتملت على متعلقات بعنصري الإسناد أم بأحدهما أم لم تشتمل.

ولا شـك أن الفعل في العربية يحتل المركز الأسـاس في التركيب مهما كانت رتبته، وبتعدده في الجملة يتغير نوع التركيب؛ ومن هنا، فإن الجملة الفعلية تتنوع بين التعقيد والبســاطة بتعدد المســند (الفعل) فيها؛ كما تتمثل قيمته بتعلق العناصر الإسنادية به[3].

ويعرف الفعل في العربية بأنه كل حدث مقترن بزمن، وهو ما دل على معنى في نفســـه، مع اقترانه بالزمن، فهو جزء منه، والفعل ثلاثة أقسام: الماضي، المضارع، الأمر[4]، ويقول سـيبويه: "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضـــى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع. فأما بناء ما مضـــى: فذهب وسمع ومكث وحمد. وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرًا: اذهبْ واقتلْ واضـــربْ، ومخبرًا: يقتل ويذهب"[5]، ويقول الزمخشري عن الفعل: "هو ما صـــح أن يدخله قد وحرفا الاســـتقبال والجوازم، واتصـل به ضـمير الرفع البارز، وتاء التأنيث السـاكنة نحو: قد ضـرب، وسـيضـرب، وسـوف يضـرب، ولم يضـــرب، وضـــربتُ، وضـــربتْ"[6]، فالفعل يحمل بداخله معنيين: الأول هو الحدث، والثاني هو الزمن، وهو المفردة الوحيدة التي تحمل كلا المعنيين، فالمصـدر مثلاً يحمـل دلالـة الحـدث من غير أن يحمـل دلالـة الزمن، والظرف مثلاً يحمـل دلالـة الزمن من غير أن يحمل دلالة الحدث.

المبحث الثاني: الظواهر النحوية للجملة الفعلية:

يرتبط معنى الظاهرة بأصـــل اشـــتقاق الكلمة، فهي اســـم فاعل من الفعل ظهر الذي يدور معناه حول البروز والوضوح، فـــ" ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهُورًا بَرَزَ بَعْدَ الْخَفَاءِ وَمِنْهُ قِيلَ ظَهَرَ لِي رَأَى إذَا عَلِمْتَ مَا لَمْ تَكُنْ عَلِمْتَـهُ وَظَهَرْتُ عَلَيْـهِ اطَّلَعْـتُ وَظَهَرْتُ عَلَى الْحَائِطِ عَلَوْتُ وَمِنْهُ قِيلَ ظَهَرَ عَلَى عَـدُوِّهِ إذَا غَلَبَهُ وَظَهَرَ الْحَمْلُ تَبَيَّنَ وُجُودُهُ".[7]

وعليه فإن إطلاق لفظة الظاهرة على الخصـيصـة أو التركيب اللغوي الذي يبرز استعماله عند شاعر، أو

(1)ميهوبي**الربط الإســنادي في الجملة العربية البســيطة- دراســة ليابي**، مجلة الأثر، ع 6، ص (166).

(2)سعدية،**الجملة في الدراسات اللغوية**، د.ط، ص (78).

(3)بلقاســم،**الجملة الفعلية البسـيطة المثبتة في معلقة امرئ القيس**، مجلة جامعة مستغانم، الجزائر، ص (177).

(4)ياقوت، **النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية**، د.ط, ص (19).

(5) سيبويه، **الكتاب**، ط (1)، 1317هـ، ج1، ص 2.

(6) الزمخشري، **الأنموذج في النحو**، د.ط، ص (96).

(7)الفيومي , **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**.، د.ط, (2 / 387).

كاتب، أو أديب، أو ما شابه ذلكَ، وللظواهر اللغوية أشكال كثيرة، فيسمع كثيرًا في الدراسات ظاهرة الحذف، وظاهرة التقديم، وما شابه فكل طريقة أدائية تبرز وتظهر في كلام ما فهي ظاهرة.

وسيعرض في هذه الفقرة دراسة لثلاث ظواهر تركيبية مهمة في اللغة العربية، وهي (التقديم والتأخير، والحذف، والمبني للمجهول)، وفق الآتي:

المطلب الأول: التقديم والتأخير:

يبنى الكلام العربي على ترتيب معين يسمى بالرتبة، وهذه الرتبة منها ما هو محفوظٌ، ومنها ما هو غير محفوظ، فالرتبة المحفوظة لا يجوز المساس بها ببناء الكلام، فلا يجوز مثلًا تقديم الصلة على الموصول والفاعل على الفعل، أمَّا الرتبة غير المحفوظة فهي رتبة يجوز فيها التصرف، أَي أن يقدَّم ما حقه التأخير والعكس، والأحكام مذكورةٌ في كتب النحو بما لا مزيد عليه، ويهتم البحث هنا بدراسة الرتبة غير المحفوظة؛ لأنها من شأن البلاغيين وأرباب الأسلوب؛ إذ يهتم البلاغي بجماليات الظاهرة التركيبية لا بحكمها من جوازٍ وعدمه، فذلك شأن النحوي، فتقديم المبتدأ على الخبر والفاعل على المفعول به أصلٌ، ولكن هذا الأصل غير محفوظ بمعنى أني أستطيع تقديم الخبر، وتأخير المبتدأ، وكذلك أستطيع تأخير الفاعل وتقديم المفعول به، ولكن هذا التقديم لا يأتي في الكلام خبط عشواء يقدم المتكلم متى أراد ويؤخِّر متى أراد، بل لذلك ضوابط أسلوبية وأغراض دلالية يجب أن يراعيها المتكلم في صوغ عباراته، ويمكن أن نقول هنا: إن الأصل في دراسة هذه الظاهرة يعود إلى سيبويه الذي عرض الغرض العريض للتقديم والتأخير في باب المفعول به، وهو (الاهتِمَامُ)، فقَال فِي حديثه عنْ تقديم الفَاعل والمفعول بِهِ: " كَأنّهم إِنَّما يُقدّمون الَّذي بيانُه أهمُّ لَهم وهُم ببيانِه أعْنى، وإنْ كانا جَميعًا يهِمّانِهم ويعْنِيانهم "[1].

ثمَّ إنهُ ينجرّ مع هذا الغرض غرضٌ جزئيٌّ سياقيٌّ، فلا يكفي التَّعبير بالاهتمام فقط؛ لأنَّ الاهتِمامَ غرضٌ عامٌّ يندرجُ تحتهُ تقسيمَاتٌ كثيرةٌ، كالافتخارِ، والاختصاصِ، والتَّفاؤل، والتَّلذّذ وتعجيلِ المسرَّة، وغير ذلك، وهذا السّامرّائيّ يقولُ:..." وعلَى هذا فَإنّ قولَ النحاة: يجوزُ تقديمُ الخبرِ على المبتدأ، كقولك (تَميميٌّ أَنَا) ليس معناهُ أنَّك تقدِّم متى شئتَ، ولكِنك تقدِّم إذا اقْتضى الأمْر التَّقديمَ. وينبغِي أنْ نعلم أنّ التَّعبير الواحد قدْ تختلفُ أغراضه بحسب المقام، فَيكونُ مرّةً للاختصاصِ، ويكون مرَّةً أخرى للفخرِ، فقد يمكِنُ أنْ تقولَ: (تميمِيٌّ أَنا) بقصد التَّخصيص كما يمكن أنْ تطلِقه فِي مقامٍ آخرَ بقصدِ الفخرِ، والَّذي يعيّن ذلك إنّما هو المقامُ "[2].

وترتبط دراسة التقديم والتأخير عند أرباب المعاني والأسلوب والبلاغة بمبحثين مهمين الأول:أغراض تقديم المسند إليه، و هذا يرتبط بالجملة الاسمية لا الفعلية، أمّا الثاني: فيرتبط بتقديم متعلقات الفعل عليه، وهذا يهمنا في هذه الدراسة عن الجملة الفعلية، وقد عرض البلاغيون من تلك الأغراض ما يأتي:

(1)سيبويه، **عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء**، د.ط، (1/34).

(2)السامرائي , **معاني النحو، فاضل صالح**، ، د.ط، (153/)1.

– الاختصـــاص: كقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْـــتَعِينُ} (الفاتحة: 7)، وهذا هو الغرض المهم في تقديم المفعول، فليس قول المؤمنين: (نعبدُك يا الله)، كقولهم: (إيَّاك نعبد)؛ لأن الثاني بتقديم المفعول فهمَ منه الاختصاص، أي الحصر والقصر، فمعنى الجملة مع التقديم يصبح (نعبدك وحدك فقط لا نعبد معكَ إلهًا آخَرَ)، وهذا المعنى مُؤدّى بمجرَّد تقديم العنصـــر اللغوي.

– الاهتمام بالمتقدم: كقوله تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَـــيْءٍ} (الأنعام: 164)، فالمتكلم هنا مهتم بنفي اتخاذ رب غير الله فقدم المفعول (غير) على الفعل (أبغي) لغرض الاهتمام، فهو مهتم بنفي اتخاذ الرب (غير الله)، وهذا الغرض الأساسي للتقديم كما أسلفنا.

–التبرك: مثل «قرآنًا قرأت». لتّلَذُّذ: (أمّي زرتُ).

–المسرّة: (خيراً لقيتَ).

–المساءة: (شرّاً أوقعوا بولدِك).

–كونُ المعمول محطَّ إنكارٍ: كقول أبي ذُؤَيب الهُذَلِيّ:

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ

وَالدَّهْرُ ليسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

قدّم الهذليّ الجارَّ والمجرور «من المنون» – وهما معمول الفعل تتوجّع – ؛لكونهما محطَّ إنكارٍ وتعجُّب.

– مجاراةُ كلام السّامع: كأنْ تقولَ: «زيداً رأيتُ» في إجابة مَن سـألك: «مَن رأيتَ؟ ». قدَّمتَ المفعولَ؛ ليوافقَ مقابلَه في السُّؤال: «مَن» الاستفهاميّة.

–الحفاظ على وزن الشِّعر: كقوله:

سَريعٌ إلى ابْنِ العَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ

ولَيْسَ إلى داعي النَّدَى بِسَريع

أي: ليس بسـريعٍ إلى داعي النَّدى، ولكنْ قدِّم الجارُّ والمجرور «إلى داعي» على متعلَّقه «سريع» للمحافظة على وزن الشِّعر.

– لرعاية الفاصـلة في النّثر: كقوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقّة: 30 – 32][1].

وأضـافوا إلى هذه الأغراض الأسـاسـيَّة أغراضًـا فرعيَّةً كثيرةً، لا يتسـع المجال لبسـط القول في تفصـيلاتها وجزئيَّاتها، وفيما عرض كفاية لتوضـيح فكرة الظاهرة الأسـلوبية، وتجلياتها في الكلام العربي، وهي تكفي لبنـاء المبحـث التطبيقي عليهـا؛ وفيمـا يأتي عرضٌ لتجلي تقديم متعلقات الفعل على الفعل في شـعر امرئ القيس.

من تقديم معمول الفعل عليه في المعلقة قوله[2]:

فمِثلِكِ حُبْلى قد طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ

فألْهَيْتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ[3]

(1) التفتازاني,**تفصيل القول في هذه الأغراض المطوّل**، د.ط ،ص (375 – 376)، عكاوي, **المفصّـــل في علوم البلاغة** ,د.ط ,ص(220 – 222).

(2) العقاد ,**الديوان**، د.ط ,(30).

(3) قال الزوزني في شرحه: " خفض فمثلك بإضمار رُبّ، أراد فرب امرأة حبلى. الطروق: الإتيان ليلًا، والفعل طرق يطرق. المرضـع: التي لها ولد رضـيع، إذا بنيت على الفعل أنثت فقيل: أرضـعت فهي مرضـعة، وإذا حملوها على أنها بمعنى ذات إرضـاع أو ذات رضـيع لم تلحقها تاء التأنيث، ومثلها حائض وطالق وحامل، لا فصـل بين هذه الأسماء فيما ذكرنا، وإذا حملت على أنها من المنسـوبات لم تلحقها علامة التأنيث، وإذا حملت على الفعل لحقتها علامة التأنيث، ومعنى المنسـوب في هذا الباب أن يكون الاسم بمعنى ذي كذا أو ذات كذا، والاسم إذا كان من هذا القبيل عَرَّته العرب من علامة التأنيث كما قالوا: امرأة لابن وتامر أي: ذات لبن وذات تمر، ورجل لابن تامر أي: ذو لبن وذو تمر، ومنه قوله تعالى: {السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ} [المزمل: 18] نص الخليل على

قدم الشاعر مجرور رب اللفظي، (مثلك) على الفعل طرقت، وهو العامل فيه، وهذا التقديم لازم لصدارة رب في الكلام، ورب محذوفة مقدرة وقد دل عليها بالفاء، وهذا التقديم من نوع اللازم ؛لأن العنصر المقدم مجرور (رب)، وهي من أدوات تصدير الكلام في العربية، على أن في هذا التقديم تشويقًا للمخاطب، فهو لا يدري ماذا فعل بهؤلاء حتى يذكر الفعل العامل فيها وهو (طرقت).

ومن تقديم متعلقات الفعل عليه تقديم اسم الفعل الناقص عليه ليصبح مبتدأ، ومن ذلك قول امرئ القيس[1]:

وَكُلُّ مَكارِمِ الأَخْلاقِ صارَتْ

إلَيْهِ هِمَّتي، وَبِهِ اكتِسابي

وأصل التركيب أن يقول صارت همتي إلى كل مكارم الأخلاق، ولكنَّ امرأ القيس قدَّمَ مكارم الأخلاق بالذكر؛ لأنها مدار اهتمامه، ولحصر سعيه وهمته بها، فغرض التقديم هنا الحصر والقصر، فقد أراد صرت في زمن جعلت أهدافي هدفًا واحدًا هو مكارم الأخلاق لا شيءٌ آخر، فمكارم الأخلاق موضع اهتمامي الوحيد، وأكد الحصر بإعادة تقديم شبه الجملة (إليه)؛ ليتأكد أن سعيه الوحيد إلى مكارم الأخلاق، وهذا أفخر وأمدح.

ومن حالات تقديم متعلقات الفعل عليه في شعر امرئ القيس تقديم شبه الجملة المتعلقة بالفعل عليه في قوله[2]:

وَلَوْ عَنْ نَثَا غَيْرِه جاءَني

وَجُرْحُ اللِّسانِ كَجُرْحِ اليَدِ[3]

قدَّم الشاعر شبه الجملة (عن نثا غيره) على الفعل العامل بها وهو الفعل (جاءني)، وذلك لغرض الحصر ،والاختصاص، والقصر، فالشاعر يتمنى أن يكون الكلام قد جاءه عن غير أبي الأسود المتقدم ذكره في البيت الذي قبله، والأداة (لو) هنا للتمني، فمن معانيها التمني[4]، وفي البيت من المعاني اللطيفة إشارة إلى تأثير الكلام في النفس تأثير الجرح بالجسد؛ لذلك اعتمد على هذا البيت ابن يعيش في توجيه اشتقاق الكلام من الكلم الذي هو الجرح، حيث قال: " ألا ترى أنّ اشتقاق "الكلام" من "الكَلْم"، وهو الجرحُ، كأنّه لشدّة تأثيره ونُفوذِه في الأنفس

أن المعنى: السماء ذات انفطار به، لذلك تجرد منفطر عن علامة التأنيث. وقوله تعالى: {لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ} [البقرة: 68] أي: لا ذات فرض، وتقول العرب: جمل ضامر وناقة ضامر، وجمل شائل.... لهيت عن الشيء ألهى عنه لهيًا إذا شغلت عنه وسلوت، وألهيته إلهاء إذا شغلته. التميمة: العوذة، والجمع التمائم. يقال: أحول الصبي إذا تم له حول فهو محول؛ ويروى: عن ذي تمائم مُغْيِلٍ؛ يقال: غالت المرأة ولدها تغيل غيلًا وأغالت تغيل إغيالًا إذا أرضعته وهي حبلى. ويروى: مرضع بالعطف على حبلى. ويروى: ومرضعًا على تقدير طرقتها. ومرضعًا تكون معطوفة على ضمير المفعول". شرح المعلقات، (44).

(1) العقاد , **الديوان**، د.ط , ص(78).

(2) السابق ,ص (87).

(3) النّثا: النبأ الحسن أو السيئ.

(4) نص عليه صراحةً بعض النحويين، وجعله البعض معنًى طارئًا للو، فهي تشرب معنى التمني، وقد نص أبو حيان على أنها إذا أشربت معنى التمني لم تحتج إلى جواب. ينظر ارتشاف الضرب، (4/ 1903).

كالجَرْح؛ لأنّه إنْ كان حَسَنًا أثّر سرورًا في الأنفس، وإن كان قبيحًا أثّر حُزْنًا، مع أنَّه في غالب الأمر يَنْزع إلى الشرّ، ويدعو إليه"[1].

ومن تقديم متعلقات الفعل في شعر امرئ القيس تقديمه لشبه الجملة في قوله[2]:

وَابنِ عَمٍّ قَدْ تَرَكْتُ لَهُ

صَفوَ ماءِ الحَوْض عن كَدَرِهْ[3]

ذكر الشاعر ابن عمه أولًا ليعجل اطمئنانه وهو مجرور برب لفظًا، وجواب رب متأخرٌ وهو تركت له، وتقديمه هنا من باب تقديم ما له الصدارة وإن كان في تقديمه غرض جزئي هو تعجيل امتنانه على أقربائه، وفي ذلك فخر بالقبيلة كما كان الجاهليون يفعلون، ويستشف انتماءٌ قبلي واضح من هذا التقديم، حيث عجل بذكر ابن عمه قبل فعله معه، وفي ذلك إيماءٌ إلى تعجله بفخره بأقربائه.

ومن التقديم الوارد في شعر امرئ القيس في معرض الهجاء قوله[4]:

لا حِمْيَرِيٌّ وَفَى وَلا عَدَسٌ

وَلا استُ عَيرٍ يَحُكّها الثَّفَرُ[5]

عدل امرؤ القيس عن الرتبة المعهودة في بناء جمل هذا البيت محققًا بذلك أغراض التقديم البلاغية، ومستعملا إياها توظيفًا جيدًا في المعنى المناسب لسياق البيت، وذلك أن أصل التركيب ما وفى حميريٌ ولا عدس، ولا حك استُ عير الثفر، ولكن عدل امرؤ القيس عن هذه الرتبة فقدم ذكر الفاعل في المعنى مدخلًا النفي عليه فقال: لا حميري وفى، وبذلك تمكن من ذكر معنى العموم المفهوم من إدخال النفي على النكرة، فالنكرة في سياق النفي تعم ، وكذلك الأمر في تقديم (استُ عير) على الفعل يحك، وذلك أنه تمكن من إيقاع الفعل عليها مرتين الأولى كانت في ذكر الاسم مقدمًا والثانية كانت في إيقاع الفعل على ضمير هذا الاسم، وفي ذلك توكيدٌ ملحوظٌ لا يمكن أن يتحقق دون هذه الرتبة، وعليه فإن التقديم هنا أسعف الشاعر في تحقيق أبلغ المعاني، وذلك من خلال المبالغة في عرض المعنى كما اتضح، وذلك مناسبٌ جدًا لمقام الهجاء.

ومن استخدام امرئ القيس لأسلوب التقديم في شعره قوله في أحد مطالعه[6]:

أَمَاوِيَّ! هَلْ لي عِنْدَكُم من مُعرَّسِ

أمِ الصرْمَ تختارِينَ بالوَصْل نيأسِ[7]

استعمل امرؤ القيس أسلوب التقديم على الفعل في هذا البيت مرتين، أمَّا الأولى فكانت بتقديم المفعول به على فعله في قوله: (الصرم تختارين)، وغرض التقديم هنا تعجيل المساءة، فالشاعر أراد أن يقدم ما يؤرقه وهو صرم المرأة له وقطعه للعلاقة به، وهذا أمرٌ مؤرق لكل محب، ولذلك عند إلى تقديمه ليعجل الإخبار بما يسوءه ويؤرقه، وغرض المساءة وتعجيلها

(1) ابن يعيش , **شرح المفصل**، د.ط , (76/1).

(2) العقاد , **الديوان**،د.ط ,ص (101)

(3) الكدر التراب الذي يعكر صفو الماء.

(4) العقاد ,**لديوان**،د.ط ,ص (102).

(5) الثفر: السير الذي في مؤخرة السراج.

(6) العقاد,**الديوان**،د.ط ,ص (110).

(7) الماوية: المرآة، واسم امرأة. معرّس: مبيت وحسن معشر. الصرم: الهجر.

من أغراض تقديم المفعول به عند البلاغيين كما تم ذكره في التقديم النظري، أمَّا الموضع الثاني: من البيت فكان في قوله: (بالوصل نيأس)، والتقديم هنا لغرضين: الأول: تعجيل المسرة، فالشاعر أراد أن يعجل ذكر ما يسره ويجعله سعيدًا فقدم شبه الجملة على الفعل، والغرض الثاني: تحقيق القافية والوزن وهو غرض اتَّضح في التقديم النظري للفكرة، وقد أحسن الشاعر توظيف التقديم هنا لأغراضه وكانت أغراضًا معروفة مشهورة.

ومن حيثيات التقديم في الجملة الفعلية تقديم الفاعل على المفعول به، وقد ورد في شعر امرئ القيس، ومن ذلك قوله من اللامية المطولة[1]:

وَلَكِنّمَا أسْعَى لِمَجْدٍ مُؤثَّلٍ

وَقد يُدرِكُ المَجدَ المُؤثّلَ أمثَالي[2]

يبرز التقديم بين الفاعل والمفعول في هذا البيت في الشطر الثاني، فقد قدم المفعول به (المجد المؤثل) على الفاعل، (أمثالي) لأكثر من غرض بلاغي معنوي، أبرزها تعجيل المسرة والتبرك، فالشاعر يريد أن يعجل بأن المدرك المسعى إليه هو المجد المؤثل الذي يسعى إليه، وهو جديرٌ بأن يحص عليه، والغرض الثاني هو تحقيق الوزن والقافية فالفاعل جاء كلمة القافية، ولذلك حسن تقديم المفعول به، أضف إلى ذلك غرض الاهتمام الأصلي للتقديم، وذلك مؤذن بأن محور اهتمام الشاعر هو المجد المؤثل، فالتقديم أضاف للبيت فخرًا إلى فخر، وتعاون مع باقي العناصر اللغوية ليقدم المعنى المبالغ به على أكمل وجه، ولا ننسى أنه أسند بلوغ المجد لأمثاله والمراد نفسه، وهذا أبلغ إذ تقول العرب مثلك يبلغ المجد ويعنون أنك أجدر بذلك، إذْ المعنى لو قدر أن يوجد مثلي لبلغ المجد فما الظنُّ بي، وهذا أسلوب بلاغي مشهور في الإخبار عن المعنى، وقد قال السبكي في شرح معنى قولهم: مثلك لا يبخل: " إذا استعملت كلمة مثل كناية من غير تعريض كقولك: مثلك لا يبخل ، ونحوه مما يراد فيه بلفظ مثل غير إفادة الحكم للمضاف إليه، وإنما يريد أن مقتضى القياس أن من كان بهذه الصفة التي هو عليها يكون غير فاعل لهذا الفعل، وعليه قول الشاعر:

سواك يا فردًا بلا مشبه

ولم أقل مثلك أعنى به

كذلك حكم غير إذا سلك بها هذا المسلك؛ فتقول: غيرى يفعل ذلك؛ أي لا أفعله فقط من غير إرادة التعريض بإنسان"[3].

وهكذا استخدم امرؤ القيس أسلوب التقديم في هذا البيت لتتعاون مع باقي الأساليب في عرض المعنى المراد بصورته المثلى، وقد قام التقديم بدوره المعنوي المتميز في هذا البيت وغيره كما تم توضيحه في الأبيات السابقة.

المطلب الثاني: الحذف:

الحذف يمتاز بدقة مسلكه، والمسلك الدقيق يحتاج إلى متتبعٍ دقيق كي يكتشف معالمه، وهو أسلوبٌ

(1) العقاد **الديوان**، د.ط ,ص(139).

(2) المؤثل: الأصيل الشريف.

(3) السبكي , **عروس الأفراح**،د.ط، (250/1).

أشـــبه بالســـحر؛ لأن المتكلِّمَ يكونُ فيه بعدم النطقِ أبينَ، وأَبلغ منه لو نطق، وهذا وجه تشبيهه بالسحر عند الجرجاني، ولذلك عدَّه ابن جنّي بابًا قيمًا من أبواب شـــجاعة العربية[1]، ولكن لهذا الحذف الذي يعد من الحذف الفني شـروطٌ، إذ لا يعدُّ كُلُّ حذفٍ منه، ومن أهمّ تلكَ الشُّـــروط أَن يدل عليه دليل من اللفظ أو الحال [2].

ولهذا الحذف أنواعٌ، وأقسامٌ وأبوابٌ، أشهرها: حذف المسند إليه، وحذف المسند، والاكتفاء بالسبب عن المسبب، وبالمسبب عن السبب [3]، والإضمار على شـــريطة التفســـير، وحذف الفعل وجوابه، وحذف المضاف والمضاف إليه وإقامة كل منهما مقام الآخر، وحذف الموصـــوف والصـــفة وإقامة كل منهما مقام الآخر، ومنه حذف الشرط وجوابه[4] ، إلى غير ذلك من أنواعٍ تتفرع عن الأنواع المذكورة.

ويعد الحذف في مكانه أبلغ من الذكر؛ لأنَّهُ يمنح العبارة قوةً خاصَّـــةً، ومن " أســـباب قوة العبارة: أن تأتي موجزة محكمة التركيب؛ محذوفًا منها ما قامت القرائن على وجوده مقدرًا، لأن ذكره حينئذ مما يؤدي إلى ثقل العبارة بما يمكن الاستغناء عنه كما أنه يؤدي إلى إطالتها وترهلها، والبلاغة الإيجاز، كما يقولون، على أن الســـامع لا يســـتهويه من الكلام ما جاء مكشـوفًا ظاهرًا، لأنه لا يشـد له انتباهًا ولا يثير في نفسه تساؤلًا؛ كما أن مثل هذا القول يتضمن إساءة الظن بذكائه، ومقدرته على التقاط المعاني بالإشـــارة الدالة، واللمحة الموحية "[5].

ولا يخفى ما يؤديه الحذف من دور في اللفظ والمعنى فإنه يلب دورًا كبيرًا في إسعاف المتكلم عن العبث في اســـتعمال الأســـاليب، قال أبو موســـى: " الحذف يكون لتصـفية العبارة، وترويق الأسـلوب من ألفاظ يفاد معناها بدونها لدلالة القرائن عليها، وأن هذا الاختصـــار، وحذف فضـــول الألفاظ يجري مجرى الأساس الذي بنيت عليه الأساليب البليغة، ولذلك نجد البلاغيين يذكرون من أغراض الحذف في كل جزء من أجزاء الجملة، الاختصـــار ويتبعونه بقولهم: "والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر"، وهي عبارة دقيقة وصادرة عن تفكير صادق؛ لأنه ذكر الكلمة التي يدل عليها ســـياق الكلام فيه ثقل، وترهل في الأسلوب، وهي شبيهة بالبعث وليست عبثا؛ لأنها جزء من الكلام، وذكر جزء الكلام لا يكون عبثا، ولذلك جاء قولهم بناء على الظاهر أي لا في حقيقة الأمر؛ لأننا عند التحقيق لا نسميه عبثًا"[6] .

أما الحديث في هذه الفقرة فسيقتصر على الحذف الذي يطال الجملة الفعلية، إذ يقع الحذف على أي عنصـــر من عناصـــر الكلام، ولما كان هذا البحث مخصصًا دراسة الجملة الفعلية، وتجلياتها في شعر امرئ القيس كان لزامًا على الباحث التقيد في هذه الفقرة بالحديث عن الحذف الذي يطال الجملة الفعلية

(1) ابن جنى , **الخصائص**، د.ط ،(2/ 360.)

(2) الرفاعى, **أساليب بلاغية**, د.ط,ص (161).

(3) ابن الأثير , **الجامع الكبير في صـــناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، د.ط ,ص (124).

(4) السابق ,(127 -130).

(5) الجناجي ,**النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق** , د.ط ,ص (176).

(6) أبو موسى ,**خصائص التراكيب**، د.ط، ص(160).

ونعني بذلك حذف أي عنصر من عناصر الجملة الفعلية الأساسية من حذف الفعل أو حذف الفاعل أو المفعول وما شابه ذلك، ولحذف تلك العناصر أغراضٌ ذكرها البلاغيون، وخصوا حذف المفعول به بأهمية خاصة، وذلك تبعًا لكلام شيخ البلاغة الجرجاني الذي قال عن حذف المفعول: " إنّ الحاجة إلى حذفه أمسّ وإنّ اللطائف فيه أكثر"[1].

وقد تتبعوا الأغراض الجزئية لحذف المفعول به فذكروا منها[2]:

-الْبَيَانِ فِيْمَا أُبْهِمَا: كَمَا فِيْ فِعْلِ الْمَشِيْئَةِ وَالْإِرَادَةِ وَنَحْوِهِمَا؛ إِذَا وَقَعَ شَرْطاً فَإِنَّ الْجَوَابَ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَيُبَيِّنُهُ، لَكِنَّهُ إِنَّمَا يُحْذَفُ مَا لَمْ يَكُنْ تَعَلُّقُهُ بِهِ – أَيْ تَعَلُّقُ فِعْلِ الْمَشِيْئَةِ بِالْمَفْعُوْلِ – غَرِيْباً؛ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149] أَيْ: لَوْ شَاءَ هِدَايَتَكُمْ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِيْنَ، فَإِنَّهُ لَمَّا قِيْلَ: (لَوْ شَاءَ) عَلِمَ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئاً عُلِّقَتِ الْمَشِيْئَةُ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ مُبْهَمٌ، فَإِذَا جِيْءَ بِجَوَابِ الشَّرْطِ صَارَ مُبَيَّناً، وَهَذَا أَوْقَعُ فِي النَّفْسِ.

بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ تَعَلُّقُ الْمَشِيْئَةِ بِهِ غَرِيْبًا؛ فَإِنَّهُ لَا يُحْذَفُ حِيْنَئِذٍ؛ كَقَوْلِهِ:

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيْ دَماً لَبَكَيْتُهُ

عَلَيْهِ، وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

فَإِنَّ تَعَلُّقَ فِعْلِ الْمَشِيْئَةِ بِبُكَاءِ الدَّمِ غَرِيْبٌ؛ فَذَكَرَهُ؛ لِيَتَقَرَّرَ فِيْ نَفْسِ السَّامِعِ وَيَأْنَسَ بِهِ.– مَجِيْءِ الْذِّكْرِ: أَيْ ذِكْرِ الْمَفْعُوْلِ ثَانِياً عَلَى وَجْهٍ يَتَضَمَّنُ إِيْقَاعَ الْفِعْلِ عَلَى صَرِيْحِ لَفْظِهِ لَا عَلَى الضَّمِيْرِ الْعَائِدِ إِلَيْهِ؛ إِظْهَارًا لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ وُقُوْعِ الْفِعْلِ عَلَى الْمَفْعُوْلِ، حَتَّى كَأَنَّهُ لَا يَرْضَى أَنْ يُوْقِعَهُ عَلَى ضَمِيْرِهِ، وَإِنْ كَانَ كِنَايَةً عَنْهُ؛ كَقَوْلِ الْبُحْتُرِيِّ:

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّؤْ

دُدِ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلَا

– دَفْعِ تَوَهُّمِ السَّامِعِ غَيْرَ الْقَصْدِ: أَيْ غَيْرَ الْمُرَادِ ابْتِدَاءً؛ كَقَوْلِهِ:

وَكَمْ ذُدْتَ عَنِّيْ مِنْ تَحَامُلِ حَادِثٍ

وَسَوْرَةِ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظْمِ!

قَطَعْنَ اللَّحْمَ إِلَى الْعَظْمِ، فَحُذِفَ الْمَفْعُوْلُ، أَعْنِي (اللَّحْمَ)؛ إِذْ لَوْ ذُكِرَ اللَّحْمُ، لَرُبَّمَا تُوُهِّمَ – قَبْلَ ذِكْرِ مَا بَعْدَهُ أَيْ (إِلَى الْعَظْمِ) – أَنَّ الْحَزَّ لَمْ يَنْتَهِ إِلَى الْعَظْمِ، وَإِنَّمَا كَانَ فِيْ بَعْضِ اللَّحْمِ، فَحُذِفُ اللَّحْمُ؛ دَفْعاً لِهَذَا التَّوَهُّمِ.

– التَّعْمِيْمِ: أَيْ فِي الْمَفْعُوْلِ مَعَ الِاخْتِصَارِ؛ كَقَوْلِكَ: (قَدْ كَانَ مِنْكَ مَا يُؤْلِمُ)؛ أَيْ: كُلَّ أَحَدٍ، بِقَرِيْنَةِ أَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ الْمُبَالَغَةِ. وَهَذَا التَّعْمِيْمُ – وَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ يُسْتَفَادَ مِنْ ذِكْرِ الْمَفْعُوْلِ بِصِيغَةِ الْعُمُوْمِ – لَكِنْ يُفَوِّتُ الِاخْتِصَارَ حِيْنَئِذٍ، وَعَلَيْهِ – أَيْ: عَلَى حَذْفِ الْمَفْعُوْلِ لِلتَّعْمِيْمِ مَعَ الِاخْتِصَارِ – وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: 25] أَيْ: عِبَادَهُ كُلَّهُمْ.

فَالْمِثَالُ الْأَوَّلُ يُفِيْدُ الْعُمُوْمَ؛ مُبَالَغَةً – وَالثَّانِي؛ تَحْقِيْقاً.

– مُجَرَّد الِاخْتِصَارِ: مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْتَبَرَ مَعَهُ فَائِدَةٌ أُخْرَى؛ مِنَ التَّعْمِيْمِ وَغَيْرِهِ؛ نَحْوُ: (أَصْغَيْتُ إِلَيْهِ) أَيْ: أُذُنِيْ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾

(1) الجرجانى , **دلائل الإعجاز**،د.ط ,ص (117).

(2)الطرابلس , **درر الفرائد المستحسنة** ، د.ط ، (250 -255).

[الأعراف: 143] أَيْ: ذَاتَكَ.

– مراعاة الْفَاصِـــلَهْ: أَيْ أَوْ يَكُوْنَ الْحَذْفُ لِمُرَاعَاةِ الْفَاصِلَةِ؛ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ ۝٣﴾ [الضّحى: 3] أَيْ: مَا قَلَاكَ، فَحُذِفَ الْمَفْعُوْلُ؛ لِأَنَّ فَوَاصِلَ الْآيِ عَلَى الْأَلِفِ.

– اسْـــتِهْجَان ذكره: وذلك حين يكون من الألفاظ المســتهجنة، كَقَوْلِ عَائِشَــةَ – رَضِــيَ اللهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبِيْهَا –: (مَا رَأَيْتُ مِنْهُ وَلَا رَأَى مِنِّيْ) أَيِ: الْعَوْرَةَ.

– التَّمَكُّنِ مِنْ إِنْكَارِهِ إِنْ مَسَّـــتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ: وذلك كقولك في حضرة جمع قاتل الله، وأنت تعني صديقًا خاصـــمك، وحذفه للتمكن من إنكاره إذا ووجهت بذلك.

– ادِّعَـاءُ تَعَيُّنِـهِ: أَوْ نَحْو ذَلِـكَ؛ قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: 2] أَيْ: لِيُنْـذِرَ الَّـذِيْنَ كَفَرُوْا، فَحُـذِفَ لِتَعَيُّنِهِ، وَلِأَنَّ الْغَرَضَ هُوَ ذِكْرُ الْمُنْذَرِ بِهِ.

الحذف من الجملة الفعلية عند امرئ القيس:

والآن ننتقل للحذف من الجملة الفعلية عند امرئ القيس، ومن ذلك حذف الفعل العامل في المفعول المطلق في المعلقة في قوله[1]:

أفاطم مهلاً بعضَ هذَا التَّدلل

وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي[2]

حذف امرؤ القيس الفعل هنا واعتاض عنه بمصـدره، (مهلًا)، فمعناه " رفقًا، وهو مفعول مطلق، وأصـله: أمهلي إمهالًا، فحذف عامله وحذف زائده، وجعل نائبًا عن فعله، فبعض منصـــوب به لا بفعله، أي: أخريه عن هذا الوقت"[3].

فالحذف طال الفعل للاســـتغناء عنه بالمصـــدر، والمصدر يستعمل في الطلب مثله في ذلك مثل الفعل لأنه مصـدره، فكأنه قال تمهلي، وهذا الحذف مكن الشـــاعر من القفز مباشـــرة إلى مراده وهو تخفيف الدلال الكبير، وإيقاع التجمل في الصرم.

ومن حذف المفعول به في المعلقة قوله[4]:

وتَعْطو برَخْصٍ غيرِ شَثْنٍ كأنَّهُ

أساريعُ ظبْيٍ أوْ مساويكُ إسْحِلِ[5]

ورد الحذف هنا في المفعول به، فالفعل تعطو متعدٍّ، وقصد الشاعر أنها تأخذ وتتناول الأشياء بأصابعها التي تشبه أساريع الظبي، والمفعول تقديره (الأشياء)، وقد ورد في شـــرح البيت " امرؤ القيس يقول إنّ صاحبته تتناول الأشياء ببنان أو أصابع رخصة ليّنة ناعمة، ثمّ يشبه تلك الأنامل بدود الرمل أو المساويك المتخذة من شجر الأسحل"[6].

(1) العقاد ,**الديوان**، د.ط .ص(32).

(2) مهلًا: أي رفقًا. الإدلال والتدليل: أي يثق الإنســـان بحب غيره إياه فيؤذيه على حسـب ثقته به، والاسـم الدّالة والدال والدلال. أزمعت الأمر وأزمعت عليه: وطّنت نفسـي عليه. شـرح المعلقات السبع للزوزني،(45).

(3) البغدادى , **المغني** ، د.ط ,ص (16/1).

(4) العقاد , **الديوان**، د.ط .ص(45).

(5) العطو: التنـاول والفعـل عطـا يعطو عطوًا، والإعطـاء المنـاولـة، والتعـاطي التنـاول، والمعـاطـاة الخـدمـة، والتعطية مثلهـا. الرخص: اللين الناعم. الشـثن: الغليظ الكز، وقد شـن شـثونة الأسـروع واليسروع دود يكون في البقل والأماكن الندية، تشبه أنامل النساء به، والجمع الأسـاريع واليسـاريع. ظبي: موضـع بعينه. المسـاويك جمع المسواك. الإسحل: شجرة تدق أغصـانها في استواء، تشبه الأصابع بها في الدقة والاستواء.

(6)عتيق , **علم البيان**، د.ط ،ص (132).

والحذف هنا للتعميم، وقد تقدم في التنظير أن حذف المفعول به يكون للتعميم، ولم يقصد امرؤ القيس أن يوقع الفعل هنا على مفعول محدد وإلا تقيد التشبيه بأخذها لذلك الشيء، بل أراد أن يقول إنها تتناول كل الأشياء بهذه الأصابع المحببة، والحذف للتعميم.

ومن حذف المفعول به في شعر امرئ القيس قوله[1]:

فَأَدْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَثْنِ شَأْوَهُ

يَمُرّ كخُذرُوفِ الوَلِيدِ المُثَقَّبِ[2]

حذف الشاعر مفعول الفعل (أدرك)، وهو طريدته، وذلك للعلم به أولًا فقد تقدم قبل بيتين أنه قد عرض لهم قطيعٌ من النعاج، وبدأ هذا الفرس وعليه الغلام يطارد القطيع، حتَّى قال فأدرك، والمعنى أدرك الصيد[3]، وعليه يكون الحذف للاختصار وقد تقدم هذا الغرض من أغراض حذف المفعول به، وهو نازل عند الاستعمال العربي الأسلم لتحقيق الإيجاز، وهو حد البلاغة.

وقد يكون حذف الحذف من الجملة الفعلية متجهًا إلى الفعل بشرط تفسيره، وذلك يكون في جملة الشرط، فهي مختصة بالدخول على الأفعال، فإذا ورد بعدها اسمٌ فالأرجح بحسب جمهور النحاة تقدير فعل قبلها، فيكون الاسم المرفوع بعد أداة الشرط فاعلًا لفعل محذوفٍ يفسره الفعل المذكور بعده، ومن ذلك في شعر امرئ القيس قوله[4]:

إذا البَازِلُ الكَوْماءُ رَاحتْ عَشِيّةً

تُلاوِذُ من صَوْتِ المُبِسّينَ بالشجَرْ[5]

فالأداة (إذا) من أدوات الشرط وهي خاصة بالأفعال فإذا ورد بعدها اسمٌ فهو على الصحيح فاعلٌ لفعل محذوفٍ يفسره المذكور[6]، وحذف الفعل في نحو ذلك توجيه للذهن للاسم مباشرة، وهو بتفسيره يحقق المعنى بعد أن ضمن توجه ذهن المتلقي إلى الاسم، فالشاعر هنا يركز على البازل الكوماء، فهي لا غيرها على قوتها تتعلق بالجواب، وهو حذفٌ دقيق يؤدي غرضًا دقيقًا.

ومن الحذف المشابه الذي وقع على فعل الشرط بعد الأداة إذا قوله[7]:

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أنْيَابِهَا

إذَا النَّجْمُ وَسْطَ السَّماءِ اسْتَقَلْ[8]

أراد أن يقول: إذا علا النجم وسط السماء يعل أي يسقى ويشرب مرة بعد مرة ببرد أنياب هذه المرأة، واللافت أنه قدم ما فيه معنى الجواب، وهو (يعل)، ليتمكن من جعله أهم له، إذْ هو مهتم بكونه يعل بأنيابها، وفي هذه الحالة لا نقول عنه جواب، بل هو دليل الجواب، وذلك لأن لأدوات الشرط الصادرة في جملتها، فلا يتقدم عليها شيءٌ في حيزها، فما ورد

(1) العقاد ,**الديوان**، د.ط .ص(77).

(2) الشأو: الشوط البعيد. الخذروف: لعبة سريعة الدوران.

(3)شُرَّاب,**التقدير في شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»** ، ط1، (115/1).

(4) العقاد ,**الديوان**،د.ط ,ص (103).

(5) البازل الكوماء: الناقة العظيمة السنام. تلاوذ: تراوغ. المبسون: الحالبون للنوق.

(6)ابن الأثير, البديع في علم العربية، د.ط، ص(636/1).

(7) العقاد,**الديوان**،د.ط ,ص (146).

(8) يعلّ: يُسقى. استقل: علا.

وفيه معنى الجواب هو دليل الجواب، ويقدر الجواب من لفظه، والجواب محذوفٌ بعدها[1]، والحذف هنا للاختصار ونقل المتلقي مباشرة للجواب المرتبط بالحدث، فتقديم دليل الجواب دليل على اهتمام الشاعر بالمعنى الوارد فيه، وكذلك حذف فعل الشرط وفسره بالفعل (استقل)، وذلك للغرض نفسه وهو الاختصار، حيث عرفت هذه المعاني وأراد الشاعر أن يعجل ذكر الفاعل ؛ لأنه مهتم بذلك.

ومن حذف المفعول به من شعر امرئ القيس قوله[2]:

وَأُنَازِلُ البَطَلَ الكَرِيهَ نِزَالُهُ

وَإذا أُنَاضِلُ لا تَطِيشُ سِهَامي

افتخر الشاعر بهذا البيت بفعلين، الأول منهما أنازل وقد ذكر مفعوله، وهو البطل الكريه نزاله، أما الفعل الثاني الذي افتخر به فهو أناضل، وهذا قد حذف منه المفعول به، ويجوز هنا تقديره كالوارد في الشطر الأول، أي أناضل البطل الكريهة مناضلته، ولكن الحذف هنا أبلغ من ذلك إذ يسمح بتقدير العموم، أي من سجيتي أني إذا ناضلت أحدًا لا تطيش سهامي، وبذلك يكون الفخر التام، فمن عادة الشاعر أنه إذا أوقع هذا الفعل بغض النظر عن المفعول أنه لا تطيش سهامه، وقد أسعف الحذف الشاعر في تمرير هذا المعنى إذ لو أنه علقه بمفعول كالفعل الأول لما أدى هذا المعنى بل كان يدل على أنه لا تطيش سهامه في مناضلة البطل، وهذا لا يعني أنها لا تطيش أبدًا أمّا وقد حذف المفعول فقد أدى معنى أنها لا تطيش البتة، لا في نضال البطل ولا في نضال غيره، فمن سجية الشاعر أنه إذا ناجز بالسهام لا تطيش سهامه.

ونجد في شعر امرئ القيس حذفًا يشبه قبيل التنازع، وذلك إذا تنازع عملان على معمول واحد، فيعمل أحدهما ويحذف معمول الثاني للعلم به اكتفاء بمعمول الأول، فإذا قلت: قام وقعد أخواك، فالفاعل لقعد عند البصريين ولقام عند الكوفيين، وإذا قلت: حضر وأكرمت زيدًا، فستجعله مفعولًا عند البصريين وفاعلًا عند الكوفيين، أما ما ورد في شعر امرئ القيس في بيته المشهور الذي يقول فيه[3]:

فَلَوْ أنّ ما أسعَى لأدْنى مَعِيشَةٍ

كَفاني، وَلَمْ أطْلُبْ، قَلِيلٌ مِنَ المَالِ

فلم يجعله النحاة من هذا القبيل؛ لأن الفعلين عندهم غير موجهين لاسم واحد، قال ابن يعيش بعد أن سرد هذا البيت، : " ليس من هذا الباب؛ لأن شرطَ هذا الباب أن يكون كلُّ واحد من الفعلَيْن موجِّهًا إلى ما وُجّه إليه الآخرُ، وهو الاسمُ المذكور، وليس الأمرُ في البيت كذلك؛ لأنّ الفعل الأول موجَّهٌ إلى القليل من المال، والثاني موجَّهٌ إلى المِلْك، ولم يجعل القليلَ مطلوبًا، وإنّما كان مطلوبه الملكَ. وتلخيصُ معنى البيت: إنّني لو سعيتُ لمنزلةٍ دَنيّةٍ، كفاني قليلٌ من المال، ولم أطلب الكثيرَ؛ ألا ترى أنّه قال في البيت الثاني:

(1)ابن مالك , **شرح الكافية الشافية**، د.ط، (1610/3).

(2) العقاد ,الديوان، د.ط ,ص(152).

(3) العقاد , **الديوان**، ص(139)

وَلَكِنَّمَا أسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ

وقد يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أمْثالِي

ولو نصب "قليلاً" بـ "أطْلُب" استحال المعنى، وصار التقديرُ: "كفاني قليلٌ ولم أطلب قليلاً"، فيكون هذا عطفَ جملة على جملة لا تعلُّقَ لإحداهما بالأخرى، كقولك: "ضربني زيدٌ"، و"لم أُكْرِم بكرًا"؛ وحذف المفعولَ من الجملة الثانية لدلالةِ البيت الثاني عليه؛ يصف بُعْدَ همّته، فيقول: لو كان سَعْيِي في الدنيا لأدْنَى حَظٍّ فيها, لَكَفَتْنِي البُلْغَةُ من العَيْش، ولم أتَجَشَّمْ ما أتَجَشَّمُ. وإنّما طَلَبِي مَعالِي الأمُور، كالمُلْك ونحوِهِ. فاعرفه"[1].

وعليه فيكون الحذف في بيت امرئ القيس قد حقق غرض الاختصار، والإيجاز فقد حذفه للعلم به، أو لغرض التشويق حيث فسره في البيت الذي يليه والتشويق أسلوب كلامي يعمد إلى تهيئة ذهن المتلقي حتى إذا جاء المعنى صادف ذهنًا مستعدًا له فوقع فيه وقوعًا خاصًا.

ومن حذف جملة كاملة في شهر امرئ القيس قوله[2]:

جالَتْ لتَصرَعَني فقُلتُ لها: اقصِري

إني امْرُؤٌ صَرْعي عَلَيكِ حَرَامُ

فَجُزِيتِ خَيرَ جَزَاءِ نَاقَةِ وَاحِدٍ

وَرَجَعْتِ سَالِمَةَ القَرَا بِسَلامِ

يخاطب الشاعر هنا ناقته التي جالت لتصرعه، فقال لها أقصري عن صرعي، فإن صرعي محرمٌ عليك، ويكمن الحذف في البيت الثاني، حيث انتقل مباشرة إلى الجواب أو إلى النتيجة المترتبة على عدم صرعها له، فقال: فجزيت، والتقدير إذا سمعت كلامي ولم تصرعيني فجزيت، وهذا الحذف للجملة معلومٌ من السياق، وغرضه الإيجاز والتكثيف، والتسرع بالوعد، وهذا الحذف هنا يشبه الحذف الوارد في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: 160]، فالفعل انبجست مرتب على الضرب، والضرب غير مذكور، أي فضرب فانبجست، وقد تنبه البلاغيون إلى هذه الطريقة من الكلام، قال السامرائي: " ومثل هذا الحذف كثير في القرآن الكريم فإنه – أي القرآن – يذكر ما يريد ذكره وما هو محط العناية والاهتمام ويطوي ما عدا ذلك، فلا يذكره وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: 60]، أي فضربه فانفجرت فحذف الفعل، (فضربه)؛ لأنه مفهوم من السياق، ولأنه لا يتعلق غرض بذكره، فقوله {فانفجرت} في عقب الفعل المحذوف لا في عقب (فقلنا اضرب)"[3].

وعلى الطريقة نفسها جرى بيت امرئ القيس حيث ركز انتباهه على ما يهمه ويعنيه وطوى ما هو تحصيلٌ حاصل موصل للمعنى المهم.

المطلب الثالث: المبني للمجهول:

من الصيغ التركيبية المشهورة في الجملة الفعلية أن يبنى الفعل فيها للمجهول ويحذف الفاعل وينوب عنه

(1) ابن يعيش , **شرح المفصل** , د.ط ، (212/1).

(2) العقاد ,**الديوان**، د.ط ,ص(152).

(3) السامرائي , **معاني النحو**، د.ط ,(234/3).

عنصرٌ آخرُ، ولذلك يرتبط هذا التركيب بأسلوب الحذف الذي تقدم الحديث عنه في المبحث السابق، فقد يعرض داعٍ لحذف الفاعل، ويترتب عليه أمور، قال عباس حسن: " من الدواعي ما يقتضي حذف الفاعل دون فعله، ويترتب على حذفه أمران محتومان؛ أحدهما: تغيير يطرأ على فعله، والآخر: إقامة نائب عنه يحل محله، ويجري عليه كثير من أحكامه التي أسلفناها؛ كأن يصير جزءًا أساسيًا في الجملة؛ لا يمكن الاستغناء عنه، ويرفع مثله؛ وكتأخره عن عامله، وتأنيث عامله له أحيانًا، وتجرد العامل من علامة تثنية أو جمع؛ وكعدم عدده، وكإغناء هذا النائب عن الخبر أحيانًا في مثل: أمزروع الحقلان؟ " فالحقلان، نائب فاعل للمبتدأ اسم المفعول، واسم المفعول لا يرفع إلا نائب فاعل؛ كما عرفنا من قبل" إلى غير هذا من الأحكام الخاصة بالفاعل؛ والتي قد تنتقل بعد حذفه إلى نائبه"[1].

وهذا يقتضي تصرفًا ببنية الفعل، فالماضي يبنى للمجهول بضم أوله، وكسر الحرف الذي قبل آخره إن لم يكن مكسورًا من قبل، فالفعل في مثل: "فتح العمل باب الرزق – أكرم الناس الغريب"، يتغير بعد حذف الفاعل؛ فيصير في الجملة: فُتِح بابُ الرزق أُكرِمَ الغَريب[2].

وإن كان الفعل مضارعًا وجب –في كل حالاته– ضم أوله أيضًا، وفتح الحرف الذي قبل آخره إن لم يكن مفتوحًا من قبل؛ فالمضارع في مثل: يرسم المهندس البيت – يحرك الهواء الغصن يصير في الجملة بعد حذف الفاعل: يُرسَم البيتُ – يُحرَّك الغصن[3].

وإن كان الماضي الثلاثي المبني للمجهول مضعفًا مدغمًا؛ مثل الفعل: "عد" في: "عد الصيرفي المال جاز في فائه الأوجه الثلاثة، "الضم الخالص، وهو الأكثر هنا، فالإشمام، فالكسر الخالص[4].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك أفعالًا في العربية لزمت البناء للمجهول فلم ترد إلا مبنية للمجهول، ولم يسمع مجيئها مبنية للمعلوم، قال الحملاوي: " ورد في اللغة عدة أفعال على صورة المني للمجهول، منها: عُنِيَ فلان بحاجتك: أي اهتمّ. وزُهِيَ علينا: أي تكبَّر، وفُلِجَ: أصابه الفالِج، وحُمَّ: استحرَّ بدنه من الحُمَّى، وسُلَّ: أصابه السُّل، وجُنّ عقله: استتر وغُمّ الهِلال: احتجب، والخبرُ: استعجم، وأُغمِي عليه: غُشيَ، وشُدِهَ: دَهِشَ وتحيَّر، وامتُقِع أو انتُقِع لونُهُ: تغيّر.

وهذه الأفعال لا تنفك عن صورة المبنيَّ للمجهول، ما دامت لازمة، والوصف منها على مفعول، كما يُفهم من عباراتهم، وكأنهم لا حظوا فيها، وفي نظائرها أن تنطبق صورة الفعل على الوصف، فأتَوا به على فُعِل بالضم، وجعلوا المرفوع بعده فاعلاً"[5].

وتجدر أيضًا الإشارة إلى أن الفعل اللازم لا يبنى للمجهول إلا مع الظرف أو المصدر قال الحملاوي:

(1) عباس حسن ,**النحو الوافي**، ، د.ط (97/2 –98).

(2) السابق (98/2).

(3)السابق ,(98/2).

(4) السابق ,(105/2).

(5) الحملاوي , **شذا العرف في فن الصرف**، د.ط، ص(42).

" لا يُبْنى الفعل اللازم للمجهول إلا مع الظرف أو المصدر المتصرفين المختصين، أو المجرور الذي لم يلزم الجارَ له طريقة واحدة، نحو: سِيرَ يومُ الجُمْعة، وَوُقِفَ أمامُ الأمير، وجُلس جلوسُ حسن، وفُرِح بقدوم محمد، بخلاف اللازم حالة واحدة، نحو: عندَ، وإذَا، وسُبحَانَ، ومَعَاذَ"[1].

هذا من جهة جهود النحويين والصرفيين في باب المبني للمجهول، أمَّا البلاغيون فقد كانت لهم وقفة خاصة مع المبني للمجهول، وعالجوه من جهة المعنى، فعدوه من أساليب الحذف التي تحقق الإيجاز، ومن باب الحذف للعلم بالمحذُوف أن يؤتى بالفعل مبنيًّا للمجهول، وذلك بحذف الفاعل، وهذا الحذف للعلم به، أو لجعل التركيز على الحدث بغض النظر عن الفاعل، وقبل عرض بعض النماذج لهذا النوع من الحذف نذكر منه الحذف في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ (سورة هود، الآية 44). فقد وردت الأفعال "(قضي الأمر، غيض الماء، قيلَ) مبنيةً للمجهول، ولم يذكرْ معها الفاعل، للعلم به فقاضي الأمر معلومٌ معروفٌ، والقائلُ كذلكَ، وما أحسنَ تعليقَ شيخ البلاغة الجرجاني على ذلكَ بقولِهِ: " و(وَغِيضَ الْمَاء)، فجاء الفعلُ على صيغة (فُعِل) الدالَّةِ على أنَّه لم يَغِضْ إلَّا بأَمر آمرٍ وقُدرةِ قادرٍ، ثم تأكيدُ ذلك وتقريرُه بقولِهِ تعالى: (وَقُضِيَ الْأَمْرُ)"[2].

وبناء على ما تقدم يرى الناظر في أقوال النحاة والبلاغيين أن المبني للمجهول له مكانته بين الأساليب العربية التي تستعمل في المقامات المحددة للأغراض المحددة، ولا يكون استعماله من قبيل المصادفة بل يقصد المتكلم إلى معنى التركيز على الحدث دون الفاعل، فيعمد إلى حذف الفاعل لأغراض معروفة، وكأنه يقول للمتلقي ركز على الحدث ولا تركز على الفاعل.

ويحذف الفاعل لأغراض مذكورة، قال الأشموني: " حذف لغرض: إما لفظي؛ كالإيجاز، وتصحيح النظم؛ أو معنوي؛ كالعلم به، والجهل، والإبهام، والتعظيم، والتحقير، والخوف منه، أو عليه، وسيأتي أنه ينوب عن الفاعل أشياء غير المفعول به، لكن هو الأصل في النيابة عنه "فيما له" من الأحكام؛ كالرفع، والعمدية، ووجوب التأخير، وغير ذلك "كنيل خير نائب" فـ"خير": نائب عن الفاعل المحذوف؛ إذ الأصل: "نال زيد خير نائل"، نعم النيابة مشروطة بأن يغير الفعل عن صيغته الأصلية إلى صيغة تؤذن بالنيابة"[3].

وبعد هذا التقديم عن حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول ينتقل الحديث لعرض دراسة هذه الظاهرة في شعر امرئ القيس؛ ليقف القاريء عند الاستعمال التطبيقي لهذه الظاهرة، ويقف عند مقاماتها وطريقة توظيفها بشكل جيد عند شاعر من أقدم الشعراء، وهو مرجع لغيره من الشعراء في الاستعمال.

(1) السابق،ص (42).

(2) الجرجاني , **دلائل الإعجاز**، د.ط ، ص(46).

(3) الأشموني ,**شرح الأشموني على الألفية**، د.ط,(414/1).

- المبني للمجهول في شعر امرئ القيس:

برزت هذه الظاهرة في شعر امرئ القيس وكانت لها مقاماتها ودلالاتها، ومن استعماله لهذا الأسلوب التعبيري قوله:

صُبّتْ عَلَيْه ومَا تَنْصَبُّ من أَمَمٍ

إنَّ البَلَاءَ على الأشْقَيْن مَصْبُوبُ(1)

يصف في هذا البيت الخيل، ويرى أن الخير من الأمور المحصلة بالخيل، فالهاء في (عليه) عائدة على الخير المتقدم ذكره في البيت الذي قبله، يقول إن الخيل صبت على الخير، وبنى الفعل للمجهول لغرض التعميم أي أيًّا كان الفارس لا إشكال، فالمهم أن الخيل هي مصبوبة على الخير بغض النظر عن الفارس، ومن ذلك أيضًا قوله(2):

أَوُوبٌ نَعُوبٌ لا يُوَاكَلُ نَهْزُهَا

إذا قِيلَ سَيرُ المُدْلجِينَ نَصِيصُ(3)

يصف الشاعر الناقة في هذا البيت فهي ذات صوت وصياح وسريعة الرجوع والتقدم والسير، ولا يواكل نهزها يعني لا يبطئ، قال ابن فارس: " وَالْوَكَالُ فِي الدَّابَّةِ: أَنْ يَتَأَخَّرَ أَبَدًا خَلْفَ الدَّوَابِّ، كَأَنَّهُ يَكِلُ الْأَمْرَ فِي الْجَرْيِ إِلَى غَيْرِهِ.... أَيْ لَا يُبْطِئُ ; وَأَصْلُهُ مِنَ الْمُوَاكَلَةِ.... وَيَقُولُونَ: الْوَكَالُ فِي الدَّابَّةِ: أَنْ يَسِيرَ بِسَيْرِ الْآخَرِ."(4).

وبناه الشاعر للمجهول لتحقيق غرض النفي العام، أي لا يتأتى لأحد أن يسابق دابته أو أن يتمكن من أن يسايرها في السير، والبناء للمجهول حقق غرض التعميم، فلو أنه بناه للمعلوم لاضطر إلى ذكر فاعل، ولأفهم الكلام أن هذا الفاعل لا يمكن أن يساير ناقته، ولما كان فيه دلالة على أن عدم المسايرة أمرٌ عامٌّ في كل ناقةٍ، أما البناء للمجهول فقد حثث له معنى العموم في كل ناقة، وهذا أمدح وأفخر، ومناسب لمقام الفخر بهذه الناقة الشملة.

وأضاف إلى المبالغة مبالغة أخرى ببنائه للفعل (قيل) للمجهول أيضًا، إذْ لو قال إذا قال فلان لجعل هذا الوصف خاصًا بقول شخص محدد أمَّا وقد قال (قيل)، فقد جعل هذا الوصف لناقته عامًا في كل مرة يقال فيها السير مرتفع، بغض الناظر عن القائل، فالتركيز على الحدثين دفع الشاعر لبناء الفعلين للمجهول ليوجه نظر المخاطب للحدث، ولا يهتم بالفاعل فالحدث هنا هو المهم، مع ما في الحذف من معنى التعميم المفهوم ضرورةً في هذا البين.

ومن الباب نفسه من بناء الفعل للمجهول من شعر امرئ لقيس قوله(5):

إذا زُجِرَتْ ألفَيْتهَا مُشْمَعِلّةً

تُنيفُ بعَذقٍ من غِرَاسِ ابن مُعنِقِ(6)

فهذه الناقة من أوصافها أنها إذا زجرت وجدت مشمعلة أي متابعة لسيرها لا يثنيها الزجر عن سيرها، وبنى الشاعر الفعل للمجهول للعلم بالفاعل

(1) العقاد ,**الديوان**، د.ط(81)

(2) السابق ,ص (118).

(3) أوُوب: رَجوع. نعوب: صيّاحة. المدلجون: السائرون ليلاً. نصيص: رفيع.

(4) ابن فارس ,**مقاييس اللغة**، د.ط ، (136/6).

(5) العقاد ,**الديوان**،د.ط, (130).

(6) مشمعلة: ماضية في سيرها. تنيف: تشرف. العذق: عنق النخيلة.

وهو نفســـه، فبدل أن يقول: إذا زجرتها قال إذا زجرت، فأضـــاف إلى ذلك معنى العموم، وهو أن هذه الناقة هذا شأنها إذا زجرت سواء أكان الزاجر أنا أم غيري، وإن كان المعنى على أن يســـند الفعل لنفسه؛ لأنه في معرض وصف رحلته هو على ناقته، وهذا منه حسن اختياره للتراكيب حيث حقق المعنى وزيادة، معنى أنه لو زجرها ما انثنت عن سيرها ومعنى أنه إذا زجرها غيره، وفي ذلك من البلاغة ما فيه حيث حشـــد أكثر من معنى في جملة واحدة، ولا ننســـى دلالة إذا هنا على التكرار فمن معاني إذا أن تدل على التكرار، وهذا يضيف معنى أن هذه الناقة تتصف بهذه الصفة اتصافًا تامًا بحيث تكون هذه الصفة ديدنها في كل الأوقات.

ومن بناء الفعل للمجهول لغرض التركيز على الحدث لا على الفاعل قوله[1]:

وَذلِكَ مِنْ نَبَأٍ جاءَني

وَخُبِّرْتُهُ عَنْ أبي الأسْوَدِ [2]

بنى الشاعر الفعل (خبرته) للمجهول، والأصل خبرني به فلان عن أبي الأسود، ولكن الشاعر أراد صرف نظر المخاطب للتركيز على الحدث دون الفاعل، فبنى الفعل للمجهول أي هذا الأمر حصـــل لي بســـبب الأمر الذي بلغني بغض النظر عمن بلغني إياه، ولا أدل على ذلك من أنه أدخل حرف الجر (من) الذي جاء هنا للتعليل[3] على النبأ الذي ســـبب له الحالة لا على الفاعل، وهذا لائق في المقامات التي تدور حول معاني التفخيم والتعظيم، ولذلك خصـــوا النبأ بالخبر العظيم.

ومن توظيف امرئ القيس للفعل المبني للمجهول أيضًا قوله في وصف ناقته أيضًا[4]:

تُقَطّعُ غِيطَاناً كَأنّ مُتُونَهَا

إذا أظهَرَتْ تُكسَى مُلاءً مُنَشَّرَا[5]

أورد الشاعر الفعل المبني للمجهول في وصف متون الناقة، فقال كأنها إذا أظهرت تكسى ملاءً، وتكسى فعل مبني للمجهول أي كأنها مكســـوةٌ، بغض النظر عمن كســـاها، وهذا من قبيل توجيه النظر للحدث مباشرة بغض النظر عن الفاعل، مع ما في ذلك من الإيجاز والاختصـــار، فالشـــاعر حقق الإيجاز والمعنى بأقل جهد لغوي ممكن، فبين أن المتن يشـــبه حالة كونه مكســـوًا مع إنه غير مكســـوٍّ، وقد لعب المبني للمجهول دورًا مهمًا في تحقيق هذا المعنى، واللافت أن امرأ القيس أكثر من استعمال المبني للمجهول في وصف ناقته فمعظم حالات المبني للمجهول كان في غرض وصف الناقة وبيان صفاتها الخارقة.

ومن توظيف امرئ القيس للمبني للمجهول أيضًـــا قوله[6]:

إذا قُلْتُ هذا صَاحِبٌ قد رَضيتُهُ

وَقَرّتْ بهِ العَيْنَانِ بُدّلتُ آخَرَا

والفعل المبني للمجهول الفعل (بدلت)، وهو مبني

(1) العقاد , **الديوان**، د.ط ,(87).

(2) أبو الأسود: رجلٌ من كنانة.

(3)ابن هشام **مغني اللبيب**،د.ط ، ص(421).

(4) العقاد ,**الديوان**،د.ط , ص(95).

(5) الغيطان: الأرض المطمئنة. متونها: ظهورها. الملاء المنتشر: الثوب المبسوط.

(6) العقاد ,**الديوان**،د.ط ,ص(97).

لفاعل مجهول فلا ندري من المبدل في نظر امرئ القيس، ويبدو أنه عزم على بنائه للمجهول ؛لأنه يجهل من يكتب عليه صنوف قدره فهو جاهلي لم يملأ الإيمان قلبه، ولعله يقصد أن الدهر أو القدر هو من بدله، على كل حذف الفاعل هنا مناسب تمامًا لجهل امرئ القيس بمبدل الأحوال، والمبني للمجهول يستعمل في سياقات الجهل بالفاعل، فلو أنا وجدنا زجَاجًا مكسورًا ولا نعرف من كسره نبني الفعل للمجهول وكذلك فعل امرؤ القيس.

الخاتمة :مناقشة النتائج:

أبدع الشاعر في استعمال ظواهر الجملة الفعلية من تقديم وتأخير وحذف، ومبني للمجهول، وبعد تقصي هذه الاستعمالات خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أولًا- وردت الأساليب الإنشائية المتعلقة بالجملة الفعلية بكثرة في شعر امرئ القيس، فضمت جميع الأساليب تقريبًا.

ثانيًا- توصلت الدراسة إلى أن استعمال ليس بزيادة الباء في خبرها كان أكثر بكثير من تجرده منها، ويمكن صياغة قاعدة استعمالية من شعر امرئ القيس يقال فيها: أكثر حالات استعمال الفعل الناقص الجامد (ليس) مع زيادة الباء في خبره، وهذا أمرٌ مطرد في شعر امرئ القيس، وقد جاء مجردًا منها ولكن بدرجة أقل بكثير.

ثالثًا- استعمل الشاعر أسلوب النفي بجميع حروفه، وقد بينت الدراسة أن المناسبة السياقية كانت مرعية بدقة في اختيار حرف النفي.

رابعًا- جاء النفي بـ(لا) مميزًا حيث استعمله غالبًا في المعاني المتسعة زمانيًّا ولنفي السجايا والصفات، كقولك أنا لا أكذب أي من سجيتي وطبعي، وعلى هذه الصورة كان استعماله في شعر امرئ القيس.

خامسًا- تفنن الشاعر في استعمال الظواهر التركيبية في الجملة الفعلية ولا سيَّما التقديم والتأخير والحذف والمبني للمجهول.

سادسًا- جاء التقديم في شعر امرئ القيس تحت القاعدة العامة فيه وهي الاهتمام، مضافًا إليها معنًى سياقيٌّ كان الحصر هو المعنى المهيمن على الاستعمالات كما بينت الدراسة.

سابعًا- استعمل الشاعر ظاهرة الحذف ببراعة وكان غرض العموم في حذف المفعول به هو الظاهر في شعره.

الثامن: ورد حذف الفعل مفسرًا في أسلوب الشرط وهو استعمال معروفٌ مشهور.

التاسع: جاء حذف الجملة في شعر امرئ القيس مدلولًا عليها بالفاء، وهذا يعني توخي الإيجاز والاختصار في شعره إلى أبعد حد.

العاشر: وردت ظاهرة المبني للمجهول بنسب جيدة، وجاءت في سياقات التعميم والتركيز على الحدث دون الفاعل، فعندما يريد الشاعر التعبير عن أن المعنى حاصل بغض النظر عمن يقوم به كان يأتي بالمبني للمجهول.

الحادي عشر: أغفل الشاعر بعض الاستعمالات في الجملة الفعلية من نحو استعمال (لا حبَّذا)، وبعض الاستعمالات الغريبة وهذا دليل على أن الشاعر كان منضبطًا بالشائع المطرد من الاستعمالات عصرئذٍ.

التوصيات:

بعد إجراء هذه الدراسة التطبيقية في شعر امرئ

القيس توصي الدراسة بما يأتي:

أولًا- إجراء دراسة للقواعد الاستعمالية في شعره بمعنى آخر تحديد السياقات التي يستعمل فيها الأسلوب دون غيره وربط ذلك بالدلالة ومقتضى الحال.

ثانيًا- إكمال المشروع البحثي بإجراء دراسات رديفة تتناول الجملة الاسمية والجملة الشرطية في شعره للوقوف على القواعد الاستعمالية كاملة في شعره.

ثالثًا- التنبه إلى الدراسات المقارنة بين شعراء المعلقات ومدى التزامهم بالتراكيب الواحدة والدالة في السياقات المحددة.

رابعًا : تدعو الدراسة أخيرًا إلى إعادة إحياء بعض الأساليب السهلة وتعميمها، والتنبيه إليها كاستعمال (قد) قبل المضارع لمعنى التوكيد والتكثير، وهذا لا غبار عليه كما أوضحت الدراسة بخلاف ما يشاع من قواعد غير دقيقة.

فهرس المصادر والمراجع

1- ابن الأثير، المبارك بن محمد مجد الدين ،د ت ، **البديع في علم العربية** ، القسم الثاني منه / رسالة دكتوراه من تحقيق د/ صالح بن حسين العايد / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية /كلية اللغة العربية.

2- ابن الأثير ,ضياء الدين، د ت ، **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، د.ط، طبعة المجمع العلمي العراقي –

3 - الأشموني , د ت ، **شرح الأشموني على الألفية**، ومعه حاشية الصبّان. د.ط مطبعة عيسى البابى الحلبى. القاهرة.

4 - امرؤ القيس، 1984م ، **ديوان امرئ القيس**، (الطبعة الرابعة) ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.

5 - الأندلسي, ابن عبد ربه, 1404هـ-, **العقد الفريد**, **د.ط**, لبنان: دار الكتب العلمية.

6 - الأندلسي , أبو حيان, 1418 هـ- / 1998, **ارتشاف الضرب**, ط1، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب،الناشر: مكتبة الخانجي ،القاهرة.

7 - ابن الأنباري، أبو البركات، 1957 م ، **أسرار العربية**، د ط، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دمشق ،مطبعة الترقي.

8 - أنيس، إبراهيم, 1966, **من أسرار العربية** , ط. 3،مصر:مكتبة الأنجلو المصرية.

9- بلقاسم، د ت ،**الجملة الفعلية البسيطة المثبتة في معلقة امرئ القيس**، مجلة جامعة مستغانم، الجزائر.

10 - بطانة، بدوي,1967, **معلقات العرب** , ط.2، مصر: مكتبة الأنجلو.

11- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن ,1972, **الجمل** ,د.ط,سوريا : مجمع اللغة العربية .

12 - الجرجانى , عبد القاهر , 1984م,**دلائل الإعجاز**, د ط، قرأه وعلّق عليه محمود شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي.

13 - الجناجي،حسن بن اسماعيل, 1403 هـ- / 1983 م, **النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق**, ط 1، الناشر: دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر.

14 - الجندي، محمد سليم, 2018, **امرؤ القيس** , د.ط, المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

15 - الجندي، محمد سليم ,2014 , **امرؤ القيس**. د.ط , المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي .

16 - ابن خالويه , الحسين بن أحمد، 1399هـ- /1979م ، **ليس في كلام العرب**،ط2 ، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، د م ، مكة المكرمة.

17- - ابن جنى , أبو الفتح عثمان ، 1986 م، **الخصائص**،ط3 ، تحقيق: محمد علي النجار، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

18 - الحملاوي , الأستاذ أحمد، د ت ، **شذا العرف**

في فن الصرف، د.ط، بيروت ، المكتبة العلمية الجديدة.

19 – الخطيب التبريزي، يحيى ،1933، شـــرح الســـبع الطوال ط1, ، مصر، المطبعة المنيرية .

20 – – رضا، الشيخ أحمد، 1958, **معجم متن اللغة**, بيروت، لبنان :دار مكتبة الحياة.

21 – الرفاعي , أحمد مطلوب، 1980 م، **أســـاليب بلاغية**، ط.1, الكويت ، وكالة المطبوعات .

22 – الزوزانى , الحســـين بن أحمد, 2002 ,**شـــرح المعلقات للزوزني**, ط 1, مصر ،دار إحياء التراث العربي .

23 – الزمخشـــري، محمود ، 1401 هـ / 1981 ،**الأنموذج في النحو**، ط 1، بيروت، دار الآفاق الجديدة .

24 – الســـامرائي، إبراهيم , 2000 ,**معاني النحو**, ط1, بغداد ، جامعة بغداد .

25– الســـرقســـطي،ســـعيد بن محمد، 1975 م، **كتاب الأفعال**، د.ط , تحقيق: حسين محمد محمد شرف، جمهورية مصـــر العربية، مؤســـســـة دار الشـــعب للصـــحافة والطباعة والنشر، القاهرة .

26 – الســـبكي , أحمد بن علي، 1423 هـ / 2003 م ، عروس الأفراح في شـــرح تلخيص المفتاح،ط 1 ،المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، لبنان ،الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت .

27 – ســـعدية، نعيمة, 2011, **الجملة في الدراســـات اللغوية**. مجلة جامعة محمد خيضر.

28 – ســـيبويه، عمرو بن عثمان, 1408 هـ / 1988 م, **الكتاب** , ط3 , المحقق: عبد الســـلام محمد هارون، القاهرة ،الناشر: مكتبة الخانجي.

29 – شُـــرَّاب, محمد حســـن، 1427هـ /2007م, **التقدير في شـــرح الشـــواهد الشـــعرية في أمهات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شـــاهد شـــعري»** ، ط1. الناشـــر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .

30 – الشـيبانى , نصـر الله بن محمد، 1375هـ–، **الجامع الكبير في صـــــناعـة المنظوم من الكلام والمنثور** ،د.ط, المحقق: مصـطفى جواد ، د م ،الناشـر: مطبعة المجمع العلمي .

31 – ضيف، شوقي, د.ت, **العصر الجاهلي** ,ط.11، . مصر: دار المعارف.

32 – عباس حســـن, د ت، **النحو الوافي**، ط 15، مصر، الناشر: دار المعارف.

33 – عتيق , عبد العزيز, 1974، **علم البيان** ، ط1 ، بيروت، دار النهضة.

34 – عكاوي ,إنعام فوال، 2006 ، **المفصـــل في علوم البلاغة**, د.ط , بيروت ، دار الكتب العلمية .

35 – عمر،أ حمد مختار،1985 ،**علم الدلالة**، ط (1)، د م ، عالم الكتب .

36 – ابـن فـارس , أحمـد بـن فـارس، 1389/ 1969،**مقاييس اللغة**، د.ط , (مقدمة المحقق الأستاذ عبد السلام هارون)، مطبعة البابي الحلبي.

37 – الفراهيدي، الخليل بن أحمد,2002, **العين** ,د.ط , لبنان ,دار الكتب العلمية.

38 – الفيومي،أحمد بن محمد, د.ت, **المصـــباح المنير في غريب الشرح الكبير**, د.ط ,بيروت، المكتبة العلمية.

39 – قـدور، أحمـد، 2021 ،**مبـادئ اللســـــانيـات العامة**،ط (2)، ماجستير، الجزائر .

40 – ابن قسيمة، رشيد, 2011, **فاعلية المعنى النحوي في إضاءة النصوص الشعرية**. مجلة المخبر،العدد7.

41 – القيرواني، ابن رشيق, 1981م ، **العمدة في محاسن الشـــعر**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط (5) .

42– مارتينيه، أندريه، يونيو 1985 ، **مبادئ اللسانيات العامة**، ترجمة: الدكتور أحمد الحمو ، رقم العدد: 25 .

43 – – ابن مالك، جمال الدين, 1402 هـ / 1982 م, **شـــرح الكافية الشـــافية** , تحقيق: د. عبد المنعم أحمد

هريدي: جامعة أم القرى .

44 - المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد, 1994, **المقتضب**, ط2 ،تحقيق محمّد عبد الخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب.

45 - - المصطاوي, عبد الرحمن ، ١٤٢٥ هـ- / ٢٠٠٤، **ديوان امرئ القيس**،ط 2, بيروت، الناشر: دار المعرفة .

46 - مكي، الطاهر,1993, **امرؤ القيس حياته وشعره** ,ط. 6 , مصر: دار المعارف.

47 - ابن منظور، محمد بن مكرم , د.ت, **لسان العرب**, ط. 1 , بيروت: دار صادر.

48 - أبو موسى محمد محمد,1996 ، **خصائص التراكيب**، ط4، مصر ، مكتبة وهبة.

49 - - ميهوبي، الشريف ،2007، **الربط الإسنادي في الجملة العربية البسيطة- دراسة لباني**، مجلة الأثر، ع 6، الجزائر .

50 - ابن هشام، عبد الله بن يوسف، 1985 ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، ط 6 ، الناشر: دار الفكر – دمشق .

51 - ياقوت، محمود سليمان ،2009، **النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية**، د. ط, دم .